الربط في اللفظ والمعنى

الدكتور
محمود عكاشة

MALIB

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

الربط فى اللفظ والمعنى

بسم اللـه الرحمن الرحيم

إهداء

إلى

روح العلّامة

الأستاذ الدكتور

محمود الطناحى

غفر اللـه له

الدكتور محمود عكاشة

الربـط

فى اللفظ والمعنى

تأصيل وتطبيق

فى ضوء علم اللغة النصى

الدكتور

محمود عكاشة

٢٠١٠ م

MAUB

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

الكتاب : الربط فى اللفظ والمعنى
تأصيل وتطبيق فى ضوء علم اللغة النصى
المؤلف : الدكتور محمود عكاشة

مراجعة لغوية : قسم النشر بالدار
رقم الطبعة : الأولى
تاريخ الإصدار : 2010 م

الناشر : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى
العنوان :82 شارع وادى النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر
تلفاكس : 561 33034 (00202) 012/1734593
البريد الإليكترونى: J_hindi@hotmail.com

رقم الإيداع : 2010/2529
الترقيم الدولى : X-43--6149 - 977

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد اتجهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى تحليل النصوص في ضوء المناهج الحديثة لتكون أكثر فائدة من الدراسات النظرية وبعض الدراسات التقليدية التي تشرح معاني الألفاظ شرحاً معجمياً بعيداً عن سياقها الخارجي، وتدرس الجمل بعيداً عن النص، وهي جزء منه.

والدراسات النصية الحديثة تدرس الجمل في ضوء ظروف إنتاجها وعلاقتها بالنص الذي تشكل جزءاً من دلالته، ويدخل هذا في علم اللغة النصي، وهو اتجاه لغوي له جذوره في الدراسات البلاغية القديمة، فقد بحث العلماء تركيب الجملة في علم النحو وبحثوا دلالتها في علاقتها بما جاورها في النص، وهذا من اختصاص علم البلاغة الذي يعالج المعاني والروابط النصية .

وبعض الباحثين المعاصرين بحثوا عن الدراسات النصية في أعمال النحاة، فبادروا باتهامهم بأنهم قصروا فيها، وزعموا أن الدراسات العربية القديمة لم تعالج النصوص معالجة عامة في ضوء العلاقات التي تربط بين أجزاء النص، وأنهم لم يتجاوزوا الجملة إلى العلاقات التي تربطها بالنص الكلي الذي تمثل لبنة فيه، وهذا خطأ آخر سقطوا فيه، لأن الجمل من اختصاص علم النحو الذي يدرس عناصر الجملة والعلاقات بينها، ودرس البلاغيون العلاقات النصية التي تجمع بين الجمل في خطاب واحد أو نص واحد، فعلم اللغة النصي في أعمال القدماء في الدراسات البلاغية وليس في أعمال النحاة، فالبلاغيون بحثوا عن الوظائف النحوية في النصوص وأثرها في المعنى، وقد استطاع عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أن يضع منهجاً جديداً في الدراسات النصية جمع بين علم النحو وعلم البلاغة، وليست بمبالغة إن قلنا إنه مؤسس الدراسات النصية العربية في كتابه «دلائل الإعجاز»، وقد توقف هذا المنهج بعده فلم يتوسع البلاغيون من بعده في هذا المنهج واكتفوا بالجوانب البلاغية،

واعتدوا بكتابه «أسرار البلاغة» لأنه كان بلاغياً صرفاً فيه وحذو حذوه، ولم يجعلوا منهجه في «دلائل الإعجاز» أساساً لهم في البحث البلاغي، لأنه عالج النصوص معالجة نحوية، وجعل الوظائف النحوية هدفه في تحليل النصوص، وقد استطاع أن يصل منها إلى أسرار العلاقات الداخلية بين الجمل، ولكن الدراسات البلاغية من بعده اتجهت إلى شرح متون كتب البلاغة، ومازال كتاب عبد القاهر «دلائل الإعجاز» موضع اكتشاف لكثير من الدراسات الحديثة، فالأسلوبيون يرون أن عبد القاهرة رائد البحث الأسلوبي في «دلائل الإعجاز»، والنصيون المحدثون يرونه أول من اتجه إلى بحث الدراسة النصية ، وهؤلاء يتجاهلون مفسري القرآن الكريم، فقد تجاوزوا المعنى اللغوي إلى النص الكلي وتأويل ما تشابه من النصوص، وجعلوا من آلة المفسر معرفة أسباب النزول، لأنها تعيِّن الدلالة النصية، وبحثوا كذلك علاقة النص القرآني بالعالم الخارجي.

وقد هجر بعض المعاصرين الدراسات التقليدية، واتجهوا إلى معالجة الأسلوب والنص وعوّلوا في ذلك على البلاغيين والدراسات الغربية، فظهر في الدراسات العربية فرع معرفي جديد يعرف بعلم اللغة النصي، ويدخل في فروع علم اللغة العام، وقد ازدهر في الغرب في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، وهذه الدراسات تعنى بالنص، وتسعى إلى إبراز الطبيعة الكلية للنصوص، والنسيج الذي يربط بين أجزاء النص، وقد تأثر بعض الدارسين العرب بهذه الدراسات في دراساتهم النص العربي، وبعضهم يسميه تحليل الخطاب ، وما زالت هذه الدراسات في مهدها وتتنازعها مذاهب مختلفة، ومن ثم اختلفت الاتجاهات التحليلية ، وقد حققت نتائج مقبولة في البحث اللساني المعاصر، ونميل إلى اختيار «اللسانيات» لمثل هذه الدراسات بديلاً لعلم اللغة التقليدي، لأنها تبنت الدراسات الحديثة، وأفادت من المناهج البحثية الحديثة، وتعاونت فيها الدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية ، وعناصر هذه العلوم مجتمعة شاركت في بناء النص الكلي.

وكتابنا «الربط فى اللفظ والمعنى» دراسة تطبيقية للتعرف على أسرار النص في ضوء الدراسات النصية، وقد اخترت قصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد» نموذجاً تطبيقياً، وهي نص شعري تراثي طويل توافرت فيه عناصر القصيدة العربية الأساسية، وقامت بنيتها على روابط نصية، ووظف الشاعر فيها عناصر إقناعية يمكن من خلالها التعرف على معالم التحليل النصي ووسائل الإقناع، وقد دُرست القصيدة من قبل لغوياً وأدبياً بيد أنها لم تدرس دراسة نصية كلية، وهذا موضوع بحثنا.

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد فيما انتوينا عمله، و الله المستعان.

الدكتور محمود أبو المعاطي أحمد عكاشة

القاهرة ٢٠٠٩م

الفصل الأول

مدخل نظري

علم اللغة النصي فرع جديد من فروع علم اللغة المعاصر، فقد اتجهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى دراسة النص دراسة كلية في ضوء العلاقات التي تربط بين أجزائه والعوامل المؤثرة في بنيته الكلية سواء أكانت مؤثرات لغوية أم غير لغوية، فقد بحث العلماء المؤثرات التي تشارك في بناء النص [(١)] .

وهو فرع من اللسانيات الحديثة [(٢)] أضاف إلى البحث اللغوي جوانب جديدة أسهمت في تحليل النصوص وساعدت في تطورها وموضوع هذا الفرع من علم اللغة النص اللغوي والعناصر التي أسهمت في إنتاجه، فيدرس تركيب النص، ويدرس أيضاً عناصر التوظيف الاتصالي (وسائل الاتصال)، فالنص مجموع التراكيب والإشارات الاتصالية التي ترد في تفاعل تواصلي، فجمع علم اللغة النصي بين علم اللغة الجملي (علم النحو) وعلم الاتصال [(٣)] .

وهذا الاتجاه ينحو إلى دراسة كلية للنص، فيدرس الجمل في ضوء علاقاتها بالنص، وظهر ما يعرف بنحو النص، وهو النحو الذي يدرس النص في ضوء وحدته اللغوية الكبرى، فيحلل الجملة في إطار علاقتها بما يجاورها ويدرس التشابك بين الجمل، ويدرس الوظيفة الدلالية للعناصر النحوية ويربطها بمضمون النص الكلي [(٤)] ، وهذا يستند إلى علم اللغة الوصفي وعلم اللغة الوظيفي وعلم اللغة التركيبي (البنائي)،

---

(١) ارجع إلى: مدخل إلى علم اللغة النصي، هاينه وفيهفيجر، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م ص ٧ وما بعدها. وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الدكتور سعيد حسن بحيري، مكتبة الأنجلو ط١٤١٣/١، ١٩٩٣م ص ٣ وما بعدها . ولغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م، ص٤٣ .

(٢) ترجع نشأة علم اللغة النصي في الغرب إلى النصف الثانى من القرن العشرين فهو أحدث فروع علم اللغة، وقد ازداد هذا الفرع تطوراً في نهاية الستينات ومازال في تطوره. ارجع إلى: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الدكتور سعيد حسن بحيري، ط١٤١/١ – ١٩٩٣م، مكتبة الأنجلو المصرية ص ٣ .

(٣) ارجع إلى: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب، جامعة الملك سعود ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ص ٧ ، ٨، ظهر فى كتب المحدثين نحو الجملة ونحو النص، ويراد بنحو الجملة المفهوم الشائع للنحو .

(٤) ارجع إلى: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٧ ، ٨ ، ٩ ، وعلم لغة النص، الدكتور سعيد بحيري، ص ٣، ٤، ولغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ٤٣، ٤٤، وارجع إلى نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، الدكتور مصطفى النحاس، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢٠٠١/١م ص ٤ .

فقد أسهمت هذه العلوم في تحليل النصوص. والنص يتجاوز مفهوم الجملة ومعناها الحرفي إلى مجموع الجمل التي تؤلف فكرة أو موضوعاً، والجملة بمعنى النص لا تفيد موضوعاً تاماً، فالنص بناء متكامل تشكله مجموعة من الجمل وتسهم فيه عناصر خارجية ويدور في فلك موضوع، وهذا النوع يمكن التعرف على ملامحه اللغوية والاتصالية خلافاً للنص بمعنى الجملة لا يفي الموضوع أو البحث.

وقد نشأ علم اللغة النصي في الغرب في النصف الثاني من الستينات وتطور البحث فيه ، وقد ساعد في ظهوره تطور البحث في الاتصال اللغوي وتحليل النصوص الذي ظهر في بداية النصف الثاني من القرن العشرين، فقد اهتم العلماء بالنص وأبرزوا الطبيعة الكلية للنصوص والعوالم التي تدخل في تكوين نسيج النص، وأسهم فيه أيضاً التفاعل بين حقلي الأدب واللغة وظهور اللسانيات الحديثة والأسلوبية التي جمعت بين الأدب واللغة والبلاغة (١) .

والبداية تلزمنا أن نبحث مفهوم النص (Textus) الاسم اللاتيني، ويعني النسيج أو الأسياخ المضفرة من الفعل اللاتيني Texere جَدَل، نَسَجَ (٢) ، وهذا المفهوم يتجاوز مفهوم الجملة الضيق إلى مفهوم يتجاوز الإسناد فيها إلى ظروف إنتاجها نحو: (الله أحد) نص باعتبار معناه والإسناد وأسباب نزوله وزمنه ومن نزل فيهم، وتجريده من هذه العناصر يضيق معناه في المعنى اللغوي والإسناد، فالجملة تكون نصاً في ضوء ظروف إنتاجها ومعناها و عناصرها (٣) .

والنص يعني الشكل اللغوي الثابت منطوقاً أو مكتوباً، فالمحفوظ نص والمقروء نص والمسموع نص عن قائله فيروى بلفظه فيكون نصاً (٤) .

وهذا المفهوم يقترب من المفهوم الغربي، فقد عرفه يول وبراون «أنه التسجيل الكلامي لحدث تواصلي» (٥) ، إنه يعني الشكل الثابت المحفوظ، ويعني جملاً تشكل

---

(١) ارجع إلى: نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، الدكتور مصطفى النحاس، ص ٤ ، ٥ ، وبلاغة الخطاب وعلم النص، الدكتور صلاح فضل، مؤسسة المختار، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٤، ولغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، ص ٤٤، ٤٥ .

(٣) ارجع إلى: معنى نص في معجم لسان العرب، مادة نصص، والكليات، الكفوي، ط مؤسسة الرسالة، ص ٩٠٨، ولسانيات النص، محمد الخطابي، المركز الثقافي العرب، بيروت ص ٧، ٨ .

(٤) ارجع إلى: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٤ ، ٥ .

(٥) تحليل الخطاب، ج . ب. براون، وج . يول، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، ط جامعة الملك سعود، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م، ص ٢٢٨ .

نصاً يعتمد على علاقات الترابط[1] ، وهذا المفهوم يختلف عن مفهوم الجملة: «الجملة عبارة عن فكرة تامة أو تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة، أو نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة[2]، أو القول المفيد الموجز نحو: جاء زيد، استقم، زيد شجاع، محمد في البيت، وهذا التركيب الشكلي القصير المكون من موضوع ومحمول لا يشكل نصاً متكاملاً، فالنص سلسلة متماسكة من الأجزاء Frogments في صور جمل لها نظام فعال Actual system وله مضمون عام وليس له نظام افتراضي Virtual system كالجملة [3] »، فالجملة كيان قواعدي شكي، والنص شكل لغوي يتصل بموقف ويتفاعل مع العالم في زمن إنتاجه، ويفسر في ضوء بنيته اللغوية وظروف إنتاجه، وقد يكون هذا النص قصيراً في شكل جملة، وقد يكون طويلاً في شكل رسالة، أو عمل أدبي.

وذهب بعض العلماء إلى أن ما قدم حتى الآن من إسهامات في دراسة علم اللغة النصي لا يمثل نظرية نصية متكاملة بعيداً عن علم اللغة، فدراسة النص دراسة كلية فرع من علم اللغة [4].

والباحثون يجتهدون في وضع أسس تحليل النصوص، وقد حال بينهم وبين ذلك تأثرهم بالمناهج الحديثة واختلاف مشاربهم ورؤيتهم في تحليل النص، والخلاف قائم بين الغربيين ، وتولاه عنهم من تأثر بهم من العرب.

وهنالك علاقة بين البلاغة والتحليل النصي، فعناصر التحليل بها عناصر بلاغية، ومفهوم البلاغة يعادل مفهوم علم اللغة النصي عند بعض الغربيين غير أنهما في الحقيقة يختلفان في المنهج والأدوات والتحليل والأهداف، فالبلاغة عند فان دايك كانت تمهيداً لظهور علم اللغة النصي، فهي التي أرست مبادئ هذا العلم، فالبلاغة تصف النصوص وتحدد وظائفها المتعددة، بيد أن علم اللغة النصي أكثر عموماً من البلاغة

---

(١) نفسه ص ٢٢٨، وقد نقل المؤلفان عن هاليداي ورقية حسن عن كتابهما "chesion in En English"

(٢) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة الدكتور تمام حسان، ط١٤١٨/١هـ ١٩٩٨م، عالم الكتب ص١٢٧ ، وارجع إلى تعريف الجملة عند النحاة.

(٣) فرق دى بوجراند بين النص والجملة . انظر النص والخطاب والإجراء، ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١.

(٤) ارجع إلى: مدخل إلى علم اللغة النصي ص ٨ ، والنص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص ١٢٧ - ١٧٠ و١٧١ - ٢٤٨ . وارجع إلى: تحليل الخطاب، براون ويول، ص ٢٢٨ وما بعدها.

التي ترتبط بأشكال أسلوبية خاصة وترتبط بوظائف اتصالية ووسائل إقناعية [١] .

والبلاغة العربية عالجت النصوص في ضوء سياقها اللغوي وسياقها الخارجي وقد أرسى أسس هذا المنهج مفسرو القرآن الكريم الذين فسروا النصوص في ضوء المعنى اللغوي المعجمي ثم المعني السياقي (علاقة اللفظ بما جاوره في الجملة ثم علاقة الجملة بما جاورها من الجمل الأخرى التي جاءت في سياق المعنى)، ثم بحثوا أسباب نزول النص وزمنه ومكانه ومن نزل فيهم[٢]، وهذا مذهب الفقهاء في استنباط الأحكام من النصوص وتطبيقها، وبحثوا إلى جوار ما سبق من نزل فيهم الحكم وملابساته، وطبيعة المكان والزمان وأحوال المجتمع وظروفه.

ومن يطالع كتابي البرهان في علوم القرآن للزركشي والإتقان في علوم القرآن للسيوطي يعلم أن علماء التفسير [٣] استوفوا منهج علم اللغة النصي الحديث وتفوقوا عليه من قبل أن يظهر في الدراسات الحديثة. وقد توجهت الدراسات البلاغية إلى النص نفسه فجعلته موضوع بحثها، فدرسته دراسة كلية بيد أنها لم تتناول المؤلف؛ لأنه خارج النص واكتفت بذكر شيء عن سيرته وسبب قوله النص ومن قيل فيه وزمن قيله ومكانه، وهذا خارج تفسير النص الأدبي بيد أن المفسرين ربطوا تفسير النصوص بهذه العناصر، وضعفوا التفاسير التي فسرت النص القرآني مقطوعة عن سبب نزوله ومن تعلق بهم النص ومكان نزوله زمانه [٤]. وهدف المفسر المعنى العام لبيان الحكم والقصد، وهدف البلاغي العناصر البلاغية المؤثرة والمشاركة في المعنى، وبحث أسباب قوتها وتأثيرها، فى المتلقي، والتأثير مفتاح الإقناع، والبلاغة فن الإقناع الجيد، لما

---

(١) ارجع إلى: بلاغة الخطاب وعلم النص، الدكتور صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م ، ص ٢٥٣ ، وعلم لغة النص ص ٦، والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ص١٦٠، ١٦٢.

(٢) ارجع إلى: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، الهيئة العامة للكتاب، الجزء الثاني. لقد بحث العلماء أسباب نزول الآيات التي تعلقت بموقف أو حدث، وهي تمثل نصوصاً لها مضمون واحد ولم يقفوا عند المعاني المعجمية بل تجاوزوها إلى ظروف نزول الآيات ومن نزلت فيهم وأسباب النزول.

(٣) مصطلح التفسير أوسع من شرح معنى اللفظ، فالتفسير المعنى العام للنص في ضوء العناصر اللغوية والعناصر غير اللغوية (ظروف نزوله، وليس إنتاجه فقد سبق في اللوح المحفوظ) ، وشرح معنى اللفظ لا يتجاوز المعنى المعجمي ومعنى السياق اللغوي الذي جاء فيه اللفظ .

(٤) ارجع إلى: ما ذكره السيوطي من تفاسير نصية جاوزت المراد،لأنها لم تعرف أسباب النزول الإتقان جـ١٠٨/٢: ١١١

توظفه من عناصر نصية واتصالية في الخطاب [1]، وترجع بلاغة المتكلم إلى قدرته على التأثير في المتلقين وإقناعهم بمضمون خطابه [2].

وقد تداخلت البحوث اللغوية والبلاغية والأسلوبية والأدبية في الدراسات الحديثة، وظهرت اللسانيات التي تعد انصهاراً بين عناصر من هذه العلوم، وهذا أقرب إلى طبيعة النص الذي يحمل ملامح تدخل في مجال بحثها، فهذه العلوم أسهمت فيه، وتحليله يتطلب البحث عن عناصر ها فيه للوقوف على أسراره [3].

وموضوع علم اللغة النصي دراسة النصوص في ضوء عناصر الاتصال ودراسة الوحدات اللغوية (الوحدات الصرفية والنحوية والمعجمية)، وعلم اللغة النصي أعم من علم اللغة الجملي، فهو لا يدرس أبنية النص فقط بل يدرس صفات التوظيف الاتصالي للنصوص، فيدرس ظواهر الاتصال ويجعلها مجال البحث، والعلاقة تكاملية بين علم اللغة النصي وعلم اللغة الجملي، فالأول يتخذ من الثاني مدخلاً لدراسة النص إلى جوار العناصر غير اللغوية التي شاركت في إنتاج النص[4]

وقد ظهر في ضوء الدراسة الكلية للنص ما يعرف بنحو النص، وهو النحو الذي يدرس النص في ضوء وحداته اللغوية الكبرى، فيحلل الجملة في ضوء علاقتها بما يجاورها، ويدرس التشابك بين الجمل، فيدرس الوظيفة الدلالية للعناصر النحوية ويربطها بمضمون النص الكلي، وقد استفاد في ذلك من علم اللغة الوصفي، والوظيفي، والتركيبي (البنائي)، فقد أسهمت جميعها في تحليل النصوص، واستفاد منها علم اللغة النصي مثلما استفاد من نظرية الاتصال [5]. وقد ازداد تحليل النص نضجاً بما قدمه زيلج هاريس Harris من دراسات تحليلية منهجية في النصف الثاني من القرن العشرين ، وقد عرف هذا بين الباحثين بتحليل الخطاب Discourse Analysis [6].

وقد حلل النصوص في ضوء ظروف إنتاجها والمشاركين فيها

---

(١) ارجع إلى: علم اللغة والدراسات الأدبية ، برند شبلنر، ترجمة الدكتور محمود جاد الرب، ط دار المعارف، ص ١٦٤، ص ٨ ، وبلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٧٦ .

(٢) بلاغة الخطاب، ص ٢٥١ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٤) مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٩.

(٥) ارجع إلى: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، مقالة في الكتاب التذكاري المهدي إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية ، جامعة الكويت، ١٩٨٩م ص ٤٠٨ ، وعلم لغة النص، سعيد بحيري، ١٩ ، ٢٠ .

(٦) ارجع إلى: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، مقالة بمجلة جامعة الكويت كلية الآداب، ١٩٨٩م- ١٩٩٠م، ص٤٠٨، وقد ظهر كتاب هاريس Discourse analysis عام ١٩٥٢م ، وارجع إلى لغة الخطاب السياسي، ص٤٠، ٤١ .

والمؤثرات التي تركت أثراً فيها، ولقد لقي هذا المنهج قبولاً في الدراسات العربية المعاصرة، وقد كانت الدراسات العربية المعاصرة تدرس بنية النص وحدها دون العناصر الخارجية التي أثرت في هذه الأبنية، والبلاغيون القدماء فسروا النصوص في ضوء سياقها اللغوي وسياق المقام، ورأوا أن البنية اللغوية وحدها لا تكفي في فك شفرات النص والوقوف على أسراره والمقصد منه، وهاريس رائد هذا الاتجاه في الغرب، وقد سبقه فيه مفسرو القرآن الكريم في تفسير النص القرآني، وكان له صدى عند بعض علماء البلاغة في معالجة بعض النصوص، بيد أن معظم مفسري النصوص الشعرية لم يتجاوزوا بنية النص الشعري، فقد بحثوا المعنى وعالجوا بعض قضايا النحو والبلاغة، وعدّوا شخصية الشاعر وأسباب إنتاج النص خارج البحث الأدبي واللغوي، واكتفوا بترجمة عن حياة الشاعر ومن قيل فيه النص دون أن يبحثوا علاقة الشاعر بالنص والعوامل الخارجية التي أسهمت في إنتاجه ، وقد كانت دراسة المعنى والنحو والبلاغة في النص الشعري عرفاً عاماً بين الشارحين والنقاد أيضاً، وكان هذا تقليداً انتهجه شيوخ الأزهر في شرح متون الدواوين وبعض القصائد التي درّسوها لطلاب الأزهر، وقلدهم في ذلك بعض أساتذة الجامعة المصرية في بدء نشأة الجامعة، فمعظمهم استقدمتهم الحكومة من الأزهر أو تلقوا تعليمهم في الأزهر وقلدوا أساتذتهم ، فقد بقى البحث محصوراً في أبنية النصوص وصياغتها ، حتى تأثر بعض الباحثين المعاصرين بالدراسات النصية الغربية فبحثوا النصوص في ضوء العناصر الاتصالية التي شاركت في إنتاج النص.

وسبب النزول يعادل ظروف إنتاج النص، وقد أجمع العلماء على أن معرفة سبب النزول يساعد على الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال ويعين على فهم النص (١) . وبحثوا مكان نزول النص (المكي والمدني والحضري والسفري ..) وزمانه (النهاري والليلي والصيفي والشتائي ، وما قبل الهجرة وما بعدها ..) ، ومعرفة من نُزلت فيهم الآيات أو من يتعلق بزمن النزول، وموضوع النص (٢) ، وقد توقف البحث العلمي

(١) ارجع إلى: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جـ١٠٨/٢. قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمُسبِّب. وقد ذكر السيوطي وجوهاً من التفاسير التي ذهب أصحابها إلى المعنى النصي دون معرفة سبب النزول، فأخطأوا عين التفسير الذي عرف من سبب النزول. الإتقان جـ١٠٨/٢ .
(٢) الإتقان، جـ٢، وقد تناول السيوطي في هذا الجزء هذه الموضوعات وأثرها في التفسير.

والتطور، فوقف العلماء عند الشروح التقليدية والمتون القديمة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى وفد بعض الباحثين إلى أوربا، واطلعوا على مناهج البحث الحديثة فيها، فوظفوها في البحث وتأثروا بالمدارس الغربية في العلوم الإنسانية، واستفادت الدراسات اللغوية والأدبية من مناهج البحث الغربية فتطور البحث فيهما، وظهر اتجاه يجمع بينهما في الدراسة، فقد اتجه بعض الباحثين إلى توظيف العناصر الأدبية والبلاغية في التحليل اللغوي، وظهر علم الأسلوب الذي تتنازعه الدراسات اللغوية والدراسات البلاغية، والدراسات الأدبية ، لأنه أفاد منها، فاجتمعت فيه عناصر لغوية وبلاغية وأدبية، فلا يخلو نص أدبي من هذه العناصر.

وقد كانت الدراسات اللغوية قديمة معنية بدراسة الأصوات والأبنية والجمل والدلالة فلا تتجاوزها إلى المعنى العام للنص، أو اختلاف الأساليب وأثرها في المعنى فهذا من اختصاص علم البلاغة .

وقد بحث عبد القاهر الجرجاني العناصر النحوية ووظائفها وأثر اختلافها في المعنى وربط بينها وبين العناصر البلاغية [1] ، فجمع بين علم النحو وعلم البلاغة، فربط بين التركيب والمعنى ولم يفصل بين العناصر النحوية والدلالة، فالمعنى أساس التركيب وما لا يقبل معناه لا يجوز تركيبه، وكتاب «دلائل الإعجاز» يمثل مرحلة مبكرة في الدراسات التي اعتدت بالمعنى في بحث الجمل، وقد سلكت هذا الاتجاه الدراسات اللسانية الحديثة والأسلوبية، ويعد عبد القاهر الجرجاني مؤسس هذا المنهج مستفيداً في ذلك من علم النحو وعلم البلاغة، بيد أن بعض الباحثين المحدثين نالوا من علم النحو العربي بدعوى أنه كان شكلياً لا يتجاوز تركيب الجملة، وهذا رأي فيه نظر؛ لأن علم البلاغة كان متمماً للنحو الذي بحث هذا العناصر التركيبية، فبحث الأخير معاني الجمل وأثر اختلافها في المعنى، ولهذا بحثوا بعض القضايا النحوية في الكتب التي صنفت في البلاغة .

ولقد رأى الدكتور تمام حسان أن الدراسات البلاغية اعتدت بدراسة التراكيب اعتدادها بالمعنى المجازي ، وأنهم بحثوا تراكيب النص في ضوء سياقه العام ومقاصده ،

---

(١) ارجع إلى: دلائل الأعجاز، حققه الشيخ شاكر، ط الهيئة المصرية للكتاب، وقد حققه الشيخ رشيد رضا وعلق عليه من قبل الشيخ شاكر .

ولكن الدكتور حسان وجه نقداً للمنهج التراثي في معالجة معاني النصوص؛ لأنه - حسب اعتقاده - تناول شرح الألفاظ بعيدة عن النص، فبحث الوحدات العضوية مستقلة عن سياقها العام، فاكتفى بشرح الألفاظ ودلالتها، وما كان لهذا المنهج في شرح النصوص أن يؤدي إلى الفهم الكامل لدلالاتها ومقاصدها ويصدق ذلك حتى على عمل المفسرين وشرحهم للنص القرآني [1] .

وهذا الرأي يواقع بعض الكتب التي تناولت مفردات القرآن وغريبها [2] ، وهي لبعض اللغويين الذين انشغلوا بجمع المادة اللغوية وشرحها، وهي البداية التي ابتدأ بها المفسرون شرح ألفاظ القرآن الكريم، وهذا ما كان يتطلبه العصر لقرب عهدهم بعصر النبوة والصحابة رضوان الله عليهم، ثم ظهرت الحاجة إلى استنباط الأحكام من النص والقياس على أحكام القرآن الكريم، وقد تطلب ذلك فهماً ووعياً بعرف العربية ومعرفة ظروف نزول النص، والفقهاء هم رواد الدراسات النصية؛ لأنهم بحثوا دلالة النص في ضوء زمن النزول ومكانه وسبب نزوله واستنبطوا الأحكام في ضوء الفهم الكلي لكل نص تعلق بحكم، ثم أتى بعدهم البلاغيون فبحثوا التراكيب في ضوء الدلالة العامة وبحثوا أساليب الجمل وترتيبها والعلائق بين الألفاظ والتراكيب، والاحتجاج بكتب غريب القرآن أو مفردات القرآن وغريب الحديث أو مفرداته والشروح اللغوية لدواوين الشعر لإثبات اهتمام علماء العربية بالألفاظ والوحدات الصغرى فيه تجنى على تراث الأمة وجهود العلماء، فالكتب التي سلكت هذا المنهج غايتها تبسيط المعنى وتقريبه، ومن ثم تعقبت الغريب فقط دون شرح النص، وهذه المؤلفات كانت موجهة للمبتدئين، فهي كتب تعليمية للمتعلمين، وليست للصفوة فتوهم المتأخرون أنها تمثل إنتاج هذا العصر، وليست إلا كتباً تعليمية، وهذا ما احتاج إليه الطلاب وما كان يلقى عليهم في مجالس التعليم، وقد ذكر الدكتور حسان بعضاً من الألفاظ التي تدل على ذلك قال: «وإنما كان الشراح يبنون شروحهم على المفردات فترى الواحد منهم يعرض للفظ المفرد بعبارة «قوله كذا ...» ثم يغوص في

---

(١) ارجع إلى: المقدمة التي كتبها الدكتور حسان في صدر ترجمة كتاب النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ط دار الكتب، ط١٤١٨/١هـ ١٩٩٨م ص ٤، ٥.

(٢) من أشهر هذه الكتب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي، والأشباه والنظائر للدامغاني، وبصائر ذوى التمييز للفيروز آبادي.

الدلالة المفردة لهذا اللفظ مع ندرة الانتباه إلى العلاقات العضوية بين أجـزاء الـنص، ومـا كان لهذا المنهج في شرح النصوص أن يؤدي إلى الفهم الكامل لدلالاتها ومقاصدها» (١) .

وهذا منهج المعلمين في التدريس وانسحب على تفسيرهم القرآن الكريم والـشعر، ولـيس هذا منهجاً عاماً في التفسير فلـه مـدارس بعـضها سـلك مـسلكاً لغويـاً، فـاهتم أصـحابه بمعـاني الألفاظ والتراكيب، وهم الذين يدخلون في قـول الـدكتور حـسان، وبعـضهم نحـا نحـواً بلاغيـاً، فاهتموا بالأساليب والمعاني والصور وأثرها في التعبير والمتلقـي، وبعـضهم بحـث مـا وراء الـنص الشكلي، فتأول النصوص وبحث أسرار المعنى وهؤلاء أصحاب التأويل، وبعضهم اكتفى بالأثر في شرح المعنى وشرح النص بالنص وتورع عن القول فيه برأيه (٢)، وبعضهم تتبـع آيـات الأحكـام، وهم الفقهاء، وبعضهم عالج المتشابه وأسـباب النـزول، وبعـضهم عـالج قـضايا اللغـة والنحـو، وبعضهم عالجه معالجة بلاغية وأدبية، وهم أقرب إلى علـم اللغـة النـصي، ويعـد الجـاحظ (ت ٢٥٥ هـ) نموذجاً رائداً فى الدراسات النصية، فقد درس الدلالة والجمل والـسياق اللغـوى وغـير اللغوى، وعناصر ترابط النص فى مختاراته النثرية والشعرية.

وبعض الباحثين المحدثين يرون أن علم اللغة النصي أو علم لغة الـنص لم يعرفـه القـدماء، ومن أدلتهم لهذا الزعم عدم وجود لفظ المصطلح في كتب القـدماء، ثـم يرجعـون عـن قـولهم هذا عندما ينقلون عن عبد القاهر الجرجـاني (كتابـه: دلائـل الإعجـاز) وقـد تقـصوا منهجـه في دراستهم الحديثة، ويحتجون برأيه في نظريته المتقدمة «النظم» فقد عالج فيهـا العلاقـات بـين الألفاظ في الجمل، وعالج العلاقات بين الجمل في سـياقها أو في نـص يجمـع بينهـا، ونجـد عبـد القاهر نحوياً خالصاً في مؤلفاته النحوية وبلاغياً خالصاً في مؤلفاته البلاغية غير خالطٍ بينهما بيد أنه جمع بين العلمين (النحو والبلاغة) في كتابه دلائل الإعجاز، فقد ربط بين النحـو والبلاغـة في دراسة النصوص، وبحث عن معاني النحو في الجمل، وبحث علاقة الجملة بالسياق، والدراسـات الحديثة مزجت بين دراسة الجمل ودراسة

---

(١) النص والخطاب والإجراء، ص ٤ ، ٥ .

(٢) ارجع إلى: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، الدكتور إبراهيم شريف، دار التراث، ط١٤٠٢/١هـ ١٩٨٢م، وقد تناول مناهج المفسرين حديثاً وتـأثرهم بالمنـاهج الـسابقة علـيهم وتنـاول اتجاهـات حديثـة، وارجـع إلى التفـسير والمفـسرون للذهبى، وارجع إلى البدائع في علوم القرآن، جمع وتحقيق يسري السيد، دار المعرفة، بيروت.

المعاني، وهذا الذي سبق إليه عبد القاهر في الدلائل وتناوله ابن جني في أجزاء من كتابه «الخصائص»، وقد سلك هذا المنهج السُّهيلى فى «نتائج الفكر فى النحو»، وتأثر به ابن القيم الجوزية فى«بدائع الفوائد»، وقد عالجا قضايا النحو فى ضوء المعنى.

والذين يرمون القدماء بالحرفية (الشكلية) في معالجة النصوص في علم النحو فقط، وهذا علم معني بدراسة التركيب في الجملة وما يتعلق بها .

ودراسة العلاقات بين الجمل وعلاقتها بالعالم الخارجي من اختصاص علم البلاغة، فالمعاني من عمل البلاغيين، وبناء الجملة الشكلي والعلاقة بين أجزاء الجملة من عمل النحاة، لأن القدماء فرقوا بين الدراسة الشكلية للجمل والعلاقات الإسنادية التي تربط بين أجزائها، والعلاقات التي تربط بين الجمل، فدراسة الجملة بحثت في مجال النحو، وجعلوا علم البلاغة معنياً بدراسة معاني الجمل وأساليبها والعلاقات التي تربط بين الجمل، ومن ثم بحث عبدالقاهر شكل الجملة في النحو وبحث معاني الجمل في البلاغة، وهى عنده متممة لعلم النحو، ولهذا تصدرت الموضوعات النحوية بعض كتب البلاغة، وحديث البلاغيين عن الجملة ومجموع الجمل لا يخلو من الحديث عن الجوانب النحوية التي تحكم هذا الجملة موضوع البحث، وهذا لا يعني إهمال النحاة المعاني فقد أقاموا ترتيب الألفاظ في الجمل على المعنى، والتراكيب التي لا تحقق معنى مفيداً ليست بجمل، فالجملة قول مفيد، فإن لم تحتمل إفادة لا يعتد بها، وبعض العناصر التى تفسر فى ضوء المقام الخارجى مثل التحذير والحذف والإشارة وضمير المخاطب وغير ذلك من العناصر اللغوية التى تفسر خارج النص، وهذا يؤكد اهتمام العلماء بالعلاقات النصية، وأئمة البحث في ذلك علماء الفقه والتفسير والذين اشتغلوا بالأدب والبلاغة .

وقد بحث القدماء الترابط النصي، فبحثوا الروابط التي تتحقق من العلاقات النحوية بين الألفاظ والجمل والإعراب وبحثوا كذلك الروابط اللفظية والروابط الدلالية وتتمثل في السياق، والجوامع العقلية كالتعليل والسبب والتسلسل المنطقي والاستدلال بأدلة لفظية وأدلة من خارج النص، والجوامع المجازية ومنها توظيف العناصر البلاغية كالتشبيه والتمثيل والتصوير، وهذا أبلغ تأثيراً.

وقد بحث البلاغيون ذلك في ضوء العلاقات النحوية في الجمل والتراكيب، وقد

تجاوزوا الجملة الواحدة إلى ما جاورها وعلاقاتها بها بيد أن دراستهم الشعر عالجت المعنى في كل بيت لاستقلاله بوحدة من المعنى، وهذا ليس مطرداً، فبعض الأبيات يربطها معنى واحد، وبعض القصائد دارت في فلك موضوع واحد فتشابكت أبياتها وسلم كل بيت منها إلى الذي يليه المعنى، وتحققت فيها الوحدة الموضوعية، وبعض القصائد الطوال تناولت موضوعات شغلت الشاعر وأثرت فيه، فاستخرجها شعراً.

ودعا علماء العربية إلى انسجام الأصوات في الكلمة الواحدة فلا تتنافر، ودعوا أيضاً إلى انسجامها مع غيرها، والانسجام بين الألفاظ يسمى سبكاً.

وقد دعا العلماء إلى ائتلاف الألفاظ في البيت الواحد، وعابوا ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض، لأنها متنافرة في مخارج الأصوات، كأن يجمع بين أصوات متباعدة المخرج، وإذا كانت فالكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موفقاً لنطق اللسان فيتعثر المتكلم في نطقها لثقلها وتباعد مخارج أصواتها، هذا إلى جانب غرابة المعنى ووحشية اللفظ وجلافته فينبو عنه اللسان وتمجه الأسماع (١)، وائتلاف الأصوات وانسجامها يجعل الكلام سهلاً يجرى على اللسان دون أن يتعثر، وائتلاف الألفاظ قائم على انسجام الأصوات في الكلمة وانسجامها مع ما جاورها.

وقد ربط الجاحظ بين تماسك النص وانسجام بنية الألفاظ الصوتية، فالسبك يقوم على الانسجام الصوتي في بنية الكلمة وانسجامها مع ما جاورها قال: وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيُعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً وسُبك سبكاً واحداً، فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان، فالسبك يكون في انسجام البنية الصوتية فتلتحم الألفاظ، فتجرى على اللسان سهلة، وقد عالج الجاحظ ذلك على مستوى البيت وهو يتحدث عن الكلام غير المؤتلف .. وكذلك حروف الكلام، وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لمساً ولينةً المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة رطبة متواتية سلسلة النظام خفيفة على اللسان، حتى كان البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كان الكلمة بأسرها حرف واحد (٢) . حديثه هذا عن البيت وليس عن القصيدة تامة؛

---

(١) ارجع إلى البيان والتبيين، ص٥٠ (ط العصرية). والمثل السائر، جـ١٥٩/١ .
(٢) البيان والتبيين، ص٥٠ (ط العصرية).

لأن البيت عند السابقين يمثل وحدة مستقلة ينتهي مع القافية، واستحسنوا الأبيات التي استوفت المعنى تاماً. وقد سرد الجاحظ أبياتاً وعلق عليها وأبان عن وجوه الجودة والذم، فاستحسن منها: المتماسك الذي بينه وشائج في اللفظ والمعنى فيسلم بعضه إلى رقاب بعض في سلاسة دون اضطراب، ونسج الشاعر قوله في لفظ سهل المخرج غير متنافر مع ما يجاوره، فقارب بين المخارج وهجر حوشي اللفظ وغريبه. واستحسن أبو هلال العسكرى شعراً للنمر بن تولب، فقال: «فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف» [(١)]، ورصف الألفاظ إجادة تنسيقها مع ما يجاورها وحسن صياغتها.

وقد استحسنوا ترابط البيت، لأنه لبنة في بناء القصيدة، وقد كانت وحدة البيت مطلباً رئيساً لاستحسانه، قال أسامة بن منقذ (ت٥٣٠هـ) في تعريف السبك: «وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره، كقول زهير [بن أبي سلمى] [(٢)]:

يطعنُهُم ما ارتموا حتى إذا اطَّعنوا ... ضارَبَ حتى إذا ما ضارَبُوا اعتنقا

ولهذا قال: خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض» [(٣)]، وهذه المعالجات على مستوى اللفظ، ومن ثم عالجوا الحروف (الأصوات) والأبنية والجمل والروابط التي تربط بينها في بيت واحد، وهذا لا يعني إهمال وحدة القصيدة، فوحدة القصيدة وحدة موضوعية، تقوم على مضمون القصيدة العام، فالشعراء يجعلون الموضوعات بسبب من بعضها، فيربطون بين مضامين النص، فينتقل بين مضامين النص رابطاً بينها وجامعاً بين أجزائها، فتسلم الفكرة إلى أختها في ترتيب سلس.

قال ابن طباطبا: " إن للشعر فصولاً كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة، فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى .. بألطف تخلص و أحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله " [(٤)]،

---

(١) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق على البجاوي، وأبو الفضل إبراهيم، ط٢/دار الفكر العربي ص ١٧٥ .

(٣) ديوان زهير، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٤٥، يقول: إذا ارتمى الناس بالنبل دخل فيه يطعنهم، فإذا تطاعنوا، ضاربهم بالسيف فيعتنق قرنه، فهو يزيد عليهم فى كل حال.

(٣) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ومراجعة إبراهيم مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد (د.ت)، ص ١٦٣ .

(٤) عيار الشعر، ابن طباطبا، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م ص١٢.

وقد دعا حازم القرطاجني إلى إحكام مباني أجزاء النص وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض (١). فيأخذ بعضها بأعناق بعض، فيقوى بذلك التأليف المتلاحم الأجزاء (٢). وهذا ما يسميه المحدثون بالترابط النصي أو الوحدة النصية.

وبناء القصيدة التراثية العمودية لا يقوم على روابط لفظية بين كل أبيات القصيدة، لأن كل بيت يمثل وحدة متماسكة تنتهي بالقافية، ولهذا عالج القدماء الروابط النحوية واللفظية في البيت الواحد، والقصيدة العمودية التراثية تختلف عما يسميه المحدثون قصيدة النثر التي تشبه في ترابطها الفقرة النثرية، وهذا لا يعني فقدان الترابط في القصيدة التراثية، فبناء القصيدة يقوم على ترتيب مألوف انتهجه معظم الشعراء وتمثله من أتى بعدهم: المقدمة، وهي استهلال يبتدئ به الشاعر، ثم يخرج من المقدمة إلى الموضوع الذي يليها ويجعله بسبب منها، ويربط المقدمة وما تلاها برابط سببي أو معنوي أو رابط حرفي معللاً سبب دخوله في هذا الموضوع، كما فعل كعب في «بانت سعاد» تحول من الحديث عن سعاد إلى وصف الناقة والحديث عن وصفها وسرعتها والعلاقة بين الاستهلال بسعاد والحديث عن الناقة أن سعاد هجرته ورحلت إلى أرض بعيدة وهذه الأرض يتطلب السفر إليها ناقة لها صفات خاصة، ثم تناول هذه الصفات، فجعل بين المواضيع وصلات تصل بينها، وسوف نعالجها في حديثنا عن الرابط المضموني.

ولا شك أن مناهج التحليل الحديثة أفادت الدرس العربي بيد أن بعضها ينحو نحواً نظرياً، والدراسات التطبيقية قليلة، ومازالت في مرحلة النضج وليس لها ملامح واضحة يمكن العمل بها، فكل باحث يختار لنفسه مذهباً يجتهد فيه، ولا شك أن بعض البحوث التحليلية فيها جهد بيد أن بعضها تفتقد المنهج والتطبيق وبعضها بعيد عن عرف العربية، وهذه الدراسات غير واضحة، ومن ثم عوّلت على جهود القدماء وبعض الدراسات الحديثة التي توافق عرف العربية، وقد سلكت هذا المنهج فى دراستى " الخطاب السياسى المعاصر(٣) "، فقد استفدت من

---

(١) ارجع إلى: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١٩٨١/٢م، ص ٢٨٨.
(٢) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، دار المعرفة ، بيروت ، ج١٣١/١، ١٣٢ .
(١) لغة الخطاب السياسى، دار النشر للجامعات، وصدر آخر بعنوان خطاب السلطة الإعلامى، عن الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى.

نظرية الاتصال ومعطيات علوم اللغة، ودراسة الروابط النصية تستوجب الاستعانة بعلوم النحو والبلاغة والدلالة، والإفادة من بعض جهود الغربيين. .

وبعض المحدثين درسوا العربية في ضوء الدراسات الغربية وحملوها على اللغات الغربية وبحثوا عن خصائص اللغات الأخرى فيها ، فغالوا في تحليل نصوصها، والعربية لها خصائصها التي تعرف في ضوء قواعدها وأساليب التعبير في الخطاب العربي. وقد أثر كتاب[١] "Cohesion in English" (الربط في الإنجليزية) لهاليداي ورقية حسن في بعض باحثي علم اللغة النصي العرب، فقد تمثلوا ما فيه وتتبعوا أثره قدماً بقدم في دراسة نصوص العربية، وتجلى ذلك في دراسة الربط في العربية فزادوا عليها عناصر في الإنجليزية ليست فيها [٢] .

وقد اتجهت الدراسات الحديثة إلى وضع معالم واضحة معولين على جهود القدماء ومناهج المحدثين، وظهرت في الدراسات الحديثة مصطلحات تدخل في حقل دلالي واحد في اللسانية الحديثة، وهي:

السبك، والحبك ، والاتساق، والائتلاف ، وقد ترددت هذه المصطلحات في كتب البلاغيين القدماء في سياق حديثهم عن الصياغة اللفظية والتأليف بين المعاني والمقاربة بينها؛ ليكون النص مسبوك اللفظ ومحبوك المعنى، وقد دخلت هذه المصطلحات حقل اللسانيات الحديثة التي أفادت من الدراسات الأدبية والبلاغية والأسلوبية، فقد انصهرت هذه الدراسات اللغوية، وعرفت في الاصطلاح الحديث باللسانيات، وتنازع الدراسات الأسلوبيةَ علم اللغةُ والنقدُ والبلاغة؛ لأن الدراسات الأسلوبية محصلة نتاج هذه العلوم.

والسبك مصطلح بلاغي قديم، وقد وظفه المحدثون في الاصطلاح الحديث بمفهوم معاصر: تلاحم الأجزاء Cohesion والترابط النصي، والسبك لغة من سبك الشيء:

---

(٢)Halliday,M.A.K. and R.Hasan: (1976) cohesion in English, longman, London.

(٢) ومن ذلك حديثهم عن الربط البعدي أو الإحالة إلى متأخر ولا يرد في العربية إلا نادراً لضرورة المعنى، ومن ذلك إدخالهم التشبيه وصيغ التفضيل في الإحالة، وليست من هذا المعنى بل تدخل في وسائل الربط. ارجع إلى نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، الدكتور أحمد عفيفي، ص ١١٨. وتورط محمد خطابي في كتابه «لسانيات النص» في هذا فجعل النوع الثالث من الإحالة المقارنة (يريد التفضيل مثل: «أكثر منك» لسانيات النص، ص ١٨. وقد اعتمد في دراسته على Cohesion in English .

أفرغه في قالب صغيراً أو كبيراً، فبعض العلماء استخدمه في تعليقه على بيت شعر وبعضهم ذكره في حديثه عن بلاغة الخطاب القرآني [١] .

واستخدمه النقاد في تقييم بعض الأعمال الأدبية وعلى رأسها الشعر، فجوده الشعر في تماسك لفظه وائتلافه وسهولته، وقد استخدم الجاحظ هذا المفهوم في تعليقه على بعض الأبيات، فالشعر الجيد المتلاحم الأجزاء، سهل المخارج، «فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان [٢]، والسبك يعني الرصف، وهذا في إجادة التنسيق وحسن الصياغة[٣]، ويعني أيضاً اللحمة التي تربط بين أجزاء الكلام [٤] ، وهذا الترابط في اللفظ والمعنى، والسياق اللغوي أساس استحسان اللفظ في موضعه مما يجاوره، قال ابن الأثير: " ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه، وجل نظره، فمن ذلك قوله تعالى: **﴿مَا جَعَلَ اللـه لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾** [الأحزاب:٤] وقوله تعالى: **﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾** [آل عمران:٣٥] فاستعمل الجوف في الأولى والبطن في الثانية، ولم يستعمل الجوف موضع البطن ولا البطن موضع الجوف، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد ووزنهما واحد أيضاً، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل؟!»[٥].

والسبك بين الألفاظ يراد به انسجامها، جاء ذلك في «باب الانسجام» عند أبي الإصبع المصري: " وهو أن يأتي الكلام منحدراً كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ وسلامة تأليف حتى يكون لجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره» [٦].

(١) اللسان : مادة سبك.
(٢) البيان والتبيين، ص ٥٠ (ط العصرية).
(٣) ارجع إلى: الصناعتين، ص ١٧٥.
(٤) منهاج البلغاء، ابن طباطبا، ص ٢٢٨، والبديع في نقد الشعر، ابن منقذ، ص ١٦٣.
(٥) المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، جـ١٦٤/١ .
(٦) تحرير التحبير في صناعة الشعر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، تحقيق حفني شرف، دار إحياء التراث، (د.ت)، جـ٣٥٢/٢.

وقال في حديثه عن اطراد الألفاظ: «وهو أن تطرد للشاعر أسماء متوالية يزيد الممدوح بها تعريفاً؛ لأنها لا تكون إلا أسماء آبائه تأتي منسوقة صحيحة التسلسل غير منقطعة من غير ظهور كلفة على النظم ولا تعسف في السبك بحيث يشبه تحدرها باطراد الماء لسهولته وانسجامه» [1] .

والكلام المنسجم بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ وسلامة تأليف له وقع في النفوس وتأثير في القلوب، والتأثير في المتلقي مفتاح إقناعه بمضمون الخطاب[2]. وهذا الكلام يتحدر كتحدر الماء المنسجم لسهولته وعذوبة ألفاظه وعدم تكلفة ليكون له في القلوب موقع وفي النفوس تأثير [3]

والشعر الجيد الذي اتسقت ألفاظه في سلاسة ويسر دون تنافر أو غرابة أو ما تلاحمت أجزاؤه سهل المخارج فيجرى على اللسان ، وقال أسامة ابن منقذ: «وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ...»، ثم قال: «.. خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض » [4] ، وهذا المفهوم قريب من مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قال: «معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض»[5]، وقال: «... لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتُجْعل هذه بسبب من تلك» [6]. وهذا لا يختلف عن مفهوم السبك في اللفظ. والنظم عنده في اللفظ، واختيار الألفاظ بمقتضى المعنى الذي يستوجب وجودها، وترتيبها في الجملة وهذا مقيد بوظائفها النحوية، فالمتكلم يتوخى معاني النحور في نظمه اللفظ [7]. وهذا مقرون بالمعاني، فالكلمة توضع في الجملة على المعنى الذي أريد بها، فترتيب الألفاظ

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، ص ٥٣٤ .

(٢) ارجع إلى: بديع القرآن، ابن أبي الأصبع ، تحقيق حفني شرف، دار نهضة مصر، ط٢ ١٩٧١م، ص ١٦٦، وتحرير التحبير، ابن أبي الأصبع، جـ٤٢٩/٣، وما بعدها وجـ٣٥٢/٢ .

(٣) الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، ص١٩٦ ومثل لذلك بقول أبي تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

(٤) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد بدوي، حامد عبد المجيد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص١٦٣.

(٥) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق شاكر، ط ٢٠٠١ م، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٦) دلائل الإعجاز، ص ٥٥ .

(٧) دلائل الإعجاز، ص٥١، قال: ويستبعد أن يقال: «هذا كلام قد نظمت معانيه»، فالمعاني ترتب في النفس، ص٥٢،٥٣.

ليس عن تواليها في النطق عبثاً بل على المعنى الذي اقتضاه العقل، بيد أن النظم توصف به الألفاظ فيقال كلام منظوم، والعلم بمواقع في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق [١].

وقد فهم الدكتور تمام حسان من كلام القدماء أن «السبك إحكام علاقات الأجزاء ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل» [٢]. فالسبك في انسجام الألفاظ التي تكون في معنى واحد، وانسجام الألفاظ تآلف ألفاظها ومعانيها، وذلك لعدم تنافرها وخلوها من التعقيد، فتتسق أجزاء الكلام على المستوى اللفظي. والسبك في المعجم الحديث يعني الصياغة Craftsmanship ويعني طريقة تهيئة الكلام وترتيبه، في وحدة فنية ذات دلالة وتأثير [٣].

وهذا التعريف متأثر بمذهب الجاحظ الذي تجاوز المعاني والأفكار إلى حسن الصنعة من جودة وتشبيه وحسن الاستعارة والصورة المبتكرة.

والسبك cohesion عند المحدثين: التماسك أو الترابط اللفظي الظاهر على سطح النص من خلال وسائل لغوية تربط بين أجزاء الكلام، فيتحقق التلاحم النصي، ويسميه تمام حسان السبك وكذلك سعد مصلوح، ويريدان به الترابط الظاهر على سطح النص بالوسائل اللغوية نحو: الإحالة والاستبدال والتكرار والحذف. ويسميه محمد الخطابي الاتساق، وآخرون يسمونه التضام، وهي مصطلحات تراثية لها دلالتها في كلام القدماء [٤].

---

(١) دلائل الإعجاز، ص٥٥ .

(٢) قراءة جديدة لتراثنا النقدي، عدد٥٩ المجلد الآخر، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٩٩٠م بحث «موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية»، ص٧٨٩.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، ص٢٢٨، ويرد هذا المعجم أصل هذا المذهب إلى الجاحظ (ت٢٥٥هـ) وقد ذهب إلى أن الكلام الجيد ما كان فيه أثر الصنعة من جودة التشبيه وحسن الاستعارة والصورة المبتكرة وليس إلى ما تضمنه من معانٍ وأفكار.

(٤) ارجع إلى: النص والخطاب والإجراء، دى بوجراند، ص١٠٣ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م، ص٥، مدخل إلى علم لغة النص، مشكلات بناء النص، الأزهر الزناد، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار، ط٢٠٠١/١، ص٢٥، مدخل إلى عمل اللغة النصي، إلهام أبو غزالة وعلي خليل، الهيئة المصرية للكتاب، ط١٩٩٩/١م ص٩٣، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، الدكتور سعد مصلوح، بحث بمجلة فصول، م١٠، عدد ١،٢، أغسطس١٩٩١م، الهيئة العامة للكتاب ص١٥٤، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (د.ت) ص٩١.

ومصطلح الحبك coherence له صلة بالسبك، ويراد به : الالتحام بين أجزاء الخطاب، وجاء في معناه الاتصال والامتزاج والالتئام والالتحاق والتلاحم والاتساق [(١)].

ويراد بذلك الترابط الدلالي بين سلاسل المنطوقات المتواليات فتحقق عنه نصاً متماسكاً ، وهذا يتحقق عنه انتظام المعاني واتصال الكلام، فيلحم بين أجزاء النص ويجعل بينه انسجاماً، قال أبو هلال العسكري: «ينبغي أن تجعل كلامك مشتبهاً أوله بآخره، ومطابقاً هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه ولا تتنافر أطراره، وتكون الكلمة منه موضوعه مع أختها، ومقرونة بلفقها ...» يريد بذلك انتظام المعاني واتصال الكلام والملائمة بين أجزاء الكلام، فتقع الكلمة موقعها مما يجاورها فيناسب اللفظ اللفظ ويشاكله.

والحبك والسبك قريبان في المعنى، فالسبك الالتحام بين أجزاء الكلام والحبك التأليف بين معانيه والملائمة بينها، فالسبك صناعة الجسد في قالب لغوي حسن، والحبك لحمته الداخلية، حتى يكون جسداً سوياً تسرى فيه روح الإبداع، فيؤاخى بين المعاني ويناسب بين الألفاظ، فيذكر المعنى مع أخيه الذي يلتحم معه، وذلك بسبك الألفاظ في قالب متماسك خلو من التنافر، فالسبك حسن اختيار اللفظ وجودة الصياغة والتئام اللفظ مع غيره ووقوعه منه موقعاً حسناً لمناسبة بينهما في الدلالة واللفظ، فلا يعاظله ولا يكون حشواً ، وذلك لوضوح المعنى وملائمة السياق، فيحسن نسجه ونظمه [(٢)] .

والاتساق التماسك بين أجزاء النص، على مستوى اللفظ والمعنى، الاتساق اللفظي: ويكون في العناصر اللغوية التي تربط بنية النص، ومنها: الضمائر والإشارة وحروف العطف، ، والاتساق اللفظي في قوة ارتباط الجمل فيمسك بعضها بتلابيب بعض فتكون وحدة واحدة متسقة المعاني منتظمة المباني [(٣)] ، والاتساق في المعاني التقريب بينها وحسن المناسبة. وقد بحث العلماء وظائف الروابط الحرفية والروابط الاسمية والروابط المضمرة ووظائفها النحوية وأثرها في تماسك لحمة النص وبحثوا

---

(١) كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١٣٧١/١هـ ١٩٥٢م، ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) ارجع إلى: نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، الدكتور مصطفى النحاس، ذات السلاسل الكويت، ط١٤٢٢/١هـ ٢٠٠١م، ص٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، دار المعرفة، بيروت جـ١٣١/١.

كذلك العلاقات بين الجمل وتشابكها وأثر ذلك في التحام أجزاء النص، وقد استلزم وصف النص بالتماسك البحث عن عناصر الربط فيه والمكونات السطحية المتحققة عن عناصر لغوية تقوم عليها التبعية النحوية التي تشكل بنية النص [1] فتماسك النص له طبيعة نحوية ودلالية واتصالية والترابط النحوي يتمثل في العلاقات الإسنادية في الجمل والروابط الحرفية مثل حروف العطف التي تتحقق عنها التبعية النحوية والروابط الاسمية مثل: الضمائر الظاهرة وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وروابط مضمرة مثل: الضمائر المضمرة و الربط السياقي ولهذه الروابط أثرها في تماسك النص.

وتتحقق الوحدة النصية من خلال الربط النحوي ووسائله والتماسك الدلالي ووسائله والسياق التركيبي والسياق الخارجي (الموقف الاتصالي) وموضوع النص، فتماسك النص له طبيعة نحوية ودلالية واتصالية، ولقد تجاوز بحث النص في الدراسات الحديثة العناصر اللغوية، فزاد العناصر المؤثرة فيها، منها المرسل والمتلقي والموقف الاتصالي، فالنص مجموعة من الأحداث الكلامية أنتجها موقف اتصالي فيه منتج النص ومتلقيه ووسيلة اتصال، وهذا النص له دوافع ويهدف إلى مقاصد [2]. وهذا ما سبق إليه علماء المسلمين فى تفسير النص القرآنى وتبيين أسراره وأحكامه، ومُحكمه ومتشابهه. ودراسة النص في ضوء ظروف إنتاجه تكشف أسراره وتميط الغموض عن معانيه وتحقق النتائج المرجوّة من تحليله، فالنص المبتور عن ظروف إنتاجه ليس إلا بناء لغوياً يكتنفه الغموض، ويحتمل وجوهاً من المعنى، ومن ثم اتجه المفسرون في تحليل النصوص إلى بحث علاقة النص بظروف إنتاجه لمعرفة معانيه ومقاصده وزمن نزول النص، والعمل الأدبي يتأثر بمؤلفه وثقافته ومحيطه والظروف التي شاركت في إنتاجه.

***

(١) علم لغة النص، ص ١١٨، ١١٩.

(٢) ارجع إلى: علم اللغة النصى، المفاهيم والاتجاهات، دكتور سعيد بحيري، ص١٠٧: ١٠٩.

الفصل الثاني
الدراسة التطبيقية
الترابط النصي في «بانت سعاد» (*)
أبيات قصيدة كعب بن زُهير

بَانَـــــتْ سُــــعادُ فَقَلْبــــي اليـــوْمَ مَتبُـــولُ
مُتــــيَّمٌ إثْرَهَــــا لَــــمْ يُفْـــدَ مَكْبُــــولُ (١)

وَمَـــــا سُـــــعَادُ غَـــــدَاةَ البَـــينِ إذْ رَحلُــــوا
إلا أَغـــــنُّ غَـــــضِيضُ الطَّـــــرفِ مَكْحُـــــولٌ (٢)

هيفـــــاء مقبلـــــةً عجــــــزاء مــــــدبرةً
لا يُـــــشتكى قـــــصرٌ منهــــا ولا طـــــولُ (٣)

تَجْلـــــو عَــــوارِض ذِي ظَلْـــــمٍ إذا ابتَـــسَمتْ
كأنــــــهُ مُنهَــــــلٌ بــــــالرَّاح مَعْلـــــولُ (٤)

شُـــجَّت بِـــذي شَـــبمٍ مِـــنْ مـــاءِ مَحنيَّــــةٍ
صَـــافٍ بِـــأبْطَحَ أضْـــحَى وَهْـــوَ مَـــشْمُولُ (٥)

(*) قصيدة كعب بن زهير رواها عبد الملك بن هشام في السيرة، ط دار التراث، جـ١٦٠/٤، تسعة وخمسين بيتًا، ورواها أبو سعيد الحسن بن الحسين فى شرح الديوان خمسة وخمسين بيتاً، ورواها جمال الدين بن هشام سبعة وخمسين بيتًا، واعتمدنا على روايته في «شرح قصيدة كعب» ص٢٣، ٢٤ ، ٢٥ ، وعددها في الديوان خمسة وخمسون بيتًا ص ٦ : ٤١ ، وارجع إلى الأغاني، جـ١٤٤/١٥ .

(١) بانت: فارقت، متبول: مسلوب، مكبول: مقيد، متيم: معلق بها .

(٢) الأغن: في صوته غنة، غضيض: فاتر.

(٣) هيفاء: طويلة، عجزاء: لها عجيزة (مؤخرة كبيرة)، وقد ورد فى السيرة والديوان ولم يذكره ابن هشام فى شرحه.

(٤) العوارض: الأسنان، الظلم: ماء الأسنان، منهل: أول الشرب، معلول: الشرب الثاني.

(٥) شج: مزج، شبم: ماء بارد، محنية: الرمل المنحني أو ما انعطف منه، الأبطح: الموضع السهل. مشمول: هبت عليه ريح الشمال، وهي باردة.

تَنْفِـــى الرِّيـــاحُ القَـــذَى عَنْـــهُ وأَفرَطَـــهُ

مِـــنْ صَـــوْبِ سَـــاريةٍ بِـــيْضٌ يَعالِيـــلُ[١]

أَكْـــرمْ بِهَـــا خُلـــةً لـــو أنَّهـــا صَـــدَقَتْ

مَوعُودَهَـــا أولـــو أن النـــصْحَ مَقْبُـــولُ[٢]

لكنهـــا خُلـــةٌ قَـــدْ سِـــيطَ مـــنْ دَمِهَـــا

فجْـــعٌ وولْـــعُ وإخـــلافٌ وتَبْـــدِيلُ[٣]

فَـــمَا تَـــدومْ عـــل حـــال تكُـــونُ بَهـــا

كـــما تَلـــوَّنُ فِي أثْوَابِهَـــا الغُـــولُ[٤]

ولا تَمَـــسَّكُ بالعهـــدِ الـــذي زَعَمَـــت

إلا كَـــمَا يُمْـــسكُ المـــاءَ الغَرَابِيـــلُ[٥]

فَـــلاَ يَغُرَّنَّـــك مَـــا مَنَّـــتْ ومَـــا وعَـــدَتْ

إنَّ الأمَـــانيَّ والأَحـــلامَ تَـــضْلِيلُ[٦]

كانـــت مواعيـــدُ عُرْقُـــوبٍ لَهَـــا مَـــثَلاً

ومَـــا مَواعِيـــدُها إلا الأَباطِيـــلُ[٧]

---

(١) القذى: الأوساخ، أفرط: ملأ، صوب سارية: سحابة، يعاليل: حبات مطردة. ويروي من صوب غادية: السحابة التي تمطر بالغدو.
(٢) الخلة: الصداقة، ويروي: فيها لها خلة، بوعدها.
(٣) سيط: خلط، الفجع: المصيبة ، الولع: الكذب.
(٤) الغول اسم حيوان خرافي وهي مثل العنقاء.
(٥) الغرابيل: جمع غربال.
(٦) عرقوب: اسم رجل عرف عنه إخلاف الوعد.
(٧) عرقوب: اسم رجل، قيل إنه من يثرب، وضرب به المثل في إخلاف الوعد.

أَرجُـــــو وآمـــــلُ أنْ تَــــدْنو موَدَّتُهـــــا

ومـــــا إخـــــالُ لَــــدَيْنَا مِنْــــك تَنْوِيـــــلُ[١]

أمْــــــستْ سُـــــعادُ بِــــأرضٍ لا يُبلِّغهـــــا

إلا العِتَـــــاقُ النَّجِيبَـــــاتُ المَراسِـــــيلُ[٢]

وَلَــــــنْ يُبلِّغهـــــا إلا عُـــــذا فِــــرةٌ

فِيهَـــا عَــــلَى الأَيْـــنِ إرْقَـــالٌ وتَبْغِيـــلُ[٣]

مِـــنْ كُـــلِّ نَـــضَّاخَة الـــذِّفْرَى إذا عَرِقَـــتْ

عُرْضَـــــتُها طَـــامِسُ الأَعَـــلامِ مَجْهُـــولُ[٤]

تَرْمـــــي الغُيُـــوبَ بِعَيْنَـــي مُفْـــرَدٍ لَهِـــقٍ

إذَا تَوَقّـــــــدتِ الحـــــــزّازُ وَالمِيـــــــلُ[٥]

ضَـــــخْمٌ مُقَلَّــــدُهَا عَبْــــلٌ مُقَيَّــــدُهَا

فِي خَلْقهَـــا عَـــنْ بَنَـــات الفَحْـــل تَفْـــضيلٌ[٦]

غَلْبَـــــاءُ وجْنَـــــاءُ عُلْكُــــــومٌ مُـــــذَكَّرَةٌ

فِي دَفِّهَـــــا سَـــــعَةٌ قُــــدَّامُها مِيــــلُ[٧]

(١) إخال: مضارع بمعنى أظن، وكسر الهمزة لغة تميم، والمشهور فيه أخال.
(٢) العتيق: الأصيل، المراسيل: السريعة.
(٣) العذافرة: الناقة الصلبة، الأين: الإعياء، تبغيل: نوع من السير، الإرقال مثل التبغيل.
(٤) النضخ: شدة فور الماء، العرضة:الهمة، الطامس: ما طمس من الأعلام، الذفرى: موضع خلف الأذن ينسال منه العرق.
(٥) المفرد: الوحيد، أو المبعد، واللهق: الشديد البياض، الحزان: الغليظ من الأرض، الغيوب: ما غاب، والميل: مد النظر.
(٦) المقلد: ما فيه القلادة (الرقبة)، فعم: ممتلئ، المقيد: الرسغ، وبنات الفحل: يعني النوق.
(٧) غلباء: غليظة الرقبة، علكوم: شديدة، مذكرة: كالذكر، الدف: الجنب، قدامها ميل: طويلة العنق.

وَجِلْـــدُهَا مِـــنْ أَطُـــوم مَـــا يُؤَيِّـــسهُ

طلْـــحٌ بـــضاحية المتنـــين مهـــزولُ(١)

حَـــرْفٌ أَخُوهـــا أَبُوهـــا مِـــنْ مُهَجَّنَـــةٍ

وعَمُّهـــا خَالُهَـــا قَـــوْدَاءُ شِـــمْليلُ(٢)

يَمْـــشِي القُـــرَادُ عَلَيْهَـــا ثُـــمَّ يُزْلِقُـــهُ

مِنْهـــا لَبَـــانٌ وأَقْـــرَابٌ زَهَاليـــلُ(٣)

عَيْرَانَـــةٌ قُـــذِفتْ بِـــالنّحْضِ عَـــن عُـــرُضٍ

مِرْفَقُهـــا عَـــنْ بَنَـــاتِ الـــزّوْرِ مَفْتُـــولُ(٤)

كأنَّمـــا فَـــاتَ عَيْنَيهـــا ومَـــذْبَحَهَا

مِـــنْ خَطْمِهَـــا ومِـــنْ اللَّحيَـــينِ بِرْطِيـــلُ(٥)

تُمِـــرُّ مِثْـــلَ عَـــسِيبِ النَّخْـــلِ ذَا خُـــصَلٍ

في غَـــارِز لَـــمْ تُخَوِّنْـــهُ الأَحَاليـــلُ(٦)

قَنْـــواءُ فِي حرَّتَيْهَـــا للبَـــصِيرِ بِهَـــا

عُنْـــقٌ مُبِـــينٌ وفي الخَـــدَّيْنِ تَـــسْهِيلُ(٧)

تَخْـــذِي عَـــلَى يَـــسَراتٍ وَهـــيَ لا حِقَـــةٌ

ذوَابِـــلٌ مَـــسُّهُنَ الأرضَ تحليـــلُ(٨)

---

(١) أَطُوم: أملس والأطوم الزرافة أو السلحفاء البرية وهي ملساء، يؤيس: يذلل، طلح: قراد.
(٢) حرف: شديدة، يريد أنها أصيلة كريمة ، شمليل:خفيفة.
(٣) اللبان: الصدر، أقراب: خواصر، زهاليل: صفة للبان.
(٤) عيرانة: صلبة، النحض: اللحم،العُرُض: الجانب والناحية، الزور: الصدر، مفتول: محكم.
(٥) برطيل: معول من حديد، المذبح: المنحر، الخطم: الأنف (موضع الخطام) اللَّحيان: عظمتان تنبت عليهما اللحية.
(٦) عسيب: جريد، الغارز: الضرع، تخونه: تتخونه: تتنقصه، الأحاليل: مخرج البول.
(٧) القنواء: جمع قنا: احديداب في الأنف،الحرتان: عيناها، وقيل أذناها.
(٨) تخذي: ضرب من السير، يسرات: القوائم، اللاحقة: الخفيفة، ذوابل: يابس، لاهية: تسرع.

سُـــــمْرُ العِجَايـــــات يَــــتْرُكن الحَـــــصَى زيمـــــاً
لمْ يَقِهـــــــــنَّ رؤوسَ الأُكْـــــــــمِ تَنْعِيـــــــــلُ[١]

كـــــــــأَنَّ أَوبَ ذِرَاعَيهـــــــــا إذا عَرقَـــــــــتْ
وَقَـــــدْ تَلفَّـــــعَ بِـــــالقَوْرِ العَـــــسَا قِيـــــلُ[٢]

يَوْمـــــاً يَظـــــلُ بِـــــهِ الحِربَـــــاءُ مُـــــصْطَخِداً
كـــــأَنّ ضـــــاحيه بالـــــشمس مملُـــــولُ[٣]

وقـــــال للقـــــوم حـــــاديهم وقـــــد جعلـــــت
وُرْقُ الجَنَـــــادِبِ يَرْكُـــــضْنَ الحَـــــصا قِيْلُـــــوا[٤]

شَـــــدَّ النَّهـــــارِ ذِرَاعـــــا عَيْطَـــــلٍ نَـــــصَفٍ
قَامَـــــــتْ فَجَاوَبَهَـــــــا نُكْـــــــدٌ مَثَاكِيـــــــلُ[٥]

نَوَّاحَـــــةٌ رَخـــــوَةُ الـــــضَّبْعَينِ لـــــيسَ لَهَـــــا
لَـــــمَّا نَعَـــــى بِكْرَهَـــــا النَـــــاعُونَ مَعْقُـــــولُ[٦]

---

(١) العجايات: جمع عجاية موضع بالركبة، الزيم: المتفرق، الأكم ، جمع أكمة: ما ارتفع من الأرض.
(٢) أوب: الرجع، القور: القارة بالجبل الصغير، العساقيل: السراب.
(٣) مصطخد: مصطلٍ بالشمس (احترق)، ضاحيه: ما ظهر، مملول: الملل التراب المحروق.
(٤) الورق: أخضر إلىً السواد، الجنادب: الجراد، يركض: يدفع. الحادي: سائق الإبل.
(٥) العيطل: الطويلة، النصف: معتدلة ، المثاكيل: مثكال: من مات لها أولاد
(٦) الضبعين: الضبع: العضد، بكر: الولد الأول.

تَفْــــــرِي اللَّبَــــــانَ بِكَفَّيْهـــــا وَمِــــــدْرَعُهَا
مُـــــــشقِقٌ عَـــــنْ تَرَاقِيهَــــــا رَعَابيـــــــلُ[١]

يَـــــسْعَى الوُشـــــاة جَنَابَيهَـــــا وَقَـــــوْلُهُم
إنّـــــكَ يـــــا ابـــــن أبي سُــــلْمى لمَقْتُــــولُ

وَقَـــال كُـــــلَّ خَليـــــلٍ كُنْـــــتُ آمُلُـــــهُ
لا أُلهِينَّـــــــك إني عَنـــــــكَ مَـــــــشْغُولُ[٢]

فَقُلْـــــتُ خلـــــوا سَـــبِيلي لاَ أَبَـــا لَكُـــمُ
فَكـــــلُّ مـــــا قَـــــدّرَ الــــرَّحمن مَفْعُـــــولُ

كُـــــلّ ابـــــن أُنْثَـــــى وإنْ طَالَـــتْ سَـــــلامَتُهُ
يوْمـــــاً عـــــلى آلــــةٍ حــــدْباءَ محْمُــــولُ

أنْبئـــــــتُ أَنَّ رَسُـــــــولَ الـلــــــه أوْعَــــــدَني
وَالعَفُـــــو عِنْـــــدَ رَسُـــــول الـلــــهِ مَـــــأمُولُ

مَهْـــــلاً هَـــــدَاكَ الـــــذِي أَعْطَـــــاكَ نَافِلَـــــةَ
القُــــــرْآن فِيهَــــــا مَــــــواعِيظٌ وتَفـــــصيلُ[٣]

لا تأْخُــــــــذَنِّي بِـــــــأقْوَالِ الوُشَـــــاةِ وَلَـــــمْ
أُذْنِـــــبْ وإنْ كَـــــثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيـــــلُ[٤]

---

(١) تفري: تقطع، اللبان: تقطع الأديم وقيل الصدر، مِدْرع: قميص، الرعابيل: القطع، ثوب رعابيل: ممزق، أو أخلاق، أو قطع، ومشقق: مقطع، التراقي: ترقوة: عظام الصدر التى تقع عليها القلادة.
(٢) آمل: أحتاج عونه، لا ألهنيك: لا أشغلك عما أنت فيه.
(٣) نافلة: فضل وتكريم لك.
(٤) الأقاويل: الافتراءات، وروى: كثرت عنى.

لَقَـــدْ أقُـــومُ مقامـــاً لـــو يَقُـــومُ بـــه
أرَى وأَسْـــمَعُ مـــا لَـــوْ يَـــسْمَعُ الفيـــلُ[١]

لَظَـــــلَّ يَرْعـــــدُ إلاّ أنْ يَكُـــــونَ لَـــــهُ
مِـــنء الرَّسُـــول بـــإذنِ اللـــهِ تَنوِيـــلُ

مازلـــــت أقتطـــــع البيـــــداء مُـــــدَّرعاً
جُـــنحَ الظـــلام وثـــوبُ الليـــل مـــسدول[٢]

حتَـــــى وَضـــــعْتُ يَمِينِـــــي لا أُنازعُـــــه
فِي كـــفِّ ذِي نَقَـــماتٍ قِيلُـــه القِيـــلُ[٣]

لَـــــذَاكَ أَهْيـــــب عِنْـــــدِي إذ أُكَلِّمـــــه
وَقِيـــلَ إنـــك مَنْـــسُوب ومَـــسؤولُ[٤]

مِـــنْ خَـــادِرٍ مِـــنْ لَيُـــوثِ الأُسْـــدِ مَـــسْكَنُهُ
مـــنْ بَطْـــنِ عَـــثَّر غِيـــل دُونَـــهُ غِيـــلُ[٥]

يَغْـــــدو فَـــــيُلحِم ضِرْغَـــــامينِ عَيـــــشُهُمَا
لَحـــمٌ مِـــن القَـــوم مَعْفُـــورٌ خَرَاذِيـــلُ[٦]

---

(١) روى: يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل.
(٢) البيداء: الصحراء، مدرع: لابس، مسدول: مسبول. وهذا البيت في رواية صاحب السيرة، ويروى " وثوب الليل مسبول "، ولم يرد هذا البيت فى شرح الديوان وذكره المحقق فى حاشيته.
(٣) نقمة: غضب ، وروي: ما أنازعها.
(٤) منسوب: نسبت إليه أمور، وروى مسبور، وروى صدر البيت: فلهو أخوف عندى.
(٥) الخدر: مسكن الأسد، عثر: اسم مكان، غيل: متوحش والغيضة. وروي: من ضيغم من بضراء الأرض مخدرة .
(٦) ضرغام: أسد، خراديل: ممزق، يغدو: يذهب أو النهار، معفور: ممرغ في العفر.

إذا يـــــساور قرنـــــــاً لا يحِـــــلُّ لـــــهُ

أَنْ يَـــــتْرَكَ القـــــرْنَ إلاَّ وَهُـــــوَ مَجْـــــدُولُ(١)

مِنْــــهُ تَظَـــــلُّ سِـــــبَاعُ الجَـــــو ضَـــــامِزَةً

وَلا تُمَـــــــشَّى بِوَاديـــــــــه الأرَاجيـــــــــلُ(٢)

وَلاَ يَـــــــزَالُ بِوَادِيــــــــه أُخـــــــو ثِقَـــــــةٍ

مُطَـــــرَّحُ البّـــــز والدَرْسَـــــانِ مـــــأكُولُ(٣)

إنَّ الرَّسُـــــولَ لَـــــسَيفٌ يُسْتَـــــضَاءُ بـــــهِ

مُهَنَّـــــدٌ مِـــــنْ سُـــــيوفِ اللــــــه مَـــــسْلولُ

فِي فِتْيَـــــةٍ مِـــــنْ قُـــــرَيْشٍ قَـــــالَ قـــــائلُهُمْ

بـــــبَطْنِ مَكَّـــــةَ لَـــــما أَسْـــــلَمُوا زُولُـــــوا

زَالـــــوا فَـــــمَا زَالَ أَنْكَـــــاسٌ وَلاَ كُـــــشُفٌ

عنْـــــدَ اللقـــــاءِ وَلا ميْـــــلٌ مَعازيـــــلُ(٤)

شُـــــمٌّ العـــــرانين أبْطـــــال ٌ لبُوسُـــــهُمُ

مِـــــنْ نـــــسْج داود في الهيجـــــا سرَابيـــــلُ(٥)

---

(١) القرن: النظير، مجدول: مقتول، والجِدالة: الأرض، يريد ملقى بالجدالة قتيلاً. يساور: يواثب، وروي: مغلول في موضع مجدول.

(٢) ضامزة: خائفة، الأراجيل: كل ماله رجل، وهو جمع أرجْال وهـو جمـع رَجْـل (جمـع راجـل). الجـو: اسـم موضـع وقيـل: الـبر الواسع، وروي: منه تظل حمير الوحش.

(٣) أخو ثقة: صاحب عهد، وروى بفتح الهمـزة، وروى أخـو سـفر، الدرسـان: ثيـاب خُلقَـان مثـل صـنو وصـنوان، وروي: مـضرج: مخضب ، البز: السلاح.

(٤) أنكاس: جمع: نِكس، الرجل الضعيف، كشف، أكشف: لا ترس معه، يريد: مهزوم، الميل: أميل: لا سيف معه، معازيل: معـزال، أعزل.

(٥) شُم: أشم، أعز، العرانين: عرنين: أنف، نسج داود: أراد: الدروع، وقد عرف بها عليه السلام، الهيجا: الحرب، سرابيل: سربال: مـا يلبس ويحكم على الجسد.

بِـــيْضٌ سَـــوَابغُ قَـــدْ شُـــكَّتْ لَهَـــا حَلَـــقٌ
كأنّـــــهُ حَلَـــــقُ القَفْعَـــــاءٍ مَجْـــــدُولُ[1]
لاَ يَفْرَحُـــــــونَ إذا نَالَـــــــتْ رِمَـــــــاحُهُمُ
قَوْمـــــاً وليـــــسوا مَجازيعَـــــاً إذا نيلـــــوا
يَمْـــشونَ مَـــشي الجَـــمال الزُّهْـــر يَعـــصِمُهُمْ
ضَرْبٌ إذا عَـــــرَّدَ الـــــسُودُ التَنابيـــــلُ[2]
لا يقـــــعْ الطّعْـــــنُ إلاّ في نُحُـــــورهِم
ومـــالَهُمْ عـــنْ حِيـــاض المـــوْتِ تَهْليـــلُ[3]

* * *

(١) حلق القفعاء: نبات متشابك، بيض: أبيض، سوابغ: سابغة: كاسية، شكت: نسجت.
(٢) الزهر: أزهر: أبيض ، عرد: فر ، جبن، التنبال: القصير. ويروى الجمال الجرب: المطلية بالقطران، شبههم بـالجمال الجـرب وهـم في دروعهم.
(٣) تهليل: فرار، نحر: موضع الذبح، تهليل: صوت الفزع عند الهرب أو تكذيب، أي لا يهربون من الحرب.

إنتاج النص والسياق الخارجي

قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير – رضي الله عنه- في مصاف القصائد التراثية المشهورة، فلا تقل شهرة عن قصائد المعلقات، وترجع شهرتها إلى المناسبة التي قيلت فيها (الاعتذار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه هو وأصحابه المهاجرين رضي الله عنهم) [١]، كما أنها تمثل نموذجاً دفاعياً وظف الشاعر فيه عناصر لغوية وعقلية لإقناع المتلقي بحججه، وقد تجلت فيها موهبة الشاعر الفنية في الشكل العام وصياغة الجمل وتماسكها وحسن التعبير عن المعاني وحسن الصورة التي رسم فيها الشاعر معالم الطبيعة وحركتها وسكونها وحسن تناول الأحداث وتجسيدها.

وقد عارضها الشعراء، وشرحها بعض العلماء ودرسوها للطلاب، واحتفوا بها فحفظوها، وأنشدوها في المحافل، ويرجع ذلك إلى المناسبة التي قيلت فيها وشخص الممدوح (النبي صلى الله عليه وسلم) وقوة بناء القصيدة وحسن سبكها [٢].

وتهدف الدراسة إلى التعرف على البناء النصي في بعض النصوص القديمة، ونص قصيدة كعب نموذج لبناء القصيدة التراثية التي قلدها الشعراء في فترة الإحياء (شعراء المدرسة التقليدية – الكلاسيكية) فشابهت القصيدة عندهم بناء القصيدة القديمة واستعاروا منهم بعض الألفاظ والصور، ويمكن التعرف من خلال النموذج (بانت سعاد) على عناصر بناء القصيدة ومفهوم تماسك النص في العمل الأدبي، والعناصر الاتصالية والعناصر المؤثرة ووسائل الإقناع، وقد حرص المحلل (المؤلف) في تحليل النص على اعتبار ظروف الإنتاج والتقاليد الأدبية في العمل الأدبي، فبعض الباحثين المعاصرين درسوا النصوص القديمة في ضوء المناهج الحديثة وأهملوا العصر الذي ظهر

---

(١) تصنف قصيدة كعب في فن الاعتذار وفن المديح، ذلك أنه اعتذر أولاً وتبرأ مما نسب إليه، ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه المهاجرين من بعده، وقيل إنه لم يمدح الأنصار في هذه القصيدة؛ لأنهم هموا بعقابه عندما عرفوه، وقد مدحهم في قصيدة أخرى بعد أن صالحهم، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم طلب منه ذلك بعد أن مدح المهاجرين دونهم.

(٢) عارض قصيدة كعب ابن نباته المصري وابن سيد الناس اليعمري، وأبو حيان الأندلسي والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وشرحها مسعود بن حسن القنائي، وعطاء بن أحمد وعلي بن سلطان الهروي وابن هشام الأنصاري والسيوطي ومحمد حسن المرصفي وأشهر الشروح شرح ابن هشام ، ارجع إلى: المدائح النبوية في الأدب العربي، الدكتور زكي مبارك، الهيئة لقصور الثقافة ص ٢٦ ، ٢٧ .

فيه النص وتقاليد بناء العمل الأدبي والظروف التي أثرت في بنائه، وحكموا عليها حكما جائراً؛ لأنهم حملوها معايير نقدية معاصرة، وبحثوا فيها عن عناصر بناء العمل الأدبي المعاصر، وحملوا العمل الأدبي ما لا يطيق، فتأوّلوا معاني لم تكن مطروحة في عصر إنتاجه، وحملهم على ذلك تعصبهم للمناهج الحديثة واستخفافهم بالنص التراثي.

ومناهج التحليل الحديثة تعتمد في تحليل النصوص على عناصر لغوية وبلاغية وأدبية، فقد التقت البلاغة مع اللغة والأدب في التحليل النصي اللساني فبحث الدارس بناء النص العام وتقنية البناء اللغوي والأدبي وظروف الإنتاج وأثرها في بناء النص ولغته ، والمعايير النصية التي جعلت النص كياناً متماسكاً والعناصر التي وظفها الأديب في الربط بين أجزاء النص، فالتأمت لحمته وأمسك بعضها ببعض وتعانقت الأجزاء واتصلت الفواصل [(١)] . وتدرس قصيدة كعب «بانت سعاد» في ضوء نظرية «أنواع النصوص Text type theory»، وتهدف هذه النظرية إلى كشف خواص البنية اللغوية وأنماط الوظائف الاتصالية ، وعلاقة البنية بعناصر الاتصال، وقد كان البحث منصباً على البنية النصية مجتزئة عن ظروف إنتاجها والعوامل غير اللغوية التي أسهمت فيها، وأثر التفاعل الاتصالي في البنية اللغوية، فبحث علم اللغة النصي في ضوء ظروف إنتاجه وعلاقته بالسياق الخارجي [(٢)] .

وقد قال كعب قصيدته استجابة لظروف تفاعل معها وتأثر بها، وكانت «قصيدته» سلاحه الذي خاض به صراعه النفسي ومباراته مع خصومه، وقدم فيها مسوغات الدفاع، فاعتذر وقدم حججه وأعلن دخوله فيما دخل فيه الناس.

---

(١) ارجع إلى: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، ت عمر أوكان، دار أفريقيا الشرق، ١٩٩٤، ص ٧ وما بعدها.
(٢) ارجع إلى: النص والخطاب والإجراء، دى بوجراند، ترجمة الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، ط١٤١٨/١، ١٩٩٨م ص ٤١١ ، وارجع إلى النص والخطاب والاتصال، الدكتور محمد العبد، الأكاديمية الحديثة، للكتاب الجامعي ط١٤٢٦/١هـ ٢٠٠٥م ص١٨٤، ولغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، ص ٤٧ ، ٤٨ .

المعايير النصية:

قامت قصيدة كعب على معايير نصية شكلت بنيتها وأثرت في معانيها، وهي:

أولاً- المعايير الوظيفية (النوعية): يراد بها نوع النص في ضوء المقصد منه. والنص خطاب شعري، وله ما يميزه عن الخطاب النثري، وأهم ما يميزه الوزن والقافية في الشعر التراثي، والعرب كانوا يتوخون المقاربة بين الألفاظ فيشبه بعضها بعضاً أو يقسمون اللفظ إلى مقاطع متساوية للإيقاع والتطريب، فاستعملوا الوزن والقافية وأحياناً الترصيع في البيت فيشاكل بين نهاية الشطرين في اللفظ وهذا من المؤثرات اللفظية في المتلقي [1] ، والوزن والقافية من عناصر الربط الشكلية بين كل أبيات القصيدة.

فللنص الشعري أثره في المتلقي بما يتمتع به من وسائل لفظية يؤثر بها في المتلقي، ويرجع هذا إلى طبيعة الحياة العربية والبيئة الجغرافية التي حرمتهم من الاستقرار ، فهي بيئة واسعة شحيحة لم يعرف العربي فيها الاستقرار، فسعى طلباً لعناصر المعيشة فظهر الأدب الشفهي الذي يكلف بصناعة اللفظ وتحبير المعنى، فالألفاظ أوعية المعاني، وبلغ الشعر منزلة عظيمة في حياتهم التي اعتمدت على الرعي والصراع زمن المجاعة، فاشتعلت الحروب، وعاش العربي في حالة استعداد للحرب، وكان الشعر سلاحهم في النوادي والمناظرات، وخاض الشاعر معاني عامة كالمديح والهجاء والرثاء والحماسة والنسيب، وأكثر الأغراض تناولاً في الشعر القديم على الترتيب الحماسة، والمديح، والهجاء، والرثاء لكثرة المعارك والنسيب في آخرها، لما تتمتع به الشخصية العربية من حياء وغيرة، وصار المديح أكثرها تناولاً؛ لأن الشعر صار حرفة احترفها بعض الشعراء يتكسبون منها، وقد ظهرت المفاخرة في الجاهلية فتغنى الناس بمآثرهم وتعالوا على غيرهم، فظهرت الطبقية والتكثر بالعدد والثروة والوقائع، فأصبح لكل قبيلة شعراء ينافحون عنها ويفتخرون بمآثرها، وظهر الهجاء نقيضاً للمديح تأثراً بالصراع القبلي، والاعتذار من شأن من احترف الشعر وتفرغ له من الشعراء، وشاركوا في العمل السياسي وأصبحوا من شعراء البلاط أو من شعراء سادة القبائل يعيشون في كنفهم، فيفسد الوشاة بينهما أو يتورط الشاعر في عمل يغضب الممدوح فيعتذر إليه الشاعر، ويعترف بالخطأ ثم يمدحه، فهو اعتراف بمنزلة الممدوح السامية، ولهذا دخل الاعتذار في المديح .

---

(١) ارجع إلى: المثل السائر، جـ١/١٤٩.

وأحسن المديح أن يمدح الممدوح بما فيه، فلا يدعى ما ليس فيه كذباً عليه، والأولى في المدح الفضائل كحسن الخلق والكرم والسماحة والوفاء والعلم والحكمة والعفة، والخلال كالشجاعة والنخوة والكبرياء والمهابة والنجدة، وهذا ما استحسنه الناس.

وهنالك أفعال مدحها الشعراء وليست من الفضائل، ولكنها في عرف الجاهليين من المفاخر، كالإغارة والسلب والنهب وكثرة التقتيل وظلم الناس والأخذ بالثأر والنعرة القبلية .

ولم يذكر كعب شيئاً منها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقد أبطلها الإسلام، فقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو والسماحة والوفاء وحسن الخلق، والشجاعة «أخوثقة» والمهابة والوقار، ولم يمدحه بشيء من أفعال الجاهلية المذمومة على ما مدح به ملوك الجاهلية، وهذا يرد زعم من ادعى أنه مدحه كما مدح الجاهليين، فقد مدح كعب صادقاً، فلم يبغ التكسب والمنفعة بل الاعتذار عن موقفه العدائي من الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ابتدأ كعب قصيدته بحديث موجز عن سعاد في المقدمة ، ثم انطلق في الحديث عن الناقة، فوصفها وصفاً دقيقاً وتتابع معالم جسدها فلم تك سعاد إلا مدخلاً تقليدياً فأوجز في التغزل بها، والحديث عنها فوصفها باعتدال القامة وأنها طويلة وردفاء وحسنة الصوت ، ثم ذمّ خُلقها؛ فهي جافية، كذوب، مخلاف لا تفي بعهد، وقد نالت الناقة إعجابه وفتنته عن سعاد؛ لأنها الوسيلة التي حملته إلى النبي صلى الله عليه وسلم وشاركته معاناة الرحلة، وأرى أن ألم الرحلة كان نفسياً أكثر منه بدنياً، انتظاراً لمصير مجهول.

وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم في أبيات ثمانية ومدح المهاجرين في سبعة، وقد بلغ مجموع أبيات القصيدة تسعة وخمسين بيتاً واختلفت بعض الروايات في بعض الأبيات [1] .

والحديث عن وصف الناقة أكثر من المديح، وتفسير ذلك أن الشاعر العربي كثير التأمل في الصحراء ومعالمها وأنه متعلق بالبيئة الصافية ذات الفضاء الرحب، وهذا

---

(١) رواها ابن هشام النحوي ٥٧ بيتاً في شرحه، ورواها ابن هشام صاحب السيرة ٥٩ بيتاً ورواها الديون خمسة وخمسين بيتاً ص ٤، ورواها أبو سعيد فى شرح الديوان (طبعة الدار القوميةة للطباعة، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م، ص٥: ٢٥)، خمسة وخمسين بيتاً، وقد زدت بيتين من السيرة على ما رواه ابن هشام النحوى .وزدت بيتا من رواية الحاكم في المستدرك ومن رواية القرشي في جمهرة أشعار العرب ض١٥٠ .

شأن كثير من الشعراء، أو أنه أطال في الوصف لتهدأ النفوس التي همت به وليهيئ مناخاً طيباً للاعتذار والمديح، وهذا وجه يحتمله الموقف الخارجي، فقد وازن الشاعر بين موقفه وبين أحوال الجمهور، ومن ثم لاقت نهاية القصيدة استحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، وقيل إنه خاض في حديث طويل عن معاناته في السفر ليتوسل بذلك إلى من هموا به وليستعطفهم ، ويذهب ما بنفوسهم من غضب بحديث طويل صرفهم به عما فعله إلى تتبع أحداث الرحلة الشاقة والحديث عن وصف الناقة وقدرتها على مواجهة ظروف الرحلة وجدها في السير وسرعتها.

وقد وضع الشاعر قصيدته على بحر البسيط، وهو ثماني تفعيلات كالطويل، وهي مخبونة العروض[1]. والطويل والبسيط بحران طويلان يتسعان للوصف والعرض والحوار والحجاج والمجادلة والهجاء، وأشبع الضم في حرف الروي (اللام المضمومة) للوزن، ولأن إشباع الحركات يمكن الأسماع من الصوت ويطرب النفس، ويؤثر فيها، فالحركات الطويلة وظفت في فواصل الآيات للتطريب الصوتي وللفاصلة بين الأبيات، وقد وظف الشاعر العناصر الصوتية للتأثير في المتلقي، فقد وظف الخطاب الشعري في الاتصال، وهو أكثر تأثيراً من النثر لما فيه من عناصر صوتية وعناصر تركيبية مكثفة لها أثرها في المتلقي.

والوزن والقافية يشاركان في الدلالة، فالشعر عند القدماء كلام موزون مقفَّي يدل على معنى، والألفاظ تأتلف بالوزن ويتحقق عن ائتلافها معانٍ يقصدها، ويشترط في القافية أن تأتلف مع سائر البيت، وأن تدل على معنى فيه ائتلافاً مع دلالته العامة، وهي معيبة إن كانت اللفظة فيها للقافية والوزن فقط، فهي من جملة ألفاظ البيت ولها معنى فيه، فيجب أن يأتلف لفظ القافية مع المعنى ويأتلف مع الوزن أيضاً، فتكون متممة لمعنى البيت ووزنه، وأن توازي ما سبقها من قوافٍ [2] .

والقافية بمنزلة الفاصلة في الآيات ينتهي عندها البيت ويتم بها المعنى، وهذا لا يعني انقطاع البيت عما بعده بالقافية بل ينتهي عندها المعنى المفيد، فالبيت بمنزلة الجملة في تمام المعنى بيد أن البيت يدخل في معنى ما قبله فلا يقطع عنه.

---

(١) بحر البسيط: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، والخبن حذف الألف في العروض فاعلن: فعلن
والطويل: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلين فعلولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.

(٢) ارجع إلى: نقد الشعر، قدامة، تحقيق خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ٦٩ ، ٧٠ .

وقد ذهب بعض النقاد إلى أن البيت في القصيدة التراثية وحدة بناء القصيدة وجعلوه قولاً عاماً في كل بيت شعر، ذلك أن البيت يستوفي معنى تاماً ، وأن الشاعر قد يضمنه حكمة أو مثلاً أو قولاً ينتهي في القافية، وأرى أن هذا كائن في بعض الأبيات التي ضمنها الشاعر معنى خاصاً بيد أن هذا لا يطرد مع مقدمات القصائد والوصف والحديث عن الصيد وغيرها من الموضوعات التي تستغرق أبياتاً وتشكل وحدات مستقلة. ووحدة الوزن والقافية في كل الأبيات من الروابط الشكلية بينها.

وقد اختار الشاعر لقافيته اللام، وهو صوت لثوي متوسط (مائع) سلس المخرج، فهو قريب المخرج وليس بالشديد ولا بالرخو، وهو مشهور في القوافي لكثرته في الألفاظ وسهولة أدائه، فلم يستعص على الشاعر طلب لفظه وقد سبق بصوت مد طويل، وهذا الصوت يتسع فيه المخرج فيخرج سهلاً ممتداً دون عائق فصوتا الواو والياء يمتد فيهما النفس ويتسع لهما المخرج، ولهما إيقاع يتحقق عنه التطريب، وهما من مصاحبات الفواصل القرآنية مثل: عليم، حكيم، ملوم، معرضون ، يصفون، ترجعون.

وهذا كثير في مواضع الحكي أو الوصف، أو التفصيل، أو الشرح. واستحسن النقاد افتتاحيات القصائد التي شاكل فيها آخر حرف في صدر البيت حرف القافية في العجر، وسموا ذلك مقطع المصراع [1] ، وهذا هو التصريع، وكان الشعراء المجيدون والفحول يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه، وقد يصرعون أبياتاً أخرى في القصيدة لرفع قوة الإيقاع، وقد صرع كعب البيت الأول:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ   مُتَيَّمُ إِثْرَهَا لم يُفْدَ مكبولُ

شاكل لفظ «متبول» في الصدر لفظ القافية مكبول، وحرف المصراع من جنس حرف القافية وقبلهما مد وحركتهما الضمة، وقد لجأ الشاعر إليه طلباً للإيقاع.

فقد وظف الشاعر الوزن والقافية للتأثير في المتلقي، وللربط بين الأبيات بوزن وقافية موحدين على طول القصيدة، كما وظف التقسيم الداخلي في بعض الأبيات وتكرار بعض الأوزان والأشكال النحوية، وسوف نبين ذلك في موضعه، وقد أجمع البلاغيون أن الشعر أكثر تأثيراً من الكلام المرسل، والمتلقي العربي متذوق ويجيد

---

(١) نقد الشعر ص ٨٦ التصريع إلحاق العروض بالضرب وزناً وتقفية سواء بزيادة أو بنقصان.

السمع، وقد اعتمد على الأسجاع والأشعار والقوالب اللفظية المتماسكة لحفظ الكلام وللتأثير في المتلقي، وهذا شأن المجتمعات الشفهية التي تؤثر السماع على الكتابة لعدم تفشيها فيها، وقد اعتادت التلقي الشفهي فأجادت في صناعة الخطاب وتوشيته بالعناصر الصوتية المؤثرة، فكان الشعر فن العرب الأول وأعلى مراتب كلامهم، وقد وظفه كعب طلباً لعفو، وحقق به تواصلاً ناجحاً، فأقنع المتلقي بأنه صدوق في اعتذاره، فنال العفو والجائزة، وقد صنع الشاعر الإيقاع للمتلقى، وهو من عناصر الخطاب المنطوق، وحضوره فى النص الشعرى دايا على أثر السياق الخارجى.

ثانياً- المعايير السياقية، وتتضمن الوصف المقامي المتمثل في شكل الاتصال أو نوعه Comuncotion form ومجال الفعل، ويراد به الموقف الاتصالي.

والاتصال هنا لفظي شِفاهي في شكل شعري، وهذا النوع من الاتصال يتضمن حركات جسدية وإحالات إلى العالم الخارجي وهيئة المتكلم وعلاقته بالمحيط الخارجي والجمهور الذي تلقي القصيدة والمخاطب المباشر بها وعلاقته به والغرض من الاتصال، وهذا يدخل في الموقف الاتصالي، وقد خاطب الشاعر المرسل إليه (النبي صلى الله عليه وسلم) مباشرة في ملأ من أصحابه رضوان الله عليهم، وقد ساق المرسل خطابه في شكل شعري له أسس ومؤثرات خاصة.

والقصيدة فيها أجزاء أعدت سلفاً، وهي المقدمة والحديث عن الناقة، فقد أعدهما الشاعر في رحلته الطويلة الشاقة وقد ساورته ظنون في مصيره ورد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكعب من مدرسة أبيه «زهير بن أبي سلمى»، وقد كان زهير يمكث وقتاً طويلاً في إعداد قصائده فيراجعها ويضبطها، وعرفت بمدرسة الصنعة فلا يرتجل شعره عفواً في المحافل دون ضبط، وكان كعب على مذهب أبيه.

وقد قال كعب أجزاء منها متأثراً بردود أفعال من كان يعرفهم وطلب منهم الوساطة فأبوا عليه وخذلوه وخوّفوه العقاب، فتوجه مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستسلماً لقدره وراضياً به محسناً الظن بعفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، وهذا الجزء من القصيدة وليد الموقف، وقد قاله عقب حديثه عن الناقة والرحلة الشاقة.

والجزء الذي مدح فيه النبي صلى الله عليه وسلم استجابة مباشرة للموقف ولا أستطيع أن أجزم

بأنه معد سلفاً ؛ لأنه وصف وقوفه بين يدي النبي صلى اللـه عليه وسلم واعتذاره إليه وقبوله صلى اللـه عليه وسلم اعتذاره وعفوه عنه، وذكر الهيبة والوقار الذي تجلى على النبي صلى اللـه عليه وسلم ، وقد أتبع هذا مدح المهاجرين وحدهم دون الأنصار؛ لأن بعض الأنصار هموا به ووبخوه ، فمدح المهاجرين دونهم وقيل عرَّض بهم في بعض المواطن، فمدح المهاجرين شكراً لموقفهم منه ، فقد أمسكوا عنه لينظروا قضاء النبي صلى اللـه عليه وسلم فيه، وهذا يحتمل الصحة، ودليلنا أنه مدح المهاجرين وحدهم مع النبي صلى اللـه عليه وسلم دون الأنصار، ويؤيد ذلك ما روى أن النبي صلى اللـه عليه وسلم سأله عن الأنصار في مديحه، فأتبع هذه القصيدة بأخرى يمدح فيها الأنصار [1] ، ومدائح حسان بن ثابت رضي اللـه عنه كانت فيهما معاً.

وسوف نبين علاقة السياق الخارجى بالنظام النحوى فى دراسة ترابط الجملة، وسنبين أثر علاقة السياق بالمعنى فى الترابط الدلالى.

ثالثاً- المعايير البنائية : البناء الشكلي الذي يؤلف موضوع القصيدة، والقصيدة مكونة من مطلع أعقبه بالحديث عن رحلة شاقة ثم الاعتذار ثم اختتم القصيدة بالمدح، وهذا بناء تقليدي سلكه الشعراء في قصائدهم، وتأثرت به المدرسة الكلاسيكية، وأشهر الشعراء تأثراً بالقصيدة القديمة «محمود سامي البارودي» و«شوقي» و«حافظ».

والنص في علم اللغة النصي وحدة واحدة متماسكة، فانتظام النص في وحدة دلالية شرط جوهري في اللسانيات المعاصرة [2] .

وقد ناقش بعض النقاد القدماء استقلال البيت في المعنى في القصائد التراثية، وقد رأى ابن الأثير أن هذا يرجع إلى أن النفس لا يمتد أكثر من القافية، فينتهي عندها،

---

(١) ارجع إلى: السيرة النبوية، جـ٤/١٥٠، ١٥١ ، وشرح ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبو سعيد الحسن بن الحسين، طبعة الدار القومية للطباعة والنشر،١٣٩٦هـ ١٩٥٠م، ص ٥، قال عاصم بن عمر بن قتادة إنما قال كعب:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم   **إذا عَرّض السود التنابيل** =

= يريد الأنصار؛ لأن رجلاً منهم وثب عليه فكفه النبي صلى اللـه عليه وسلم وخص المهاجرين من قريش بالمدح مع مدح رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، شرح الديوان، ص ٥، ٦، والشعر في عصر النبوة، الدكتور محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، دار المعرفة، ط٢٠٠٦/١م، ص١١٢ وقيل عرض بهم في ذكره عرقوب، وهو رجل يقال إنه من الأوس والخزرج:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً   **وما مواعيدها إلا الأباطيل**

(٢) ارجع إلى: النص والخطاب والاتصال، ص ٨٩ .

فختم الشاعر بها المعنى [١] ، ورأى ابن خلدون أن الشاعر استوفى المعنى في البيت ليستقل بإفادته عما بعده، لأن الذي يأتي بعده استهلال لمعنى آخر، فاستوفى المعنى في البيت [٢] . وأرى أن الشاعر كان يحرص على أن يستوفي المعنى في البيت؛ لأن القافية بمنزلة الفاصلة فحرص الشاعر على تمام المعنى عندها، لئلا يضيع المعنى عند انتقاله إلى بيت آخر، وقد حرص الشاعر على الترتيب المنطقي لتلك المعاني وأن تكون بسبب من بعضها، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون قال: «... ويستطرد [الشاعر] للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود، بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني..»[٣] .

فالقصيدة سلسلة متصلة تبني فيها المقاصد والمعاني على التناسب [٤] . فحرص الشاعر على التناسب بين أبيات القصيدة، فارتبطت أبيات القصيدة بعضها ببعض ويكمل بعضها بعضاً، وذلك بالمؤخاة بين المعاني والمناسبة بينها وتطورها في القصيدة، فيكون التسلسل دليلاً على وحدتها وأنها في ترتيبها الصحيح، فالتقديم والتأخير فيها يخل بهذا التسلسل، والمعاني المتصلة أساس التماسك اللفظي فيها، ولقد تفاخر عمر بن لجأ بشعره على شعر آخر، لأنه يؤاخي بين معاني الأبيات ويجعل بينها مناسبة فيأتي بعضها بسبب من بعض قال: أنا أشعر منك لأني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه» [٥] وقد عاب ابن قتيبة على الشاعر أبيات قصيدته المفككة؛ لأنه جعل البيت مقروناً بغير جاره ومضموماً إلى غير لفقة[٦] فالشعر الجيد الذي يؤلف فيه الشاعر بين الأبيات فيجعلها في نسق متآلف ويربط بين المعاني فيتصل كلامه فيها [٧] .قال ابن طباطبا: «.. وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها»[٨]،

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير، جـ٤١٤/٢ .
(٢) المقدمة، ابن خلدون، ط الدار التونسية، ١٩٨٤م، جـ٢٣٩/٢ .
(٣) المقدمة، جـ٢٣٩/٢ .
(٤) النص والخطاب والاتصال، ص ١١٦ .
(٥) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق هارون، مكتبة الخانجي ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م جـ٢٠٦/١.
(٦) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ط بيروت ١٩٦٤ ، جـ٢٥/١، ٢٦ .
(٧) عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق الدكتور عبد العزيز ناصر، مكتبة الخانجي (د.ت) ص٢٠٩.
(٨) عيار الشعر، ص ٢٠٩ .

وقد رتب كعب بن زهير وحدات القصيدة الشكلية، فالمقدمة أولاً، ثم جعلها مدخلاً للحديث عن الموضوع الثاني الذي جاء بسبب منها، وانتهى منه إلى الموضوع الرئيس.

موضوع القصيدة: يعد تعدد الموضوعات في القصائد الطوال ظاهرة غير منكرة عند القدماء الذين لا يشترطون وحدة الموضوع في بناء القصيدة، وهذا لا يعني افتقاد الوحدة الموضوعية، بل كانوا يستجيدون حسن التخلص وحسن المدخل وقدرة الشاعر على الربط بين فواصل الموضوعات، وقد فهم بعض المحدثين أن القدماء يعدون البيت وحدة بناء القصيدة ذلك أنهم كانوا يعيبون عدم وفاء البيت بالمعنى، ويرون أن الأجود أن يستوفى البيت المعنى دون وصله ببيت آخر، وهذا في ظاهرة مقبول؛ لأن نظام القصيدة العمودية يعد القافية أو حرف الروي بمنزلة الفاصلة التي ينتهي عندها اللفظ ومعه المعنى؛ لأن القارئ يقف عليها، والوقف يكون على تمام المعنى ولا يستحسن الوقف على لفظ لم يستوف المعنى فلا يحصل المتلقي على معنى مفيد تام، ولهذا وضعوا ضوابط للوقف في القرآن الكريم، فلا يجيزون الوقف في مواضع يفسد فيها المعنى أو يكون ناقصاً .

وما يعرف بقصيدة النثر (قصيدة التفعيلة) فيها المعنى موصول لعدم تقيدها بالروي (القافية أو عدد التفاعيل) فهي أقرب إلى النثر منها إلى الشعر فليس فيها من الشعر إلا سوق النثر على تفاعيل الشعر دون عدد تقف عليه ، وهذا يمكن قائلها من السرد حتى يصل إلى نهاية الموضوع دون التقيد بقافية، لكنها في ظاهرها تفتقد إلى الإيقاع الصوتي الذي ميز القصيدة العربية عن النثر. وقوتها تكثيف المعني في لفظ موجز في بيت أو أكثر، وهذا لا يعني افتقاد القصيدة العربية إلى الوحدة الموضوعية بل العرف في بناء القصيدة أن الشاعر يفتتح قصيدته باستهلال يهيئ المتلقي فيه للتلقي ثم يتناول موضوعاً يغلب عليه الوصف الدقيق يرسم فيه معالم شيء من الطبيعة كالنوق والخيل والغزلان والبقر أو حيوان وحشي أو صيد، والعرب تستجيد الوصف وتنزع إلى التأمل في رحاب بيئتهم التي تسع خيالهم.

وهذا له علاقة بطبيعة الشخصية العربية التي نشأت في طبيعة صحراوية تتسع

باتساع الخيال، فتستطيع التأمل والملاحظة في فضائها الرحب، فتسبح فيه، لتشغل فراغها، وتذهب السأم عن النفوس التي تمل طول الصمت وارتياد المألوف، وقد استجاب الشاعر لمزاج المتلقى ووازن لبن قوله ومقام التلقى، فالمتلقى حاضر فى الخطاب والإيقاع والسرد والحوار، ومستوى التأثير والإقناع.

وطول الوصف يعد المتلقي للاستقبال، ويذهب ما به من غضب تجاه المتكلم من سابقة تستدعي رد فعل يسبق الحدث، والشاعر بهذا السرد الوصفي يوطئ النفوس ويعدها لاستقبال رسالته التي يدافع بها عن نفسه ، وهذا غير متبع في قصائد المديح؛ لأن الشاعر يخرج من المقدمة إلى المديح دون الدخول في الوصف، لأن مقصده العطية من الموضوع، فيهوي إليها دون الانصراف عنها إلى وصف الناقة أو الخيل أو رحلة صيد.

وكعب بن زهير كان معتذراً فاستهل بمقدمة غزلية ثم وصف الناقة والرحلة حتى أتى على نصف القصيدة وقد استغرقه وصف الرحلة ووصف الناقة، وأرى أنه أراد بذلك صرف المتلقين عن لومه وعقابه وأنه أراد توطئة النفوس لقبول اعتذاره، فأذهب وصفه الرحلة القاسية غيظ قلوبهم واستعطفهم بهجر سعاد وآلام الرحلة فسكتوا عنه، لينتظروا رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.

أسباب إنتاج النص

هنالك دوافع تقف من وراء إنتاج الكلام بعضها استجابة مباشرة لمثير، وبعضها قصده المتكلم وبعضها وليد الموقف الخارجى، وهذا من المؤثرات المباشرة فى كعب، فقد دخلت قبائل العرب بالحجاز الإسلام بعد فتح مكة، وذهب بجير بن أبي سلمى ليستطلع خبر الإسلام لنفسه ولأخيه، فأسلم وأرسل إلى أخيه كعب، ليدخل فيما دخل فيه الناس، فغضب كعب على أخيه بجير، وراسله بشعر وبخه فيه وعنفه؛ لأنه هجر دين آبائه ، قال كعب [١] :

أَلا أَبْلِغَا عني بُجَيراً رسالةً فَهلْ لكَ فيما قلتُ بالخَيْف هَلْ لكَا [٢]

(١) الديوان، ص ٣ ، ٤ والسيرة ج٦ ، وشرح قصيدة كعب ، ابن هشام، ص ٣٤ .
(٢) روى ويحك في موضع بالحيف (اسم مكان)، وويح: تقال إشفاقاً وترحماً: أي هل لك رأي أو إرادة.

شربـــتَ مـــع المـــأمون كأســـاً رويـــةً　　فأنهلـــكَ المـــأمونُ منهـــا وعَلَّكَـــا[1]

وخالفـــتَ أســـبابَ الهُـــدَى وتبعتَـــه　　عـــلى أيّ شيءٍ وَيْـــبَ غـــيرك دلَّكـــا[2]

عـــلى خُلُـــقٍ لم تُلـــفِ أمَّـــا ولا أبـــاً　　عليـــه ولم تُـــدْرِك عليـــه أخـــاً لكـــا[3]

فـــإن أنـــت لم تفعـــل فلـــست بآســـف　　ولا قائـــلٍ إمَّـــا عـــثَرتَ لعـــاً لكـــا [4]

لقد لام كعب أخاه وخطَّأه ، وزعم أنـه خـدع بـدعوة محمـد صلى اللـه عليـه وسـلم وجانب الصواب باتباعه ؛ لأن دعوة محمد - حسب ظنـه - شـذوذ عـن ديـن الآبـاء وعـرفهم، هذه الحجة التي ساقها في تخطئة أخيه ، فقارعـه بجـير في خـصامه وأقـام الحجـة عـلى فـساد اعتقاد الآباء وهي حجته الوحيدة قال[5] :

مـــن مبلـــغ كعبـــاً فهـــل لَـــكَ في التـــي　　تلـــومُ عليهـــا بـــاطلاً وهـــي أحـــزَمُ

إلى اللـــه لا العـــزى ولا الـــلات وحـــده　　فتنجـــو إذا كـــان النجـــاءُ وتـــسْلمُ

لـــدى يـــوم لا ينجـــو ولـــيس بمُفلـــتٍ　　مـــن النـــار إلا طـــاهر القلـــب مُـــسْلمُ

فـــدين زهـــير وهـــو لا شيء دينُـــهُ　　وديـــنُ أبي ســـلمى عـــليّ محُـــرَّمُ

لقد انتهج بجير انتهاج أخيه في القول، فالأول ساق الخطاب للمثنى ولم يوجهـه إلى أخيـه مباشرة؛ لأنه لم يكن في حضرته، وهذا أبلغ في النصح فقد تحول إلى غيره لئلا يثـيره، فهـو يرجـو طاعته ، فجعلهما شفيعين إليه، و«ألا» دليـل ذلـك فهـي تفيـد التوسـل، والخطـاب في «أبلغـا» للاثنين وقد لا يراد به مخاطبة الاثنين على الحقيقة بل الواحد، وكثـيراً مـا يخاطـب الواحـد بمـا يخاطب به الاثنان في المقدمات، قال امرؤ القيس [6] :

---

(١) المأمون: اسم أطلق على النبي صلى اللـه عليه وسلم مثل الأمين، وروي: سقيت بكأس عند آل محمد، يريد سقاة مـرة بعـد مرة (النهل والعلل).

(٢) ويب اسم فعل مثل: ويل ويح، ويب بمعنى: عجباً. ويروي على أي شيء.

(٣) ألفى: وجد.

(٤) المأمون والأمين يراد بهما النبي صلى اللـه عليه وسلم أطلقهما عليه قريش، عثرت: أخطأت في المسير، لعاً: كلمـة تقـال للعـاثر دعـاء لـه الإقالة من عثرته. وهذا البيت مفقود في بعض الروايات.

(٥) ارجع إلى شرح قصيدة كعب ص ٣٦ والديوان ص ٤ .

(٦) شرح المعلقات السبع، الزوزني ، ص ٧ .

قفانبــك مـــن ذكـــري حبيـــب ومنـــزل   بـــسِقْطِ اللّـــوى بـــين الـــدخول فحَوْمِـلِ

قيل هذا من سنن العرب أن تطلق المثنى وتريـد بـه الواحـد والجمـع ولا يـراد بـه عـين المثنى، وقيل الشعراء يخاطبون الواحد والاثنين والجماعة على مايتصورون، ومنه قول عنـترة [(١)] يسأل خليليه عن منزلهما ومقامهما:

خلـــيليَّ مـــا أنـــساكُما بـــل فِـــداكُما   أبي وأبوهـــــــا أيـــــــنَ المعَـــــــرَّجُ

ألَّـــما بمـــاء الدُّحْرُضَـــين فكلّـــما   ديـــارَ التـــي في حُبِّهـــا بـــتُّ ألهَـــجُ

وقال أيضاً [(٢)] :

نـــديميَّ إمـــا غبـــتما بعـــد ســـكرة   فـــلا تـــذكُرَا أطـــلال سَـــلْمى ولا هِنْـــد

ولا تـــذكرا لى غـــير خيـــلٍ مُغـــيرة   ونقـــع غبـــار حالِـــك اللـــون مُـــسْودّ

وقال النابغة [(٣)] :

ألا أبلغـــا ذُبيـــانَ عنّـــي رســـالةً   فقـد أصْبحَتْ عـن مـنهج الحـق جـائره

فالصاحبان المخاطبان متوهمان وقد حمّلهما الشاعر رسالة فيها لوم لقومـه، فالمخاطبـان قد يكونان متوهمين لمعنى يريده الشاعر، ومنه توجيه خطاب غير مباشر عـلى لـسانيهما، وقـد يستحضر صاحبيه للشكوى وبكاء الديار وللإتناس بهما والمندامة والسمر، وللاعتراف إلـيهما بمـا تفيض به نفسه أولما يفيض به الخاطر، ومرجع ذلك إلى الوحدة والشعور بالغربة.

وقد يتخذ الشاعر خليلاً واحداً يبلغ عنه رسالته إلى من نأوا عنه، قال حاتم[(٤)]:

أبلـــغ بَنـــي ثُعَـــل عَنِّـــي مُغَلْغَلَـــةً   جَهْـــدَ الرســـالةِ لا مَحْكـــاً ولا بُطُـــلا

وقال:

أتعـــرفُ أطـــلالاً ونؤْيـــاً مُهَـــدَّما   كخَطِّـــكَ في رقٍّ كتابـــاً منمـــنما [(٥)]

(١) ديوان عنترة، ط الهيئة المصرية للكتاب، ص ٥٤. المعرَج: المقـام، وألَّـما: أنـزلا، والدحرضـان: موضـعان والأول: دُحْـرُض والثـاني وسيع فغلب الأول كقولنا: الأسودان: التمر والماء.
(٢) الديوان، ص ٩١ .
(٣) ديوان النابغة الذبياني، المكتبة الثقافية، بيروت، ص ٦٨ .
(٤) ديوان حاتم الطائي، مكتبة الخانجي، ص ١٩٢. المغلغلة: الرسالة التي تحمل من بلـد إلى بلـد، وبُطْـل بـسكون الطـاء، وحركـه للشعر.
(٥) ديوان حاتم، ص٢٢٠، والنؤي: الحفير، والرق: الصحيفة البيضاء، منمنم: مرقش.

وقد فسر بعض العلماء مخاطبة المثنى في المقدمة بأن المـراد بـه الواحـد فحملـوا المثنـى على معنى الواحد، وقد تناولت ذلك مفصلاً في كتـابي «الحمـل عـلى اللفـظ والمعنـى في القـرآن الكريم» [1]، وتفسير هذا الأمر يحتاج مراجعة المقدمات الأولى التـي قلـدها الـشعراء للوقـوف على سبب مخاطبة المثنى والجمع في المقدمات الطللية التـي صـاحبت الـشعراء في غـير البيئـة الصحراوية وحياة البداوة، فقد استهل الشعراء القصائد بالحديث عن الطلل في الحواضر، وتأثر بهـذه المقدمـة شـعراء الأنـدلس، وليـست ببداديـة، ووصـلت إلى شـعراء الكلاسـيكية في الـشعر الحديث.

وكعب لم يخاطب المثنى في مقدمته ولكنه خاطب المفرد «أكرم بها خلة ..» .. «فلا يغرنك ما منت وما وعدت ..» وهذا الشكوى، وقد وجه بجير الخطاب للغائـب متوسـلاً إليـه أن يبلـغ كعباً، أن ما هو عليه باطل وأن اللـه حق، وخوفه النار، وأن ما عليـه آبـاؤه لـيس بـشيء. لقـد تعقب بجير قول كعب وحاجه فيه وأثبت فساد موقفه، وقد بلَّغَ كعباً أن رسـول اللــه صلى اللـه عليه وسلم بلغه قوله فيه، فخشى الطلب، فأرسل إليه بجبر ثانية أن النبـي صلى اللــه عليه وسلم يتعقب شعراء المشركين الذين نالوا منه ونصحه أن يأتي إليه ويعتذر عما بدر منه ، فإنه لا يقتل أحداً أتاه معتذراً، فاشتد عليه الأمر وضاقت عليه الأرض بعد أن تخلى عنه الأخلاء وخوفه الوشاة العقاب، وقالوا: هو مقتـول وأبـت قبيلـة مزينـة أن تؤويـه، لأنهـا دخلـت فـيما دخلت فيه قريش فهي إمام العرب، فبـادروا بالمـصالحة وأسـلموا، فقـرر كعـب أن يـأتي النبـي صلى اللـه عليه وسلم ويلقي قدره الذي قدره اللـه، وعبَّر عـن ذلـك شـعراً، وهـذا يؤكـد أن أحداث القصيدة تفاعلت مع الواقع، فقد سجل فيها الشاعر الأحداث التي عايشها، والقـصيدة ليست مرتجلة، لأنها مرتبة منطقياً ، والأحداث فيها متطورة فقد ابتدأها بالـسفر لـسعاد التـي رحلت عنه ، وانتهى بالوصول إلى النبي صلى اللـه عليه وسلم والاعتذار بين يديه ومدحه ثم مدح المهاجرين من قريش، واللغة رصينة ومكثفة.

الربط بين أجزاء القصيدة

القصيدة التراثية الطويلة تتكون من وحدات موضـوعية يـربط كـل واحـد منهـا موضـوع واحد، وهذا الموضوع يعقبه آخر بسبب منه ومترتب عليه. فتعـدد الموضـوعات أشـبه بفـصول مركبة ينتقل الشاعر من الأول إلى الثاني ويعقد بينها أسباباً

(١) الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم في ضوء المشهور والنادر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، ٢٠٠٩م.

منطقية .

وقد ابتدأ الشاعر قصيدته بمقدمة تفجع فيها على حبيبته، وتأسف على أخلاقها التي عهد عنها الإخلاف والتأبي عليه والتنكر له، وهذا خلق المرأة العربية في القصائد التي تناولت معاناة الشاعر في الحب، فهي تأبى عليه وتنكره وتدعي أنها لا تعرف شيئاً عن حبه وتنكر أنها سبب معاناته .

وقد اشترط القدماء أن يكون المطلع مرتبطاً بمحتوى القصيدة، وأن يكون مناسباً للمقام فلا يستهل بتفجع في مقام التهنئة أو المدح أو يتبدئ بما يتطير منه في مقام يخالف ذلك، كما اشترطوا سهولة الألفاظ وسلامة التركيب ووضوح المعنى، وجودة السبك؛ لأن المطلع أول الكلام، وعليه أن يستقطب به المتلقي ويهيئه للتلقي فالمقدمة تكون مؤشراً على موضوع القصيدة، فيتخذها مدخلاً يفتتح به سمع المتلقي ويدخل بها إلى قلبه ويستميله بها، ليتفاعل معه.

وقد ابتدأ شاعرنا بمقدمة تفجع فيها على سعاد التي رحلت عنه إلى أرض بعيدة يصعب السفر إليها، وزاد حزنه وألمه تمنعها وتنكرها له.

والقصائد الطوال تبتدأ بمقدمة ثم يتخلص الشاعر منها بالدخول في الوصف أو غيره، وقد تتضمن القصيدة موضوعات يمثل كل موضوع منها وحدة معنوية مترابطة، ويجعل الشاعر هذه الموضوعات بسبب من بعضها، فيربط بينها ربطاً سببياً أو بأداة العطف أو يلجأ إلى رابط معنوي، وقد بلغت مقدمة كعب ثلاثة عشر بيتاً آخرها :

١٢- أَرجُـــــو وآمــــــلُ أنْ تَـــــدْنو موَدَّتُهـــــا

ومـــــا إخـــــالُ لَـــــدَيْنَا مِنْـــــك تَنْوِيـــــلُ

١٣- أمْـــــستْ سُـــــعادُ بِـــــأرضٍ لا يُبلّغهـــــا

إلا العِتَـــــاقُ النَّجِيبَـــــاتُ المَراسِـــــيلُ

إن قوله فى البيت الثانى عشر نهاية علاقته بها (وما إخال لدينا منك تنويل)، فانتهت الفكرة الأولى به، ولكنه أراد الدخول فى موضوع الرحلة فجعل البيت الثالث عشر مفتاحاً لما بعده، وليكون التالى بسبب من الأول، ولفظ «الأرض» هو المدخل لموضوع الرحلة (السفر إلى الأرض التي هاجرت إليها سعاد)، وعليه أن يستعين

بوسيلة مناسبة إليها، فدخل إلى الجزء الثاني من القصيدة الذى تحدث فيه عن الناقة حديثاً طويلاً، وجعل مفتاحه قوله:

١٤- وَلَـــــنْ يُبلِّغهـــــا إلا عُـــــذا فِـــــرةٌ
فِيهَـــا عَـــلَى الأَيـــنِ إرْقَـــالٌ وتَبْغِيـــلُ

فانطلق في وصف الناقة (عذافرة)، فالحديث عن الناقة جاء بسبب من هجر سعاد إلى أرض بعيدة، و«سعاد» هو اللفظ المحوري الذي تعلقت به أبيات المقدمة، فقد أحال إليها الشاعر بالضمير في البيت الأول، وأعاد ذكر اللفظ ثانية في البيت الثاني تلذذًا به وحباً ورغبة في حضورها ومثولها ثانية فى ذاكرة الشاعر بعد أن غادرت، وذكرها في البيت الثالث عشر تذكيراً بها لطول استخدامه الضمير فأعاد ذكرها تأكيداً عليها ؛ لئلا يفقدها المتلقي بعد أن أضمرها، كما وجد في ذكرها سلوى وتلذذاً ، وهذا الذكر مستحسن هنا؛ لأنه سوف ينتقل لحديث آخر فجدد عهده بها؛ لئلا ينسى المتلقي فجعل اسمها في خاتمة المقدمة:

أمْـــستْ سُـــعادُ بِـــأرضٍ لا يُبلّغهـــا
إلا العِتَـــاقُ النَّجِيبَـــاتُ المَراسِـــيلُ

وسعاد علم مرتجل أراد الشاعر به امرأة يهواها حقيقة أو ادعاءً، فبعض المقدمات الغزلية تقليد تعاهده الشعراء يستهلون به القصيدة، ولهذا يهجرها الشاعر بعد أن يدخل في موضوع القصيدة فلا يلتفت إليها ثانية، فليست المقدمة إلا مدخلاً لتهيئة المتلقي لاستقبال الموضوع فيعده أولاً ثم يحدثه بموضوعه، لئلا يغفل المتلقي عن رأسه إن دخل المتكلم فيه مباشرة، وللبيئة العربية أثر في ذلك، فالمتلقي العربي الجاهلي يجيد الاستماع والتلقي والتذوق، ويستجيد ما يسمعه ويتفاعل مع محدثه ، لأنه صاحب حس عالٍ.

والمقدمة على مستوى المضمون مترابطة، فالمضمون العام فيها يدور في فلك فراق سعاد وتفجع الشاعر عليها وشكواه طبائعها: الهجر وإخلاف الوعد وعدم الوفاء بالوصل الذي وعدت به.

وقد تسلسلت فيها الأفكار، فسعاد فارقته فاغتم لفراقها وآخر ما سمعه منها صوتها الخافت مع صواحبها، وقد بقى منه في سمعه غنة، وأعقب هذا ذكريات مؤلمة،

فتذكر الطرف المكحول والطول المعتدل والأسنان البيضاء، وتذكر صفاتها: إخلاف الوعد، وعدم الوفاء بما عهدت، والكذب، والهجر، وقد أثارت هذه الصفات في نفسه حسرة وألماً، فتمنى لو أنها صدقت وقبلت نصحه فلم ترحل.

وقد استطاع الشاعر أن يتخلص من المقدمة، فانتقل عن غير خلل أو فصل يشين تماسك القصيدة إلى الحديث عن الناقة فربط بين هجر سعاد والحديث عن الناقة، فسعاد أمست في أرض بعيدة لا يبلغها إلا ناقة قوية، فموضوع الافتتاحية أسلم إلى الحديث عن الناقة والرحلة، وفاجأ الشاعر المتلقي أن الناقة لم تبلغ الأرض التي نزلت بها سعاد، فقد أحاط بها الوشاة وتعلقوا بها وخوّفوه، فلم تكن سعاد إلا رمزاً لمعاناة الشاعر ولم تكن مقصده بل كانت وسيلة رمز بها الشاعر إلى مرحلة القلق والشك في كل ما كان يظنه صواباً، وأفضى به إلى البحث عن الحقيقة، فسعاد رمز للدنيا، والناقة في صبرها ومواجهتها الظروف القاسية ترمز إلى نفس الشاعر، فقد أسرعت دون توقف إلى الإيمان ولم تمنعها ظروف الطبيعة القاسية ويماثلها تخزيل الوشاة له وتخلي الأصدقاء عنه، فأصبح الشاعر وحيداً مجرداً من كل شيء في مقام أحوج فيه إلى العون، فالوشاة بادروا بتخويفه والأصدقاء تبرءوا منه :

يَسْعَى الوُشَاةُ جَنَابَيهَا وَقَوْلُهُم
إنَّكَ يَا ابنَ أبي سُلْمى لَمَقْتُولُ

وَقَالَ كُلُّ خَليلٍ كُنْتُ آمُلُهُ
لا أُلهِينَّك إني عَنكَ مَشْغُولُ

فلم يعبأ بتخويفهم ولم يتراجع وآثر أن يلقي قدره، وسلم بحتمية الموت وهو اعتقاد المؤمن، وقال في الموت:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامَتُهُ
يوماً على آلة حَدْباء محمولُ

واستهل الاعتذار بقوله:

أنْبئــــــتُ أَنَّ رَسُــــولَ الـلــــــه أوْعَــــدَني

وَالعَفُـــو عِنْـــدَ رَسُـــول الـلــــهِ مَــــأمُولُ

دخل إلى الاعتذار بفعل مبني للمجهول، وهذا أبلغ ، ليجعل احتمالاً آخر للعقاب وهو العفو، فلم يقدمه على أنه مسلمة فما جاء ليعاقب بل جاء للعفو ومن ثم بني للمجهول في الشر وأكد العفو بجملة إخبارية تعطي حقيقة: العفو عند رسول الله مأمول.

وكل ما تقدم توطئة لهذا البيت، فإن غرضه التنصل مما قيل إنه متمرد عاصٍ، ويريد أن يستعطف النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل الكلام للمجهول ليشير إلى أن مُبلغاً أخبره بأنه صلى الله عليه وسلم توعده بالعقاب، فيصرف الكلام الذى سمعه عن وجه التحقيق، ويحتمل ترك ذكر الفاعل أمران :

أولهما – أن تعيينه ليس له غرض فأطلق ليحتمل كثيرين [١] .

والثاني – أن مقام الاعتذار يناسبه أن لا يحقق الخبر بالوعيد، فوضعه موضع الاحتمال ليستعطف المعتذر إليه، كما يقال: رُوى كذا، وجاءني عنك كذا، وسمعت كذا، وقيل لي، وهذا أنسب لموضع يحتمل الشر، فيصرفه عنه إلى غيره[٢]. وهذا أنسب في موضع الاستعطاف، وقد جاء ذلك في شعر الجاهليين.

فنسبة القول إلى الغائب أوقع من الخطاب المباشر عنه في مقام الاعتذار، قال النابغة الذبياني [٣] في اعتذاره إلى النعمان:

أتــاني أبيــت اللعــن أنــك لمتنــى   وتلــك التــي أهــتم منهــا وأنصَــبُ

وقال أيضاً [٤]:

وعيــدُ أبي قــابوس في غــير كنهــه   أتــاني ودوني راكــس، فالضــواجِعُ

(١) يبني للمجهول فيترك الفاعل للعلم به، أو للخوف منه نحو: قُتل زيد، أو للجهل به محو: سُرق البيتُ، أو للتعميم: ومنه قوله تعالى: (**إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا**) [المجادلة:١١] و (**وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا**) [المجادلة:١١] (**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ**) [النساء:٨٦] وذلك للإطلاق فيعم كل فاعل أسند إليه الحدث، لأنها من أعمال الخير التي يجب أن تشيع في الناس، ومنه الدعاء: غفر لك، وقُتُل الواشى.

(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص ٢٧١ .

(٣) ديوان النابغة، ص ١٧ .

(٤) الديوان، ص ٧٩، وركس اسم وادٍ، والضواجع: منحنى الوادي.

وقال [1] :

أنبئـــت أن أبـــا قـــابوس أوعـــدني ولا قـــرار عـــلى زَأرٍ مـــنَ الأســـد

مهـــلاً، فـــداء لـــك الأقـــوام كلهـــم ومـــا أثمّـــرُ مـــن مـــال ومـــن ولـــد

وقد سلك كعب مسلكه في اعتذاره، قال كعب [2] :

أنْبئـــــــتُ أَنَّ رَسُـــــولَ الـلــــــه أوْعَـــــدَني

وَالعَفُـــــو عِنْـــــدَ رَسُـــــول الـلـــــهِ مَـــــأمُولُ

مَهْـــــلاً هَـــــدَاكَ الـــــذِي أَعْطَـــــاكَ نَافِلَـــــةَ

القُـــــرْآن فِيهَـــــا مَـــــواعِيظٌ وتَفـــــصيلُ

ومدح الشاعر النبي صلى الـلـه عليه وسلم ، ثم انتقل مـن مـدح الرسـول صـلى الـلـه عليه وسلم إلى مدح أصحابه من المهاجرين دون الأنـصار، فـذكر أن النبـي صـلى الـلـه عليـه وسلم أسد في عصبة من قريش عرفوا بالشجاعة:

إنَّ الرَّسُـــــولَ لَـــــسَيفٌ يُسْتَـــــضَاءُ بـــــهِ

مُهَنَّـــــدٌ مِـــــنْ سُـــــيوفِ الـلـــــه مَـــــسْلولُ

فِي فِتْيَـــــةٍ مِـــــنْ قُـــــرَيْشِ قَـــــالَ قـــــائلُهُمْ

بـــــبَطْنِ مَكَّـــــةَ لَـــــما أَسْـــــلَمُوا زُولُـــــوا

واختتم القصيدة بقوله في محمد صلى الـلـه عليه وسلم وأصحابه رضوان الـلـه عليهم:

لا يقـــــعْ الطّعْـــــنُ إلّا في نُحُـــــورهِم

ومـــــالَهُمْ عـــــنْ حِيـــــاض المـــــوْتِ تَهْليـــــلُ

وقد ترك هـذا البيـت أثـراً مـدوياً في جمهـور المتلقـين، وكانـت قفـلاً مناسـباً لموضـوعات متماسكة قاد أولها إلى ثانيها، حتى وصل إلى الخاتمة التي جمع فيها القول،

(١) الديوان، ص ٣٦، والسيرة، جـ٤/١٥١ .

(٢) ديوان كعب، ص ١٩، والسيرة، جـ٤/١٥٣ .

وأبانت عن مقصده، وهي خاتمة سلسلة اللفظ حسنة التأليف وجاء المديح فيها متمماً للاعتذار، فلاءمت ما قبلها وأعلنت عن نهاية تامة غير مبتورة فمن قرأها لم يتوقع مجيء شيء بعدها، فهي تمام النص وكماله.

زمن النص:

الزمن جزء من بنية النص، وعنصر أساسي في تفسيره، فالنص جزء من زمن إنتاجه، وله دلالة في زمنه تختلف عن رؤية زماننا لهذا النص، وزمن إنتاج النص زمن القول أو التأليف، يشاركه فيه زمن الأفعال، والأسماء الدالة على الزمن، والفعل يحمل دلالة مباشرة على الزمن، وقد عبر كعب عن الأحداث الماضية بالفعل الماضي نحو: بانت سعاد، رحلوا، وعبر عن وصف الأحداث في الماضي بالمضارع حكياً نحو: تجلو عوارض، تنفي الرياح القذى، لا تمسك بالعهد.. أرجوا وآمل أن تدنوا مودتها، ترمي الغيوب .. استحضر الشاعر أحداثاً وقعت في الماضي، فعبر عنها في المضارع، وكل خطاب حكائي يجري في زمن وقعت فيه الأحداث والأفعال تعبر في الماضي عما حدث وانقطع، وتعبر في المضارع عما هو قائم في العالم الخارجي، وقد عبرت الأفعال عن الحركة والتفاعل داخل النص، وتفاعل النص مع العالم الخارجي وبعض الألفاظ تحمل دلالة زمنية، نحو قول كعب: «إذ رحلوا» وإذ ظرفية زمانية تعني وقت رحيلهم، و«اليوم» في قول كعب: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، وأراد به الشاعر الزمن الذي يقص فيه الحدث [1]، ليقاسمه المتلقي أحزانه.

و«غداة» في قول كعب: وما سعاد غداة البين إذ رحلوا، غداة: اسم مقابل العشي، وقد يراد بها مطلق الزمان مثل: اليوم والساعة، قيَّده بزمن رحيل سعاد عنه، وهو أول النهار، فرمز به إلى ملازمة الحزن له.

وقد دلت الألفاظ التي عبرت عن الزمان وعبرت عن العالم الخارجي أن أحداث الرحلة في فصل الصيف «إذا توقَّدت الحزّازُ والميلُ» ، «يتركن الحصى زيماً، لم يقهن (الأرجل) رؤوس الأكم تنعيل» «وقد تلفع بالقور العساقيل» وقال:

يَوْمـــاً يَظـــلُ بِـــهِ الحِربَـــاءُ مُـــصطخداً

كـــأَنّ ضـــاحيه بالـــشمس مملـــول

(١) خطاب الحكاية، حيرار جنيت، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢/٢٠٠٠م، ص ٤٥.

وقـــــال للقـــــوم حـــــاديهم وقـــــد جعلـــــت

وُرْقُ الجَنَـــــادِبِ يَرْكُـــــضْنَ الحَـــــصا قِيْلُـــــوا

وقد ذكر الشاعر أنه قطع رحلته نهاراً وليلاً وأنه لم يتوقف في القيلولـة (الأبيـات: ٣٠، ٣١، ٣٢) ولم يتوقف في الظلام الحالك:

مـــــا زلـــــت أقتطـــــع البيـــــداء مـــــدَّرعاً

جُـــــنْح الظـــــلام وثـــــوب الليـــــل مـــــسدول

وزمن أداء النص في الخطاب المباشر الذي خاطب فيه كعب النبي صلى الـلـه عليه وسلم

مَهْـــــلاً هَـــــدَاكَ الـــــذِي أَعْطَـــــاكَ نَافِلَـــــةَ

القُـــــرْآن فِيهَـــــا مَـــــواعِيظٌ وتَفـــــصيلُ

لا تأْخُـــــذَنِّي بِـــــأقْوَالِ الوُشَـــــاةِ وَلَـــــمْ

أُذْنِـــــبْ وإنْ كَـــــثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيـــــلُ

وقد أشارت المصادر أن القصيدة قيلت بعد منصرف النبي صلى الـلـه عليـه وسـلم مـن الطائف بعد أن بلغ كعباً أن النبي صلى الـلـه عليه وسلم توعده، فـضاقت عليـه الأرض بعـد أن دخلت القبائل في الإسلام، وقد سبقه أخوه بجير إلى الإسلام، وأرسل إليه يطلب منـه أن يـأتي إلى النبي صلى الـلـه عليه وسلم ويعتذر إليه وأخبره أنه سيقبل اعتذاره (١) .

ولم يأت في النص ذكر مباشر لزمن الإنتاج، بل وردت إشارات إلى أنه كان في الصيف، فقـد اشتكى الشاعر شدة الحر وأثره في الناقة وبعض الحشرات الصحراوية (الحرباء، الجنادب)، وقـد أقبل كعب معتذراً بعد أن تمكن سلطان الإسلام، فأقبلت القبائل تعلن الطاعة، وطلب العـصاة العفو، والخطاب المباشر زمن الأداء وعبر عنه الفعل المضارع، ولكنـه لا يعنـي أنـه أبـدع عملـه ارتجالاً في زمن الأداء، بل حمل النص إشارات زمنية ماضية وأحداثاً سابقة، وفيه أيـضاً إشـارات مباشرة إلى زمن الأداء.

(١) ارجع إلى: سيرة ابن هشام، مكتبة دار التراث، جـ١٤٩/٤، وشرح قصيدة كعب ص٣٤، ٣٥ .

مكان النص: المواقع التي تعلقت بها أحداث النص، فأحال النص إليها وعبر عنها، وصور جغرافيتها، وهذه أماكن الأحداث . وقد أشار الشاعر إلى المكان الذي هاجرت إليه سعاد: «أمست سعاد بأرض بعيدة» ، وهذه الأرض لا يصل إليها إلا نوق خفاف قوية، لصعوبة تضاريسها، وتعلق سرد أحداث الرحلة بهذه الأماكن. ولم يأت في النص ذكر صريح للمكان الذي ألقى فيه النص بيد أن الشاعر أشار إلى أن الناقة بعد رحلتها الشاقة وصلت إلى مكان به وشاة، وقد أحاطوا بها يخوفون قائدها سوء العاقبة وأنه جاء لحتفه:

يَسْعَى الوُشاة حواليها وَقَوْلُهُم

إنّكَ يا ابن أبي سُلْمى لمَقْتُولُ

وكان مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ولم يأت ذكرها في النص ، وليس فيه دليل عليها تصريحاً أو تلميحاً، وقد ذكر اسم موطن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين:

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قائلُهُمْ

بِبَطْنِ مَكَّةَ لَما أَسْلَمُوا زُولُوا

وليست مكة مكان الإلقاء بل المدينة المنورة، وقد ذكر مكة لمنزلتها في نفوس العرب ولشدة تعلق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين بها، وقد صارت المدينة عاصمة الدولة التي اتجهت إليها الوفود ودخلت في طاعتها القبائل.

وقد ذكر كعب الطريق الذي قطعه ليصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

ما زلت أقتطع البيداء مدّرعاً

جُنْحَ الظلام وثوب الليل مسدول (١)

وفيه إشارة إلى أن كعباً أتى من البادية، وأن القصيدة أعدت بعض أبياتها في سفره، وقد أعدها سلفاً في نفسه عندما عزم على الدخول فيما دخل فيه الناس والاعتذار عما مضى، وارتجل بعضها متأثراً بالموقف المباشر، ومن ذلك حديثه عن

(١) هذا البيت رواه عبد الملك بن هشام في السيرة جـ٤/١٦٢، ولم يروه جمال الدين بن هشام في شرحه، ولم يأت في الديوان.

الوشاة والأصدقاء عندما لقيهم ورد فعلهم (الأبيات ٣٥، ٣٦، ٣٧) وحديثه المباشر عن النبى صلى الله عليه وسلم (٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٦) وقد جسدت هذه الأبيات الحدث الخارجى.

وقصيدة كعب بن زهير قيلت شفاهة فليست بنص مكتوب، والخطاب الشفهي أكثر تعلقاً بالعالم الخارجي من النص المكتوب، فالأول يعتمد على عناصر من خارج اللغة ويحيل المتلقي إلى العالم الخارجي، ويفسر في ضوئه، فالنص الشعري ليس مكتفياً بذاته منقطعاً عن ظروف إنتاجه فالأفعال والأزمنة والإشارات تفاعلت تفاعلاً مباشراً مع العالم الخارجي الذي أثر في بناء القصيدة وتفاعل معه الشاعر واستجاب له، وقد قال كعب قصيدته مستجيباً لتفاعله مع البيئة وتأثره بها، وتأثر بعلاقته الاجتماعية زمن إنتاج النص، فقد عبر النص الشعري عن أزمة الشاعر في محيطه الاجتماعي الذي تخلّى عنه، فشعر بالوحدة وواجه الموقف وحده، وقد جسد النص ذلك [1]، واعتمدت بعض العناصر النحوية على العالم الخارجى منها ضمائر المخاطب التى تحيل إلى العالم الخارجى (الأبيات: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠) وضمير المتكلم (١، ٣٧، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦)، والنداء والدعاء والأمر، والحذف الذى اعتمد على عنصر خارجى، واسم الإشارة، وهذا يرد قول من زعم أن النحو مظام شكلى منقطع عن العالم الخارجى، وسوف نتناول ذلك فى موضعه.

وعناصر البيئة المتحركة والساكنة أكثر حضوراً في القصيدة من العنصر البشري، ويرجع ذلك إلى أن الشاعر قطع رحلته هو وناقته فقط، وأن الحديث عن الرحلة استغرق ثلاثة أرباع القصيدة تقريباً، والحديث فيها عن أحداث السفر الطويل في ظروف طبيعية قاسية في زمن قصير، وعناصر البيئة في القصيدة:

- الأرض، وهي بعيدة غير مستوية وذات جبال وهضاب وأودية بها ماء، وبعضها رملي وبعضها صخري، وبعضها فيه رمال وحصى (الأبيات: ٢٨: ٣٤).
- الطقس: شديد الحرارة، وفيه رياح، فالرحلة قطعت صيفاً (الأبيات: ٢٨: ٣٢).
- الحيوانات: الناقة، الجنادب (الجراد) ، الحرباء، الأسد، السباع، حمير الوحش، القراد، الفيل.

---

(١) النص المكتوب.

- النباتات: النخل، حلق القفعاء (اسم عشب له حلق متداخل) ، والصحراء شحيحة النبات.

وقد وظف الشاعر الحديث عن هذه العناصر مجتمعة في قصيدته، ورسم صورة دقيقة للصحراء المجدبة، ليستعطف المتلقي (النبي صلى اللـه عليه وسلم ومن حضر مجلسه) فجند جوانب إنسانية للتأثير في المتلقين، والحديث عن عناصر البيئة مفصلة دليل على صدق الشاعر ومعاناته، وهي عناصر خارجية وظفها للتأثير في المتلقي ليؤكد صدقه في اعتذاره. وقد عبر الشاعر عن محنته ورغبته في العفو والدخول في الإسلام، وقد عاني في سبيل ذلك:

مـــا زلـــت أقتطـــع البيـــداء مُـــدرّعاً

جُـــنْحَ الظـــلام وثـــوب الليـــل مـــسدول

حتَـــــى وَضـــــعْتُ يَمِينِـــــي لا أُنازعُـــــه

فِي كـــــفٍّ ذِي نقِـــــماتٍ قِيلُـــــه القِيـــــلُ

فقد تحدث الشاعر في حديثه عن الناقة أنه قطع الصحراء نهاراً في ظل ظروف قاسية فالحر شديد والرمال ساخنة، وقد استجارت الأحياء فيها بالظل ولم يتوقف عن السير في القيلولة، ثم أخبر أنه قطع البيداء في جنح الليل الحالك، فالنهار حار والليل مظلم، وقد أحسن الشاعر تصوير مشهد البيداء نهاراً وليلاً، والوجه المشترك بين الليل والنهار القسوة.

الربط المضموني: يراد به الرابط المعنوي بين أجزاء النص، وقد استهل الشاعر قصيدته بمقدمة تفجّعَ فيها على حبيبته (سعاد) التي هاجرت إلى أرض بعيدة يصعب السفر إليها، وتحتاج إلى وسيلة سفر قوية (وهي الناقة)، وقد بلغت المقدمة أربعة عشر بيتاً، ثم تخلص منها بالحديث عن الناقة التي تحمله إليها، فاستغرقه الحديث عن الناقة فوصفها وصفاً دقيقاً ووصف قوتها وسرعتها وصبرها في السفر وصراعها مع ظروف الصحراء القاسية، وقد انتهت به الناقة إلى النبي صلى اللـه عليه وسلم بعد عناء طويل وصراع مع البيئة والأحوال الجوية،

وهذه النهاية تجعل من سعاد رمزاً جسد معاناة الشاعر شعوره بالوحدة بعد أن صار مطلوباً للعقاب وقد تركه أخوه بجير فأسلم، وجسدت الرحلة الشاقة الطويلة مرحلة الحيرة والتفكير في القرار وجسدت الناقة العبء الجسيم الذي يقع على الشاعر وصبره عليه ورغبته في مواجهة مصيره دون فتور، وجسدت نهاية الرحلة رغبة الشاعر في الدخول فيما دخل فيه الناس ليتخلص من أعبائه وحيرته، وليعرف مصيره. وقد أحسن التخلص من الحديث عن الناقة بوصولها إلى أرض المدينة، وقد أحاط به الوشاة والأخلاء وقد تخلوا عنه وتبرءوا من عمله وتركوه لمصيره وحده فسلم للقدر وأسلم نفسه معتذراً وأعلن عن رغبته في العفو، فناله ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم شاكراً عفوه ومدح من معه من المهاجرين؛ لأنهم أمسكوا عنه ولم يهموا بعقابه.

وقد استطاع الشاعر أن يربط بين هذه الموضوعات فجعلها بسبب من بعضها، ونسقها في ترتيب متطور، فكل فكرة سلمت مقادها إلى التي تليها، وقد ناسب بين الموضوعات فهجر سعاد وإخلافها وتلونها ومعاناته ناسب ما يعانيه الشاعر من قلق وخوف من المستقبل، وهجر سعاد سبب في طلبها والظروف البيئية القاسية سبب في المعاناة، وتخلى الرفاق، وهم الوشاة به زاده ألماً وضيقاً، فلم ينفعه سوى الإيمان بالقدر ورغبته في العفو فناله، والمدح بعد العفو نتيجة سببية، فالأحداث بسبب من بعضها .

والانتقال بين الموضوعات يكون بمداخل ووصلات، وسمّاه القدماء «التخلص» يريدون الخروج من الموضوع إلى آخر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ [المدثر:١، ٢] وجاءت الآيات بعدها ترشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله وترك عبادة الجاهليين، وأمره سبحانه وتعالى بالصبر، ثم انتقلت الآيات إلى قوله: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً** ﴾ [المدثر:١١] فالآيات الأولى فيها توجيه وإرشاد للنبي صلى الله عليه وسلم ورفع الحرج عنه فيما يلاقيه من المشركين قبل الهجرة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ [الغاشية: ٢١،٢٢] أي ليس لك سلطان على قلوبهم فلتزمهم الإيمان [١] ، وقد ربط كعب المقدمة بموضوع وصف الناقة بقوله:

(١) الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت جـ٣/٣٦٥ .

أمْـــــــستْ سُـــــــعادُ بِـــــــأرضٍ لا يُبلّغهـــــــا

إلا العِتَـــــــــاقُ النَّجِيبَـــــــــاتُ المَراسِـــــــــيلُ

فالأرض التي نزلتها سعاد بعيدة لا يصل إليها إلا أينق خفاف تعطيك ما عندها من قوة وسرعة، وهذا سبب مباشر في وصفه ناقته التي امتطاها للوصول إلى أرض سعاد، وقد أشارت المصادر إلى أن كعباً وبجيراً كانا بمكان يسمى أبرق العَزَّاف، وهو في طريق القاصد إلى يثرب من جنوب العراق (البصرة)، وقد خلف بجير أخاه كعباً فيه ليستطلع نبأ النبي صلى الله عليه وسلم بعد حصار الطائف، فأدركه وأسلم وأرسل لأخيه كعب بذلك فغضب عليه، والشاعر لم يذكر اسم المكان الذي نزلته سعاد غير أنه بأرض بعيدة، وقد قطع الرحلة إليها في ظروف قاسية ونجح في اجتياز الصحراء، لكنه بعد أن وصف الناقة والرحلة لم يذكر شيئاً عن لقائه سعاد، ولم يعد إلى ذكرها ثانية فقد انقطع الحديث عنها بعد أن نزلت أرضاً بعيدة. وقد عايشناه في رحلته، وقد بلغت الناقة منتهى سرعتها، فإذا هو محاط بالوشاة:

يَـــــــسْعَى الوُشـــــــاة جَنَابَيهَـــــــا وَقَـــــــوْلُهُم

إنّـــــــكَ يـــــــا ابـــــــن أبي سُـــــــلْمى لمَقْتُـــــــولُ

وتمثل الأبيات التي وصلت بين مضامين القصيدة النقلات أو الفواصل التي تصل جزء بجزء، فقد انتقل الشاعر من الحديث عن سعاد إلى الحديث عن الناقة بقوله:

أمْـــــــستْ سُـــــــعادُ بِـــــــأرضٍ لا يُبلّغهـــــــا

إلا العِتَـــــــــاقُ النَّجِيبَـــــــــاتُ المَراسِـــــــــيلُ

وَلَـــــــــنْ يُبلِّغهـــــــا إلا عُـــــــــذا فِـــــــرةٌ

فِيهَـــــــا عَـــــــلَى الأَيـــــــنِ إرْقَـــــــالٌ وتَبْغِيـــــــلُ

أحسن الشاعر التخلص من الحديث عن سعاد، فقد جعل الحديث عن الناقة بسبب من الاستهلال الذي تحدث فيه عن سعاد، فقد نزلت أرضاً بعيدة يصعب السفر إليها، وهذه الرحلة تطلبت نوقاً قوية تجيد السير في طرق وعرة وظروف قاسية، فقد استهل الحديث عن الناقة بصفات خاصة فريدة للناقة التي تحمله إلى سعاد، ثم انطلق يصف الناقة، وقد استغرقه وصف قوتها وقدرتها على السفر، وقد بلغ ذلك عشرين بيتاً،

تحدث فيها عن الناقة وقدرتها على السير وهي لا تتوقف، وقد شوق المتلقي إلى معرفة نهاية الرحلة بعد أن اطمأن أن الناقة قد نجحت في قطع المفازة القاسية.

والشاعر في حديثه عن الرحلة أعلن في مقدمتها أنه سيخوض رحلة شاقة ليصل إلى أرض بعيدة نزلتها سعاد، وخاض في حديث طويل عن الناقة والرحلة، والنتيجة المتوقعة أن يصل بعد المعاناة إلى سعاد فيحظى بها، لكنه لم يلق سعاد بل الوشاة، الذين أحاطوا بالناقة، فتحول الشاعر عن قصد سعاد إلى قصد آخر، وقد أعلنه بعد أن وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد عمى مقصد رحلته في أول القصيدة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قطع رحلته للوصول إليه فقال:

مــــا زلــــت أقتطـــع البيــــداء مــــدرّعاً
جُـــنْحَ الظــــلام وثـــوب الليــــل مــــسدول

حتَـــــى وَضـــــعْتُ يَمِينِـــــي لا أُنازعُـــــه
فِي كـــــفِّ ذِي نَقِـــــماتٍ قِيلُـــــه القِيـــــلُ

وقد صرح الشاعر بذلك بعد أن لقى الوشاة، وتخلى عنه الأصدقاء، وقد عبر عن هذا الموقف قبل أن يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأول من استقبله بعد سفر طويل شاق حرص على الانتهاء منه سريعاً الوشاة، وقد حاولوا أن يصرفوه فلم يطعهم. والوشاة (جمع واشٍ) اسم فاعل، ويراد به الشخص الذي سعى به، فأخبر عنه كذباً، وأغرى به من سعى به إليه، ويستدعي لفظ «الواشي» تاريخاً سيئاً لدوره الواشي في الإفساد بين الأحبة، قال النابغة الذبياني [(١)] :

لـــئن كنـــت قـــد بُلّغـــت عنـــي خيانـــةً
لمبلغـــك الـــواشي أغـــشُّ وأكـــذبُ

ومثله العاذل الذي يفرق بين الأحبة بحديثه، قال عنترة [(٢)] :

وفـــضلت البعـــادَ عـــلى التـــداني
وأخفيـــت الهـــوى وكتمـــت سرّى

ولأبقـــــي لعـــــذَّالي مجـــــالاً
ولا أشـــفي العـــدوّ بهتـــك عـــرضي

والواشي عند كعب سعي به عند النبي صلى الله عليه وسلم فنقل إليه ما أغضبه عليه، وهذا سبب عدم التفاته إليهم، فهم غير أوفياء، ولا يريدون به خيراً قال:

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص١٧ .
(٢) الديوان، ص ١١٣ .

يَسْعَى الوُشاة جَنَابَيهَا وَقَوْلُهُم

إنّكَ يا ابن أبي سُلْمى لَمَقْتُولُ

ولم يصل الشاعر إلى منزل سعاد بل وصل إلى موضع لقيه فيه من سعى به ليقتل، وقد تبرأ أخلاّؤه:

وَقَال كُلّ خَليلٍ كُنْتُ آمُلُهُ

لا أُلهينَّك إني عَنكَ مَشْغُولُ

فانتفض ثائراً غير مستسلم أو قانت:

فَقُلْتُ خلوا سَبِيلي لاَ أَبَا لَكُمُ

فَكلُّ ما قَدّرَ الرَّحمن مَفْعُولُ

ثم أرسل بيتاً بلغ فيه الحكمة:

كُلّ ابن أُنْثَى وإنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ

يوْماً على آلةٍ حدْباءَ محْمُولُ

فقد رضي بقدره، ثم قال:

أنْبئتُ أَنَّ رَسُولَ الـلـه أوْعَدَني

وَالعَفُو عِنْدَ رَسُول الـلـهِ مَأمُولُ

بني الفعل للمجهول أنبئت: أخبرت، وقد أسنده لمفعوله ليستعطف به النبي صلى الله عليه وسلم فجعله للمجهول، وهذا أبلغ، فالعرب تقول: روي، وسمعت، وعلمت وقيل لي، وأخبرت، وجاءني كذا، تعريضاً بالعفو، لتصرف المخاطب عن غضبه وعقابه، ومن ذلك قول النابغة الذيباني معتذراً إلى النعمان بن المنذر:

أُنبئت أن أبا قابوس أوعدني   ولا قرار على زأر من الأسد

وقال: أيضاً [(١)] :

أتاني-أبيت اللعن- أنك لمتنى   وتلك التي أهتم منها وأنصب

وقد أردف كعب ذلك بجملة اسمية: «والعفو عند رسول الـلـه مأمول» أرسلها اسمية تأكيداً لحقيقة عرفها الناس عنه صلى الـلـه عليه وسلم ، وقد أعاد ذكرا اسم الرسول للتعظيم والاسترحام، وفيه اعتراف بنبوته ورسالته وهذا مقتض للعفو. وجعل عند في موضع «من» تكثيراً لما في خلق رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم من الصفات الحسنة.

ثم طلب منه صلى الـلـه عليه وسلم ألا يعجل بلومه أو عقابه، فطلب الرفق به والأناة في أمره فقال: «مهلاً» وهو مصدر قام

---

(١) ارجع إلى: الأغاني، جـ١٥٤/٧ .

مقام الفعل وأصله: إمهالاً، ثم قال: هداك الذي أعطاك نافلة القرآن، وقد أوقعه في الماضي تيمناً بالحدوث والخير فساقه في زمن التحقيق (الماضي)، وهذا أبلغ مثل: غفر اللـه لك، ورحمك، وصلى اللـه على محمد، ثم تبرأ مما نسب إليه:

لا تأْخُـــذَنِّي بِـــأقْوَالِ الوُشَـــاةِ وَلَـــمْ
أُذْنِـــبْ وإنْ كَـــثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيـــلُ

الفعل في ظاهره نهي، وغرضه التضرع ، وقد أكده بالنون ، وقد أسند الفعل إلى المفعول في المعنى في: وإن كثرت فيّ الأقاويل، لأنها مجهولة القائل، فلا حجة فيها. وقوله: ولم أذنب حال؛ فالعقاب لا يقام في حال كونه غير مذنب، فقد انتفت أسبابه، فأقام الحجة لبراءته وقد حذف جواب الشرط لتقدم معناه في قوله: وإن كثرت فيَّ الأقاويل فلا تؤاخذني وأنا غير مذنب.

وقد نال العفو ، فأعقبه بمديح شاكراً عفوه، فالمديح مترتب على إحسان، وليس عن عطية، وهذا أبلغ في مقام الصدق خلافاً لمن مدح لينال جائزة المدح، وهذا يرد قول من زعم أنه مدح رهبة عن غير صدق، وما كان ليخادع فينافق رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم والوحي ينزل عليه ولما قبل اعتذاره ولم يرجع عن اعتذاره أو إيمانه من بعد [(١)] .

الأثر الديني والثقافي والبيئي:

كانت الثقافة العربية قبل الإسلام محدودة لا تتجاوز المعارف البسيطة، فلم تظهر المدارس الفكرية ولم ينشغلوا بالفلسفة، وقليل منهم تأثر بالثقافة اليونانية والفارسية، وأولئك الذين عاشوا في الشام والعراق، وقد اعتنق بعضهم اليهودية أو المسيحية، وتأثر بعضهم بالسريان الذين كانوا على صلة بالمعرفة اليونانية، بيد أن العرب في الجزيرة

(١) قال الدكتور زكي مبارك إن كعباً لم ينظم قصيدته إلا في سبيل النجاة من القتل. المدائح النبوية ص١٨، فلم يقل قصيدته عن عاطفة دينية بل لينال العفو، ورأى أنها تخلو من الروح، وهي على ما هي من قوة السبك تخلوا من الروح فقد مدح لينجو من القتل «... ومن كان في مثل حاله لا ينتظر منه صدق الثناء» ص٢٥ ، وهذا الرأي يخالف آراء القدماء فيها، وولعهم بها، والتشكيك في صدق كعب حدث مثله في مدائح حسان بن ثابت فقد اتهم هو الآخر بعدم الصدق في مدح رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، والرسول نفسه أعجب بشعره ودعا له بخير وأعطاه على شعره، وقد الوحي ينزل عليه صلى اللـه عليه وسلم .ولكن الدهريين نالوا من الشعراء ذوى الهوية الدينية.

كانوا بمنأى عن هذه الثقافة فبقيت عقولهم صافية، فاستوعبت الإسلام دون لبس وتكشفت لهم عقيدة التوحيد، فالوثنية انهارت ولم تثبت أمام التوحيد الخالص لله، وأصبحت الوثنية «لا شيء» ، قال بجير موبخاً أخاه كعب على تمسكه بوثنية آبائه (١) :

فــــدين زهـــير وهـــو لاشيء دينـــه   وديــــن أبي ســـلمى عـــليّ محـــرَّم

ولا تمثل عقيدة كعب الجاهلية أيدلوجية لها روافد فكرية، فليس له نسق عقدي غير ما كان يعبد آباؤه، ولكنه ازداد يقيناً بالقدر بعد أن توجه للإسلام، وقد عبر عن ذلك بثورته على الوشاة الذي خوفوه لقاء النبي صلى اللــه عليه وسلم لما أحدثه ضد الإسلام ومظاهرته المشاركين:

فَقُلْـــــتُ خلــــوا سَـــبِيلي لاَ أَبَـــا لَكُـــمُ

فَكُــــلُّ مــــا قَـــدّرَ الــــرَّحمن مَفْعُــــولُ

كُــــلّ ابــــن أُنْثَـــى وإنْ طَالَــــتْ سَــــلامَتُهُ

يوْمــــاً عـــــلى آلــــةٍ حــــدْباءَ محْمُــــولُ

قوله: «كل ما قدر الرحمن مفعول» إيمان بالقدر خيره وشره، وهذا يؤكد إيمانه الصادق، وليس ما قيل إنه اعتذر خشية القتل، وحده وأنه مدح على ما يمدح به الجاهليون، وليس ذلك بمذمة فالرجل حديث عهد بالإسلام، وهذا شأن الشعراء المخضرمين، ووقع التأثير في الإسلاميين الذين ولدوا في الإسلام، ولا يخلوا شعر كعب من هذا التأثير، فبعض الألفاظ والتراكيب ذات دلالة إسلامية نحو قوله:

أُنْبئـــــتُ أَنَّ رَسُـــــولَ اللــــــه أوْعَـــــدَني

وَالعَفْــــوُ عِنْـــــدَ رَسُــــول اللــــــهِ مَــــأمُولُ

مَهْـــــلاً هَــــدَاكَ الـــــذِي أَعْطَـــاكَ نَافِلَـــةَ

القُـــــرْآن فِيهَــــــا مَــــــواعِيظٌ وتَفــــــصيلُ

فرسول اللــه، والعفو، والهدي، ونافلة القرآن، والمواعيظ ألفاظ إسلامية.

ولا نزعم أن قصيدة كعب أثراً دينياً خالصاً، فالرجل لما يعرف كثيراً عن الإسلام، ولما يتشرب معارفه وقد قال قصيدته، وهو مقبل عليه. والثقافة والبيئة من

---

(٢) شرح ديوان كعب، لأبي سعيد الحسن بن الحسين، ص٤.

المؤثرات الرئيسة في العمل الأدبي [1]، وقد ولـد كعـب لـشاعر كبـير زهـير بـن أبي سـلمى المزني، وهو من الطبقة الأولى، ومن الشعراء المقدمين عند أهل الحجاز [2] .

وقد كان شعره سهلاً دون تعقيد فيتبع بعضه بعضاً حتـى يتماسـك، وينـأى عـن الغريـب ويمدح الرجل بما فيه [3]. وشعره جزل محكم جـامع المعـاني فجمـع كثـير المعنـى في قليـل مـن المنطق، ويضمنه الحكمة والأمثال، فتمثل الناس به، وكان يمدح الرجل بما فيه، وقد تأثر كعـب بوالده، فشعره جزل محكم ويعبر عن المعنى بلفظ قليل، ولا يغرب في اللفظ ولا يعقد المعنـى فيرسل شعره سهلاً دون تكلف[4] .

وقد أرسل الحكمة دون اصطناع في موضعها من كلامه، ومن أقواله السائرة:

كُــــلّ ابــــن أُنْثَــــى وإنْ طَاَلَـــتْ سَــــلامَتُهُ

يوْمــــاً عــــلى آلــــةٍ حــــدْباءَ محْمُــــولُ

ومن أشهر مدائحه بل من أشهر أبيات المدح قوله في النبي صلى اللـه عليه وسلم [5]:

إنَّ الرَّسُـــــولَ لَــــسَيفٌ يُسْتَــــضَاءُ بـــــهِ

مُهَنَّــــدٌ مِــــنْ سُــــيوفِ اللــــه مَــــسْلولُ

وهو مما يستهل به بعض الخطباء خطبهم المداحون، وأغرى هذا المـديح بعـض الـشعراء بأن يقولوا مثله فأعيا بعضهم، وأصاب معناه آخرون.

وقد عاش كعب في بيئة صحراوية لها طابع بـدوي، وهـذه البيئـة أفـضل للـشعراء الـذين يعيشون غربة ومعاناة، فيسبحون في رحابها ويتسع خيالهم في بواديهـا وأوديتهـا وبـين جبالهـا وفوق رمالها التي تكسو السهول والأودية، وهذه بيئة فقيرة تشح على أبنائها، فزاد ذلك معاناة الشعراء الذين يبحثون عن كنف دافئ، فتشعل تلك المعاناة قرائحهم فتفيض شعراً.

ولهذه البيئة أثر في قصيدته: فقد جعلته أكثر ارتباطـاً بناقتـه التـي تعـد ركوبتـه المفـضلة للنجاء من الصحراء، وهي أقدر من غيرها على مواجهة ظروف الطبيعة

---

(١) مدرسة زهير: كعب ابنه ، ولبيد، والنابغة الجعدي، والحطيئة ، والشَّمَّاخ ، وخداش بن زهير.
(٢) طبقات فحول الشعراء، ١/٥١، ٦٣ .
(٣) طبقات فحول الشعراء، ١/ ٦٣ .
(٤) وضع ابن سلام كعب بن زهير في الطبقة الثانية مع أوس بن حجر .
(٥) روي : إن الرسول لنور يستضاء به.

القاسية، وقد اتخذها الشاعر مركباً، ليصل إلى الأرض البعيدة التي نزلتها سعاد، وقد وصفها الشاعر وصفاً دقيقاً، واسترسل في الحديث عنها وقدرتها على السير، وامتدح خلالها وقوتها وملاسة جسدها وسرعتها بعد أن ذم خلق سعاد، وأطال الحديث عنها وأوجز الحديث عن سعاد، وهذا شأن كثير من الشعراء يصفون النوق بعد الاستهلال ويطيلون في الوصف ويكثرون الحديث عنها، ويرجع ذلك إلى أهمية الناقة في البيئة الصحراوية، فهي وسيلة النجاة التي تنجيهم من الهلاك في المفاوز ولطول صحبتهم إياها، ولأنها رفيق السفر الوفي الذي يشارك صاحبه معناه السفر. والبيئة على اتساعها شحيحة الأحياء، فلم يجد الشاعر منها سوى الجنادب التي تفر من الحر الشديد، فشعر الشاعر بالوحدة، ولم يجد إلا ناقته في هذه البيئة الموحشة فازداد تعلقاً بها.

والشاعر البدوي يستطيع أن يصف معالم الصحراء، فيصور الجبال ويصف حركة الرمال والحصا والرياح وأثر الحر الشديد في الحياة الصحراوية والسراب الذي يخيله للرائي، وقيمة الماء وفعل الرياح في ماء الأودية والنباتات التي تنمو بها وبعض الحيوانات التي تعيش بها، وقد تفاعل الشاعر معها تفاعلاً مباشراً فوصفها وشبه بها واستعار منها بعض صوره، وتأثر شعراء الحضر بتشبيهات شعراء البادية وصورهم واستعاروا منهم الألفاظ، فامتد أثر البيئة الصحراوية إلى الحواضر، فالبيئة الممتدة في رحاب الصحراء وصفائها والهدوء القاتل وقلة الملاهي وندرة المعارف المتاحة جعلت الشعر الفن الأول والمتعة الأولى في المجالس والأندية والأسواق والمناسبات، فتباروا فيه فقاله السادة وتفاخروا به وجعلوه من مفاخرهم وسُؤددهم، واحترفه رجال وتكسبوا منه وخشيتهم العرب لأثر الشعر فيهم، فقد كان الشعر وسيلة الإعلام الأولى في البيئة أو المدية المؤثرة في حياتهم، فالعرب تتناقل الأشعار وترددها وتحفظها، فهي لا تهلك بهلاك من قالها ومن قيلت فيهم، فأبناء القبائل كانوا يحفظون شعر سادتهم وشعرائهم، وامتدت الرواية فيه حتى دون في القرن الأول والثاني الهجريين، وهذا من كلف العرب رعايتهم له، وهو المصدر الثالث بعد القرآن والحديث الشريف عند اللغويين، وهو مرجع تاريخي أيضاً.

الفصل الثالث

الربط النخوي (التركيبي)

أ- ترابط الجملة

علاقة الجملة بالنص يدرسها علم دلالة النص Text semantics الذي يتجاوز معنى الجملة المفردة إلى بحث العلاقات بين الجمل التي تشكل النص والمعاني النصية التي تتحقق من ترابطها في سياق لغوي متصل، فيبحث الصلات الدلالية التي تتجاوز دلالة الجمل المفردة، في ضوء نص ممتد، وهذا ما يعرف بنحو النص.

ومعنى الكلمات المفردة مختلف عن معناها النصي فمعناها النصي أعم من معناها المعجمي المحدود، فالمعنى النصي معنى سياق، وتتداخل العلاقات بين الكلمات وتتشابك، فالنص يضيف للمعاني المعجمية معانٍ نصية جديدة، فعلم دلالة النص يعتمد على ترابط الجملة وتشابكها الدلالي وموضوعية النص على أسس التركيب العميق للنص، ويبحث أثر العوامل الخارجية في النص وعناصر الاتصال المؤثرة في النص (1) .

والجملة في اصطلاح النحاة تركيب معقود على معاني النحو تمت به الفائدة واستقام به المعنى المراد وحسن السكوت عليه، فالألفاظ المتلاصقة دون توخي معاني النحو ومعانيها المعجمية، ليست بجملة، فلا اعتبار بالألفاظ المهملة واعتبار بالكلام المضطرب الذي يخالف عرف النحو.

والجملة تتماسك على مستوى الدلالة (معاني المفردات) ومستوى معاني النحو، فالألفاظ ترتب في الجمل بمقتضى وظائفها النحوية، والنحو انتحاء سمت كلام العرب في الأبنية والجمل، أو العلم الذي يختص بنظم الكلم في جمل على ما تكلمت به العرب الفصحاء واستقام به المعنى، فموضوع علم النحو الجملة المخصوصة بمعنى وضعت له، فالمتكلم في ترتيبه ألفاظ الجملة يتوخى فيها معاني النحو، فيضع كلامه على ما يقتضيه علم النحو، فلا فصل بين ترتيب الجملة ودلالتها، ولم يفصل علماء

---

(1) ارجع إلى: علم الدلالة دراسة في المعنى والمنهج، الدكتور محمود جاب الرب، ط١٩٩١/١م، عامر للطباعة والنشر، المنصورة ص٤٥، ٤٦ .

العربية بين شكل الجملة ومعناها [1].

وقد زعم بعض الباحثين المحدثين أن الجمل المصنوعة التي لا تقبل منطقياً صحيحة نحوياً مثل: أكل زيد عمْراً، مقبولة نحوياً ولكنها غير مقبولة دلالياً، وهذا قول فاسد على الحقيقة؛ لأن الجمل الصحيحة تحمل إفادة يرضاها العرف العربي في التعبير، فالجملة تقبل مجازاً على تأويل ولا تقبل حقيقة، فالمعنى المجازى: أكل ماله أو هزمه أو غلبه، ولكنها على الحقيقة لا يقبلها عقل، فهي فاسدة، وليست بصحيحة إن أراد المتكلم بها معنى حقيقياً، فمعناها فاسد لعدم قبول العقل لها، فإسناد فعل الأكل إلى زيد ووقوع الفعل على عمرو لا يقبله العرف الاجتماعي إلا بحمله على معنى مجازى ، فلا يراد ظاهر لفظه بل معنى يتأوله المتلقي.

وقد زعموا أن نحاة العربية صنعوا جملاً ولم يشترطوا قبولها عقلاً، وهذا غير صحيح، لأنهم جعلوا أساس الجملة الإفادة، فإن لم تكن ذات إفادة، فهي قول فاسد، والجمل التي اتخذها النحاة أمثلة ذات إفادة نحو: ضرب زيد عمراً. وجاء زيد، ومر زيد بعمرو، صحيحة لفظاً ومعنى ولا عبرة بما لا يحمل إفادة أو ما لا يواقع العالم الخارجي في معرفة المتلقي، والذين أجازوا شكل الجملة دون مضمونها هم أصحاب المدرسة الشكلية التي اهتمت بالتركيب ولم تعتد بمعناه، ولم يقل بذلك العرب.

والحكم على الجملة بالصدق والكذب لا يفسد بناءها؛ لأنها في الظاهر حملت معنى مفيداً وإن كان كذباً، نحو: نجح زيد، وهو راسب، جملة صحيحة لفظاً ومعنى، لأن معناها في ذاتها، فهي تتضمن نجاح زيد، ولا يطبلها كذبها، فصحتها في إخبارها عن معنى يريد المتكلم إقناع المتلقي به، وهذا القول يحتمل التصديق والتكذيب والحكم على المعنى الذي أفاده، وقولنا: ولدت الدجاجة، غير صحيح؛ لأنه يخالف حقيقة ثابتة في وعي المتلقين أن الدجاج يبيض ولا يلد، وهذا يخالف ما يخبر المتلقي به من إفادة يجهلها نحو: مات زيد، ولا يعلم بموته قبل، فالحكم عليه بالصدق والكذب لا يفسد تركيبه، فما يتحدث به الكذابون جملاً صحيحة لفظاً ومعنى، وصحة المعنى فيه تقوم على جواز إسناد الفعل للفاعل حقيقة أو مجازاً، ثم يحكم المتلقي عليها

---

(١) ارجع إلى: الخصائص، جـ١/٣٤،ومفتاح العلوم، السكاكي،دار الكتب العلمية بيروت،ص٧٥ ودلائل الإعجاز،ص٥١

بالصدق والكذب نحو قول الإسرائيلي هزمت إسرائيل مصر عام ١٩٧٣م، وقول المصري: هزمت مصر إسرائيل عام ١٩٧٣م، هما قولان صحيحان نحوياً ودلالياً، بيد أن الأول كاذب لمخالفة الواقع، بيد أنه مقبول لغة، لأنه صحيح باعتبار دلالته على الكذب والثاني صادق، فالأول صحيح دلالياً لصحة إسناد الفعل إلى الفاعل خلافاً لقولنا: ولدت الدجاجة، جملة غير صحيحة، لأن فعل الولادة لا يصح إسناده إلى الدجاجة، لمخالفته الواقع ووعي المتلقي الذي يحتكم إليه في الحكم على معاني الجمل [(١)].

وقولنا: زيد كريم، وهو بخيل صحيح نحوياً ودلالياً، وزيد واحد منهم فإسناد الكرم إلى جنس الإنسان صحيح، وفقدان الكرم في زيد، لا يفسد الجملة بل يفيد أن من حدث بذلك كاذب لعدم صحة ذلك في زيد.

ونصل من هذا إلى أن القول الفاسد فاسد لفظاً ومعنى أو فاسد معنى لعدم صحة الإسناد فيه، والكاذب ما تضمن معنى مفيداً لا يواقع الحقيقة التي توافق معرفة المتلقي نحو: نجح زيد، وهو راسب، فهو صحيح في دلالته على معنى لا يصادق الحقيقة المعلنة في الظاهر، كقول الكافر: لا إله في العالم، قول صحيح لغة بيد أنه دل على ما يخالف العقيدة التي يعتقدها المؤمن، فهو قول فاسد اعتقاداً صحيح لغة لدلالته على عقيدة الكفر عند أهلها .

والمعاني المجازية لا تفسد الجمل لتعارف العرف اللغوي عليها ووجود قرينة تدل عليها نحو: طار زيد فرحاً. فقولنا «فرحاً» قرينة تدل على عدم إرادة المعنى المباشر وهو نسبة الطيران إلى زيد بل المعنى المفهوم من مضمون ألفاظ الجملة وهو شدة الفرح، وأصحاب اللغة سبقوا إلى ذلك قبل استنباط العلماء القواعد، فقد صارت عرفاً في الخطاب اليومي كقول القائل لمن تحت يده: طر وائتني بكذا، يريد السرعة في إنجاز الفعل، وقولنا: فلان يعيش في ظلام، نريد: الجهل، وهو مثل قولنا: فلان يعيش في كهف، ولم يعد الكهف مسكناً، وقد صار رمزاً إلى عصور غابرة، ورمزنا به إلى الجهل والتخلف والبدائية. وهذه المعاني البلاغية متعارف عليها بين أصحاب اللغة، ويتأثرون بها أكثر من تأثرهم بالألفاظ على حقيقتها.

---

(١) ارجع إلى: نهاية فى دراية الإعجاز، فخر الدين الرازى، تحقيق نصر الله خفاجى، دار صادر، بيروت، ط١/ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، ص ٧٣، ٨٧.

وقد ناقش ابن جني استقامة معنى الجملة من استحالته، كأن تنقض أوّل كلامك بآخره، كقولك: قمت غداً، وسأقوم أمس، فزمن الماضي يناقض دلالة الظرف [1] فأول الكلام ينقض آخره، ويجوز مناقضة المراد ظاهر اللفظ لمعنى بلاغي كالدعاء: أعزك الله، وغفر الله لك، بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال، فجعله في الماضي تيمناً بالإجابة وتفاؤلاً ، فعدل عن زمن الاستقبال لهذا المعنى.

والأصل أن تتفق أزمنة الجمل نحو: ذهب محمد وأتى ثم نام، كلها في الماضي، فلا يجوز إدخال المضارع ، وجاز ذلك لبعض المعاني، قال رجل من بني سلول[2]:

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يسبني فمضيتُ ثمت قلت لا يعنيني

حكم الأفعال أن تأتي في زمن واحد لمعنى واحد، ولكنه لمعنى غيّر زمنها، وذلك للحكي فيصرف الماضي إلى المضارع استحضاراً لزمن الحكي، فيحكي الحال الماضية في المضارع، والأصل: ولقد مررت على اللئيم وهو يسبني فمضيت وقلت لا يعنيني ، فأمر بمعنى مررت، ولكنه حكاه في الماضي على لفظه المضارع استحضاراً للموقف. وقد فعل كعب ذلك للحكاية عن الماضي: فقد وصف أسنان سعاد حال رؤيته لها في الماضي فقال: تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت، فاستحضر جلو أسنانها وصفاء لعابها في زمن الحكي.

ووصف تنقية الرياح ماء المنخفض:

تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عَنْهُ وأَفرَطَهُ

مِنْ صَوْبِ سَاريةٍ بِيْضٌ يَعالِيلُ

فوصف إزالة الرياح القذى عن الماء، وقد ألقت به سحابة بيضاء، فحكي الحال الماضية والحال لفظها أبداً بالمضارع [3] ، وقد يعدل المتكلم عن المضارع إلى الماضي لمعنى يطلبه، مثل الدعاء بالماضي للتحقيق والحدوث.

---

(١) الخصائص، جـ٣/٣٣٣.

(٢) قيل لرجل من بني سلول، وقيل هو لشمر بن عمرو الحنفي، الأصمعيات رقم: ٣٨، والكتاب لسيبويه، ط الهيئة، جـ١/٤١٦، وخزانة الأدب، عمر البغدادي، دار صادر، بيروت، ١/١٧٣ ، وتفسير الطبري، ٢/٣٥١ ، ودلائل الإعجاز، ص ٢٠٦ ، والخصائص، جـ٣/٣٣٣.

(٣) الخصائص، جـ٣/٣٢٥ .

وقال الطرماح [1] :

وإني لآتـــيكم نـــشكر مـــا مـــضى   مـن الأمـر واسـتيجاب مـا كـان في غـد

أي ما يكون في غد، فجعل ما في غد في زمن الماضي رغبة في تحقيقه وثقة بوقوعه، ليكون المعنى: إن الجميل منكم واقع متى أريد، وواجب متى طلب.

والأصل في الأفعال أن تأتي في زمن واحد في سياق واحد نحو قول كعب:

أَرجُـــــو وآمــــــلُ أنْ تَـــــدْنو موَدَّتُهـــــا

ومـــــا إخــــالُ لَـــــدَيْنَا مِنْـــــك تَنْوِيـــــلُ

عطف مضارع على مضارع، والعطف بالواو لأنهما بمعنى واحد. وقد جـاءت أو في موضـع الواو نحو قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَـةً أَوْ إِثْمـاً﴾** [النـساء:١١٢]. وجعـل إخـال - وهـي بمعنى أظن – في المضارع أيضاً.

ويجوز أن يعدل عن هذا الأصل إلى المخالفة بين الأزمنـة لمعنـى مقيّـد بهـا، ليكـون ذلـك دليلاً على المراد منها، وذلك إن أمِن اللبس وقع بعضها موقع بعض، ومنها الحكي عما كان، قـال كعب:

وَقَـــــال كُـــــلُّ خَليـــــلٍ كُنْـــــتُ آمُلُـــــهُ

لا أُلهينَّــــــــــك إني عَنــــــــــكَ مَــــــــــشْغُولُ

«كنت آمله» جملة صفة، وآمله في المضارع حكياً، وهذا لمعنى التحسر، فقـد كـان يعتقـد أن وفاءه دائم، و«كنت» ماض، لانقطاع أمله في الحاضر.

والأصل في الشرط أن يكون للاستقبال، ويجوز الماضي لمعنى فيه نحـو: إن قمـتُ جلـست، لأن الـشرط معلـوم أنـه لا يـصح إلا مـع الاسـتقبال، فالجملـة التـي ظاهرهـا مـاض المـراد بهـا الاستقبال [2] ، فلا لبس في وقوعه في المستقبل، فلم يضره أن يكون زمنـه ماضـياً تحقيقـاً للأمـر وتثبيتاً له، فالمراد ربط الثاني بالأول، ويجوز أن يقدر ماضياً[3] ، قال كعب:

---

(١) الديوان، ص ١٤٦ .
(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص ٨٢ .
(٣) نفسه.

تَجْلـــــو عَـــــوارِضَ ذِي ظَلْـــــمٍ إذا ابتَــــسَمتْ
كأنـــــــهُ مُنهَـــــــلٌ بـــــــالرَّاح مَعْلـــــــولُ

إن قدر في إذا معنى الشرط، فالجواب: إذا ابتسمت جلت، وقد دل على هذا المعنى تجلو، والمرجح في إذا النصب على الظرفية، والناصب تجلو، كقوله تعالى: **﴿وَالَّـذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾** [الشورى:٣٩] .

والتفضيل فيه مفضل ومفضل عليه ووجه التفضيل، قال تعالى: **﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾** [الكهف:٣٤] فلا يجوز فيما ليس فيه تفضيل نحو: زيد أفضل إخوته، فلا يجوز التفاضل في الإخوة بل في شيء يتفاضلون فيه نحو: أفضلهم مالاً أو خلقاً، فزيد لا يدخل في الإخوة مثل: اللحم أفضل الطعام، ولكن مسمى الإخوة لا يدخل فيه فهو ليس أخاً لنفسه بل هم إخوته، فهم مضافون إليه، فالواحد بعض العشرة، ولكن زيداً لا يدخل في مسمى إخوته، والشيء لا يضاف إلى نفسه، والصواب أن يقال: زيد أفضل بني أبيه، فهم شركاء في البنوة، ولك أن تقول: أفضل من إخوته، لأن الإضافة ترتفع بدخول من ، ومن الأقوال الفاسدة: زيد أفضل الكتب، فزيد ليس كتاباً، وقولنا «أحق الناس بمال أبيه ابنه» قول فاسد، فهو مستحق لمال أبيه وليس في ذلك مفاضلة، فالمعنى على ما سبق أحق الناس بمال أبيه أحق الناس بمال أبيه، لأن الأبوة تنطوي على البنوة، فجرى القول السابق مجرى قولنا: زيد زيد، والقائم القائم.

فالجزء الثاني لا يتضمن فائدة في المبتدأ فلا يخبر بالشيء عن نفسه، فالخبر فيه إفادة ليست مستفادة من المبتدأ نحو: زيد طويل [1] . وقولنا: الرجل ذكر ، ليست فيه إفادة، لأن الأول يغني عن الثاني، ومثلها: البنت أنثى، ومثل زوج المرأة العاقد عليها، فزوج تغني عن العقد، فليس الزوج زوجاً دون عقد، فمسمى الزوج يقتضي صحة العقد.

ويجوز تكرار لفظ المبتدأ في الخبر إن تضمن معنى مستفاداً نحو: الرجل رجل بمعنى القوة والقوامة، وهذا يخالف في المعنى قولنا: الزوجة المعقود عليها، لأنها لا تكون

(١) ارجع إلى: الخصائص، جـ٣/٣٣٩ .

زوجة إلا بعقد فمسمى الزوجة يسقط دون العقد، وهذه الجمل في ظاهرها تشاكل الترتيب المعهود في علم النحو، ولكن العلماء أهملوها لعدم قبولها عقلاً أو لأن أولها ينقض آخرها في المعنى.

ويجوز مغايرة شكل الجمل لظاهر قواعد النحو حملاً على معاني الألفاظ أو حملاً على اللفظ، قال تعالى: **﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾** [مريم:٩٥] وحَّدَ حملاً على لفظ «كل»، ومثلها قوله تعالى: **﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾** [الكهف:٣٣] كلتا بمعنى المثنى المؤنث، فوَّحد على اللفظ، وأسند إلى المفردة [(١)] .

ويجوز ذلك في التذكير والتأنيث، قال تعالى: **﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾** [النحل:٦٦] حمل الأنعام على التذكير، وهي جمع يجوز فيه التذكير على معنى «جمع»، والتأنيث على معنى جماعة، وحمل على التأنيث في قوله تعالى:**﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾** [المؤمنون: ٢١] ، الأنعام جمع النَّعم، ويراد بها الإبل[(٢)]. ومثله قوله تعالى في مريم: **﴿وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ ﴾** [التحريم:١٢]، والنحو يقتضي في الظاهر: من القانتات، فجاء مذكراً للتغليب مدحاً لها، فقد بلغت منزلتهم وقدرتهم على العبادة، وقيل المعنى: وكانت من أهل بيت قانتين، أو ولدت من القانتين ، فلا حمل فيها على هذا المعنى [(٣)] .

وقد تكون المخالفة لظاهر اللفظ حملاً على معنى المذكر، قال تعالى: **﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾** [الأعراف:٥٦] قيل: المراد بالرحمة: المطر، وقيل الوصف بفعيل (قريب) يستوي فيه المذكر والمؤنث [(٤)] ، وقيل رحمة: مصدر والمصدر بمعنى عام من رحم، فليس بمؤنث لفظاً، وقيل التذكير لإضافة الرحمة إلى لفظ الجلالة، ويجوز اعتبار المضاف نحو: ذهبت بعض أصابعهُ وذهب بعض أصابعه [(٥)]، والمرجع اعتبار معنى المصدر فليس بمؤنث لعموم معناه. وقال تعالى: **﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ**

---

(١) نفسه، جـ٣/٣٣٨ .
(٢) ارجع إلى: الحمل على اللفظ والمعنى، الدكتور محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٥٧ .
(٣) الكشاف ، الزمخشري ، مكتبة مصر جـ٤/٤٢٩ .
(٤) الخصائص، جـ٣/١٥٩ ، وارجع إلى الحمل على اللفظ والمعنى ص ١٦١ .
(٥) بدائع الفوائد، ابن القيم، دار البيان العربي، ط١/ ٢٠٠٦، جـ٣/٩٠ ، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، جـ٤/٣١٤ ، والأشباه والنظائر، السيوطي، المكتبة العصرية، جـ٢/٢٣٨ .

مِنْ النِّسَاءِ﴾ [الأحـزاب:٣٢] ولم يقـل كواحـدة، لأن الموضـع موضـع عمـوم، فغلـب فيـه التذكير، ومعنى العموم لا يتحقق من: ليست كل واحدة منكن كواحدة من النساء [١] ، ويمكـن توجيه قوله تعـالى في مـريم: (وكانـت مـن القـانتين) أن المـراد معنـى العمـوم، فهـي في جملـة القانتين رجالاً ونساءً و اللـه أعلم. وما خالف ظاهر لفظه قواعد النحو في الكلام الفصيح حمل على المعنى وتأول العلماء فيه معاني تتسق مع ظاهر قواعد النحو.

ولا يعد الكلام صحيحاً إلا بمعنى مفيد يدل عليه لفظه، ولا يعتد بـه كلامـاً إن خـرج عـلى الوظائف النحوية المألوفة ومعاني النحو، ويراد بمعـاني النحـو: صـحة إسـناد الفعـل إلى الفاعـل وصحة الإخبار بالخبر عن المبتدأ، فلا يجوز: «زيد هواء» على الحقيقة أو الجبل شفاف. فـالخبر لا يحقق إفادة عقلية، ولا يعتد كذلك بالتراكيب التي تخرج عن قواعد النحو نحو: زيد قامـت، وعمر قاموا، هذه ولد، فاسدة، وقد اشترط العلماء في قبولها صـحة نظمهـا عـلى قواعـد النحـو وقبول دلالتها حقيقة أو مجازاً في ضوء عرف العرب في التعبير عن المعاني المجازيـة، ومـا يجـوز فيه الحمل على لفظه أو معناه، وما شذ عن ذلك فاسد وليس بجملة، وكذلك الألفـاظ الملفقـة الموضوعة على نظم الجملة لا يعتد بها فهي رطانة.

والمعنى أساس بناء الجملة عند علماء العربية، قال عبد القاهر: «الكلـم ترتـب في النطـق بسبب ترتب معانيها في النفس» ويتوخى المتكلم في ذلك معاني النحو، وذكر عبد القاهر بعـض الأمثلة التي فسد فيها النظم، ولسوء التأليف، كالخطأ في التقديم والتأخير والحـذف والإضـمار، واشترط عبد القاهر لصحة النظم صحة معاني النحو وتناسق الدلالة وتلاقي المعاني عـلى الوجـه الذي اقتضاه العقل [٢] ، فالمتكلم يقفو الألفاظ على المعاني في الجمل، والعمل بمواقع المعـاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق [٣] .

وقد ناقش عبد القاهر الجرجاني ذلك قال: «اعلم ... أن لا نظم في الكلم ولا ترتيـب حتـى يُعلَّق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض وتُجعَل هذه بسبب من

(١) الخصائص، جـ٣/٣٣٩ .
(٢) الدلائل، ص ٥٦ .
(٣) الدلائل، ص٥٠ ، ٥٣ .

تلك» [١]، فالمعنى يربط بين أجزاء الجملة، فالكلمة بسبب من صاحبتها، فالفاعل يصلح لفعله والصفة تصلح للموصوف، ولفظ الخبر يصلح للإخبار به عن المبتدأ، وهذا عام في العلاقات بين ألفاظ التركيب، وجعل من ذلك توظيف حروف المعاني في الجمل، فالحرف يؤتى به لمعنى يتحقق من دخوله في تركيب وضع لهذا المعنى، وانتهى عبد القاهر إلى أن الألفاظ والحروف التي لا تنتظم في ترتيب قائم على معنى مقبول ليست بقول، فالألفاظ حُلل المعاني، ونظمها في جملة بمقتضى المعنى المراد منها.

واللفظ - وهو مفرد – له دلالة، فإن دخل في تركيب صارت في معنى التركيب العام، فخرج اللفظ عن دلالته الخاصة إلى دلالة سياقية ترتبط بالجملة، فالألفاظ التي دخلت في تأليف خاص تمتزج فيها المعاني وتتقارب مثلما تجاورت الألفاظ في التركيب [٢] .

والألفاظ لا تسمى كلاماً إلا بما يحسن السكوت عليه، فالكلام القول المفيد وليس رطانة دون معنى بل ما تتم به الفائدة [٣] ، ولا اعتبار بلفظ شاكل جملة ليست فيه فائدة ولا تدل كلماته على معنى مثل اللفظ الذي استبعده العلماء من التقليبات الصوتية مثل «مكل» تقليب ملك (لكم، كمل، مكل)، فقولنا: داز مكل، ليس بقول مفيد، فلا يجوز أن نعده جملة، ولا يعتد بشكل التركيب الذي أشبه الجملة الفعلية. والكلام في اصطلاح النحاة يعني اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، فيخرج منه ما لم تتم به الفائدة، والكلام عند اللغويين اسم لكل ما يتكلم به مفيداً كان أو غير مفيد [٤] .

فيشمل المستعمل كزيد وذهب، ومحمد، والمهمل نحو: «دَيْز» و «مكل» ، وقول النحاة: «الكلام لفظ مفيد»، أخرج المهمل فليس بكلام يعقدون عليه حكماً، وقولهم: مافيه فائدة يحسن السكون عليها، أخرج اللفظ مفرداً دون تركيب يشكل في سياقه معنى، فاللفظ وحيداً في جملة ألفاظ المعجم، وله معنى في سياق يجعله فيه بيد أنه

---

(١) ارجع إلى: دلائل الإعجاز، ص ٥٥ .
(٢) ارجع إلى: المثل السائر، ابن الأثير، المكتبة العصرية، جـ١/١٩٤ .
(٣) ارجع إلى: شرح ابن عقيل، دار التراث، جـ١/١٤، وارجع إلى: شرح ملحة الإعراب، الحريري، المكتبة العصرية، ص٦٢ ، ٦٣ ، وارجع إلى: الخصائص، جـ١/١٨ .
(٤) شرح ابن عقيل، جـ١/١٥، والخصائص، جـ١/١٨ .

دون تركيب لغوي، لا يسمى كلاماً مفيداً، فالكلام لا يأتلف من أقل من كلمتين، كالاسم والاسم في تركيب اسمى نحو: زيد قائم، أو فعل واسم في تركيب فعلي نحو: نام زيد، وأو ما في معنى الفعل والاسم نحو: صه اسم فعل أمر بمعنى اسكت، ومه: بمعنى اكفف، ودراك: بمعنى أدرك.

والفاعل فيها مضمر مثل إضماره في المخاطب: استقم، ففي كل منها ضمير مستتر للمخاطب، والمستتر يجرى مجرى الظاهر، فانعقد بذلك الكلام بلفظين، ومثله المسند إلى الضمير الظاهر مثل: قمت، قمتما، قمتم، قمتن [١] .

والكلام أعم من القول، فكل قول كلام وليس كل قول كلاماً، فالكلام كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، هو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: جاء زيد، وزيد أخوك، وفي الدار رجل، وصه، ومه، ورويد (تمهل).

والقول كل لفظ يخرج من اللسان تاماً كان أو ناقصاً، فالتام المفيد الجملة وما كان في معناها نحو: صه، ومه، إيه (زد)، والناقص اللفظ المفرد في غير جملة نحو: زيد، محمد، والجمل غير التامة نحو: كان أخوك، وإن أباك.

ودليل عموم الكلام قولنا: القرآن كلام الله، ولا نقول قول الله، لضيق دلالة قول على لفظه، فلا يتسع له [٢]، وقد يراد بالقول ما قيل، قال كعب:

يَسْعَى الوُشَاةُ جَنَابَيهَا وَقَوْلُهُم

إنّكَ يا ابنَ أبي سُلْمى لَمَقْتُولُ

قولهم: مرفوعة بالابتداء، والجملة بعدها خبر، وهي المبتدأ نفسه في المعنى، فلا تحتاج إلى رابط، ويروى «وقيلهم» والقيل والقول واحد، ويجوز أن تكون «قول» مصدراً ناب مناب فعله مثل سبحانه الله ومعاذ الله ، والجملة بعده في موضع نصب: قالوا إنك مقتول، والمفعول هنا ما قيل من كلام فهو قول مكتمل، ومثلها قوله: «كثرت في الأقاويل» [٣] .

---

(١) ارجع إلى: شرح ملحة الإعراب، ص ٦٣ .
(٢) ارجع إلى: الخصائص، ١٨، ١٩، ٢٠ .
(٣) مصدر قال: قولاً، وقيلاً، وقالاً، ومقالاً ، ومقالة ، وجمع قول أقوال وأقاويل، قال كعب:

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم   **أذنب وإن كثرت فيَّ الأقاويل**

والكلمة يراد بها اللفظ مفرداً نحو «بيت» ويراد بها القول المفيد مثل: كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» وكلمة الشهادة: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، فالمراد التركيب المفيد إفادة خاصة، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم [1] : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» يريد قول لبيد بن ربيعة [2] :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

وقد يراد بالكلمة الخطبة والبيان والتصريح والرسالة والحكم في شيء نحو: ألقى الرئيس كلمة، وقال فلان كلمته: حكمه، فالمراد مجموع الكلام وأطلقوا عليه كلمة لتعلقه بموقف واحد وموضوع واحد، والمشهور أن نسميه قولاً، فالقول أعم من الكلمة والكلام أعم منهما فالكلام كل ما يخرج من فيّ المتكلم صحيح أو رطانة يستعجمها المتلقي، وفائدة الجملة في دلالتها. والمعنى النحوي: صحة إسناد الكلمة حقيقة أو مجازاً، نحو نام زيد، فإسناد النوم إلى زيد حقيقة، وقولنا: طار زيد فرحاً، صحيح باعتبار معناه البعيد: شدة الفرح، وهذا المعنى تحقق من مجموع مفردات الجملة والعربية التي أفادت أن الطيران حقيقة ليس مراداً بل ما يتحقق عن شدة الفرح من الخفة والابتهاج. والمعنى المعجمي كمجموع المعاني السياقية التي يأتي بها اللفظ في جمل مختلفة، فالمعنى النحوي يتعلق بالتركيب، والمعنى المعجمي يتعلق باللفظ المفرد ومجموع سياقاته اللغوية وغير اللغوية، والمعنى النحوي في التركيب وليس في السياق الخارجي، والمتكلم يتوخى فيه صحة إسناد الخبر إلى المبتدأ وصحة إسناد الفعل إلى الفاعل، وصحة مصاحبة الحرف الاسم والدلالة التي تتحقق عن الإسناد والمصاحبة، وقبول المعنى حقيقة وعقلاً ومجازاً شرط قبول شكل الجملة، فهي دون معنى مهملة. وظهرت المدرسة البنيوية في الغرب، وقد اتخذت من البناء اللغوي الشكلي موضوع بحثها، فبحثت الألفاظ وتراكيب الجمل دون المحتوى (المضمون)، لأن المعاني هائمة في خيال

---

(١) رواه البخاري في باب ما يجوز من الشعر والرجز، ورواه مسلم في كتاب الشعر، وروى: «أصدق بيت قاله الشاعر» وفي أخرى: «أصدق بيت قالته الشعراء»، والراوي أبو هريرة رضي الله عنه، وعن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه» (رواه الترمذي ٢٨٧٩ ، ٣٩٠٢ جـ٣/ ١٩٦ ط المكتب الإسلامي) والمراد بها الجملة أو الموعظة المختصرة.

(٤) الأغاني: ١٤/ ٩٦، والسيرة، جـ١/ ٣٩، والديوان، ط صادر، بيروت، ص١٣٢.

العقل، ولا تخضع لتقييم ثابت يحتكم إليه. لقد أدت دراسات بلومفيلد اللغوية إلى إبعاد المعنى عن التحليل اللغوي عند أتباع مدرسته، لأنه اهتم بالجانب الشكلي، فبحث الصيغ (الأشكال) وقدمها على دراسة المعاني؛ لأنها لا تخضع لتقييم علمي ثابت، فالمضامين مضمرة في النفس، وليس لها شكل ثابت، وتختلف المعاني باختلاف السياقات، فالحكم عليها نسبي، وهذا خارج التقييم العلمي الذي يعتمد على مادة ثابتة يبحثها، فوصفوا اللغة وصفاً شكلياً (١) .

وقد رأى بلومفيلد أن دراسة المعنى أضعف نقطة في الدراسات اللغوية، فالمعاني ليست سوى دراسة خيالية لشيء غيرثابت أو مدرك، وفهم تابعوه إلى أن المعنى لا يمثل قيمة علمية في البحث فأبعدوه من التحليل اللغوي، وأقاموا التحليل على العناصر الشكلية للوحدات اللغوية.

ولقد اتجاه تلميذاه بلوخ Bloch وتراجر Trager إلى تحليل اللغة تحليلاً سطحياً فاهتموا بالعناصر الشكلية ومن دون الدلالة، فبحثوا العناصر الصرفية والنحوية، واستبعد هاريس (١٩٥١م) المعنى من التحليل اللغوي فوصف اللغة وصفاً شكلياً مجرداً من الدلالة، والحقيقة أن بلومفيلد لم يهمل المعنى ولم يستبعده لعدم قيمته في التحليل، فقد أدرك أهمية المعنى ولكنه لم يصل إلى الطريقة التي تمكنه من بحث اللغة علمياً دقيقاً، وفقدان الوسيلة اللغوية التي يقيم بها المعنى جعلته يستبعدها من التحليل العلمي.

وقد قبلت بعض المذاهب الحديثة الجملة شكلاً دون معنى وعدتها صحيحة نحوياً بيد أنها منحرفة قاموسياً لخلوها من المعنى الصحيح، فالدلالة ليست شرطاً في صحة الجملة نحوياً، فجردوا اللغة من مضمونها، واكتفوا بالجانب المادي الشكلي منها (٢) .

وقد فصل تشومسكي بين النحو والدلالة، وضرب أمثلة قبلها شكلاً، ورأى أنها صحيحة نحوياً غير أنها غير مقبولة عقلاً، وله مثل مشهور بين الباحثين: Colourless green ideas sleep furiosly الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة . هذا المثال صحيح عنده نحوياً وسماه جملة، ولكنها ليست كذلك دلالياً أو

(١) من أتباع مدرسة بلومفيلد: بلوخ Bloch ، وتراجر Troger وقد ألفا كتاب: outline of linguistic Analysis 1942

(٢) ارجع إلى: علم الدلالة، إطار جديد، بالمر، ص ١٥٨، ١٧٧ وما بعدها، وعلم الدلالة، محمود جاد الرب، ص ٣٧ .

هي منحرفة قاموسياً، فالنحو والقاموس (الدلالة) مجالان منفصلان [(١)] .

وهذه العبارة في عرف اللغات الأجنبية فاسدة دلالياً، فالأفكار من المعاني فليس لها لـون، ثم نفي عنها اللون وقد وصفها من قبل بأنها خضراء، وأسند لها النوم ووصفها بالغضب، وهـذا يكون للأحياء وليس للمعاني غير المدركة، ومن ثم العبارة غير مقبولة دلالياً، وهـذا عنـد علـماء العربية يخضع لمقياس العقل فما ليس بمقبول عقلاً لا يصح لغـة، فالمعـاني التـي لا تطـرد مـع أحكام العقل لا تقبل الجمل التي عـبرت عنهـا نحـو قولنـا عـلى الحقيقـة: طـار الأسـد، وتكلـم الحجر، هذه المعاني لا يقرها عقل على حقيقتها ، وجملها مردودة .

والجملة الشهيرة التي ألفها تشومسكي: «الأفكار الخضراء عديمة اللون تنـام غاضـبة» عنـد الغربيين فاسدة دلالياً بيد أنها حملاً عـلى المجـاز صـحيحة في عربيتنـا، عمـلاً بمعناهـا المجـازى البعيدة، كالمعاني التي يتخيلها الأدباء في صورة حسية لها حركة غير أن الوصف «عديمة اللـون» يمنع ذلك لمناقضته معنى «الخضراء»، وبعض الغـربيين يفـصلون بـين الـشكل (تركيـب الجملـة الظاهر) والدلالة، ولهذا قبلوها على مستوى الشكل وردوها على مستوى الدلالة [(٢)] .

وناقش بالمر الفرق بين الجمل غير المقبولة أو المنحرفـة deviant لأسـباب نحويـة والجمـل المستبعدة من الساحات المعجمية لعدم قبول معناها، فالجملة المنحرفة نحوياً مثل: The boys is in the garden تخرق قاعدة نحويـة (الفعـل is للمفـرد ، والـصواب are) ومثلهـا : Tomato been a when I ، هذا التركيب لا يطابق قواعد النحو.

وهنالك جمل غـير صـحيحة دلاليـاً وهـي مـن الناحيـة الـشكلية صـحيحة نحويـاً - عنـد الغربيين نحو: The wateris fragil المطر قابل للكسر، The Flower walked away الزهـرة سـارت بعيداً . جملتان فاسدتان معجمياً (دلاليـاً) لإسـناد الفعلـين إلى مـا لا يـصح إسـنادهما إلـيهما ، فنسبة الكسر إلى الماء فاسدة، ونسبة السير إلى الزهرة

(١) ارجع إلى: علم الدلالة، الدكتور محمود جاد الرب ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) علم الدلالة، الدكتور محمود جاد الرب، ص ٢٣ ، ٢٤ .

فاسدة، فلا يصلح تضام الفعل مع الفاعل في الجملتين [١] . وانتهى بالمر من ذلك إلى أن جملة: جون شرب اللحم، ليست كجملة: الشبان يكون في الحديقة، فالخطأ في الأولى معجمي، وفي الثانية نحوي[٢].

وقد ابتكر كارناب Carnape جملة ليست مفرداتها من المعجم بل ألفاظها ملفقة: Pirots carulire elaticallcg ليس هذا التركيب من الأنجليزية، لكنه يشاكل جملها في الشكل، فهي تبدو صحيحة نحوياً عند كارناب، وليس لها معنى، واستدل بالمر بجملة كارناب الملفقة على ضرورة التفريق بين العناصر النحوية في الجملة والعناصر الدلالية، فجملة The boys is in the garden ، المرجعية في تصويبها لعلم النحوي، والجمل التي تخرق قواعد النحو تُستبعد من الكلام؛ لأنها تركيب فيه خلط وغير مفهوم، ومعاني الألفاظ في الجمل سياقية وما شذ منها عن الدلالة أهدر من الكلام لعدم فائدته، ومثال ذلك ما ذكره بالمر: John drink fish جون شرب السمك، الجملة في ظاهرها فاسدة دلالياً[٣]. ولكن يمكن توجيهها إلى أن المراد حساء السمك، ويمكن بذلك تأويل قوله: The water is fragile (الماء قابل للكسر) المراد المعنى البعيد المجازى، نحو أي شيء خلق من ماء، كقول المجيب للسائل عندما سأله عن قبيلته (ممن أنت؟) فعمَّى عليه القول وقال: من ماء، فظنه من هذا الموضع، والمتكلم يريد أنه خلق من ماء، ومثله ما نسب إلى أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة أنه سئل عمن معه فقال: «هادٍ يهديني» ففهم السائل أنه هاد يهديه الطريق إلى مكان، وأبو بكر يريد بها الاهتداء إلى الله تعالى. فليس المراد من المعاريض المعنى المباشر بل معنى آخر تحتمله الجملة [٤] .

وانتهى بالمر إلى أن الجمل التي يمكن تفسيرها على معنى بعيد يجوز قبولها في التواصل فيمكن حمل جملة تشومسكي: الأفكار الخضراء عديمة النون تنام غاضبة، على المعنى المجازى البعيد، وليست منحرفة معجمية إن صح تأويلها على معنى من المعاني التي تحتملها الألفاظ، فيمكن بنوع من التخييل ربطها بسياق معين يمكن تأويله

(١) علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ص١٧٧.
(٢) علم الدلالة، ص ١٧٧ .
(٣) علم الدلالة، ص ١٧٩ .
(٤) ارجع إلى: تأويل مشكل القرآن، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

على معنى، والجمل التي لا تحقق معنى متخيلاً (مجازياً) تستبعد من الكلام؛ لأنها غير مفهومة [١] .

والجمل التي يصعب توجيهها تحتاج زيادة في اللفظ لتبيين المعنى البعيد، ومثال ذلك The dog scattered الكلب انتشر، الفعل scatter يسند إلى صيغة الجمع لا المفرد،(ما يقبل التقسيم والانتشار)، فالصواب: the dogs scattered، أسند إلى الجمع Collective nouns، أي قطيع من الكلاب The herd of dogs أو يعدل عن ذلك إلى The doge was scattered [٢] .

ويمكن حمل التركيب على المجاز، فيراد وفق الخيال الغربي: كلباً يتجزأ إلى كلاب، وجملة : «الكلب انتشر» في العربية لها وجوه من المعنى، منها أنه تحرك في كل اتجاه، ومنها الشبق (الانتشار).

والعربية تضيف قرينة تبين المعنى المجازى، فتزيد في اللفظ نحو: طار محمد، أسند الطيران إلى محمد وهو بمستغرب حقيقة، فنقول: طار محمد فرحاً، فيتبيّن المعنى المجازى البعيد، وهذا مشروط بتداول هذه المعاني في الوسط الاتصالي، وجملة: طار محمد فرحاً، صحيحة نحوياً ودلالياً.

وقد تحتمل الجملة وجوهاً من المعنى وهي صحيحة لغوياً ونحوياً، فالاعتبار بصحة المعاني التي تدل عليها ولا يضر اختلاف وجوه التفسير، فوجوه المعاني دليل على الصحة، نحو: أحب السلام، يفسر على معنى التحية، وسلام الشعوب (الأمن)، ويفهم على أن المراد مدينة «السلام» [٣] .

ولا يضر الجملة التعريض بالمعاني التي تحتملها في سياق الخطاب، ومن ذلك قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام لقومه: (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) [الأنبياء:٦٣] أراد بل فعله الكبير إن كانوا ينطقون، فجعل النطق شرطاً للفعل، فإن كان للأصنام قدرة على الكلام فالفاعل كبيرهم، أي إن كانوا ينطقون فقد فعله، ولكنهم فهموا أن المراد إسناد الفعل إلى كبيرهم، والغاية الاعتراف

---

(١) ارجع إلى: علم الدلالة، ص ١٧٩ .

(٢) علم الدلالة، ص١٨٠، وأجاز بالمر: The dog scattered is lielb أي تمزق .

(٣) سأل رجل امرأة عن اسمها، فقالت: فضة، فقال أحبها، يريد المعدن.

بأن الأصنام لا شيء [1] .

ومنه قول قوم شعيب سخرية منه: **﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** [هود:٨٧] قالوا ذلك في مقام الاستهزاء به واستنكار ما يدعوهم إليه، وهم يريدون التشكيك في عقله.

وقد تناول ابن الأثير المعاني التي تخالف ظاهر لفظها في الجملة وسماها «عكس الظاهر» : «أنك تذكر كلاماً يدل ظاهره أنه نفى لصفة موصوف، وهو نفي للموصوف أصلاً»، وقال إنه قليل الاستعمال، لأنه صعب الفهم، فلا يفهم إلا بقرينة خارجة عن دلالة اللفظ على معناه، وغياب القرينة يعظل الفهم، ومنه وصف علي رضي الله عنه مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا تُنْثى فلتاته». أي تذاع سقطاته، ظاهر اللفظ يوهم أن بالمجلس فلتات غير أنها لاتذاع، والمراد عكس ذلك فلم يكن ثم فلتات فتنثى، وهذا من باب التوسع في المعنى. ومنه قول كعب[2] :

فَقُلْتُ خلوا سَبِيلي لاَ أَبَا لَكُمُ
فَكُلُّ مَا قَدّرَ الرَّحمن مَفْعُولُ

لا أبا لكم: ظاهرها لا آباء لهم، وتكون للمدح والذم، ذمهم بنفي نظير الممدوح بنفي أبيه، وقد يراد به المعنى الحقيقة: أنهم مجهولو النسب، وهذان المعنيان تحتملهما الجملة، والمرجح أنه ذمهم، لأنهم لم يغنوا عنه شيئاً [3] . ومثله: ثكلتك أمك ، وقاتلك الله، في مقام الإعجاب والاستنكار والتعجب، وقال تعالى: **﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾** [الحجر:٧١] فالقائل لوط عليه السلام لمن جاءه من قومه يبغون الفاحشة بضيوفه، والمعنى: هؤلاء بناتي فتزوجوهن ولا تركنوا إلى الحرام، ولا يريد المساومة ببناته في الحرام، بل دعاهم إلى الزواج فأبوا عليه [4] .

والعامة تسوق بعض الأدعية ظاهرها غير باطنها نحو: قاتلك الله، وأخذك الله، لا يريدون الظاهر بل اللوم والعتاب، ويفسر المعنى في ضوء العلاقة بين المتكلم والمخاطب

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتبة، مكتبة دار التراث، ص ٢٦٨ .
(٢) المثل السائر، جـ٦١/٢ تنثى: من نثا نثواً شاع وذاع .
(٣) شرح قصيدة كعب، ص ٢٦٧ .
(٤) تفسير القرطبي، جـ٣١/١٠ ، وقيل المراد بالبنات الإناث من قومه واللائي في ولايته واللائي تبعنه بعد أن يسلموا و الله أعلم.

بها. وقد يضمر المتكلم معنى خلاف ما يفهمه المتلقي من ظاهر اللفظ، حدثني أحد الأعراب أن امرأة اتهمها زوجها بالزنا فأنكرت فأتى عرّافاً يسأله، فرشاه قومها بالمال، فقال للمرأة: أُحب خلف الخباء (الخيمة) فحبت، فقال لها على الملأ قولي: و الله ما ماز نوت منذ يوم حبوت. الشاهد فيها أن المرأة أرادت الحبو خلف الخيمة، وقد أمرها العرّاف به قبل القسم، والجُلّاس فهموا أنها لم تزن أبداً (بدءاً من الطفولة حتى القسم). وقول المرأة صحيح نحوياً ودلالياً ولا يبطله اختلاف فهم المتلقي عن مقصد المتكلم (١) .

والجملة موضوع بحث النحاة، فقامت بحوثهم عليها، وقد توهم بعض الباحثين المعاصرين أن علماء العربية أهملوا الدراسات النصية، لأن النحاة اهتموا بالجملة أكثر من عنايتهم بالعلاقات النصية، فالنحو العربي «نحو الجملة»، وادّعوا أن «دراسة النص» من جهود الدراسات الغربية الحديثة وتأثيرها في علم اللغة النصي وما يعرف بنحو النص، وزعموا أن الدراسات العربية ليس لها باع يذكر في دراسة النصوص، وهؤلاء لم يفرقوا بين دراسة النحاة القدماء عناصر التركيب الإسنادي ووظيفة كل عنصر، وعلاقته بالآخر، وعلاقة التركيب الإسنادي بتراكيب النص، والعلاقة بين هذه التراكيب، فالنحاة بحثوا العلاقة بين عناصر الجملة الواحدة، ثم بحثوا علاقة الجملة بالمعنى، ثم بحثوا علاقة الجملة بالسياق اللغوي، وذلك من خلال أدوات الربط اللغوي والربط السياقي المضموني، والمعنى العام الذي يربط بين جمل النص، وقد جعلوا الجملة القاعدة التي ينطلقون منها إلى دراسة النص، لأنها أصغر وحدة تركيبية لها معنى يمثل وحدة معنوية مستقلة (٢) .

وقد توقف النحاة كثيراً عند الجملة، وبحثوا الجمل الأخرى التي تتعلق بها وحددوا نوع العلاقة بينهما وقوة الترابط بينها وبين غيرها من الجمل، فبحثوا الروابط النحوية وأثرها في العلاقات بين الجمل، وبحثوا علاقة الجمل بالنص ومضمونه العام وأثر العلاقات في المعنى العام في حقل مستقل عن حقل النحو، فالوظيفة الأساسية لعلم النحو دراسة الأسانيد وأثرها في التراكيب والمعنى، ودراسة المعنى ومضمون النص

---

(١) هذه القصة شاهد على كذب الدجالين وعدم أمانتهم، وهي من وضع العامة تكذيباً لمن يأتونهم من العرافين، والمراد من ذكرها المعني وليس تحقيق صدق الرواية، وسمع في زنا زنو وزني بالواو والياء.

(٢) ارجع إلى: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، جامعة تونس، تونس ط٢٠٠١م، والكتاب جزءان، وارجع إلى سعيد حسين بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٧م – ١٩٩٧م ص ٩٩ .

العام يدخل في حقل البلاغة، بيد أن الدراسات الغربية جمعت بين دراسة القواعد ودراسة المعنى، وتداخلت الدراسات النحوية والبلاغية والمعجمية والأدبية [(1)] .

وقد أفرد علماء العربية لكل مجال منها فرعاً يدرسون فيه جانباً من جوانب النص، فعلم النحو عنى بدراسة القواعد، وعلم البلاغة عنى بدراسة الأساليب التي صيغت عليها الجمل، والعلاقات التي تربط بين تلك الجمل، وعلم المعاجم معنى بدراسة الدلالة، ولا يعد هذا تفريقاً أو تضيقاً، فمنهم من ساهم في هذه الفروع أو في بعض منها ومنهم من اشتغل بالنحو والبلاغة، وجعل كل فرع منهما بحثاً مستقلاً، فعبد القاهر الجرجاني، وهو أشهر البلاغيين من علماء النحو أيضاً، والزمخشري من أئمة النحو والمجددين فيه وهو أيضاً بلاغي، ولغوي وله دراسات معجمية، وشروح لغوية ذات صبغة بلاغية، فعلماء العربية موسوعيون، وبحثوا فروع العلوم في مواضعها ، فعبد القاهرة في حقل النحو يدرس الجملة والروابط بين الجمل في ضوء القواعد النحوية، ويبحث الأساليب والعلاقات التركيبية واختلاف أشكال التراكيب وأثرها في المعنى في حقل، وقد عالج النص والأساليب في كتابه «دلائل الإعجاز» الذي تحدث فيه عن نظرية النظم.

وأرى أن الذين زعموا أن علماء العربية بحثوا نحو الجملة فقط جانبوا الصواب؛ لأنهم توهموا أن الدراسات البلاغية كانت بمنأى عن علم النحو، وهذا وهم، فالجملة وأشكالها التركيبية أساس البحث البلاغي، والتوسع في بحث المعنى التركيبي كان من نصيب حقل البلاغة، فلم يدرس العلماء مضمون النص العام في سياق حديثهم عن القواعد التركيبية؛ لأن ذلك عبء كبير، وقواعد العربية أهم ما يميزها عن اللغات الأخرى، ووجود ظاهرة الإعراب بها يفرد لها مكاناً خاصاً بين اللغات.

ونصل من ذلك إلى أن علم البلاغة مكمل لعلم النحو، فعلم النحو يبحث العلاقات بين أجزاء التركيب ووظيفة أجزائه وعلم البلاغة يدرس أشكال التراكيب وعلاقتها بالمعنى وعلاقة التركيب بالسياق النصي، والذين انشغلوا بآراء العلماء في الجملة دون بحث وظائف حروف المعاني والعلاقات بين الجمل لا يفطنون إلى

---

(١) ارجع إلى: نسيج النص، بحث ما يكون به النص الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط الأولى ص ١٢ - ٢٥ .

العلاقات بين أجزاء التركيب والعلاقات بين الجمل، فزعموا أن عناية البحث القديم اتجهت إلى الجملة فقط، وتجاهلوا العلاقات بين أجزاء النص، وزعموا ذلك أيضاً في القصيدة العربية، فادعوا أن البيت وحدة مستقلة عن القصيدة، وليس صحيحاً، فقد جعلوا القافية منتهى البيت وتجاهلوا المعنى الذي يربط البيت بما قبله وما بعده . وقد دعا بعض المحدثون إلى تأسيس «نحو العربية النصي» أو «علم لغة النص»، وهذا الجانب استوفاه القدماء في كتب البلاغة التي اشتغلت بالمعنى والأسلوب، وأثر الأشكال اللغوية فيهما، فقد بحث البلاغيون النص اللغوي دراسة شاملة، والذين ذكروا بعض معاني الكلمات في كتب التفسير المختصرة وبعض شروح الدواوين للتعليم الأوليّ، ولكن الشرح النصي تناول كل ما يتعلق بالنص، وأصحاب هذا المنهج المفسرون .

والذين قالوا إن العرب عنوا بالجملة فقط لم يستوعبوا طبيعة البحث العربي قديماً ومنهجه والعلاقات بين فروع علوم العربية، وتأثرهم ظاهر بالبحوث الغربية في هذا المجال [(١)]، ولم يدركوا علاقة النحو بالعالم الخارجى، فبعض العناصر النحوية تفسر فى ضوء العالم الخارجى، ومن ذلك الحذف، فالمحذوف فى الخطاب المنطوق يعرف من العالم الخارجى، وكذلك التحذير والإشارة وما يحيل إليه ضمير المخاطب والغائب والمتكلم واسم الإشارة، وهذه العناصر تعتمد على العالم الخارجى أو على متقدم فى الكلام، فترتبط به وهذا يدخل فى الترابط النصى.

الربط الإسنادي: والربط فى الجملة ربط إسنادى، ويراد به نسبة الخبر إلى مبتدأ ونسبة الفعل إلى فاعل، ويتحقق في الجملة، وهي تمثل وحدة لغوية تامة نحوياً ودلالياً، فتتضمن معنى تاماً، والمعنى يمثل رابطاً داخلياً يحققه تضام ألفاظ الجملة في ترتيب يؤدى هذا المعنى، فتكون الجملة وحدة تركيبة، وهذا المعنى يدخل في سياق عام تفهم في إطاره، ولا

(١) يعد كتاب Cohesion in English . hong kong. Longman ، وكتاب النص والسياق، فانداياك ، ومدخل إلى علم اللغة النصي، فولفونج هينه من، و ديتر فيهفيجر، ترجمة فالح شبيب العجمي، جامعة الملك سود ١٩٩٩م من الكتب التي أثرت في بعض المعاصرين، وقد بحثوا عن مثيل لهذه الدراسات في العربية، فأصاب بعضهم الهدف ووجد ضالته، وبعضهم قضى في الأمر دون أن يستوعب طبيعة الدراسات العربية فزعموا أن الدراسات العربية لم تهتم بدراسة النص.

تجتزأ الجملة عن سياقها في النص.

والجملة العربية ترتبط بالنص وترتبط بالعالم الخارجي؛ لأنها تعبر عنه وتفسر في ضوء علاقتها به، فالحكم على الجملة يرجع إلى العالم الخارجي، وكذلك قبولها عقلاً أو حقيقة، أو مجازاً، ويؤثر في دلالتها علاقتها بما جاورها من الجمل وعلاقتها بمضمون النص ومناسبته وظروف إنتاجه.

والجملة التركيب المتضمن إسناداً مستقلاً مقصوداً ، ويدخل ترابط الجملة وتماسك بنيتها الشكلية في السبك النحوي grammatical chesion ويراد به العلاقات النحوية التي تربط بين أجزاء الجملة والعلاقات التي تربط بين جمل في سياق واحد، فالسبك إحكام علاقات الأجزاء في ضوء القواعد النحوية ومراعاة الإسناد وقرينة الربط النحوي، ومناسبة اللفظ معناه في التركيب[1] ، وسبك الجملة أن تتعلق كلماتها بعضها ببعض للدلالة على معنى مخصوص بوضع بوضع كلماتها في هذا التركيب، والإسناد في الجملة يمثل لحمتها التي تصل بين جزئيها، المسند والمسند إليه، فلا جملة حتى يعلَّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك، وهذا الترتيب يكون على المعنى، فالجملة تقتفى في نظمها آثار المعاني، وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس، والمعنى وشيجه داخلية تصل بين كلمات الجملة، فمعنى الجملة لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة بل يتعلق بها وهى في ترتيب مخصوص بهذا المعنى[2] ، والألفاظ تبع للمعاني ولا حقه بها، فاللفظ دون معنى لا يعتد به، و قيمته في جملة تطلبه لمعنى فيها، واختلاف معنى اللفظ أو تعدد دلالته من قبل اختلاف السياق اللغوي والسياق الخارجي، فلكل معنى سياق.

والجملة في تركيبها وحدة واحدة لا تتجزأ في دلالتها على ألفاظ مجتزئة بل وهى مجتمعة في علاقة إسنادية، فالمسند إليه متعلق بالمسند، وحروف المعاني جزء منها فهي تصل بين أجزائها كحروف الجر والعطف أو أنها جاءت لمجموعها كلا النافية نحو: لا رجل في البيت، جاءت لنفى الكينونة في الدار عن الجنس، وحرف النفي كذلك: ما خرج زيد، نفت الحدث عن زيد، فهي للفعل والفاعل، ومثلها الاستفهام: هل خرج

---

(١) ارجع إلى: الدكتور تمام حسان في بحثه: موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية، ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي ص ٧٨٩. والجملة قد تكون نصاً، وهي مستقلة في المعنى.

(٢) ارجع إلى: دلائل الإعجاز، عبد القاهر، تحقيق شاكر، ط الهيئة ٢٠٠٠م، ص ٢٦٦ .

زيد، فالاستفهام عن خروج زيد، وليس عن الفعل وحده أو الفاعل وحده وكذلك حروف الشرط: إن يأتني زيد أكرمه. فالإتيان شرط لإكرام زيد، فشرط الإتيان للإكرام. اقتضى حرف الشرط جملتين مرتبطتين، فالثانية جزاء الأولى. وقد قامت نظرية النظم عند عبد القاهر على ترابط النص في ضوء معاني النحو، قال: «معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض» [١].

وقد بحث أيضاً العلاقة بين تركيب الجملة، فبحث علاقة الاسم بالاسم في الجملة بأن يكون خبراً عنه، أو حالاً منه أو تابعاً له صفة أو تأكيداً أو عطف بيان أو بدلاً أو عطفاً بحرف أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثاني أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل فيكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول أو يكون في حكم نائب الفاعل، وذلك بأن يكون الأول اسم مفعول وقد ينتصب الثاني، وهو بسبب من الأول، كأن يكون تمييزاً له أو معمولاً له، وذلك بأن يعمل الاسم الأول عمل الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والمصدر وأفعل التفضيل[٢]».

وقسم ابن هشام الجملة الاسمية إلى صغرى وكبرى، الصغرى المبنية على المبتدأ المخبر عنه بخبر مفرد (ليس بجملة) نحو: زيد قائم. والكبرى التي خبرها جملة اسمية أو فعلية نحو: زيد أبوه قائم، فأبوه قائم خبر زيد، ومجموع المبتدأ والخبر الجملة جملة كبرى [٣].

والجملة الكبرى بها مبتدءان ومن النادر أن يأتي فيها ثلاثة مبتدآت، قال تعالى: **﴿لَكِنَّا هُوَ اللـه رَبِّي﴾** [الكهف:٣٨] والرابط الضمير في ربي يعود على أنا. والضمير هو، إذا لم يقدر ضمير الشأن، و اللـه مبتدأ خبره ربي وهذه جملة كبرى[٤].

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٤.

(٢) ارجع إلى: دلائل الإعجاز ص٤، ٥. اسم الفاعل يعمل عمل الفعل وذلك نحو: (أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)[النساء: ٧٥] و (لاهية قلوبهم)[الأنبياء: ٣]، واسم المفعول نحو: (ذلك يوم مجموع له الناس) [هود: ١٠٥]، والصفة المشبهة نحو: زيد حسن وجه هو كريم أصلهُ. والمصدر نحو: (أو إطعام ذى يوم ذى مسغبة يتيماً)[البلد:١٥]، والتمييز نحو: (ملء الأرض ذهباً) [آل عمران: ٩١]. ورطلان سمناً. وهذا تمييز منتصب عن تمام الكلام (غير مضاف). واسم التفضل ينصب تمييزاً (أنا أكثر منك مالاً) [الكهف:٣٤].

(٣) مغنى اللبيب، ابن هشام، دار إحياء الكتب العربية، جـ ٤٥/٢.

(٤) نفسه جـ٤٥/٢، قرأ أبي بن كعب والحسن: (لكن أنا هو اللـه ربي) أنا: مبتدأ، وهو: مبتدأ ثان، ولفظ الجلالة: مبتدأ ثالث، وربي الخبر، والياء عائدة على المتبدأ الأول. وقرأ عيسى الثقفي: (لكن هو اللـه ربي) هو مبتدأ أول، و اللـه مبتدأ ثان. المحتسب، ابن جنى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جـ٢٩/٢، والتبيان، العكبري، ط دار الجيل، بيروت جـ٨٤٧/٢ .

والرابط في خبر الجملة، وهذا قليل، والمشهور أن يأتي خبر ثان في جملة الخبر الاسمية نحو: وقول كعب:«ضخم مقلدُّها عبل مقيدها» جملتان أخبربهما عن مبتدأ مضمر تقديره هي [الناقة]: هي ضخم مقلدها، هي عبل مقيدها.

و«ضخم» خبر مقلد، و«عبل» خبر مقيد، والتذكير لهما فهما إخبار عن مذكرين وأخبر بالجملتين عن مبتدأ مضمر مؤنث ، والضمير فيهما الرابط، والجملتان: «هي ضخم مقلدها» و «هى عبل مقيدها»، كبريان، والضمير منع انقطاعها عن المبتدأ المضمر «هى». ويجوز أن تكون ضخم مبتدأ وفاعله (مقلدها) سد مسد الخبر، مثل قائم الزيدان، ومثلها عبل، والجملتان خبر جملة للضمير المضمر[١].

وهنالك نوع ثالث سمّاه بعض المحدثين الجملة المعقدة أو المركبة، يريدون الجملة التي تتعلق بها جملة الحال وجملة الصفة، وأرى أن هذا النوع يدخل في الجملة الصغرى والكبرى معاً كقولنا: أتى محمد وهو سعيد. فجملة الحال يمكن أن يستغنى عنها ولا تفسد الأولى بدونها، فهي زائدة عن التركيب، وكذلك جملة الصلة نحو: أتى محمد الذي ذهب، فالحال والصفة من المتعلقات التي تلحق بالجمل لزيادة في المعنى. والتعقيد أو التشابك الذي يصعب فصله يكون في الشرط نحو: إذا جاء محمد أكرمته، فالثانية جزاء الأولى ويستحيل فصلها عنها، وهما جملتان بيد أن الثانية جزاء الأولى ومتممة لها، وهذا النوع معقد لوجود جملتين فيه، والثانية تمام الأولى في معنى الشرط.

والجملة باعتبار الإسناد نوعان: جملة اسمية وجملة فعلية.

أولاً- الجملة الاسمية: ما كان المسند إليه فيها اسماً أسندت إليه الإفادة للدلالة على معنى فيه، والخبر يتضمن زيادة في المبتدأ فلا يخبر بالشيء عن نفسه، والاسمية تتكون من ركنين أساسين: المبتدأ والخبر والمسند إليه فيها اسمه المبتدأ والمسند إخبار عنه لإضافة معنى إليه، وقد ذكر ابن هشام أن الاسمية التي صدرها اسم[٢]، وهذا التعريف لا يمنع الجمل

---

(١) شرح قصيدة كعب ص ٢٠٢، وهذا رأى أبي الحسن الأخفش والكوفيين.

(٢) مغنى اللبيب، ابن هشام، جـ٤٣٣/٢، ط المكتبة العصرية، وقد قسم ابن هشام الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية، والظرفية المصدرة بظرف أو جار ومجرور، إذا قدرت زيداً فاعلاً بالظرف والجار والمجرور، وذلك بتقدير فعل محذوف لا بالاستقرار المحذوف نحو: أعندك زيد، أفي الدار زيد. وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية، ورأى ابن هشام أنها من قبيل الفعلية. ولم يعتد ابن هشام بما يسبق الجملة من حروف نحو الاستفهام في: أزيد أخوك؟ أقائم الزيدان، لعل أباك منطلق جمل اسمية، وقولنا: أقام زيد، وقد قام زيد، وهلا قمت، فعلية.

التي تقدم فيها المفعول على الفعل في هـذا التعريـف، فجعلتـه الأصـل في الإسـناد لا مـا تصدر الكلام، فبعض الأسماء قدمت على الفعل، وهى في نية التأخير[١]. وبعض الجمل احتملت الاسمية والفعلية، وهذا مردود إلى تقدير المعنى[٢].

والجملة الاسمية لها دلالة على الحقيقة دون زمانها، وذلك أن الاسم - وهـو المـسند إليـه فيها- يفيد الثبوت، والخبر إخبار عنه، والإخبار بالاسم عنه يفيد الثبوت دون التجـدد. والإخبـار بالفعل عنه يفيد التجدد قال كعب: قلبـي لم يُفْـدَ، أي مـا زال في قيـد حبهـا أسـيراً. وأفـادت لم تأخير انتهاء الحدث . فحبها متجدد في قلبه[٣].

والاسم أساس الجملة الاسمية، والاسم والذات أولى بالمبتدائية من الـصفة[٤]؛ لأنـه معـرّف والعلاقة بين المبتدأ أو الخبر إسنادية، فلا يغنى واحدمنهما عن الآخر، فالخبر مبنى على المبتـدأ، وهو الجزء المتم الفائدة، وهو في معناه[٥].

---

(١) بعض الأسماء تقدم على الفعل وهي متأخرة، منها أسماء الاستفهام نحو: كيف جاء زيد، وقوله تعالى: (فأي آيات الـلـه تنكرون) [غافر:٨١] والضمائر التي تلزم النصب نحو: (إياك نعبد) [الفاتحة:٥] وما جاء بعد أما: (فأما اليتيم فلا تقهر) [الضحى:٩].
والمفعول النكرة الذي لا يلتبس بالمبتدأ نحو: (فريقا كذبتم وفريقا تقتلون) [البقرة:٨٧] (خشعاً أبصارهم) [القمر:٧] والجمل التي حذف فعلها لوجود دليل عليه نحو. (وإن أحد من المشركين استجارك) [التوبة:٦] وما اتصل ضميره بالفعل نحو: (والأنعام خلقها لكم) [النحـل:٥] والقسم جملة فعلية (والليل إذا يغشى) [الليل:١] أقسم والليل.

(٢) الجمل التي تحتمل الاسمية والفعلية مثل:
- الجملة التي تصدرت بإذا وجوابها جملة اسمية نحو: إذا قام زيد فأنا أكرمه، إن قدرنا العامل في إذا الفعل بعـدها، فـصدر الكـلام جملـة فعلية تقدم فيها الظرف وإذا هنا غير مضافة مثل: متى تقم فأنا أقوم.
وإن قدر العامل الفعل في جواب الشرط، فصدر الكلام الجملة الاسمية التي وقعت في جواب الشرط والجملة على ذلك اسمية وما بعـد إذا متمم لمعناها؛ لأن الجملة بعدها مضافة إليها. وهى مثل: يوم يسافر زيد أنا مسافر.
- الجملة التي تقدم فيها الجار والمجرور على الاسم بعد استفهام نحو: أفي الدار زيد؟ إن قدرنا المحذوف فعلاً فهي فعلية، فنقول: استقر في الدار زيد، زيد فاعل ومثلها: الظرف والمضاف إليه كقولنا: أعندك زيد؟ يجوز أمستقر عندك زيد؟ ويجوز: أسـتقر عنـدك زيـد، زيـد فاعـل. والجملة الاستفهامية نحو: ماذا صنعت؟ يحتمل معنيين: ما الذي صنعته؟ اسمية، ويجوز جعـل أحـد الاثنـين مبتـدأ، فـماذا مبتـدأ أو خـبر. والمعنى الثاني: أي شيء صنعت؟ تقدم المفعول فيها على الفعل، ومثلها: (أبشر يهـدوننا) [التغـابن:٦] بـشر فاعـل لفعـل محـذوف، ويجـوز تقدير بشر مبتدأ بعد استفهام أو تقدير مبتدأ: أهم بشر يهدوننا)، قال تعالى: (أم نحن الخالقون) [الواقعة:٥٩] والاسمية فيها أرجح بـدليل قوله: نعم الرجل زيد، ومثلها الاسمية المعطوفة على فعلية، ومثلها جملة المدح أو الذم نحو: قام عمر وزيد قام.

(٣) ارجع إلى: نهاية الإيجاز، الرازى، دار صادر، ص ٧٩. لم حرف قلب وجزم، فتقلب زمن المضارع إلى الماضي، وقيل تقلب زمن الماضي مضارعاً.

(٤) نفسه، ص٨٠ ودلائل الإعجاز، ص ١٧٥، ١٧٦، وبعض الجمل تكون إنشاء فلا تحمل دلالة الاستقرار نحو: من محمد؟ من عندك؟

(٥) الكتاب، سيبويه، ط بولاق، جـ١/٧ وص ٢٧٨.

والمبتدأ مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر مثبت به المعنى[1]، نحو: العفو عند رسول اللـه مأمول. أثبت مأمول للمبتدأ، فقضى لنفسه بالعفو دون أن يعاقب. وأخبر باسم المفعول دون الفعل «أَمَلَ»؛ لأن اسم المفعول أثبت المعنى والفعل يقتضى الحدوث والتجدد، والمراد إثبات الخبر لصاحبه لا حدوثه وتجدده لقوله تعالى:﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] المراد إثبات وصف الكلب لا حركة البسط ومزاولته في قولنا: الكلب يبسط ذراعيه، والمشتقات تفيد ثبات الوصف في الوصف والإخبار، كقولنا: عمرو طويل وزيد قصير، فالمراد التفريق بينهما في الطول حال الإخبار، وليس المراد تطور مراحل الطول وتجدده، وقول الشاعر: والعفو عند رسول اللـه مأمول، فيه دلالة على إثبات العفو في الإخبار باسم المفعول، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾[الملك:١٩] صافات فيها دلالة على وصف حال الطير، وهى في حال اصطفافها في نظم واحد وثباتها عليه، وجعل الفعل في «يقبضن»؛ لأنه طارئ ولا تثبت عليه، فهي تضم أجنحتها سريعاً ثم تمدها؛ لئلا تسقط، وهى في صفوف دائمة، فعبر بصافات عن حال الثبات وعبر بالفعل «يقبضن» في الحدث الطارئ.[2]

والمبتدأ يكون معرفاً كأن يكون علماً أو معرفاً بأل، فإن كان المبتدأ أو الخبر معرفتين، وتساوت رتبتهما، وجاز جعل أحدهما مبتدأ نحو: اللـه ربنا. ولكن إن كان أحدهما مشتقاً والآخر علماً جامداً، فالأرجح جعل العلم الجامد مبتدأ نحو: القائم زيد، وإن كانا مشتقين، فالمقدم هو المبتدأ، للابتداء به.

والمعلوم لدى المتلقي يكون المبتدأ والمجهول الخبر، وهذا قائم فيما ينوب عن المعلوم كاسم الإشارة أو الضمير بما يحيلان إليه نحو: هذا ابني، بمعاينة المشار إليه، ومثلها: هم أولادي، وإن كان أحد الاسمين معرفاً والثاني نكرة؛ فالمبتدأ المعرف سواء أكان مقدماً أو مؤخراً نحو: العفو مأمول[3].

وإن كان ضميراً متصلاً بحرف ناسخ فهو المبتدأ نحو: إني عنك مشغول، ويؤكد كون الثاني الخبر دخول لام التوكيد عليه نحو: إنك – يا ابن أبي سلمى – لمقتول، وذكر المنادى فسر المراد بالضمير المخاطب

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٨٩.

(٢) الكشاف، الزمخشرى، ط مكتبة مصر، جـ١/٥٩٢.

(٣) ارجع إلى: مغنى اللبيب، جـ٢/٥٢٣، وهمع الهوامع، للسيوطى، جـ٢/ ٢٥٨.

في العالم الخارجي، والمتلقي المعاصر يعرفه من النص، فلم يشهد إنتاج النص في زمنه ومكانه.

وإن تصدرت «إن» الجملة، فالمتصل بلام التوكيد الخبر نحو: «إن الرسول لنور»، ومثلها: «إنك لمقتول»، وقد تدخل اللام على جملة الخبر، وتدخل لام الابتداء على المبتدأ، وهي أيضاً للتأكيد قال تعالى: **﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾** [يوسف:٨] واللام لتوكيد مضمون الجملة.

وتدخل اللام على اسم الإشارة الذي يحيل إلى العالم الخارجي، ومنه قول كعب في مدح رسول صلى الله عليه وسلم : «لذاك أهيب عندي إذا كلمة»، ويحتمل أن يكون قبله قسم مقدّر؛ لأن المقام يقتضيه.

وإن كان التركيب به اسم وجار ومجرور أو ظرف ومضاف، فالاسم المبتدأ وإن كان نكرة مؤخراً كقول كعب: «فيها مواعيظ و تفصيل»، «في دّفها سعة». وكقوله: «غيلُ دونه غيل». أي: مسكنه غيل دونه غيل، فجملة الصفة «دونه غيل» وقع الظرف فيها خبراً.

وتدخل اللام على الجار والمجرور نحو: قوله تعالى: **﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾** [يوسف:٩٥].

حذف المبتدأ:

يقع في كلام لاحق متعلق بسابق، ويستغنى فيه عن ذكر الاسم لتقدم ذكره، فالمضمر ينوب عن الظاهر، والضمير في اللاحق رابط له بما يسبقه، وهذا عرف في العربية للإيجاز والمبالغة والتخفيف بحذف ما يفهم، وما تقدم ذكره[1]، والمقام الخارجى يعيِّن المحذوف فى الخطاب المنطوق.

ويحذف المبتدأ اكتفاء بخبره في المواضع التي يعرفه المتلقي فيها دون لبس، ومن ذلك: مقام الوصف: قال كعب في وصف سعاد :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة   لا يشتكى قصر منها ولا طول

حذف المبتدأ(سعاد)لتقدم ذكره ، ولأنه معلوم في الخطاب ، ولم يتحول عنه إلى آخر، وأخبر عنه بخبرين لا يقعان لغير نوعه أو وصفه ، وهما هيفاء وعجزاء ، فهما

(١) ارجع إلى: إحياء النحو، الدكتور إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٣٧م ص ٣٥.

وصف مؤنث مفرد، ويجوز أن يقعا خبرين لميتدأ واحد(هي)أو يقدر مبتدأ للخبر الثاني، فيكون المعنى: هي هيفاء، وهي عجزاء، وقد حسن الحذف هنا إيجازا، ولأن الإخبار هنا لا يكون لغير المبتدأ المعلوم المتقدم(سعاد)، وقال كعب في وصف الناقة:

: «غلباء، وجناء، عُلكوم، مذكرة». وقد حذف المبتدأ لتقدمه في الكلام وعدم التباسه بغيره، ولطول السرد، فقد استطرد الشاعر في حديثه عن الناقة فحذف للإيجاز، وأضمر حرف العطف فيها؛ لأن المسند إليه واحد وهو فى معنى واحد، فأغنى ذلك عن حرف العطف، ومثله قوله فيها: «حرف» أي هي حرف، أراد شديدة، ومثلها «قنواء». أراد في أنفها احديداب. و «عيرانة» شبهها بعير الوحش في صلابتها. وقال في المرأة التي فقدت أولادها: «نوَّاحة رخوة الضبعين»، أخبر عن المبتدأ المحذوف بصيغة المبالغة: نوّاحة مبالغة في النائحة، ورخوة:خبر لمبتدأ محذوف، أو أنه خبر ثانٍ للمبتدأ المحذوف، والتقدير «هي» ، وهذا الضمير يعود إلى الناقة المذكورة فيما سبق.

والحذف لا يقطع الكلام عما سبقه بل يجعله أكثر تعلقاً به لحاجته إلى ما يدل عليه في الكلام، ولا يحذف المتكلم إلا بعد أن يذكر المحذوف قبل في الكلام، ثم يحذفه لإنابة ما سبق عليه في سياق لا يلتبس بغيره، ويحذف أيضاً اكتفاء بمعاينة المرموز له لغة في العالم الخارجي، كقولنا عما نشاهده: جميل، أو حسن، وهذا متعلق بالعالم الخارجي، ويفسر في حضور المتلقي، فإن لم يكن شاهداً، استوجب الفهم ذكر المشهد الخارجي، ولا يضر الحذف بمعنى الجملة، لوجود قرينة تدل على المحذوف، وقد أخبر عن المحذوف؛ بخبر في معنى الصفة، نحو ... قنواء (في أنفها احديداب)، وقال في وصف أرجل الناقة: سُمر العُجّايات (لكثرة السير)، وحذف المبتدأ للتعظيم في مقام المدح، ومن ذلك قوله في مدح سيدنا رسول الله: «من ضيغم» على سبيل التشبيه، وقوله فيه بين أصحابه: «... في عصبة من قريش»، فجعل الجار والمجرور صفة النكرة (عصبة)، والجار والمجرور في عصبة متعلقان بمحذوف خبر عن مبتدأ محذوف، ولا يحتمل الإخبار به عن غير المحذوف المقدر.

وقوله: في مدح أصحابه المهاجرين: «.... شم العرانين، أبطال» خبران لمبتدأين محذوفين: هم شم العرانين، هم أبطال، على القطع، ويجوز أن يكون أبطال خبر ثان، عند من يجوز تعدد الأخبار.

وقال في دورعهم: .... بيض سوابغ، خبران لمحذوف أو الأول خبر لمحذوف، والثانية خبر فى جملة أخرى على القطع عما قبلها «هى سوابغ».: والمحذوف متقدم فيما سبق، واحتمال وقوع الأخبار لغير المحذوف المقدر (هى) ممتنع، فجاز حذفه اختصاراً أو لمعنى (التعظيم)، والحذف أبلغ.

الخبر: الجزء الذي تتم به الفائدة مع مبتدأ يخبر به عنه لزيادة في المعنى، فالغرض منه إفادة المتلقى ما ليس عنده وتنزيله منزلة المتكلم (المرسل) في علم ذلك الخبر[1]. وقسمه العلماء إلى: خبر مفرد، وخبر شبه جملة والخبر الجملة، والمفرد: أن يخبر بلفظ مفرد أو مثنى أو جمع. والخبر شبه الجملة يتألف من جار ومجرور متعلقين بمحذوف يقدر اسماً مشتقاً (لفظه مستقر أو كائن)، أو يتألف من ظرف ومضاف إليه يتعلقان أيضاً باسم مشتق مقدر (كائن أو مستقر)، وقدره بعض العلماء فعلاً والأرجح الأول؛ لأنه قد يتقدم على المبتدأ. وهذا الخبر محذوف ويحل محله المتعلق به (الجار والمجرور أو الظرف والمضاف)[2].

الخبر المفرد: ولفظه مشتق ويوصف به المبتدأ ويقدر فيه ضميره، فيخبر به عن المبتدأ، ويحسن السكوت عليه نحو: الطرف مكحول، والنصح مقبول، والناقة وجناء والخبر في معنى المبتدأ، فالصفة ذات الموصوف، وفي الصفة ضمير مقدر عائد على لفظ المبتدأ، وهو الرابط.

وقد يتنزل الخبر منزلة المبتدأ على وجه الشبه نحو: زيد أسد. يعني أنه يشبهه في الشجاعة فلا يراد بالمبتدأ أن يكون أسداً حقيقة، وقال تعالى **﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾** [الأحزاب: ٦] المعنى أنهن يتنزلن عند المسلمين في المنزلة وتحريم النكاح منزلة الأمهات، فلسن أمهات المؤمنين على الحقيقة، ومثله: أبو يوسف أبو حنيفة، أي سد مسده في العلم فنزل منزلته، أو يقع أحدهما موقع الآخر نحو: محمد نبينا، وقد يكون الخبر اسماً جامداً فيؤوّل بمشتق نحو: زيد بحر، بمعنى كريم. وقد يكون غير مؤوّل بمشتق فيكون جامداً محضاً نحو: النارجيل شجرة، والعنكبوت حشرة[3].

---

(١) شرح المفصل، اين يعيش، المكتبة التوفيقة، م١٦٦/١، الخبر الجزء المستفاد الذي يستفيده السامع ويشكل مع المبتدأ معنى مفيداً، ويقع به التصديق والتكذيب.

(٢) جاء في بعض التعريفات أن الخبر المفرد ما ليس بجملة أو شبه جملة، وهذا تعريف مبهم.

(٣) ارجع إلى: مغنى اللبيب، جـ ٤٣٩/٢ وشرح ملحة الإعراب، الحريرى، المكتبة العصرية، ص ١٤٢، وشرح المفصل، م١٦٩/٢، ودليل تحريم الأمهات: (إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم) [المجادلة: ٢] تفسير: (وأزواجه أمهاتهم) [الأحزاب: ٦].

وقال كعب في ناقته إنها: «حرف» [البيت: ٢١] أي هي حرف، المراد حرف الجبل، أي هي كحرف الجبل على جهة التشبيه فهي كالقطعة البارزة منه في القوة والصلابة، فحذف الكاف للمبالغة، فقد جعلها حرف الجبل نفسه[1]. وقيل جعلها كحرف الخط في الضمور والرقة، وهذا بعيد، ويجوز أن يؤول حرف بمعنى صلبة، فيقدر ضمير فيه؛ لأنه أوّل بمشتق فأعطى حكمه.

ويقدر ضمير فيه مثل: ولد قائم، أي: قائم هو، ويجوز أن يجعلها حرف جبل للمبالغة فلا ضمير فيها.

وقد جاء الخبر اسماً مؤولاً في قول كعب: «إن الرسول لسيف يستضاء به:مهند من سيوف الله مسلول، أخبر عن المبتدأ بالسيف، والمراد شدة لمعان السيف بدليل جملة الصفة يستضاء به، وليس الرسول سيفاً حقيقة بل المعنى على المجاز، وهو أن الناس تهتدى به صلى الله عليه وسلم ، ويراد به معنى القوة والحسم ودليل ذلك عجز البيت (مهند من سيوف الله مسلول)، فالمعنى محمول على التشبيه بالسيف المهند وهو أجود أنواع السيوف، وجاء المعنى صريحاً في رواية البيت بلفظ: «إن الرسول لنور يستضاء به»وفيه تفسير المعنى الذي ذكرناه، وهذا المعنى على وجه التشبيه.

ويقدر معنى الوصف، مثل: زيد أخوك، أى: متصف بالأخوة، وهذا زيد، أى: متصف بالزيدية، وذلك أن الخبر عرض فيه معنى الإسناد، ويقدر فيه رابط، فيؤول الجامد بمشتق، ويقدر الضمير، ومن ذلك قول كعب: أخوها أبوها .... وعمها خالها، وقد أخبر بالأب عن الأخ وبالخال عن العم دون تشبيه بل على الحقيقة، وله معنى وهذا مشكل، ويجوز أن يكون المؤخر فيهما مبتدأ، لتعادل الاسمان في الاسمية والتعريف في الجملتين، وهذا الإعراب له معنى آخر وهذا مشكل وتفسير المعنى على اعتبار المقدم المبتدأ، أن الجمل إن ضرب أمه فوضعت ناقة، صار أباها وأخاها، والعم قد يكون خالاً أيضاً، كأن تلد الناقة ثلاثة أجمال ذكرين وأنثى، فترى أحد الذكرين على أخته فوضعت ناقة، فيكون أحد الذكرين عمها وخالها والذكر الثاني أبوها، والمعنى أنها مهجنة من إبل كريمة من جنس واحد.

والإخبار بالصفة نحو: ضخم مقلدها فعم مقيدها. خبر عن مقلد، فلفظ الخبر مذكر والمقلد مذكر، فليس ضخم

(١) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص ٢١٤.

بإخبار عن الناقة لاختلاف النوع، والخبر في معنى المبتدأ. وقال فيها: «عيرانة» أي: هي عيرانة، أي: تشبه عير الوحش في صلابتها وعيرانة مشتق من العير (حمار الوحش).

وقوله: «مرفقها عن بنات الزور مفتول» يريد: المرفق من عند الصدر مدمج محكم فهو جاف عن صدرها ومفتول اسم مفعول، والضمير المقدر فيه يكون نائباً عن الفاعل.

وقوله: العفو عند رسول الله مأمول، وضمير العفو في الخبر نائب فاعل أي مأمول هو. ومثله قوله في نسج دروع المهاجرين: كأنه حَلَق القفعاء مجدول.وجمع حَلَق:حِلَق وحلوق، والمبتدأ لفظه مفرد وتبعه لفظ الخبر.

والخبر المفرد يتوافق مع المبتدأ في العدد؛ لأنه في معناه أو إخبار عنه، فيكون له وليس لغيره، وهذا التماثل في العدد يعد رابطاً لفظياً ومعنوياً؛ لأنهما بلفظ الجمع ومعنى الجمع، وقد يكون للجمع دلالة التعظيم والتكثير، وهذا لا يخرجه عن أصل لفظه، قال كعب في مدح المهاجرين: أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم في الحرب: «شم العرانين أبطال» [البيت: ٥٣] والتقدير هم شم العرانين أبطال، وهذا للتعظيم، وقال في لبوسهم في الحرب: بيض سوابغ: أي: هي بيض سوابغ، وهذا للتكثير. وقوله: «وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا» ومجازيع بناء منتهى الجموع[١] ، وقد أخبر فيها بالجمع عن الجمع، لأن الخبر متمم للمبتدأ، ويوافقه في العدد والنوع، وقد شذ عن هذا التوافق المصدر في اللفظ فقد دون المعنى، فالمصدر معناه عام في العدد والنوع، قال كعب: إن الأماني والأحلامّ تضليل. الأحلام عطف على اسم «إن» وتضليل خبر للاسمين معاً، فالخبر موحَّد للاسمين جميعاً عند ابن هشام، ويصح الإخبار عنهما بالمصدر، ويوحد الخبر إن كان مصدراً لجواز الإخبار به عن الواحد وما فوقه، نحو قولنا: رجل عَدْل، ورجلان عدل ورجال عدل، لعموم الوصف بالمصدر، ويجوز الإخبار به عن المؤنث أيضاً[٢].

(١) مفاعيل ممنوع من الصرف وقد صرفه للضرورة

(٢) شرح قصيدة كعب، ص ١٥٧، وارجع إلى: شرح المفصل م٦٠٥/١ وتأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد صقر، دار التراث، ص ٢٨٦، وشرح كافية ابن الحاجب، رضى الدين الاستراباذى، المكتبة التوفيقيى، جـ٢٢٦/١.

وهذا لا يخرج عن الربط المعنوي، فالخبر هنا في معنى عـادل، ويقـدر فيـه ضـمير: رجـل عادل هو، ورجلان عادلان، فضمير المثنى رابط، ونساء عوادل هن. وبناء فواعل للإنـاث، فوقـع الربط على مستوى اللفظ والمعنى.

وتضليل وزن تفعيل وهى بمعنى الفاعـل: إن الأمـاني والأحـلام مـضللات، ويقـدر الـضمير «هي» في مضللات (أضلت صـاحبها). ويجـوز رفـع الأحـلام، وتخـريج هـذا أن خـبر إن الأمـاني محذوف أو أن تضليل «خبر الأماني» وخبر الأحلام محذوف مثل قول ضابئ البرجمى[1].

فمـــــن يـــــك أمـــــسى بالمدينـــــة رَحْلُـــــه

فـــــإني وقيـــــارٌ بهـــــا لغريـــــبُ

غريب خبر عن المتكلم، «وقيار بها» جملـة اعتراضـية، وخـبر إن مؤكـد بـاللام ولا يكـون بغريب و يجوز حمـل غريـب عـلى معنـى المثنـى (غريبـان)، والمـشهور أن يقـال: إنـك وزيـد ذاهبان؛ لأنه إخبار لمجمـوعهما، وقولنـا: إن زيـداً وعمـرو في الـدار، جـائز، وقولـه تعـالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَـنْ آمَـنَ بِاللــه وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ وَعَمِـلَ صَالِحاً فَلا خَـوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلا هُـمْ يَحْزَنُـونَ﴾** [المائـدة: ٦٩]. حـذف خـبر اليهـود والنـصارى والصابئين، والمعنى: والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمـن بـالله واليـوم الآخـر كـذلك أو مثلهم (أي الذين آمنوا)، وذلك قبل مجيء الإسلام.

وقال كعب في النبي صلى اللـه عليه وسـلم : «قولـه القيـل» والقـول والقيـل مـصدران، بمعنى قوله حسم وفصل.

خبر شبه الجملة: وهو نوعان: ظرف ومضاف وجار ومجرور.

والظرف لا يخبر به عن المبتـدأ الاسـم؛ لأن الجثـث ثابتـة موجـودة في الأعيـان كلهـا، و لا تختص بزمان دون آخر أو مكان دون آخر فلا يجوز: زيد اليوم، أو عمر الساعة. وهذا جـائز في المصادر التي تقع مبتدأ؛ لدلالتها على الحدث نحو: السفر اليوم، أو الخروج غداً، ويجوز الإخبار عن الجثة بالجثة إن احتمل الخبر تأويلاً نحو: الليلة الهلال.

---

(١) ارجع إلى: تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة التراث، ص ٥٣، والصاحبي، ابن فارس، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، ص ٨٠، وشرح المفصل، م١٧٩/١، وارجع إلى شرح قصيدة كعب ص ١٥٦، والبيت لضابئ البرجمي، وقيار اسم جمله أو اسم فرسه.

أي الليلة طلوع الهلال. فقدر حذف المضاف، وهذا جائز في قولنا: مصر اليوم، على تقدير: مصر وصف اليوم. فالظرف ليس بالخبر على الحقيقة، فالظرف معمول الخبر، والتقدير في: زيد عندك، زيد مستقر عندك أو استقر عندك، فالظرف معمول الخبر، فحذف الخبر الحقيقي وأقيم الظرف مكانه[1]. والجار والمجرور معاً ليسا خبراً على الحقيقة في: زيد في البيت، بل المحذوف الذي حل الجار والمجرور مكانه.

ويميل بعض النحاة إلى تقدير المحذوف فعلاً: زيد استقر في الدار أوحل في الدار، وحجتهم أنه في حيز الجملة، وأنه يجوز وقوعه صلة نحو قولك: الذي في الدار زيد، والصلة لا تكون إلا جملة، فالمعنى: الذي استقر في الدار زيد، فتعلق الجار والمجرور بالفعل، وهذا أفضل من قولنا: زيد الذي هو مستقر عندك، فالأصل أن يتعلق الظرف والجار والمجرور بالفعل؛ ورجح آخرون أن يكون المقدر اسماً لأن أصل الخبر المحذوف أن يكون مفرداً، وإضمار الأصل أولى[2]، والوجهان عندي مقبولان، وهذا ما أخذ به المحدثون، وقد يرجح تقدير المحذوف اسماً نحو قول كعب في وصف دروع المهاجرين في الحرب: «لبوسهم من نسج داود». بقوة إحكامها، والخبر المحذوف هنا في منزلة الصفة، والأولى أن تقدر اسماً.

والخبر يقدر في مثل: لك مال، المعنى: أنت ذو مال، فأفاد معنى، ومثل: تحت يدي مال، والمعنى: أنا أملك مالاً، فالضمير في «لك»، وهو المتحدث عنه في المعنى، وقدم الخبر؛ لئلا يتوهم أنه صفة للنكرة إن تأخر عنها نحو: مال تحت يدي، وعزَّز تقدمه الضمير في الجار والمجرور، وهو مدار المعنى، ولهذا قدم الجار والمجرور على المبتدأ[3]. ومن هذا قوله: في خلقها عن بنات الفحل تفضيل، وفي الخدين تسهيل. جاء المبتدأ المؤخر مصدراً، وجاء جمعاً في قوله: في الهيجا سرابيل (المعنى في الحرب متماسكون). وقد التزم تقديم الخبر هنا خوفاً من التباس الخبر بالصفة مثل: كتاب من زيد وصل. فالجار والمجرور صفة، وجاز تقديم المبتدأ الفكرة؛ لأنه مخصوص بوصف[4].

---

(١) شرح المفصل، م١/١٧٣.

(٢) ارجع إلى: شرح المفصل، م١/١٧٤، وشرح الكافية، جـ١/٢١٥، جاء في الحديث: «سلمان منا» يجوز: كائن منا، ويجوز سلمان من أشياعنا. والحديث رواه الحاكم في المستدرك، ٣/٥٨٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٣٠.

(٣) شرح المفصل م (١/١٦٨)، ويقدر فعل أو اسم مشتق يتعلق به الجار والمجرور قال تعالى: (وهو الذي في السماء إله وفى الأرض إله) [الزخرف: ٨٤]. مؤول بمعبود. الأشباه والنظائر جـ ١/٢٦٥.

(٤) ويقدم المبتدأ النكرة إن كان دعاء نحو: سلام عليك. ويل لك.

ويقدر الخبر المحذوف واحداً واثنين وجمعاً، فقول كعب في نافلة القرآن : «فيها مواعيظ وتفصيل». الخبر المحذوف يقدر في معنى المثنى والجمع، فالمثنى حمل على لفظي مواعيظ وتفصيل: كائنان فيها مواعيظ وتفصيل، وقدم الجر والمجرور وجوباً، وهما متعلقان بالخبر المحذوف، ويجوز تقدير معنى الجمع حملاً على معنى مواعيظ وتفصيل: كائنة فيها مواعيظ وتفصيل. وجمع التكسير يحمل على معنى الجمع فيذكر ويحمل على معنى الجماعة فيؤنث، وقد التزم تقديمه؛ لئلا يكون وصفاً إن تأخر عن المبتدأ النكرة. واتساق الخبر مع المبتدأ يجعله له لا لغيره، ولهذا قدّر العلماء خبراً محذوفاً في قول الشاعر: فإني وقيار بها لغريب، أراد: فإني لغريب بها، وقيار (اسم جمله) لغريب بها أيضاً، ولو كان الخبر لهما لقال: فإني أنا وقيار بها لغريبان. رفع على الابتداء، ويجوز أن يقدر خبره محذوفاً (غريب) أو الجار والمجرور المتعلقين بمحذوف، وقوله: فيها على الأين إرقال وتبغيل، إخبار عن نوعين من السير على ما بها من تعب ومشقة و«على الأين» بمعنى مع الأين، وهى حال تعلق بمحذوف، وفيها إرقال وتبغيل، جملة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره: كائنان فيها إرقال وتبغيل، والضمير عائد على العُذَافرة (الناقة الصلبة العظيمة)، فربط الجملة المتأخرة بما تقدمها، والحديث متصل عن الناقة، فالجمل ليست مقطوعة عما مضى بل تمثل لبن النص الكلى، والضمائر والإشارات والمعاني اللحمة التي تلحم بين الجمل، والإسناد يربط بين جزئي الجملة (المسند والمسند إليه).

وقد يسترسل المتكلم في الوصف، فيسرد موضوعات ويتوسع فيها أو يؤكدها بلفظها أو معناها أو بهما معاً، فيؤكد باللفظ والمعنى أو يعدد الخبر لتعدد الوصف وكثرته وغزارة المعنى، فيستجيب المتكلم لما تجيش به نفسه، فيرسل معانيه شعراً ليفعّل الألفاظ، وليجعل منها مؤثرات صوتية تخدم معانيها.

ويعد تعدد الخبر من الظواهر التي تميز بها البناء الشكلى ومرجعه إلى طبيعة النص السردية، وموطن السرد المتسع في الرواية، لأن المبدع يجد فسحة في التعبير غير مقيدة بوزن وقافية وتراكيب في الوصف والحكي دون إخلال بالبناء الكلى، ويجوز أن يكون للمبتدأ الواحد خبران أو أكثر من ذلك.

والأخبار قد تكون مترادفة في معنى واحد، وقد تكون متباينة في معاني متفرقة، ولا تكون متناقضة الأول نحو: زيد أريب لبيب، والثاني نحو قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾** [البروج: ١٤-١٦]. فإن كانت في الظاهر متناقضة، فليست لمبتدأ واحد نحو: هما عالم وجاهل، أي أحدهما عالم، والثاني جاهل[١]، ولا يجوز أن يكونا خبرين لواحد منهما لتناقض المعنى فيهما، فلا يجتمعان لواحد إلا على تأويل نحو: زيد فقير غنى، أي: فقير إلى المال غنى بالتعفف.

ويجوز أن يكون في ظاهره متناقضاً للدلالة على معنى بينهما نحو: الشراب حلو وحامض. أي: مُرّ، أي: طعم جامع بينهما، بعضه حلو وبعضه مر، فامتزجا، فانكسر الطعم، وزيد طويل قصير، أي: ربعة (معتدل)، وهذا أبيض أسود، أي: أبلق، والخبران للضمير بدليل قولنا في المثنى: هذان أبيضان أسودان، ويقال في الجمع: هم بيض سُود؟ والمعنى بعضهم أبيض وبعضهم أسود، فيكون الخبران للجميع[٢]. فتعدد اللفظ لا يعنى متعدداً من جهة المعنى، لأن المراد أنه جامع المعنيين، فيكون المعنى الجامع بينهما الخبر، فمجموع الجزأين أو لا يكون لواحد منهما؛ لأن فيه ضمير يربطه بالمبتدأ. فالوصف في معنى الفعل، وهذا لا يكون في المعاني التي ظاهرها متناقض بل في الإخبار التي تكون في معنى واحد[٣].

وقد عدّد كعب الأخبار في مواضع من قصيدته، ويعد تعدد الخبر ظاهرة فيها، فلم يكتف بخبر واحد بل تجاوزه إلى ثلاثة، وذلك لإفادة معاني عديدة في المبتدأ بعضها مترادف وبعضها مختلف، وقد استخدمه في الوصف كثيراً لما تفيض به نفسه في المعاني، وقد جاءت الأخبار صفة في مقام الوصف، وكثير من وقع لمبتدأ محذوف. وقد جاء الأخبار متصلة في المعنى ومتوالية في اللفظ وهذا للتأكيد، والأخبار المختلفة دلت على التنوع والتكثير. وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الخبر قد يتعدد بالعطف، نحو: زيد عالم وعاقل، خبران عن شيء واحد، وقد يعتمد على الربط السياقي دون حرف عطف، نحو: الله حكيم لطيف رحيم.

---

(١) شرح الكافية، رضي الدين الاسترابادى، طبعة التوفيقية، جـ٢٣٥/١، شرح المفصل م/١٩٣.
(٢) ارجع إلى: شرح الكافية جـ٢٣٦/١، وشرح المفصل م١٩٣/١.
(٣) شرح المفصل، م١٩٣/١

ويجوز أن يعطف أحد الخبرين على الآخرين بالواو مع اتصاف مجموع المبتدأ بكل واحد من الخبرين، وهذا مقيس على عطف بعض الأوصاف، ومن ذلك: زيد كريم وشجاع. ويقاس على ذلك ما هو بمنزلة الخبر وتأوله العلماء على بعضه نحو: هذا حلو وحامض، أي بعضه حلو وبعضه حامض، وهذا أسود وأبيض، فالأولى ترك العطف فيما جاز فيه التأويل[١]. وليس في القصيدة شيء من ذلك، قال كعب: إنك منسوب ومسئول، والأصل: إنك منسوب مسئول، والأولى ترك العطف[٢] في الأخبار التي تقاربت معانيها فدخلت في حقل دلالي واحد.

وقد جاء خبران في معنى واحد للتوكيد في قول كعب في وصف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين: «شُمٌ العرانين أبطال» خبران لمبتدأ محذوف للتعظيم تقديره هم شم العرانين أبطال. وقال كعب فيما ابتلى به قلبه بعد فراق سعاد:

«قلبى اليومّ متبول متيم إثرها لم يفد مكبول»، قلب مبتدأ، وخبره متبول، ومتيم خبر ثان عند من أجاز تعدُّد الخبر[٣]. وقيل «متيم» خبر ..... عن مبتدأ... محذوف تقدير «هو»، وقيل: صفة المتبول عند من جوَّز وصف الصفة، وبعضهم منع وصف الصفة، لأنها كالفعل، الراجح جواز وصفها، لصحة تصغيرها كالاسم العلم[٤].

وجملة «لم يفد مكبول» خبر ثالث عند من جوَّز تعدد الخبر، وقد أجاز أصحاب هذا المذهب تعدد الخبر مختلفاً بالإفراد والجملة.

واستدلوا بقوله تعالى: **﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾** [النمل: ٤٥] وقوله تعالى: **﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾** [طه: ٢٠] ومنع أبو على الفارسي ذلك، وأعرب الجملتين حالين، والجملة في بيت كعب حال من ضمير متيم، وهو الأرجح، أو من ضمير

---

(١) شرح الكافية، جـ ٢٣٦/١، والعطف يكون في المتناقض الذي يستفاد معناه من مجموعهما نحو: هذا حلو وحامض، وهذا لا يجوز فيما لا يستفاد من مجموعهما نحو: هما عالم وجاهل. والمعنى أحدهما عالم و الثاني جاهل. فلا بد من الواو ولا يجوز حذفها؛ لأنهما ليس مجموعهما واحد نحو: هذا حلو حامض، وتأويله مُزّ، وهذا أبيض أسود، بمعنى أبلق.

(٢) ارجع إلى: شرح الكافية، جـ٢٣٥/١، وشرح المفصل، م١٩٠/١، ١٩١.

(٣) جاء في شرح الكافية ج٢٣٥/١ فصل عن تعدد الخبر، وشرح المفصل م١٩٠/١، ١٩١.

(٤) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص ٥٤، وابن هشام أجاز تعدد الخبر واختلافه مفرداً وجملة، وأجازه الزمخشري وابن يعيش، المفصل م١٩١/١،١٩٠ وابن الحاجب والاسترباذى، شرح الكافية جـ٢٣٥/١، ٢٣٦. وأبو على الفارسي (ت ٣٧٧) لم يجوز تعدد الخبر، وصّرح بمنع تعدد الخبر مختلفاً.

متبول (هو)، وهذا وجه آخر من الإعراب[1]. والجمل على اعتبارها أخباراً في قول كعب في معنى واحد، فجاز حذف العطف، والحذف أولى، وهذا غير جائز فيما لا يكون مجموعها واحداً نحو: هما عالم وجاهل، الضمير فيهما يرجع إلى كل واحد منهما مفرداً عن الآخر، فاستوجب ذلك الواو؛ والمعنى: أحدهما عالم والثاني جاهل[2].

واسترسل في الإخبار عن الناقة ليعدد أوصافها إعجابًا، وقد بلغت أربعة أخبار لمبتدأ محذوف في قوله عن الناقة: «غلباء وجناء علكوم مذكرة».

ولم يجمع بينها حرف العطف (الواو) لوقوعها لمبتدأ، فلا تحتاج إلى رابط، فالرابط الإسنادي أقوى من الرابط الحرفي، لأن الإسناد رابط معنوي ولفظي، فالمسند يقع للمسند إليه في المعنى ويتصل به في اللفظ، فلا يفصل بينهما ما يجعله لغير المسند إليه، والرابط المعنوي يمنع وقوعه لغيره، والجملة الاعتراضية بين المسند والمسند إليه لا تدخل في المعنى المستفاد منهما. وقد تعددت الأخبار في وصف الناقة إعجاباً بها، وأنه اكتفى بالضمير عن ذكرها لتقدمها في الكلام، وهذه الأخبار تفيد كثرة صفاتها و تفردها بين الأينق.

والأصل في الخبر الإثبات في الكلام أو عدم الحذف؛ لأنه إخبار عن المبتدأ، وهو الركن الثاني في الجملة الاسمية، ويجوز حذفه مع وجود قرينة تدل عليه أو أن يفهم من سياق كلام مذكور أو بالإحالة إليه في العالم الخارجي، فإن خفي المراد وجب ذكره، قال تعالى: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ﴾** [سبأ: ٥١] أي: لا فوت لهم، بدليل قوله تعالى: **﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾** [سبأ: ٥١]. ومثله قوله تعالى: **﴿قَالُوا لا ضَيْرَ﴾** [الشعراء: ٥٠] أي: علينا. والجملة التي وقع فيها حذف ترتبط بغيرها بضمير أو إشارة، فالمحذوف يتعين بسياق مقالي، ولم يحذف الخبر في قصيدة كعب؛ لأنه وصف والوصف يتطلب الذكر لا الحذف وأخبر عن أشياء مجهولة، وكان في موقف الدفاع، وهذا يستدعى ذكر الأدلة والإقناع ومدح والمدح ذكر محاسن الممدوح والثناء عليه، فالمُقام مقام العرض

(١) شرح قصيدة كعب، ص ٥٨.
(٢) شرح الكافية، جـ٢٣٧/١.

والإقناع[1]. ولم تكن هنالك قناة اتصال بين الشاعر والمتلقي، ولا يوجد خطاب مشترك يحيل إليه الشاعر فيسكت عما هو معلوم، فكان عليه أن يعرف نفسه فاستهل بحديث طويل ليعد المتلقي للتلقي ثم عرض موقف الخصم (الوشاة) وما اتهم به، وتبرأ مما نسب إليه واعتذر واختتم بالمديح، وهذا يستدعى التأثير والدفاع والإقناع فوظف اللغة للتأثير في المتلقي، فالمقام مقام القول، وهو هنا أبلغ وآكد من الصمت.

والجمل الاسمية أجمع في اللفظ وأوجز من الجملة الفعلية لقلة متعلقاتها وكثرة الحذف فيها، ودلالتها على المعنى المباشر بلفظ قليل، كما أنها آكد في المعنى، فتدل على الثوابت.

الخبر الجملة: يقع الإخبار بها تامة عن المبتدأ، فهي جملة تابعة لما أفادت عنه معنى، فهي جملة تامة؛ لكنها ليست مقصودة لذاتها، فليست مستقلة عنه بل للإفادة عنه، فهي تمام معناه[2].

والخبر الجملة نوعان: خبر جملة اسمية وخبر جملة فعلية، وهذا الخبر يحتاج رابطاً؛ لأنه قول مفيد فيه مسند ومسند إليه، ويمكن أن يقطع عما قبله لاختصاصه بمعنى، فاحتاج لرابط يربطه بالمبتدأ المتقدم، فلا يتأخر عنه، لأن الرابط قد يكون ضميراً أو إشارة، وهما يحيلان لمتقدم في اللفظ[3]، كما أنه جاء لإفادة معنى فيه فهو بمنزلة الخبر المفرد في الإفادة عنه[4].

والجملة الاسمية الموضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه تكون لمعنى الثبوت بلا دلالة على تجدد أو استمرار، فالجملة الاسمية تدل على الثبات والاستقرار والتأكيد[5]. قال كعب:

يسعى الوشاة جنابيها وقولهم

إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن على الصبان، ضبط وتصحيح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٧٧/١٢م، جـ٢٤/٢.
(٢) ارجع إلى: شرح الكافية، جـ٢٣٨/١، والكليات، ص ٣٤١.
(٣) ارجع إلى: شرح الكافية، جـ٢٣٨/١، والكليات، ص ٣٤١، وقد يكون الرابط إعادة لفظ المبتدأ فى الخبر، أو أن يكون الخبر فى معنى المبتدأ.
(٤) وقد يكون الرابط في الخبر الجملة مفصلاً في حديثنا عن الجمل التي ترتبط بغيرها أو تتبعه في المعنى.
(٥) ارجع إلى: مفتاح العلوم، ص ٢١٨.

قولهم إنك لمقتول. مبتدأ خبره إنك .... لمقتول، وهي في معنى المبتدأ، فلا تحتاج إلى رابط، وقد وقعت مفعولاً في المعنى (مقول القول)، واسم المفعول في معنى الاستقبال: إنك لـصائر إلى القتل، وجاء للمفعول للتأكيد[١]. وإنك لمقتول جملة مؤكدة بإن واللام. والجملـة الفعليـة خـبراً تفيد التجدد والدوام والحركة، فهي موضوعة لإحداث الحدث في الماضي أو الحـال؛ فتـدل عـلى تجدد سابق أو حاضر، وهى جملة تامة غـير أنهـا مقيـدة بالمبتـدأ لمجيئهـا إخبـاراً عنـه وتمامـاً لمعناه[٢]. وقد تأتي للإخبار بها في الماضي وحكمها لا ينقطع، قـال كعـب: رسـول اللـــه أوعـدني، فالإيعاد قائم حتى زمن الخطاب، فالمراد الإخبار عن شيء قائم فجـاء زمـن الخـبر ماضـياً؛ لأنـه أراد أن يعبر عن خبر مفاده أنه مذنب فأوله: «أنبئت أن رسول اللـــه أوعـدني» فـزمن الجملـة ماض، ومعناه التحقيق، ولكنه فرغّه من الفاعل المعلوم، فمصدر النبأ مجهـول، فأثبـت القـول، وأخفى القائل، ليجعل لما بلغه احتمالاً آخر.

ثانياً- الجملة الفعلية: التي يسند الفعل فيها لفاعل يأتي بعـده مطلقـاً، فـإن تقـدم عليـه، أسند إلى ضميره، فالفاعل يسند إليه الفعل أو ما أشبهه، ويكون مقدماً عليه [٣]. وهنالـك جمـل في العربية لم يتصدرها الفعل،وهى جملة فعلية على تقدير المعنى[٤].

---

(١) اسم الفاعل يدل على الاستقبال نحو قوله تعالى: (إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) [آل عمران: ٩] واسم المفعول نحو: إنـك لمقتـول، أي إنك ستقتل، ومثل ذلك فيعل نحو: ميت قال تعالى: (إنك ميت وإنهم ميتون) [الزمر: ٣٠] أي: ستموت، وبناء فعيل: «مـن قتـل قتـيلاً فلـه سلبه» سماه صلى اللـه عليه وسلم قتيلاً باعتبار ما سيكون [رواه الشيخان وأبو داود والترمذي، وأحمد، وابن ماجه].

(٢) ارجع إلى: الكافية جـ٢٣٨/١ والكليات ٣٤١، والضمير الرابط الأساس فيها.

(٣) ارجع إلى: شرح ملحة الإعراب، الحريري، المكتبة العصرية ص ٦٣، وشرح المفصل م١٤٤/٢ وحق الفاعل الرفع، ورافعه ما أسند إليه. والـذي يشبه الفعل: الصفة المشبهة نحو: زيد حسن وجهه؛ والمشتقات كاسم الفاعل: نحو: زيد ضارب غلامه، واسم المفعول يرفع نائب فاعل: زيد محمود خلقه، والمصدر يعمل عمل الفعل، نحو: ضربي زيداً شديداً، الفاعل فيها مضاف إلى المصدر.

(٤) الجملة الندائية جملة فعلية نحو قولنا: يا زيدُ؛ لأن حرف النداء حل محل الفعل، والتقدير: أدعوا زيـداً، أو أنـادى زيـداً، ولكـن الاسـتفهام بكيف في قولنا: كيف زيد؟ جملة اسمية، لأنها انعقدت مع الاسم كلاماً، ولا يجوز أن تحل محل الاسم؛ لأن الفعل يليها قـال تعـالى: (كيـف فعل ربك) [الفيل:١] شرح ملحة الإعراب ص٦٣، والجملة الشرطية التي تصدرها ظرف وجوابها جملة فعليـة كقولـه تعـالى: (إذا جـاء نـصر اللـه والفتح... فسبح بحمد ربك) [سورة النصر] الجملة فعلية سواء أضيفت إذا أولم تضف سواء أكان العامل الفعـل في جملـة الخـبر أو جملة الشرط، خلافاً لقولنا: متى تقم فأنا أقم، فالأصل أن تضاف إلى جملة فعليـة قـال تعـالى: (إذا الـشمس كـورت) [التكـوير: ١]، وجملـة الجواب: من جاء؟ زيد، يجوز تقدير: جاء زيد أو زيد جاء، ويجـوز في مـاذا صـنعت؟ أن تكـون اسـمية وفعليـة، الفعليـة أي شيء صـنعت، وكقولنا: ما جاءت حاجتك، برفع حاجة على أن حاجة فاعل، وما نافية.
وتجوز أن تكون اسميه ما مبتدأ (ضمير)، وحمله على معنى المؤنث وخبره حاجتك.

والجملة الفعلية لها دلالة على الحقيقة وزمانها، فالفعل له دلالة على الحدث وزمانه في الماضي أو الحاضر والمستقبل، فالفعل له دلالة الحدوث والتجدد، والفعل مقيد بزمن حدوثه[١] ، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي والمضارع مقيد بزمن الحال والاستقبال في الغالب، فالفعل موضوعه يقتضي تجدد المعنى المثبت له[٢].

وتمثل الأفعال في القصيدة زمن السرد (الحكي)، وهو زمن الحدث، وقد وظفها الشاعر في التفاعل مع العالم الخارجي والتعبير عن الحركة والشعور والقلق النفسي، وأهم ما يميزها تجسيد الحدث في الماضي أو استحضاره للمتلقي والحكي المباشر. ووظف الأزمنة في الدلالة، فنزلت موضوعها من الحكي والحدث، فالماضي يدل على الانقطاع فيه، والمضارع يدل على الحدوث والتجدد والتفاعل مع العالم الخارجي، والجملة الفعلية أكثر من الجملة الاسمية، فقد بلغت ثماني وتسعين جملة فعلية، ومنها ثماني وثلاثون في زمن الحكي في الماضي في حديثه عن سعاد والناقة، ومنها ستون في زمن المضارع، وقد استحضر بعض الأحداث من الماضي إلى الحاضر كحديثه عن بعض صفات سعاد: تجلو عوارض، تدوم، تمسك ... ، وحديثه عن الناقة: ترمى، تمر، تخذى، تفرى... وذلك في سياق استحضاره للأحداث أمام المتلقي، فيصفها على ما هي عليه؛ وزمن المضارع يربط القصيدة بالعالم الخارجي فتفاعلت اللغة معه مباشرة، وعبرت عنه، وقد استطاع الشاعر أن يربط بين النص والأحداث في زمانها، وربط النص كذلك بالعالم الخارجي حكماً وإحالة واقتباساً، وقد ساعدته الأفعال على الحركة والانتقال السريع فهي أكثر مرونة وفعالية من الأسماء، وبعثت الحركة في النص، وهذا يمثل علاقة النص بالعالم الخارجي وارتباطه به.

والجملة الفعلية أكثر تماسكاً وتفاعلاً مع الحدث ومع العالم الخارجي من الجملة الاسمية، فالترابط فيها على مستوى البنية والدلالة، فالجملة الفعلية مترابطة على مستوى البنية في إسناد الفعل إلى الفاعل المذكر والمؤنث، فعلامة التأنيث دليل على

(١) سوف نتناول الرابط في الخبر الجملة مفصلاً في حديثنا عن الجمل التي ترتبط بغيرها أو تتبعه في المعنى.
(٢) نهاية الإيجاز، ص ٨٠، ودلائل الإعجاز، ص ١٧٤.

تأنيث الفاعل وأن الفعل له لغيره، وكذا الضمائر، وأسماء الإشارة[1]. قال كعب: فلا يغرنَّك ما منّت وما وعدت. الفعل «غرّ» مسند إلى «ما»، وهو بمعنى الذي مذكر فذكر الفعل، وأنث في إسناده إلى مؤنث «منت» و «وعدت» فالفاعل هي (سعاد).

والربط الدلالي يكون في العلاقة بين الفعل والفاعل والمفعول، كإسناد الفعل إلى الفاعل حقيقة أو مجازاً بقرينة تدل عليه، ومن ذلك قول كعب: «يسعى الوشاة جنابيها» أسند الفعل إلى فاعله الحقيقي، فإن أسند إلى فاعل لا يصح عنه حقيقة فهو فاعل مجازى مثل: أرجوا وآمل أن تدنوا مودَّتها. أسند الدنو إلى المودّة مجازاً، وهذا متعارف عليه في المعاني المجازية التي يستعملها أهل اللغة نحو: طار محمد فرحاً، وركب زيد رأسه، صحيحة مجازاً ولا يراد حقيقتها المباشرة من ظاهر لفظها[2]، فالفعل ركب لا يقع على المفعول في الحقيقة، لاستحال ذلك، وإن صح إسناد الفعل إلى الفاعل: ركب زيد، فلا يصح في المفعول؛ لأن المفعول يمنع وقوع الفعل به، ولكنه يجوز إن حمل على معنى المجاز فالمعنى: تمسَّكَ زيد برأيه وأصر عليه.

وترتيب الألفاظ في الجملة الفعلية يكون على المعنى الذي وضعت له فلا يكون الشكل في نظمه دون معنى، بل يتعلق الاسم بالفعل، بأن يكون فاعلاً له أو مفعولاً أو مصدراً أو ظرفاً أو مفعولاً معه أو مفعولاً لأجله أو أن ينزل الاسم من الفعل منزلة المفعول، وذلك في خبر كان وأخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام، والاسم المنتصب على الاستثناء[3].

وقد عالج القدماء قضية علاقة الفعل بالفاعل، ولم يسلموا بصحة الجمل التي لا يقبلها العقل حقيقة، فما لا يقبله العقل حقيقة أو مجازاً لا يكون مفيداً، فأساس الجملة أنها قول مفيد، وما لا يسلم العقل بصحته حقيقة لا يقبل شكلاً أيضاً، لأن ترتيب الألفاظ قائم على المعنى في النفس، فالمتكلم يرتب المعاني أولاً في نفسه، ثم يعبر عنها لفظاً، فالمعنى الرابط المعنوي بين الألفاظ. والفعل مع الفاعل كالجزء الواحد، فلا يصح

---

(١) وتدخل التوابع، وهى في الأسماء - في جملة الروابط في الجملة الفعلية، لأنها تحدد نوع الاسم في الإسناد الفعلي، والأسمى؛ وهذان المصطلحان بديلان الجملة الفعلية والاسمية.

(٢) قولنا: أكل زيد عمراً، صحيح مجازاً بمعنى أكل ماله أو هزمه، وقول فاسد إن أراد المتكلم معنى الفعل أكل، فالمعنى المجازى من مجموع الجملة لا من المعنى المعجمي اللفظي.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٥. التمييز المنتصب عن تمام الكلام غير المضاف نحو: طاب زيد نفساً وحسن وجهاً وكرم أصلاً، والمستثنى المنتصب نحو: جاني الأصدقاء إلا زيداً.

انفصال الفعل عن الفاعل معنى، وكذلك حال الفعل مع المفعول، فالغرض إفادة وقوع الحدث بالمفعول[1].

والفاعل باعتبار إسناد الفعل إليه نوعان:

فاعل يسند إليه وقوع الفعل حقيقة نحو: «بانت سعاد» (فارقت حبيبها)، «يسعى الوشاة حواليها»، «أقوم مقاماً».

وفاعل يسند إليه وقوع الفعل مجازاً فيتصف به وليس بفاعل حقيقي مثل: مرض زيد ثم مات، فقد وقع المرض والموت به، ومثله قول كعب: «تدنو مودّتها» و «تجلو الرياح القذى»، والفاعل هنا على المجاز، وشرط صحة إسناد الفعل إليه أن يكون معلوماً في عرف المعنى المجازى، فلا يحمل على الحقيقة، فيمتنع إسناد الفعل إليه لعدم قبول الإسناد عقلاً. وأسند الفعل للمصدر في قوله: «يعصمهم ضرب» فالضرب بالسيف يمنعهم من الأعداء[2]. وقد أسند الشاعر الفعل إلى الفاعل على وجه الإيهام في قوله:

وما تَمَسَّك بالوصل الذي زعمت

إلا كما تُمسِك الماءَ الغرابيل

الغرابيل لا تمسك الماء، فجعلها مثلاً لها في التمسك بالوصل، والمعنى: لا تفي بوعدها، فالماء لا يثبت في غربال لتفلته منه.

ويجوز أن يقدم الفاعل ويؤخر في الجملة لمعنى أو لضرورة، وقد قدم الشاعر المفعول على الفاعل في قوله: تمسك الماءَ الغرابِيلُ؛ لأن الإسناد يدفع الخلط بين الفاعل والمفعول، فالقرينة اللفظية في الفعل «تُمْسِك» التاء جعلت إسناد الفعل للغرابيل فاعلاً، وقرينة المعنى تقتضي أن تكون الغرابيل فاعلاً، فالغرابيل تمسك الماء قليلاً وليس العكس فتحقق الربط باللفظ والمعنى معاً، وقوله: «نالت رماحهم قوماً»، والأصل أن ينال الفارس رميته برمحه، فأسند الفعل للرماح إيهاماً بالفعل.

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه أن الجملة الفعلية أقوى تماسكاً على مستوى البنية والدلالة من الجملة الاسمية، وهي كذلك أغزر دلالة وأدل على الحركة، وأكثر تفاعلاً وتعلقاً بالعالم الخارجي، فقد ساهمت في تماسك بنية الخطاب وربطته بالعالم الخارجي الذي تفاعلت معه في الماضي والحاضر، وتقتضى دلالتها التجدد والحركة والاستمرار

---

(١) ارجع إلى: دلائل الإعجاز، ص ١٠٢، والخصائص، جـ٢٨٢/١، وسر صناعة الإعراب، ابن جنى، المكتبة التوفيقية، جـ٢٢٥/١، ٢٢٦ ونتائج الفكر في النحو عبد الرحمن السهيلي، تحقيق محمد إبراهيم، دار الرياض للنشر السعودية ط١٤٠٤/٢هـ ١٩٨٤م ص ٣٨٨.
(٢) ارجع إلى: نهاية الإيجاز ص ٧٦.

والتفاعل المباشر مع الأحداث، وهى تتسع لمعـاني كثـيرة، فيجـد المـتكلم فيهـا اتـساعاً في المعاني الحقيقية والمجازية، ولها حضور في الخطاب المباشر يعين المتكلم على مواصـلة الحـديث دون تعثرٍ أو ضيق، ولهذا أكثر الشاعر من توظيفها في النص ليخوض بها غـمار معـاني متعـددة، فعبر بها عن الأحداث المتحركة، وعبر بها عما اضطرمت به نفسه من توقعات ومـا انتابهـا مـن قلق وخوف.

وقد يربط المفعول بفعله حـرف الجـر لعجـز الفعـل عـن الوصـول إليـه فـبعض الأفعـال تتعدى إلى مفعولها بالحرف، لأنها تلـزم فاعلهـا، وتـضعف عـن أن تـصل إلى مفعولهـا بنفـسها، فتستعين بالحرف ليصلها بالمفعول، فالحروف موصلة إلى المفعـول، وتتعلـق بفعلهـا: « حـروف الجر لابد لها من فعل تتعلق به، لأنها جاءت لتتوصل بعـض الأفعـال إلى الأسـماء»[١] ، فحـروف الجر في الجملة بمنزلة الروابط الحرفية بين الجمـل[٢]، وللحـروف معنـى في الجملـة ولـيس لهـا معنى في ذاتها، ويختلف المعنى باختلافها في جملة واحدة، وقد يحمل معنى حرف على معنـى حرف آخر [٣] .

والأفعال التي تصل إلى المفعول لا تحتاج رابطاً، ولكـن بعـضها لا يـصل إليـه في اللفـظ إلّا بحرف نحو: رغبت الصلحَ، أى رغبت فيه أو عنه، مجرور في اللفـظ وهـو مفعـول في المعنـى[٤]، ولهذا ينصب بعد نزع الخافض، فالحرف ومجروره فى موضع نصب مفعول، فنـصب بعـد نـزع الحرف منه توسعاً على الأصل (انتصاب المفعول).

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٥٦ ، وارجع إلى: شرح المفصل م٢٤٣/١.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، ٣٣٩.

(٣) ارجع إلى الحمل على اللفظ والمعنى، محمود عكاشة ص٩٦ . وقد يؤدي اختلاف الحرف إلى نقيض المعنى نحو: استعنت به واستعنت عليه ورغبت في ورغبت عن، وخرجت به وخرجت عليه .

(٤) الفعل المتعدى الذي يصل إلى المفعول دون حرف يتوصل به إليه، والمفعول به المجرد من حرف الجر الفارق بين اللازم، والمتعدي، والتعدي يكون واحداً إلى ثلاثة مفاعيل: أعلم، أرى، أنبأ، ونبّأ، أخبر، وخبّر، وحدَّث.

والفرق بين المفعول وغيره من المفاعيل(الظرف والمفعول لأجله والمطلق (المصدر المنصوب للتأكيد)، والمفعول معه) دخول حرف الجر على المفعول به نحو: ذهبت بزيد.

والفعل اللازم يلزم فاعله فقط نحو: قام ونام وجلس، وكل فعل لازم يتعدى بحر الجر نحو: ذهبـت بزيـد، ويتعـدى بحـروف الزيـادة فيـه كالهمزة نحو: أخرجت زيداً، والتضعيف: خرّجت زيداً، أو الألف: ماشيت زيداً، والاستقبال نحو: استخرجت كنـزاً، و تـضمين الفعـل معنـى فعل متعدٍ نحو: خال بمعنى ظن: خلت الهلال طالعاً، وهو متعدٍ إلى مفعولين وخلت بمعنى صرت ذا خال يتعدى إلى مفعول واحد، ومثلـه حسب بمعنى ظن، وحسب بمعنى صار ذا نسب. وخالف، قال تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) [النور: ٧٢] يخالف بمعنى يخـرج، لزم المتعدى وعزم قال تعالى: (ولا تعزموا عقدة النكاح) [البقرة: ٢٣٥] بمعنى لا تنوا عقد النكاح، تعدى لأنه متعـدٍ. وبعـض الأفعـال سـمع فيها التعدي واللزوم: نصح: نصحته، ونصحت له، وشكر: شكرته وشكرت له، وكلته وكلت له، وزنته ووزنت له، وعددته وعددت له.

وبعض الأفعال سمع فيه التعدى بنفسها وسمع فيها عن العرب التعدى بالحرف[١]، منها قول كعب: ما تَمسّك بالوصل، وهو فعل لازم، وأصلها مَسَك وزن فعل، يقال مَسَك الشرطي اللصَّ ومسَك به، وجاء منه أفعل المتعدي قال كعب: تُمسك الماءَ الغرابيلُ. من أمسك[٢]، فالتضعيف فيه للتكثير والمبالغة، وليس للتعدية، ومثله: خبَّر وحدَّث، وأصل تمسَّك تتمسَّك بمعنى تتعلق وتفى، فحذفت التاء تخفيفاً، ومثله: «ولا تُمَسِّى...الأراجيلُ»، أى: تتمشى، ومثله: «لم تَخَوَّنه الأحاليل»، أى: تتخونه.

وقال: يسعى الوشاة بجنبيها، وروي «يسعى الوشاة جنابيها» أي حواليها. وسعى فعل لازم، وفيه معنيان أولهما- أنهم سعوا جنابي الناقة وخوّفوه العقاب، فالحديث متصل عن الناقة، والثاني- إن الوشاة سعوا جنابيها أي حوالي سعاد بوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه [٣]، وهذا تفسير بعيد لأن الحديث انقطع عن سعاد في البيت الرابع عشر، وهذا البيت الخامس والثلاثون.

والحرف يعمل في الاسم الجر، ويتصل به ويتعلق بالفعل أو ما يعمل عمله ولكن حرف الجر لا يتصل بالفعل بل يتعلق به في المعنى فقط، فالجار والمجرور متعلقان بالفعل، وبعض الأفعال تتعدى بالحرف لعجزها عن التعدى إليه بنفسها فيصلها الحرف بالاسم نحو: مررت بزيد، فالباء وصلت الاسم بالفعل لعجز الفعل عن الوصول إليه بنفسه، فإن حذف الحرف قدر في الكلام، وانتصب الاسم بعده على المفعولية بعد نزع الخافض الذي شغل موضع المفعول في اللفظ، وأكثر الحروف عملاً في هذا الموضع وأكثرها تعلقاً بالفعل حروف الجر، وبعض الحروف لها أثر حروف الجر مثل: حروف القسم وربَّ وبعضها له أثر في اللفظ ويخالفها في الإعراب مثل واو

---

(١) قد يزاد حرف الجر للتضمين نحو: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) [النور: ٦٣] ضمن معنى الفعل اللازم: خرجوا عن أمره، وقد يضعف العامل بتأخيره نحو (إن كنتم للرؤيا تعبرون)[يوسف: ٧٣] أصلها تعبرون الرؤيا، وقيل اللام زائدة لتقدم المفعول لئلا يحتمل الابتداء، ومثله: (وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) [الأعراف: ١٥٤]البيان ٤٢/٢ والدكتور إبراهيم بركات في قضايا نحوية(د.ت) وقد يزاد الحرف لضرورة كقول حسان:

تبلت فؤادك في المنام خريدةٌ   تسقى الضجيعَ ببارد بسام

(٢) ارجع إلى: مسك: مَسَكَ، مسَّك، وأمسك، يقال:مَسَك بالشىء، ومسكه، وأمسك بالشيء (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) [الممتحنة:١٠]:مسك، وأمسك عن ...: كف وامتنع، وأمسك الشيء: وأمَسك بالشيء: مسَك، وتماسك بالشيء: مَسَك، بمعنى تعلق، واستمسك بالشيء: مسك بقوة. والتاء حذفت في تمسَّك: تتمسك مثل تذكَّر: تتذكر.

(٣) ذهب إلى هذا المعنى محقق الديوان ص ١٩.

المعية، وتقدر بمعنى مع، وينتصب الاسم بعدها على معنى المصاحبة وحروف العطف والاسم بعدها تابع ما قبلها.

وهنالك حروف تتعلق بمجموع الجملة مثل حروف النفي والاستفهام والشرط والجزاء، فهذه الأحرف تدخل على مجموع الجملة لا على جزء منها[(١)].

ويحذف حرف الجر توسعاً، قال تعالى: **﴿شَهِدَ اللـه أَنَّـهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ﴾** [آل عمران: ١٨] المحذوف الباء: بأنه، وقال تعالى: **﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾** [ق: ٢] أي: من أن جاءهم، وقال تعالى: **﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾** [الأعراف: ١٥٥] أي: من قومه، واختار ينصب مفعولين.

وقال جرير:

تمرون الديارَ ولم تعوجوا   كلامكم عليَّ إذن حرامُ

روى بنصب الديار بعد نزع الخافض (الباء)، وهذه رواية أهل اللغة، والرواية في الديوان بفعل متعدٍ: أتمضون الرسوم[(٢)]، والفعل «أمر» يتعدى بالباء كما في قول ابن ميادة:[(٣)]

أمرتك يا رياح بأمر حزم فقلت   هشَيمَة من أهل نجْدِ

وقد يزاد حرف الجر لتضمين الفعل المتعدى معنى الفعل اللازم، قال تعالى: **﴿فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾** [النور: ٦٣] يخالفون ضمن معنى يخرجون

---

(١) ارجع إلى: دلائل الإعجاز ص ٤.

(٢) ارجع إلى: الحمل على اللفظ والمعنى د. محمود عكاشة ص ٢١٨، والكامل، جـ ٣/١ ، المكتبة العصرية ، لبنان، والرواية في الديوان ٥١٢: «أتمضون الرسوم»، فلا شاهد فيها:

أتمضون الرسوم ولا يُحيًّا   كلامكم عليّ إذن حرامُ

والشاهد الصحيح في ذلك قول أعشى طرود (إياس بن عامر):

أمرتك الخيرَ فافعلْ ما أمرت بهِ   فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نشب

(٣) الكامل، المبرد، المكتبة العصرية جـ ٣٩/١ والكافية جـ٣٠٢/١، ٣٠٣، وقد قاله في رياح بنّ عثمان المرى. والهشيمة: النبت الجاف المنكسر.

فتعدى بحرفه (عن) يقال: خرج عن،ويسمى التضمين المعنوي[1].

وقد يزاد حرف الجر في الفاعل، وتكون هذه الزيادة لمعنى،ومنها التعجب، قال كعب:

أكــرِمْ بهــا خلــةً لــو أنهــا صــدقتْ   موعُودَهــا أو لــو أن النــصحَ مقبــولُ

أكرم بها خلة، وهو فعل في صورة الأمر لمعنى التعجب، وأصله ثلاثي ثم حُوّل إلى فعل ماض مزيد أفعل بمعنى صار ذا كرم، وقد حوَّل إلى معنى الطلب مع بقاء المعنى الخبري وضمِّن التعجب ما أكرمها، وقد زيدت الباء في فاعله؛ لئلا يلتبس بالأمر، وقد زيدت الباء بها كما زيدت في فاعل أفعل كفى قال تعالى: **﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾** [النساء: ٧٩]، وزيادة الباء في فاعل أفعل غالبة لا لازمة، وقيل أكرم أمر باعتبار الصيغة والمعنى جميعاً، والمأمور المخاطب[2].

وقيل المعنى الأمر[3]، ولكن المأمور المصدر الذي دلّ عليه الفعل، والباء باء التعدية، وهي متعلقة بالفعل قبلها والاسم بعدها في موضع رفع، والخلة تمييز منصوب[4].

ويروي في موضع أكرم بها خلة: فيا لها خلة، ويا: حرف نداء والمنادي محذوف، ويجوز أن تكون حرف للتنبيه بمنزلة ألا، واللام للتعجب متعلقة بفعل محذوف، والتقدير: فيا قوم اعجبوا لها خلة، أو: ألا اعجبوا لها خلة، ويروي «يا ويحها»، «ويا ويلها»[5]، ويجر الفاعل بالباء جوازاً كما في قوله تعالى: **﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾** [النساء: ٦] أي كفى الله حاسباً، **﴿وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً﴾** [النساء: ٤٥] والمعنى اكتفوا

(١) ويحول الفعل المتعدي إلى اللزوم بضم عين فعل لمعنى التعجب والمبالغة نحو: ضرُب، أي: ما أضربه. ورَبُح التاجر بمعنى: ما أربحه، ويتعدى اللازم بتضمينه معنى المتعدي، قال تعالى: (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) [البقرة: ٢٣٥] ضمن معنى: كونوا، وهو متعدٍ، فتعدى بدون الحرف حملاً على معنى المتعدي نوى.

(٢) شرح قصيدة كعب ص ١١٦ وصاحب هذا الرأي الفراء والزجاج وابن خروف والزمخشري، وارجع إلى الأشباه والنظائر جـ١٨٨/٢.

(٣) ارجع إلى: الأشباه والنظائر جـ١٨٨/٢ اختلف العلماء في «أفعل به» قيل معناه أمر أو أتعجب، مع إجماعهم على أن لفظه لفظ الأمر، واختلفوا في موضع حرف الجر ومجرور، فمن قال إن أفعل أمر وأن فاعله مستتر قال إن الجار ومجروره في موضوع نصب، والباء إما للتعدية كررت به أو زائدة مثل قرأت بالسورة، ومن قال بأن معنى أفعل التعجب لا الأمر قال بأن الجار والمجرور في موضع رفع بالفاعلية ولا ضمير في أفعل، والباء زائدة مثل: (كفى بالله وكيلاً).

(٤) شرح قصيدة كعب ص ١١٦، وهذا مذهب ابن كيسان (ت ٢٩٩) وابن الطراوة (٥٢٨ هـ).

(٥) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ١١٧ والديوان ص ٧.

بالله، وهو يكفيكم أعداءكم والباء زائدة، وهي في موضع رفع، وجيء بالباء للتقوية والتأكيد. ويجر الفاعل بمن جوازاًكما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ [ق:٣٨] المعنى: ما مسنا تعب،[١] والجار والمجرور متعلقان بالفعل العامل.

ويعد حرف الجر من كعناصر تماسك الجملة؛ لئلا يكتفي الفعل بفاعله فقط لضعفه عن الوصول إلى المفعول، فالحرف موصل إليه فجعله في لحمة الجملة، قال كعب: ولا تمسك بالعهد الذي زعمت. ويمشي القراد عليها، فحرف الجر موصل إلى المفعول الذي يضعف الفعل عن الوصول إليه بنفسه [٢] وحرف الجر رابط معنوي؛ لأن معنى التعليق الارتباط المعنوي، فالأصل أن أفعالاً قصرت عن الوصول إلى الأسماء بنفسها، فأعينت على ذلك بحروف الجر، وهذه الحروف تتعلق بالفعل أو ما ينزل منزلته في العمل والتأويل به،ويستثنى من ذلك الحرف الزائد قال تعالى: ﴿**وَكَفَى بِاللـه شَهِيداً**﴾ [النساء: ٧٩] الباء زائدة، لأن الفعل يصل إلى فاعله بنفسه: كفى اللـه شهيداً، وزيدت الباء تقوية وتوكيداً ولم تدخل للربط، ومثله: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللـه**﴾ [فاطر: ٣]من زائدة في اللفظ، وجيء بها لغرض معنوي: التوكيد والتقوية، ومن ذلك أيضاً خلا وعدا وحاشا في الجر، تنحى الفعل عما دخلت عليه[٣].

والأصل في حرف الجر ومجروره أن يتعلقا بالفعل، لأن الفعل قصر عن الوصول إلى الاسم فأعانه حرف الجر، والزائد في الكلام فضلة لا يتعدى به الفعل، والتعدية إيصال الفعل إلى الاسم، ومن ثم حرف الجر الموصل للمفعول جزء من لحمة الجملة وترابطها.

وحروف المعاني تمثل وصلات داخل الجملة تصل بين أجزائها وتؤدي معنى في سياقها، ولا تؤدي معنى في ذاتها، ويختلف معناها باختلاف سياقها اللغوي، والوظيفة

---

(١) القرطبي جـ٣٩/٥ وص ٢١١ وجـ٢٠/١٧.

(٢) ارجع إلى: دلائل الإعجاز ص١٠٢، سر صناعة الإعراب، ابن جني جـ١٣٩/١، ١٤٠، وشرح الكافية جـ٣١/١، والمقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر، تحقيق كاظم بحر المرجان، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، ١٩٨٢م جـ٢٧٤/١، ٢٧٥.

(٣) الأشباه والنظائر جـ٢٦٤/١، ٢٦٥، ولعل ولولا عند من جربهما وكاف التشبيه عند الأخفش وابن عصفور، وربّ عند الرماني وابن طاهر حروف زائدة.

الإعرابية واحدة[١].

وقد يتعلق حرف الجر بمعنى لا يدل عليه غيره فيه، ومن ذلك قول الشاعر:

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... أذنب وإن كثرت فيَّ الأقاويلُ

العرب تقول: أكثر فيه القول، بمعنى كذب عليه وأكثر عنه القول: تتابع الأخبار الحسنة، وأكثر من: طلب الكثير منه، وأكثر عنه القول: أكثر النقل عنه[٢].

وقوله:

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيلُ

قام يقوم به: حمله من قعود، والعرب تقول: قام بكذا: وقف به، وثبت عليه واستمسك به، ولازمه، وقام بالأمر: تمسك به وحافظ عليه، وأقام عنده: ثبت ولم يبرح، والعرب تقول: فلان لا يقوم بهذا الأمر: لا يطيق عليه، وإذا لم يطق الإنسان شيئاً قيل: وكأن الشاعر قد استثقل المقام الذي وقفه أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد صار ما اتهم فيه حملاً ثقيلاً يعجز الفيل على ما به من قوة على حمله، أو أنه لشدته يكاد يسمع الفيل، وهو في اعتقاده لا يسمع، فعبر عن ثقل الموقف عليه بمثل لا يطيقه، وحرف الجر هنا يفيد الملازمة[٣].

وقوله: «فما تدوم على حال تكون بها». تدوم فعل تام، لأن ما نافية لاظرفية، ولأنها بلفظ المضارع «وعلى حال» متعلق بتدوم، حال. وتكون بها تامة أيضاً، وهي صفة الحال، والرابط الضمير المجرور، ويجوز أن تكون «بها» جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان الناقصة على اعتبار كان ناقصة.

قال كعب: تنفى الرياح القذى عنه[الماء]، تنفي فعل متعد لفعل واحد يتعدى إلى الثاني بالحرف عن بمعنى أزال، واستخدم عن؛ لأنه متعلق بسطح الماء، فأراد معنى الرفع والإزالة، وتحقق ذلك بعن، ومثله قوله: قد سيط من دمها فجع وولع... »

---

(١) وتتعلق حروف الجر بالفعل لمعان منها: تعلق المفعول به نحو: أمسكت باللص، والمعنى: أمسكت اللصَ، وتعلق المفعول له: جئتك للطعام والمال، وتعلق الظرف: أقمت بمَكة وتعلق الحال: خرج بأسرته، وتعلق المفعول معه: ما زلت بزيد حتى ذهب، أي ما زلت مصاحباً له حتى ذهب. الأشباه والنظائر في النحو جـ١٠١/١.

(٢) اللسان:كسر م ٦٠٢/٧ (دار الحديث)، كثَّر القول: زاده كثرة وكثر فيه القول: كذب فيه وأكثر الله فينا مثلك: زاد فينا أمثالك.

(٣) اللسان: طوق جـ٥٤٨/٧ (دار الحديث).

الجار والمجرور بمنزلة المفعول الثاني.

وقد يعدل المتكلم عن حرف مشهور إلى غيره لمعنى أبلغ يؤديه السياق اللغوي، ومن ذلك قول كعب: والعفو عند رسول الله مقبول. والمشهور فيها: والعفو من رسول الله، فعدل عنها إلى«عند» لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولتوسعته فالعفو عنده أبلغ من العفو منه.

ويجوز أن يقع حرف الجر موقع غيره في التركيب، فيكون بمعناه، وهذا المعنى خاص، ومنه قوله: «ثم يزلقه منها لبانٌ وأقرابُ»، من بمعنى عن، والمعنى يزلق القراد عنها صدرها وخواصرها، وقد جعل «من» في موقع «عن» لشدة حرص القراد على ملاصقة جلد الناقة، فيقع عنه لشدة ملاسته وامتلائه.

وقوله: «والعفو عند رسول الله مقبول». وقع «عند» موقع «من» لكثرة عفوه وأنه من بين خلال أخرى عليها خلقه الحسن صلى الله عليه وسلم كقولنا: المال عند فلان كثير، ففيه وفرة، وهذا لا يحتمله قولنا: المال من فلان[1].

وقوله: «قد سيط من دمها» من بمعنى «في» أي: خلط في دمها، كقوله تعالى﴿**أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ الأَرْضِ**﴾ [الأحقاف: ٤].

وقوله تعالى: ﴿**إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ**﴾[الجمعة: ٩] أي في يوم فنزلت «من» منزلتها، لأنها في جزء من النهار ومن تفيد التبعيض، وقد جعل الشاعر من موضع «فى» ليجعل الفجع والإخلاف لتبديل ممزوجة بدمها أو مصنوعة منه للمبالغة في المعنى، وأصل المعنى إن هذه المرأة قد خلط بدمها الإفجاع بالمكروه، والكذب في الخبر، والإخلاف في الوعد، وتبديل خليل بآخر، وصار ذلك سجية لها، ولا طمع في زواله عنها. وساط بمعنى خلط الشيء حتى اختلط، فتعدى بحرفه «من» في المفعول الثاني، فساط متعدٍ لمفعول واحد، وقد صار نائباً لفاعله.

وقيل قوله: فما تدوم على حال تكون تكون بها، الباء بمعنى عليها مثلها مثل قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ**﴾ [آل عمران: ٧٥] الباء بمعنى: على قنطار. وقيل بمعنى في مثل: ﴿**حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾[ص: ٣٢] أي في الحجاب،

(١) انظر تفسير الطبري ج٢٩٩/١ ويسمى المعاقبة: أن يتعاقب حرفان في موضع واحد.

وقيل الباء في بالحجاب: باء السببية. وقد عدى الفعل بالباء لتكون الحال ملازمة لها، فهي متلبسة بها[1].

وقوله:

فما تدوم على حال تكون بها	كما تلوَّن في أثوابها الغول

والباء في بها للإلصاق نحو: بزيد داء، أو تكون بمعنى على كما في قوله تعالى: **﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾** [آل عمران: ٧٥] أي على قنطار أو بمعنى في مثل قوله تعالى: **﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾** [ص: ٣٢] في الحجاب، وقيل بمعنى السببية (بسبب الحجاب)[2]. والجار والمجرور يتعلقان بالفعل أو ما يشبهه أو ما يشير إلى معناه، فحرف الجر رابط حرفي إلى جوار الرابط السياقي المعنوي والرابط الإسنادي في الجملة، وحرف الجر متعلق بفعل أو ما يشبهه والتعليق رابط معنوي[3]. ويتعلق حرف الجر بمحذوف في المواضع الآتية[4]:

- أن يقع مع مجروره صفة: قال تعالى **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ﴾**[البقرة: ١٩] من السماء في موضع جر صفة صيب، كقول كعب:

إن الرسول لسيف يستضاء به	مهند من سيوف الله مسلول

قوله: «من سيوف» متعلق بمحذوف تقديره كائن من سيوف الله، وقد جمع بين الوصف بالجملة وشبه الجملة والوصف المفرد (مهند)، وهو الأصل، ولهذا رجح بعض

(١) شرح قصيدة كعب، ص١٤٠.
(٢) شرح قصيدة كعب، ص١٤٠.
(٣) الظرف والمجرور، لابد من تعلقهما بالفعل أو ما يشبهه (ما يعمل عمله) أو ما أوّل بما يشبهه كقوله تعالى: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)[الزخرف: ٨٤] إله مؤول بمعبود: اسم مفعول يعمل عمل الفعل. أو ما يشير إلى معناه نحو: فلان حاتم في أسرته. حاتم رمز الجود ويقدر في الكلام إن لم يكن شيئاً من ذلك موجوداً نحو: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) [الأعراف: ٧٣] أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً. ويقدر أو استقر.
وهنالك حروف لا تتعلق بفعل منها: حرف الجر الزائد الباء في (كفى بالله شهيدا) [النساء: ٧٩] من (هل من خالق غير الله) [فاطر:٣] ومنها لعل ولولا عند استعمالهما جراً وربّ وكاف التشبيه وخلا وعدا وحاشا في الجر، الأشباه والنظائر١/٢٦٤، ٢٦٥
(٤) ارجع إلى: الأشباه والنظائر ج١/٢٦٥ والظرف مثل الجار والمجرور نحو: (وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون) [الأنبياء: ١٩] (من عنده) الظرف صلة الموصول. أي: ومن خلق عنده من الخلق ومنهم الملائكة عليهم السلام. وأعندك شك. أي: أستقر عندك شك. ونحو: أيوم الجمعة صمت. ويقدر العامل في الظرف فعلاً، لأنه الأصل في العمل في الظرف (النصب).

العلماء المحذوف اسماً «كائناً أو مستقراً»، وقوله: «عيشهما لحم من القوم معفور». «من القوم» متعلق بمقدر تقديره: كائن من القوم. يقدر اسماً؛ لأن الصفة المفردة تكون اسماً، ويجوز تقديره فعلاً؛ لأنه الأصل في العمل.

- أن يقع مع مجروره حالاً، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: ٧٩] والتقدير:حال كونه مستقراً في زينة، وقدر بعضهم: فخرج على قومه متزيناً، فوقع الجار والمجرور موقع الحال. وكقول كعب: «كل ابن أنثى.... على آلة حدباء محمول» على آلة جار ومجرور متعلقان بمحذوف تقديره: يستقر على آلة، قدّر فعلاً؛ لأنه عامل النصب في الحال المفرد، وشبه الجملة نزل منزلته، ونحو: «مسكنه من بطن عُثّر غيل» أي حال كونه من بطن عَثَّر (اسم وادى).

- أن يكون صلة نحو: جاء من في قلبه خير، والمعنى من استقر في قلبه خير. والأولى تقدير فعل بعد اسم الموصول؛ لأن صلة الموصول جملة.

- أن يكون حرف الجر ومجروره خبراً نحو: زيد في البيت. والتقدير: استقر أو كان أو وجد أو ثبت في البيت. ويجوز تقدير المشتق مستقراً أو كائناً، والأولَى تقدير فعل؛ لأنه الأصل في العمل عند بعض النحاة، وتقديره اسماً جائز أيضاً[1]. ومن ذلك قول كعب في الناقة: في دفها سعة، ويرجح في المحذوف الاسمية؛ لئلا تكون الجملة فعلية: كائن في دفها سعة، وهذا يخالف رأي من رجح تقدير المحذوف فعلاً، ويغلبون ذلك مع الظروف، وأقول هذا يرجح في غير التقديم والتأخير، فلا يرجح فعلاً في: «في الخدين تسهيل»: فلا يقال: استقر في الخدين تسهيل، فالجملة في الأصل اسمية فيقدر المحذوف اسماً: مستقر في الخدين تسهيل[2]، فيرجح الاسم في هذا الموضع وقوله «لبوسهم من نسج داود» يقدر كائنة من نسج داود، والأصل تشبه نسج داود.

- أن يكون في دعاء نحو: بالرفاء والبنين، بإضمار العرس بالرفاء والبنين،دعاء بالالتئام والاتفاق، أو دعاء عليهم نحو: (لا أبا لكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مرفوع خبر لا، وقيل بل الخبر مقدر، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة،

---

(١) الأشباه والنظائر ج، ٢٦٥/١.
(٢) ارجع إلى: الأشباه والنظائر، جـ٢٦٥/١.

والأرجح الأول[1].

- أن يأتي بعد استفهام ويرفع ما بعده نحو: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم: ١٠] أي: أكائن عندك شك.

- أن يكون في قسم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[الليل: ١] الواو حرف قسم يجر ما بعده مثل الباء والهمزة والتاء، والتقدير: أقسم أو أحلف: (والليل إذا يغشى) والأولى تقدير فعل قبل القسم، لأن القسم جملة.

والأرجح أن يقدر المحذوف فعلاً في كل ما مضى، لأنه الأصل العمل والتعليق يكون فيه، وهو ارتباط معنوي، ويقوي ذلك أن الظرف معمول الفعل، والظرف يقع خبراً متعلقاً بمحذوف قدره العلماء على الأرجح فعلاً، والمشتق أو الوصف يعمل عمل الفعل جوازاً، والأولى أن نقد عليه الأصل (الفعل).

ثالثاً- الجملة الشرطية: جملة فيها حرف شرط له شرط وجزاء، وهي عبارة عن جملتين ربط بينهما حرف الشرط ومعنى الشرط، فالجملة الثانية جزاء الأولى أو جوابها، فهي متممة لمعاني، وهي بمنزلة الخبر من المبتدأ، والجواب جزاء الشرط وتمام معناه؛ وهما معاً بمنزلة جملة واحدة تامة.[2]

وقد أطلق الزمخشري على التركيب الشرطي اسم الجملة الشرطية؛ لأن الشرط وجوابه بمنزلة المسند والمسند إليه في قوة ما بينهما، ويجوز حذف الجواب لدلالة المتقدم عليه،وهذا جائز أيضاً في الإسناد الجملي، فقوى ذلك شبه الشرط بالتركيب الجملي (المسند والمسند إليه)، وتسمية التركيب الشرطي جملة فيه خلاف، فالحجة، عند الزمخشري أن حرف الشرط ربط بين الجملتين، فصارتا كالجملة الواحدة مثل

(١) شرح قصيدة كعب، ص ٢٦٦.

(٢) ارجع إلى: شرح المفصل، أين يعيش م١٧٢/١ ومصطلح «الجملة الشرطية» من وضع الزمخشري وهذا مذهبه، وهذا في ظاهره يشبه الجملة، لكنه لا يكون جملة كالمسند والمسند إليه، فهو مكون من تركيبين (جملتين) والأولى أن نسميه الجملة المركبة تمييزاً لها عن الجملة المألوفة (المسند والمسند إليه)، ولا نسميها الجملة المعقدة، فالتعقيد: التداخل والالتباس، فلا يعرف المسند إليه والمسند إلا بعد نظر طويل كالتقديم والتأخير الذي يختلط على المتلقي. واستخدام الزمخشري مصطلح الجملة الظرفية، يريد الجمل التي تعلق فيها الظرف بمحذوف قدر خبراً، وسماها ظرفاً لوقوع الحوادث فيها نحو: زيد عندك، وهذه الظروف ليست خبراً بل تعلقت بخبر، يقدر فعلاً أو اسماً، وهي أشباه جمل وليست بجمل.

المبتدأ والخبر، فالمبتدأ لا يستقل بذكر عن خبره؛ لأن الأخير متم الفائدة ومخبر عنه إفادة، والشرط لا يستقل عن الجزاء.

ويخبر عن المبتدأ بجملة الشرط ويربط بينها وبين المبتدأ رابط نحو: زيد إن تكرمه يكرمك، جملة الشرط وقعت خبراً، والرابط الضمير، ومثله: زيد إن يقم أكرمه. وقع الرابط في جملة الجزاء، فالعائد في الجملتين واحد، وهذا يؤكد كونهما جملة واحدة.

ويدخل حرف الشرط على جملتين، فيربط إحداهما بالأخرى، فتصيران كالجملة الواحدة، فقولنا: قام زيد، خرج محمد، جملتان متباينتان لا تعلق لإحداهما بالأخرى، فإن دخل حرف الشرط عليهما صار جملة واحدة، لأن حرف الشرط يربط بينهما، فتتعلق الجملة الثانية بالأولى؛ لأنها جزاء لها، وتعلقت الأولى بها لحاجتها إلى معنى الثانية فهي جواب لها، وذكر إحداهما منفردة بعد حرف الشرط لا يفيد شيئاً ولا يعد كلاماً تاماً، والجامع بين الجملتين حرف الشرط، وما يتحقق عن تلازمهما من معنى، فلا تقطع إحداهما عن الأخرى، فيتباين المعنى، وكل منهما لها معنى مستقل دون حرف الشرط، واتصال الثانية بالأولى كعلاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، فلا يكون شرط دون الجملتين معاً، وكذلك لا يكون معنى مفيد دون المسند والمسند إليه[١].

وأزيد إلى ما ذكره الزمخشري أن الجملة الشرطية قد يدخل فيها جمل اعتراضية والجملة الوصفية والجملة الحالية والتفسيرية ويدخل فيها متعلقات كالجار والمجرور والصفة والتوكيد والظرف، وهذا أيضاً في الجملة الإسنادية (التي بها مسند ومسند إليه).

وقد رأى الفخر الرازي أن مجموع جملتي الشرط (جملة الشرط وجملة الجزاء) جملة واحدة، وكذلك ما عطف عليهما من جمل بمنزلة جملة واحدة، فالشرط مجموع الجملتين وما عطف عليهما كقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾** [النساء: ١١٢] فحكم البهتان والإثم متعلق بالخطيئة والإثم اللذين يرمى بهما البريء[٢]. وقال تعالى: **﴿إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ**

(١) ارجع إلى: شرح المفصل، م١/١٨٥.
(٢) نهاية الإيجاز، ص٢٠٢، ٢٠٣.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]. وإذا: ظرف منصوب المحل، والعامل فيها -على الأرجح - فعل الشرط وجملة الشرط مضافة إليها، والجواب مقيد بالفاء. واقتران جواب الشرط بالفاء يقوى التصاقه بجملة الشرط، فالفاء رابط حرفي إلى جوار أداه الشرط.

وهذا النوع من الجمل يطلق عليه الجملة المعقدة لشدة ما بين الشرط الجزاء من الترابط والتمام، ولعدم جواز قطع الثانية عن الأولى، فينتفي عنها معنى الجزاء أو الجواب. وتسميتها بالمعقدة غير دقيق والأدق تعبيراً عن تسمى بـ«الجملة المركبة»؛ لأنها مركبة من جملتين، الأولى منهما بمعنى الشرط والثانية جوابها، والتعقيد يكون في المعنى لعدم وضوحه، وهذا ليس في الشرط فليست بمعقدة بل مركبة؛ لأن التركيبين يدخلان في علاقة شرطية، ونطلق عليهما مجازاً الجملة الشرطية تشبيها بالجملة الإسنادية المألوفة[1]. قال كعب:

إذا يساور قرناً لا يحل له ... أن يترك القِرْن إلا وهو مجدول

«يساور قِرنًا» جملة الشرط وجوابه: «لا يحل له أن يترك القِرن إلا وهو مجدول»، وقد حذفت الفاء من الجواب؛ لأن الجزاء جملة فعلية، وقد تداخلت جملتا الشرط والاستثناء، فقد وقعت جملة الاستثناء جواب الشرط، وفيه جملتان في تركيب واحد: لا يحل له أن يترك القرن إلا وهو مجدول. الجملة بعد «إلا» حال مقترنة بالواو، والمرفوع بعد «إلا» يجوز إعرابه جملة، وحق اللفظ المفرد بعد إلا في الاستثناء التام المنفي النصب على الاستثناء.

ب- الجمل المتعلقة بما قبلها

هنالك في العربية ترتبط بما قبلها لدخولها في معناه وتمامه مثل جملة الخبر أو تكون مبينة له فتكون وصفاً، وهي الجملة الوصفية أو تبين حالة فتكون قيداً لعامل الحال ووصفاً له في المعنى، وهي الحالية، أو تكون مفسرة لمبهم كجملة الصلة، أو جزاء شرط، وهي أشد ارتباطاً به من غيرها، ويمثلان معاً جملة مركبة فالجواب بمنزلة الخبر

(١) مصطلح الجملة المعقدة (أو المركبة) غربي، وليس من وضع علماء العربية بل ترجمة Complex sentence، وهذا المصطلح لا يعبر عن طبيعة الجمل المتماسكة، كتعلق جملة الحال بصاحبها وتعلق جملة الصفة بالموصوف، وجملة الجزاء بجملة الشرط، فهذه الجمل تتعلق بما سبقها، وهي متممة لها في المعنى بيد أنها لا تدخل معها في علاقة تعقيد.
ارجع إلى مدخل إلى دراسة الجملة العربية، الدكتور محمود نحلة، ط دار النهضة العربية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م ص ٢٤.

في الشرط.

والجملة المقسم عليها ترتبط بجملة القسم، فالأولى (جملة القسم) تأكيد لها، وهي جملة جواب القسم، والجواب متوقع للمخاطب عند سماع القسم [١].

وهذه الجمل تتصل بما قبلها لفظاً ومعنى أو معنى فقط، فقد تعترض بينهما جملة معترضة أو يفصل بينهما فاصل في اللفظ فقط، ويزيد الجملة ارتباطاً بما سبق موقعها منه إعراباً، فالجمل التى لها محل من الإعراب يمكن تأويلها بمفرد، فيقع موقعه مما تعلق به من كلام سبق، كالجملة الخبرية التي تقع موضع الخبر المفرد وكذلك جملة الصفة والحال، فالموقع من الإعراب يعد رابطاً إلى جوار الروابط اللفظية والمعنوية، فهي تابعة لما قبلها[٢].

وهذه الجمل ترتبط بغيرها؛ لأنها تتعلق بمعنى فيه، ويدخل فيها الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب، تأتي لمعنى فيما قبلها ما عدا الجملة الابتدائية، فما بعدها تبع لها[٣].

---

(١) الجملة القسمية يؤتى بها لتأكيد الجملة المقسم عليها، وقد تدخل قد على الجواب للتوقع.

(٢) الجمل التي لها محل من الإعراب: الخبرية، والحالية، والمحكية بالقول، والوصفية، والمضاف إليها والمعلق عنها. والتابعة لما هو معرب أو ذو محل وجزاء الشرط الجازم مقترنة بالفاء، أو بإذا الفجائية. فالصفة تتبع الموصوف الذي له محل من الإعراب، ولكن صلة الموصول (الجملة) لا محل لها من الإعراب فلا يمكن تأويلها بمفرد، وكذلك الجملة المعترضة، والمفرد الأصل في الجملة.
والجمل التي لها محل من الإعراب تقدر بمفرد، فالمعرب المفرد، الأشباه والنظائر جـ٢/٢٥.

(٣) الجمل التى لا محل لها من الإعراب: جمل لا تحل محل المفرد، وهو الأصل في الجمل، وهي سبعة :
- الابتدائية نحو: بانت سعاد، الرسول نور. وتسمى الجملة المستأنفة، لافتتاح الكلام بها في أوله وأول الفقرات والموضوعات، ومنها الجمل المنقطعة نحو: كل ابن أنثى ميت.
- الجملة الاعتراضية التى تعترض بين كلام لإفادة الكلام تقوية: (فإن لم تفعلوا –ولن تفعلوا- فاتقوا النار) [البقرة: ٣٤].
- الجملة التفسيرية، وهي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه قال تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران: ٨٩] جملة: «خلقه» تفسيرية.
- جملة جواب القسم قال تعالى: (يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين(٣)) [يس: ١، ٣، ٣].
- جملة جواب الشرط على ألا تكون بعد الفاء أو إذا في الشرط الجازم.
- جملة الصلة، صلة الاسم: جاء الذى مات أبوه، وأعجبني أن قمت.
- الجملة التابعة لما لا محل له من الإعراب كالعطف على الجملة الابتدائية.
ارجع إلى: الأشباه والنظائر جـ٢/ ٢٤، ٢٥.

وهذه الجمل تتعلق بما قبلها بالضمير أو بالمعنى، فهي تدخل فما تعلقت به[١].

والجمل في قصيدة كعب فيها تماسك، فالجمل تدخل في علاقات مع غيرها برابط لفظي أو رابط سياقي معنوي، والجملة التي تكتفي بذاتها غير موجودة، فالجمل تشابكت في بناء القصيدة، وتشكل الجملة لبنة فيه، فلا تشذ عن نسيج البناء الكلي، والجمل الاعتراضية وجملة الصلة وجواب القسم والجمل الشارحة، جاءت لمعان في النص.

وقد توهم بعض المعاصرين أن الجمل التي لا محل لها من الإعراب في اصطلاح النحاة تخرج عن نسيج النص لإمكان الاستغناء عنها، واستندوا في ذلك إلى قول النحاة فيها إنها لا محل لها من الإعراب، وهذا رأي فيه نظر، فالجمل التي حملت هذا التوصيف النحوي وظفت لمعاني في النص، منها التوضيح والتخصيص والتفسير والتأكيد، وقد تأتى لمعان بلاغية كالدعاء والمدح والذم وغير ذلك[٢].

وهذه الوظائف متممة لمعان في النص؛ وتوصيف النحاة لمكانها النحوي من غيرها يعني أنها تشكل وحدة نحوية مستقلة لا يفسد التركيب والسياق بدونها، وأنها قد تأتى بين أجزاء التركيب اعتراضاً، أو أنها توضح معنى المبهم مثل جملة الصلة، أو للتأكيد كجملة جواب القسم.

وهذا لا يعني أنها تراكيب رئيسة في النص بل جمل متممات لمعان تدعم وحداته الأساسية، وتدخل في لواء جمل أساسية في النص فهي تبع لها، ولا يمكن الاستغناء عن بعضها كجملة الصلة فهي لازمة للاسم الموصول وليست مكتفية بذاتها.

لكن الجمل التي لا محل لها من الإعراب ليست في درجة ما لها محل من الإعراب؛ لأن الأخيرة تزيد عليها في موقعها من الإعراب فهي تحل محل المفرد، وهو الأصل في الجمل ولكن الجمل التي لا محل لها من الإعراب لا تحل محل المفرد فلا تؤول به، ولا

(١) بعض الجمل ليس فيها ضمير مثل جملة جواب القسم نحو: (يس، والقرآن الحكيم، إنك من المرسلين) [يس ١-٣] جملة الجواب الأولى ومتممة لمعناها، فالرابط هنا رابط معنوي لازم، والجملة الجواب مؤكدة للقسم، والجملة الابتدائية مفتتح الكلام أو استهلاله.

(٢) ارجع إلى: نحو النص في النحو العربي، دراسة في مجموع من العبارات الشارحة، فيصل إبراهيم صفا، بحث في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، عدد ٢٣/٩٢، ٢٠٠٥م ص٥٩، وقد ذهب صاحب البحث إلى أن الجمل التي لا محل لها من الإعراب -حسب تعبير النحاة- تخرج عن نسيج النص؛ لأنها مكتفيه بذاتها.

تنزل منزلته من الكلام، ولكنها ترتبط بما جاء لـه في المعنـى واللفـظ أو في المعنـى فقـط، فهي في الدرجة الثانية في ارتباطها بما جاء له.

وتحصر الجمل التي ترتبط بما قبلها فيما يأتي: [1]

الخبر الجملـة، وجملـة الـصفة، وجملـة الحـال، وجملـة الـصلة، وجملـة جـواب الـشرط، والجملة التفسيرية، وهنالك جمل أخرى مثل: الجملة المحكية بالقول، وجملة جـواب القـسم، والجملة التي تؤول بمصدر، والجملة التي تستثنى مـن الكـلام، وخـبر بعـض الأفعـال الناسـخة (خبر جملة اسمية أو فعلية).

الأولى - الخبر الجملة:

الخبر الجملة الركن الثاني في الجملة الاسمية، وهو ركن أساسي ويحتـاج إلى رابـط يربطـه بالمبتدأ[2]، ولا يستغنى عنها؛ لأنها إخبار عن المبتدأ ومتممة لمعنى الجملـة، والـرابط في جملـة الخبر: الضمير والإشارة أو تكرار لفظ المبتدأ في جملة الخبر أو تكرار معناه.

- الربط بالضمير: ويكون ظاهراً ومضمراً في الأفعال أو مضافاً إلى الأسماء والـضمير الأصـل في ربط الخبر الجملة بالمبتدأ، وتجب مطابقته مع المبتدأ؛ ويظهر الرابط في الجملة الاسمية مع المبتدأ مفرداً ومثنى وجمعاً، نحو: زيد شعره طويل. وتجب مطابقـة الـضمير المقـدر والظـاهر للمبتدأ، وقد ناب الضمير مناب المضاف إليه، والأصل: زيد شعر زيد طويل. فأغنى الضمير عن تكرار اللفظ، وضمير الفصل[3] (أو العماد) يظهر في جملة الخبر لتأكيد معنى الخبر فيه، وجـيء بالفصل ليتعين كون اللفظ خبراً لا صـفة لـصحة الوصـف بـه، قـال تعـالى: **﴿وَالْكَـافِرُونَ هُـمْ الظَّالِمُونَ﴾** [البقرة: ٢٥٤] [4].

---

(١) ارجع إلى: الأشباه والنظائر في النحو جـ١/٢٢٧.
(٢) شرح الكافية، ابن الحاجب جـ١/٢٢٧.
(٣) شروط ضمير الفصل:
١- أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة وأن يكون هو المغني.
٢- أن يكون بين المبتدأ وخبره.
٣- أن يكون بين معرفتين أو معرفة وما قاربها من النكرات.
شرح المفصل م٢/٥٩، وهو مؤكد لما قبله نحو: زيد هو القائم، إن زيد هو القائم، ويجوز إعرابه مبتدأ وما بعده خبره، ويجوز ألا يكون لـه موقع من الإعراب مثل «ما» في: (فبما رحمة من اللـه) [آل عمران: ١٥٩] ومثل الكاف في أولئك، ورويدك، وذلك.
(٤) شرح الكافية ج٢/٢٤ وهذا يختلف عن ضمير الشأن الذي يتصدر الجملة الاسمية أو الفعليـة فيقـدم كنايـة عـن الجملـة التـي تـصدرها، وتكون الجملة خبراً عنه وتفسيراً له مثل: (قل هو اللـه أحد) [الإخلاص: ١] شرح المفصل م٢/٦٥.

ونحو: قولي زيد قائم، فالمعنى (قام هو) يقدر الضمير مثلما يقدر في الخبر المفرد نحو: زيد قائم، أي قائم هو.

ويجوز أن يقام الظاهر مقام الضمير بيد أن الضمير أفصح فلا حاجة لتكرار ذكر لفظ تقدم، والرابط في جملة الخبر ضروري؛ لئلا يفهم أنها كلام(١).

والضمير أساس ربط الخبر الجملة بالمبتدأ، ويظهر في الخبر الاسمي نحو: محمد ثوبه جديد، ويضمر في الخبر الفعلي إن كان المبتدأ مفرداً، فالعائد ضمير المفرد نحو قول كعب: رسول الله أوعدني، أي هو، ويشترط أن يطابق الضمير المبتدأ الذي يعود عليه.

وقد يغني عن الضمير رابط آخر في الخبر الجملة وهو:

- أن يكرر لفظ المبتدأ في الخبر الجملة في مقام التعظيم أو التهويل، مقام العظيم كقوله تعالى: **﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾**[الواقعة: ٢٧].

ومقام التهويل لقوله تعالى: **﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾**[الحاقة: ١، ٢] و **﴿الْقَارِعَةُ* مَا الْقَارِعَةُ﴾**[القارعة: ١، ٢]. وتكرار لفظ المبتدأ في الخبر الجملة أقوى من الربط بالضمير، فالضمير مبهم ويحتمل وقوعه لغيره في كلام متقدم بيد أن اللفظ المكرر في الخبر الجملة هو لفظ المبتدأ، فهو خبر له لا لغيره، وهو الأصل في الكلام أن يذكر اللفظ في الكلام، ولكن الضمير أغنى عن إعادة ذكر الظاهر المتقدم(٢).

- أن يحيل اسم الإشارة في جملة الخبر إلى المبتدأ المتقدم والإشارة تغني عن تكرار لفظ المبتدأ أو ذكر ضميره، قال تعالى **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾** [الأعراف:٣٦] وقوله: **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾** [الإسراء:٣٦]، **﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾** [الأعراف:٢٦] ويأتي اسم الإشارة في المنزلة الثانية بعد الضمير في الربط في الكلام، والأصل في اسم الإشارة أن يحيل إلى معهود في العالم الخارجي، ولهذا يوظف في الإثارة إلى الأعيان.

(١) مغنى اللبيب جـ٥٧٣/٢ الضمير الأصل في الربط ولهذا يربط به مذكوراً كزيد ضربته أو ومحذوفاً مرفوعاً نحو: (إن هذان لساحران) قدر العلماء في بعض الوجوه: لهما ساحران. ومنصوباً نحو: (وكلاً وعد الله الحسنى) [الحديد:١٠].
(٢) ارجع إلى: شرح الكافيةجـ ٢١٣/١ ومغني اللبيب، جـ ٥٧٥/٢.

ولم يستخدم الشاعر اسم الإشارة في ربط الخبر بالمبتدأ، بل استخدم الضمير كثيراً، لأن الشاعر استهل القصيدة بحديث سرد فيه علاقته بسعاد ثم حديثه عن الناقة والرحلة ثم إخباره عن أزمته مع أخلائه والوشاة ثم إخباره عما اتهم به ثم اعترافه بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته ومنزلة أصحابه رضوان الله عليهم، وهذا على سبيل الإقرار والإخبار والحكي، والإشارة تكون في مقام الخطاب المباشر والاتصال بالعالم الخارجي والحديث عن الأعيان[1]، فجملة الصلة أشد اتصالاً بالموصول، فلا غنى للموصول عنها، وهما (أي الاسم الموصول والضمير) يحيلان إلى المبتدأ، قال تعالى: ﴿**أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ الله رَسُولاً**﴾ [الفرقان: ٤١] أي بعثه الله[2].

- أن يأتي ضمير الشأن مبتدأ في الجملة الكبرى، فالجملة التي في صدرها ضمير الشأن تكتفي بضمير الشأن رابطاً؛ لأنه يحيل إلى متأخر في اللفظ، فهو الرابط قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١].

- أن يكون الخبر الجملة في معنى المبتدأ، فلا يحتاج رابطاً كقوله تعالى: ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يونس:١٠] ونحو قولنا: التوحيد الله واحد، أو التوحيد قولنا لا إله إلا الله، (الله واحد) جملة في معنى المبتدأ، التوحيد مبتدأ، وما بعده خبر في معناه، والجملة من المبتدأ والخبر خبر عن المبتدأ الأول التوحيد، ونحو: توبتي أستغفر الله، واعتذاري أنا آسف، وقولي أساس التقدم العلم، ومثل: منى زوجتي أم عبد الله، ومني جاءتني أم عبد الله، ومنه قول كعب:

يسعى الوشاة جانبيها وقولهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

قولهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول، جملة، و قولهم رفع بالابتداء وما بعده خبره، وهي نفس المبتدأ في المعنى، فلا تحتاج إلى رابط[3].

- أن يدل الفعل في جملة الخبر على عموم يدخل فيه المبتدأ كأن يكون الخبر جملة فعلها نعم أو بئس، وهما فعلا المدح والذم، ولفظهما يوحّد مع الاثنين والجماعة، لدلالة الواحد على العموم أو الجنس، نحو قولنا: زيد نعم الرجل. ونحو: هند نعم المرأة أو نعمت المرأة ، فالرجل دل على العموم والمرأة دلت على العموم. وقد يحذف فاعل نعم وبئس ويفسره الاسم النكرة المنصوب تمييزاً، قال تعالى: في الشيطان: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ**

---

(١) مغني اللبيب، جـ ٥٧٥/٣.
(٢) شرح الكافية، جـ ٢١٢/١.
(٣) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص ٢٦٠.

﴿وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠] أي بئس البدل بدلاً ومثله: زيد نعم رجلاً، أي: نعم الرجل رجلاً[١].

- أن تدخل «ال» التعريف على المبتدأ في الخبر الجملة، فتنيب عن الضمير الرابط ويسمى الضمير منوياً نحو: كتابي العلم علم وافر، والخط خط واضح، والتقدير: كتابي علمه علم وافر، وخطه واضح. وجاء في الحديث: «زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب»[٢] أي: مسه مس أرنب، وريحه ريح زرنب.

ويجوز أن يقدر في الكلام للعلم به في خبر الجملة، فيحذف من الخبر الجملة وذلك في المواضع الآتية:

- أن يقدر حرف الجر «من» متصلاً به الضمير المحذوف كقوله تعالى: **﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾** [الشورى: ٤٣]، والمعنى: إن ذلك منه. قدرت من قبل الضمير المحذوف، وقولنا: القطن قنطار بألف جنيه. أي: قنطار منه. حذف حرف الجر والضمير المتصل به وقدر في الكلام، و«قنطار بألف جنيه» جملة والمبتدأ فيها قنطار وجاز أن يأتي نكرة؛ لأنه موصوف بمقدر في الكلام «منه»، فجاز حذف الرابط على تقدير الضمير، ولأن الجملة الثانية ترتبط بالمبتدأ (القطن)، فالقنطار من أوزان القطن.

- ويقدر الضمير بعد لام الجر، قال تعالى: **﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾** [طه: ٦٣] ذهب بعض العلماء إلى تقدير محذوف:إن هذان لهما ساحران، واللام داخلة على المبتدأ المحذوف والتقدير هذان لهما ساحران، فاللام للابتداء، وقيل إن فيها ضمير الشأن محذوفاً، وما بعدها مبتدأ وخبر، والتقدير إنهما هذان لساحران وهذا الوجه ضعيف من أجل اللام التي في الخبر[٣].

---

(١) ارجع إلى: شرح ملحة الإعراب، ص ١٧٩، وفاعلها يكون معرفاً بالألف واللام أو يضاف إلى المعرف بالألف واللام نحو: نعم الرجل زيد، وبئس صانع الشر الطامع. وزيد مرفوع على أحد وجهين الأول- أنه مبتدأ مؤخر. زيد نعم الرجل، وخبره ما بعده. والثاني: أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: نعم الرجل هو زيد، أو الممدوح زيد، والمذموم الطامع. ويجوز أن تثبت تاء التأنيث وتحذف في نعم وبئس للدلالة على العموم.

(٢) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها،وهو من حديث طويل عرف بحديث أم زرع. والزرنب: نبات له ريح طيب.

(٣) ارجع إلى: تفسير النسفى، ط دار الكتاب العربي، جـ٥٨/٣ قال الزجاج: لهما ساحران، فحذف المبتدأ. التبيان في إعراب القرآن، جـ٨٩٥/٢.

كقول امرئ القيس[1].

فأقبلــــت زحفـــاً عـــلى الـــركبتين   فثـــوبٌ لبـــست وثـــوبٌ أجـــرُّ

أي لبسته، وآخر أجره، قدّر الضمير في خبر الخبر الجملة.

- ويقدر في خبر«كل» نحو: كل الأسرى قتلت، وكل الضيوف أكرمت، وكل المال تركت.

وقد جاء الخبر جملة فعلية، في «بانت سعاد»، والجملة الفعلية تدل على الحركة والتجدد والحدوث. وقد استعان كعب بالضمير في الربط قال: فقلبي ... لم يفد، أي لم يفد هو. ويروي في موضوعها: «لم يُجز» و «ولم يشف»، والضمير رابط أساس في الخبر الجملة الفعلية خلافاً للخبر الجملة الاسمية؛ لأنها قد تستغني عنه بتكرار لفظ المبتدأ وبتقدير الرابط، ولكن لا يستغني عن الضمير في الخبر الفعلي إن كان فاعلاً كما في جملة: قلبي لم يفدَ، لأن الفاعل عنصر رئيسي في الجملة الفعلية.

وقال كعب:

أكــرم بهــا خلــة لــو أنهــا صــدقت   موعودهـــا أو لـــو أن النـــصح مقبـــول

قوله: «لو أنها صدقت موعدها» لو تفيد التمني مثل: **﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾** [البقرة:١٦٧] فسلمت من تقدير محذوف، فلا يقدر جواب محذوف؛ لأنها للتمني، فانتفى عنها معنى الشرط، وعلى هذا الوجه: «صدقت» خبر جملة فعلية، والرابط الضمير المضمر في الفعل، ودعمَّ الربط الهاء في المفعول (موعودها)، وتاء التأنيث في الفعل، وقوى هذا الإعراب قوله: «لو أن النصح مقبول» مقبول خبر مفرد، ويقدر فيه الضمير أيضاً، لأنه اسم مشتق، أي: النصح مقبول هو. والرابط «هو» نائب فاعل. ولو على هذا الإعراب للتمني، وليست شرطية[2].

والخبر الاسمي قليل ويرجع ذلك إلى أن موضوع القصيدة، الاعتذار الذي استهله بحديث عن حبيبته ورحلته، وقد استغرق الشاعر السرد، فبلغ أربعة وثلاثين بيتاً تحدث

---

(١) وشرح الكافية، جـ ٢١١/١، والأشباه والنظائر ١١٠/٣. والرواية في الديوان، ص ٧، (ط دار الكتب العلمية، بيروت):

فلما دنوت تسدّيها   فثوباً نسيت وثوباً أجره

(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ابن هشام ص١١٤،١١٥ ورجح ابن هشام معنى التمني على معنى الشرط فخبر لو الشرطية محذوف.

فيها عن سعاد والناقة والرحلة التي قطعها، فوظف الشاعر الخبر الفعلي لاستحضار الحكي عما حدث كقوله: رسول الله أوعدني، فالإيعاد متقدم في الماضي.

وقد وظف الشاعر الفعل الناسخ للدلالة على زمن الحدث في الجملة الكبرى التي أخبر فيها عن المبتدأ بجملة فعلية «يركضن الحصا» والرابط نون النسوة، وقد تطابق الضمير مع المبتدأ:«ورق الجنادب» (ضرب من الجراد)، والأصل في نون النسوة أن تكون للعواقل، ويجوز أن تكون لغير العواقل، فقد أسند إليها فعل العواقل «يركضن الحصا» يدفعن الحصا[١].

الثانية- جملة الصفة:

جملة الصفة جملة خبرية فضلة، وهي من التوابع التي تتبع متقدماً نكرة وترتبط به، فليست بركن في الجملة التي وقعت وصفاً لاسم نكرة فيها، وتشارك متبوعها في إعرابه وعامله مطلقاً[٢].

وترتبط جملة الصفة بالموصوف بالضمير، وهو الأصل في الربط، وجملة الصفة ترتبط بالموصوف في المعنى، فالصفة جزء من الموصوف، وتتبعه في الإعراب، والجملة التي تكون صفة لما لها موضع من الإعراب بحسب إعراب موصوفها، ولا تحتمل أن تكون خبراً، لأنها فضلة وتتعلق بالموصوف.

وتقع جملة الصفة موقع الوصف باللفظ المفرد فتعرب إعراب الموصوف، وتخصصه بالمعنى الذي زادته فيه، ومن ثم احتملت ضميراً رابطاً كالضمير الذي يحتمله الخبر المفرد، فأضمر الرابط في الوصف، المفرد وظهر في الجملة نحو: مررت برجل طويل، أي: طويل هو أو طال، ومثله قولنا: مررت برجل طالت قامته، فأظهر الضمير الذي قدرناه في «رجل طويل»[٣].

---

(١) الفعل الناسخ بعضه متصرف في الأزمان وبعضه لا يكون ناسخاً إلا في الماضي نحو: ما دام (شرح قصيدة كعب ص ١٣٩)، وبعضه جامد نحو: ليس، وكان تأتي ناقصة وتامة نحو: كنت صابراً، والتامة نحو: قد لا تكون الحرب، و(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) [الأنفال: ٣٩]. والفعل كان في زمن الماضي يفيد التحقيق لانقطاع حدثه في الماضي، ولكنه بزمنه الماضي قد يوصف به ما هو دائم غير منقطع، ويأتي في الماضي لثبوت الوصف به في وصف رب العالمين، قال تعالى: (وكان الله سمعياً عليماً) [النساء: ١٣٥] السمع والعلم ثابتان في الماضي والحاضر والمستقبل.

(٢) التوابع: النعت والبدل وعطف البيان وعطف النسق والتوكيد. التسهيل، ابن مالك ص ١٦٣والكليات ص ٣٤١ والجملة بعد المعرفة المحضة حال، وبعد غير المحضة تحتمل أن تكون صفة أو حالاً.

(٣) ارجع إلى: الأشباه والنظائر جـ٥٧/٢.

والوصف يدعم النكرة ويقويها بدلالته،ومن ثم جاز الابتداء باسم نكرة موصوفة، وحق الابتداء التعريف للإخبار عنه والإسناد إليه، قال تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢] ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾[البقرة: ٢٢١] المبتدأ نكرة موصوفة.

وكل جملة خبرية فضلة بعد نكرة محضة صفة، فيشترط في الموصوف أن يكون نكرة؛ لأن الجمل نكرات فيوصف بها النكرة، ولأن الفائدة تحصل من النكرة، فالمعرف لا يستفاد منه جديداً للعلم به، ولهذا المبتدأ معرف. ويجوز أن يأتي نكرة في المواضع التي جاء فيها ما يغني عن التعريف أو في مواضع تدفع عنه الإبهام.

والدليل على أن الجملة نكرة أنها بعد النكرات صفة وبعض المعارف أحوال، فالصفة من التوابع، وجملة الصفة تقع موقع الوصف المفرد، فقولنا: مررت بزيد نام ليلاً، نام ليلاً حال عن معرف بالعلمية «زيد»، وقولنا: مررت برجل نام ليلاً. تكون صفة، والصفة تتبع الموصوف في التنكير، ولهذا وقعت جملة الصفة صلة للموصول واسم الموصول يوصف به: مررت بالرجل الذي نام، استعانوا بالموصول في وصف المعارف، ولم يوصف بجملة الصلة؛ مثلما استعانوا بأي في نداء المعرف: يا رجلاً، ويا أيها الرجل، فاسم الموصول والألف واللام للتعريف في اسم الموصول، ليكون معرفاً مثل لفظ الموصول المعرفة.

ودليل تنكير الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣] التقدير: لهما ساحران، ومثلها: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ [آل عمران: ٩٦] التقدير: لهو الذي ببكة. الخبر جملة اسمية لا مفرد معرفة، والجمل نكرات.

وقد اختصت النكرة بالوصف بالجملة لسببين(١):

أولهما- أنها تطابق الموصوف في التنكير.

والثاني- أن الفائدة تكون بالنكرة، لإفادتها دلالة جديدة، لاستحالة الحكم بالمعلوم على معلوم.

والجملة الموصوف بها ترتبط بالموصوف نكرة، فترفع عنه الإبهام في العموم المطلق

(١) الأشباه والنظائر، جـ١٦٢/١، ١٦٣

ومتخصصة بالوصف والرابط الضمير – وهو الأصل- وهو إما مذكور كقوله تعالى: **﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُه﴾** [الإسراء: ٩٣].

ومنه قول كعب:

إن الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

يستضاء به، صفة السيف، والضمير في «به» الرابط، فالصفة كالخبر تحتاج رابطاً مثل الخبر الذي يستوجب عائداً على المبتدأ.

ويجوز أن يقدر الضمير في جملة الصفة نحو: **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾** [البقرة: ٤٨] أي: لا تجزي فيه نفس «وما شيء حميت بمستباح». أي حميته. ومنه: رب قتل عارُ، أي هو عار [(١)].

والجملة الوصفية من العناصر التي ساهمت في ترابط النص شكلاً ومضموناً، وذلك بالرابط اللفظي والمعنوي، وقد استخدم الشاعر الجملة الفعلية في الوصف لدلالتها على الحركة والتجدد قال:

«فما تدوم على حال تكون بها كما تلوَّن في أثوابها الغول»، جملة «تكون بها» في موضع خفض صفة لحال، ورابطها الضمير المجرور. والفعل المضارع «تكون» في زمن المضارع المتجدد. وقال:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها   إلا العتاق النجيبات المراسيل

فطبيعة الأرض ثابتة، فوصفها بالمضارع الذي يدل على الدوام والتجدد: لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل». وهذه الصفة مدخلاً لاختيار ناقة تتمتع بصفات خاصة تناولها الشاعر، فارتبط اللاحق بالسابق. قال كعب:

تمر مثل عسيب النخل ذا خُصَل   في غارز لم تخوَّنهُ الأحاليل

لم تخونه: صفة في موضع جر، والرابط الضمير في الفعل، يريد أنها لا تحلب، فلا يعوقها ضرعها عن السير. وقال كعب:

يوماً يظل به الحرباء مصطخداً   كأن ضاحيه بالشمس مملول

جملة: «يظل به الحرباء مصطخداً» في موضع نصب صفة، والرابط الضمير في

---

(١) ارجع إلى: مغني اللبيب، ج١٠٨/٢، وشرح المفصل، م٦٠٩/١، وجملة الصفة لها محل من الإعراب؛ لأنها تقع موقع المفرد من الإعراب.

«به» وصف حال حرارة الجو بالمضارع ومثله وصفه حال المقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

والفعل الماضي لوصف ما تقدم أو حدث، قال: «لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع». جملة: «قد سيط من دمها...» جملة في موضع الرفع صفة لخلة، «بها» الرابط في دمها مرجعها خلة في الجملة الأولى، قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:٧] وقد حصلت بها الفائدة للزيادة التي أفادتها، فهي علاقة مفجعة مؤلمة وفيها إخلاف وتبديل للقول، فلابد للصفة من فائدة في الموصوف.

قال كعب آسفاً على ما كان من أخلائه:

وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألهينك إني عنك مشغول

«كنت آمله» صفة «خليل»، أو «كل»، والرابط الضمير.

وقال في محنة المهاجرين بمكة قبل الهجرة:

في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زمن جملة الصفة في الماضي لتقدم زمن الاضطهاد.

ووصف الثوابت بالجملة الاسمية، ومن ذلك صفات الأجسام؛ فقال في صفات الناقة الجسدية:

ضخم مقلدُها عبل مقيّدها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

ضخم مقلدها وعبل مقيّدها، صفتان لعُذافِرة (في البيت السابق بمعنى الناقة الصُّلبة) والرابط الضميران في خبريهما. ويجوز أن تعرب صفة لنضاخة في موضع جر: (من كل نضاخة ... ضخم مقلدها عبل مقيدها)، ويجوز فيهما الحال من الناقة في موضع نصب. وقال في وصف شخصية النبي صلى الله عليه وسلم :

حتى وضعت يميني لا أنازعه ... في كف ذي نقمات قيله القيلُ

«قيله القيل» جملة وصفية اسمية لتأكيد نفاذ قوله والاعتداد به.

ويجوز أن تكون الصفة شرطية نحو: مررت برجل إن تكرمه يكرمك، وجملتا الشرط والجزاء فيهما رابط، ويكفى الرابط في واحدة منهما نحو: مررت برجل إن تكرم خالداً يكرمك، والأجود أن يكون الرابط في الجملتين، ويجوز أن يقع الجار والمجرور المتعلق بمحذوف مقدراً صفة نحو: مررت برجل في الطريق، ويجوز أن يعرب الظرف صفة، وهو مثل الظرف إذا وقع خبراً، فيوصف بظرف المكان نحو: هذا رجل

عندك. أي استقر عندك.

ويقدر في الجار والمجرور الوصف نحو: هذا رجل من مصر أي مصري. والجملة تقع صفة لنكرة، ولا يجوز أن تكون صفة لمعرفة، لأن الجملة نكرة فلا تقع صفة لمعرفة بل تكون حالاً[1].

ويجوز أن تكون الجملة وصفية لاسم تعرَّف بأل الجنسية التي تدخل على اسم يدل على أفراد الجنس مثل الطفل يراد به الأطفال، ومنه قوله تعالى: **﴿أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾** [النور:٣٠].

ومثل: اللئيم في قول الشاعر[2]:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني   فمضيت ثمَّت قلت ما يعنيني

ويجوز أن تكون الألف واللام في «الراح» للجنس، أي يراد به المعنى العام في قول كعب[3]:

تجلو عوارض ذى ظلمْ إذا ابتسمت   كأنه منهل بالراح معلول

ثم وصفها بقوله في البيت الذي يليه:«شجت بذى شبم من ماء محنية» فالمراد جنس الخمر التي تكسر حدتها بماء صاف لتخفيفها بكسر سورتها. وقوله «بذي شبم» أي بماء ذي شبم فحذفت الصفة ووقع الموصوف موضعها، وهذا يجوز إن فهم المعنى بدونه، وإن كان الوصف مخصوصاً بالموصوف، نحو: ركبت صاهلاً، أي فرساً صاهلاً، والماء يوصف بأنه ساخن أو بارد، أي بماء ذي بَرَد أي حبات ثلج أو بماء بارد. وجملة الصفة لا تحتاج رابطاً غير الضمير؛ لأنها تتبع الموصوف في المعنى، وقد تصدر جملة الصفة بالواو بوقوعها بعد «إلا»، لأنها فاصل، يقال: ما جاءني رجل إلا وهو فقير. والأصل أن تتصل جملة الصفة بالموصوف دون فصل.

---

(١) ويجوز في الجملة التي وقعت صفة للنكره أن تدخلها الواو قال تعالى: (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) [الكهف: ٢٢] والجملة قد تقع صفة للمعارف بتوسط «الذي» نحو: جاءني زيد الذي أبوه قائم. فتوصلت بالذي إلى وصف المعرفة بالحملة كما توصلت بأي إلى نداء ما فيه الألف واللام نحو يا أيها الرجل. واختلف العلماء في قول الشاعر (من بني سلول ونسب إلى شمر بن عمرو الحنفي:

ولقد أمر على اللئيم يسبني   فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

والمعني ولقد مررت على لئيم، فاللئيم يراد به الجنس، وقيل: حمل زمن المضارع على معنى الماضي: ولقد مررت ... فمضيت.

(٢) القائل شمر بن عمرو الحنفي، الكتاب جـ٤١٦/١، والخصائص جـ٣٣٣/٣، والقرطبي جـ٣٥١/٢ والخزانة ١٧٣/١، وشرح المفصل، م١/ ٦١١، وشرح قصيدة كعب ص ٩٧. وشرح الكافيه ج٥٩/٢ واللام في اللئيم زائدة، وبعض العلماء أجاز إعراب يسبني حالاً والأرجح أن تكون صفة.

(٣) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص٩٧، ٩٨.

الثالثة - جملة الحال:

الحال: ما دل على هيئة وصاحبها متضمناً معنى «في»، ويبين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظاً أو معنى، وليس بتابع ولا عمدة في الكلام بل فضلة حق النصب في الحال المفرد وفي موضع نصب في الحال الجملة، ويشترط في الحال المفرد التنكير، والحال الجملة تقع موقع المفرد النكرة، وهذا يؤكد كون الجملة نكرة فالحال واجب التنكير،[1] وما جاء معرفاً نحو: أرسلها العراك، معرف في الظاهر وهو مصدر منه، ويؤول بمشتق: أرسلها معتركة العراك، وهذا جائز في المصادر، والتعريف بالإضافة نحو: كلمته فاه إلى فيّ، بمعنى مشافهة، وجئت وحدك. أي منفرداً[2].

والحال: مفرد، وشبه جملة، وجملة، والمفرد نكرة مشتق يقدر فيه ضمير، ويجوز في الحال المفرد أن يعرف الأداة أو الإضافة وشبه الجملة الظرف ومضافه والجار والمجرور) متعلق بمحذوف يقدر حالاً وفيه ضمير مقدر عائد على صاحبه[3]. والحال شبيهه بالظرف التي تغني عن الخبر نحو: ضربي زيداً قائماً[4]، والعامل في الحال الفعل أو شبهه أو معناه، وجملة الحال جملة خبرية، فلا يجوز أن تكون إنشائية

---

(١) ارجع إلى: تسهيل الفوائد، ابن مالك، دار الكاتب العربي. ص ١٠٨ الأصل في الحال النصب، ويجوز جره ببناء زائدة ولفظه مشتق ونكره، ويجوز أن يكون غير مشق بتقدير مضاف قبله أو لدلالته على مفاعلة أو سعر أو ترتيب أو أصالة شيء نحو هذا خاتمك حديداً، أو يدل على نوع نحو: هذا مالك ذهباً، أو فرع نحو: هذا ذهبك خاتماً (وتنحتون الجبال بيوتاً) [الأعراف: ١٧٤] أو طور نحو: (وآتيناه الحكم صباً) [مريم:١٢] وهذا النخيل ربطاً أطيب منه تمراً. والصانع شباباً أقوى منه كهولة.

(٢) شرح الكافية جـ٥٥/٢، ٥٦ ومثله جاءوا بقضهم وقضيضهم. أي: كافة. وجاء في الحديث: «يذهب الصالحون أسلافا: الأول فالأول» رواه البخاري والبيهقي، وينصب الأول على البدل، والمعني يذهبون مرتبين الأول فالأول، والحال المفرد يأتي غالباً اسم فاعل واسم مفعول.

(٣) التسهيل، ص١٠٨، الحال المفرد يقدر فيه مثل الخبر، يقال:جاء زيد ضاحكاً أي يضحك أو ضاحكاً هو، ويجوز أن يقع الفعل موضع الحال المفرد نحو: (ولا تمنن تستكثر) [المدثر: ٦] أي مستكثراً. وقد يقع الجار والمجرور موقعه نحو: (فخرج على قومه في زينة) [القصص: ٧٩] أي مستكثراً، ويجوز أن يعرف الحال نحو: رجع القهقري.

والتعريف بالإضافة نحو: كلمته فاه إلى فيّ، وهي أولي من أن يكون أصله جاعلاً فاه إلى في أو من فيه إلى فيّ، ولايقاس عليه، والإضافة مثل: وطلبته جهدي وطاقتي، ورجع عوده على بدئه، ومررت بزيد وحده، وأجاز بعض العلماء مجيء الحال عدداً مركباً نحو: جاءوا ثلاثة عشرهم، وبعضهم جعله توكيداً، ونحو: جاءوا قضهم بقضيضهم. وقوله: (فتم ميقات ربه أربعين سنة) [الأعراف: ١٤٢] ويجوز أن تكون مصدراً نحو: (ادعهن يأتينك سعياً) [البقرة: ٢٦] وتأولوه بمشتق: ساعيات، و(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) [البقرة: ٢٧٤] وتأويله: مسرين ومعلنين.

والحال أنواع: مفرد وظرف ومضاف إليه نحو: شاهدت الهلال بين السحاب، بين متعلق بمحذوف استقر أو مستقر. وحال جار ومجرور متعلقان بمحذوف (فخرج على قومه في زينة) [القصص: ٧٩] حال كونه مستقراً في زينة وحال جملة، وهي موضع بحثنا.

(٤) الأشباه والنظائر، جـ٩٧/٢، وصاحب هذه التسمية محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان (ت٢٩٩هـ).

لعدم وقوعها يقيناً أو أن تكون مفتتحة باستقبال، لحدوثه مستقبلاً[١].

والجملة الحالية تتصل بصاحبها فلا تقطع عنه في المعنى، وصاحب الحال معرفة، وتكون اسمية وفعلية، وترتبط بالجملة التي ورد فيها صاحبها بالواو والضمير أو أحدهما، والواو مخصوصة بالحال، فتعرف بالواو الحالية، والضمير عام في جملة الحال والصفة بيد أنه الأصل في ربط جملة الصفة، وهما رابطان يعززان اتصال جملة الحال بالجملة التي اتصلت بها، فلا تقطع عنها ولا تحتمل وقوعها صفة لما قبلها أو خبراً، فالصفة لا تقترن بالواو وكذلك الخبر، وحذف الواو في بعض الجمل يحملها وجودهاً أخرى،ومن ذلك قول الحسن البصري: «كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل»، جملتا: «لم تكن» و«لم تزل» في هذه الرواية وجهان: الأول- أن تكونا خبرين، والثاني- أن تكونا حالين، والثاني أرجح، ويؤيد ذلك أنهما رويتا مقرونتين بالواو، فانتفى أن يكونا خبرين: كأنك بالدنيا ولم تكن وبالأخرة ولم تزل. ومثلها قول العرب: كأنك بالشمس وقد طلعت[٢].

وصاحب الحال يكون معرفة، ويجوز أن يكون نكرة مختصة أو مسبوقاً بنفي أو شبهه أو تتقدم الحال أو تكن جملة مقرونة بالواو أو يكن الوصف به على خلاف الأصل أو يشاركه في معرفة، الأول نحو: جاء رجل طويل ساعياً، والثاني نحو: لا رجل حكيمٌ غبياً، وقلما جاءني رجل راكباً، والثالث نحو: جاء راكباً رجل، فالحال إن تأخرت صارت صفة نحو: جاء رجل راكب.

والرابع نحو: جاء جنود مثنى وثُلَاثَ ورُبَاعَ، والخامس: جاء رجل وهو غضبان. والسادس: هذارجل وعبد الله منطلقين[٣].

وهي نادرة والمشهور في لغة العرب أن يكون معرفة.

(١) الأشباه والنظائر، ج٩٧/٢، واستثنى من العوامل كان وأخواتها، وعسى على الأصح والعوامل الفعل وما يعمل عمله والشبيه به والمؤول به. والكافية ج ٥٤/٢.
(٢) ارجع إلى: الأشباه والنظائر، جـ ٢٢٧/١ و جـ٧٤/٤، و شرح قصيدة كعب، ص١٣٢.
(٣) شرح الكافية، جـ ٦١/٢، ٦٢.

وقد جاء صاحب الحال نكرة في وصف كعب بن زهير ضرباً من سير الناقة أنها تسرع على قوائم خفيفة وهي مسرعة خفيفة لا تشعر بمسها الأرض، فنكر يسرات للمبالغة في سرعتها في قوله:

تَخْذِى على يسراتٍ وهي لاحقةٌ ذوابلُ مسُّهن الأرضَ تحليلُ

جملة الحال «وهي لاحقة» وصاحبة «يسرات» وجاز مجيء صاحب الحال نكرة؛ لاقتران جملة الحال بالواو، ولمجيء الضمير فيها أيضاً[1]. وقال بعض العلماء: وهي لاحقه، جملة وصفية والواو زائدة، لأن يسرات (قوائم الناقة الخفيفة) نكرة، كما قال بعضهم ذلك في قوله تعالى: **﴿وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾** (البقرة: ٢١٦] فالواو عند بعضهم زائدة، والجملة بعدها صفة لشيء، والأرجح أن تكون حالاً لعدم صلاحية اقتران الجملة الوصفية بالواو، وعلى هذا فجملة «وهي لاحقة» حالية مثل قوله تعالى: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾** [البقرة: ٢٥٩]، وقول قيس بن الملوح[2]:

مضى زمن والناس يستشفعون بى فهل لى إلى ليلى الغداة شفيع

وقد أجاز ابن مالك أن يكون صاحب الحال نكرة إن اقترنت جملة الحال بالواو، ويجوز أن يعرف بالإضافة، قال كعب: «.... من ماء محنية...أضحى، وهو مشمول»، أضحى: يجوز أن تكون تامة بمعنى دخل في وقت الضحى، والفاعل (الماء)، والجملة بعده حال منه. وإن كانت أضحى ناقصة، فجملة «وهو مشمول» خبرها، والواو زائدة[3]. والراجح أن تكون حالاً، فالخبر لا يقترن بالواو[4].

ويرجح مجيء واو الحال قبل الجملة الاسمية لتقوية اتصالها بما قبلها، ولئلا تلتبس بجملة الخبر والصفة خلافاً للجملة الفعلية التي لا ترجح الواو قبلها، وتأتي الواو أيضاً قبل الجملة الاسمية التي تصدرت بمصدر وهو بمنزلة الاسم، قال كعب:

يسعى الوشاة جنابيها وقولهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

---

(١) ارجع إلى: تسهيل الفوائد، ص ١٠٩، أجاز ابن مالك أن يكون صاحب الحال نكرة إن اقترنت جملة الحال بالواو.
(٢) ارجع إلى: ديوان مجنون ليلى، مكتبة مصر ص١٥١، و شرح قصيدة كعب ص ٢٣٠، ٢٣١.
(٣) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ١٠١، ١٠٢.
(٤) يعطف الخبر على المبتدأ، وهذا العطف بالفاء فقط وليس بالواو، ومنه قوله تعالى: (ومن عاد فينتقم اللـه منه) [المائدة: ٩٥] ومنه: فأما زيد فقائم، والذي يأتي فله درهم، وكل رجل يأتيني فله درهم. الأشباه والنظائر جـ٢/٦٠ وأجاز ابن هشام العطف بالواو: زيد قامت هند وأكرمها. الأشباه والنظائر جـ٢/٦١ وهي جملة متكلفة أو مصنوعة.

«وقولهم»: الواو واو الحال وما بعدها مرفوع بالابتداء والجملة بعده خبره. وقيل: المصدر ناب مناب فعله مثل: سبحان الله ومعاذ الله، بمعنى أسبحه وأعوذ به، والمعنى على هذا: ويقولون إنك ....، والواو على هذا المعنى واو العطف وليست بواو الحال: أي يسعون .... ويقولون.... ويضعف أن تكون واو الحال، ويجوز ذلك على أن يقدر ضمير محذوف فيكون: وهم يقولون، لتكون الواو داخلة على جملة اسمية، فالجملة الفعلية المثبتة في المضارع تحذف الواو قبلها[١].

وتجيء الواو غالباً قبل الجملة الاسمية التي تصدرت بضمير يعود على متقدم، فالواو تمنع وقوعه خبراً أو أن يكون تأكيداً لمتقدم، والجملة التي صدرت بضمير صاحب الحال لاتصلح دون الواو[٢]، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللـه مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[الأنفال:٣٣]. وجبت الواو؛ لأن المبتدأ ضمير صاحب الحال، فالحال هنا في معنى الحال المفرد مثل: جاءني زيد وهو راكب، وجاءني زيد راكباً، وعلى هذا يصبح التأويل: جاءوك مستغفرين. وإذا لم يكن المبتدأ ضمير صاحب الحال جاء الاستغناء عنها نحو: جاء زيد يده على رأسه، والضمير الرابط فقط، والأقوى أن يكون الرابط أول الجملة والواو تكون أولها ويضعف الربط أن تخلو الجملة منهما، وهذا نادر[٣].

ويجوز أن تحذف الواو في الجملة الاسمية، وذلك إن تقدم الخبر على المبتدأ، وقدر في الكلام وقد تعلق به ظرف أو جار ومجرور، وبعض العلماء يجوزون الإخبار بها، وقد تقدم الظرف في نحو: جاء زيد فوق رأسه قلنسوة، وكذلك الخبر الجار والمجرور المتقدم (عند من يجوزونهما خبراً): جاء زيد في يده كتاب[٤].

ويجوز أن تأتي الجملة الاسمية التي صدرت بالمبتدأ دون الواو، ومن ذلك: رجع عودُه على بدئه (برفع عوده)، ومثل: «كلمته فوه إلى فيَّ»، والمشهور في ذلك أن تسبق بالواو.

وتحذف الواو قبل الجملة الاسمية إذا صدرت بليس، فتحذف الواو ويضمر الضمير في ليس، ومنه قول الشاعر[٥]:

إذا جَرَى في كفه الرشاء   جَرَى القليب ليس فيه ماء

---

(١) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص ٢٦٠.
(٢) دلائل الإعجاز، ص ٢٠٢، جاء فيه : «لا يصلح قولنا: جاء زيد هو راكب، بل الصواب: وهو راكب».
(٣) شرح الكافية جـ٨١/٢.
(٤) قدّر بعض العلماء محذوفاً مع الظرف والجار والمجرور، وبعضهم أجاز الإخبار بهما.
(٥) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ٩٥، وارجع إلى شرح الكافية، جـ٨٠/٢، ٨١.

والضمير الرابط في جملة الحال المصدرة بليس، ويجوز أن تتصدر الواو قبل النفي فتجتمع الواو والضمير نحو: جاء زيد وما ركب، وخلا من الضمير: جاءزيد وما ركب عمرو، ويجوز: جائني زيد ولا يركب خادمه، وجاء في زيد ولا يركب عمرو، ويجوز: جاءني زيد وقد ركب غلامه، ويجوز: وقد ركب خادمه.

وقد لا تتضمن الجملة الاسمية ضميراً وتتصدر بواو الحال، ومعنى الجملة في ظاهره منقطع عما تقدمه غير أن واو الحال وصلتها بما تقدمها، فأشكل ذلك على المتلقي، مثل: جاء زيد والشمس طالعة، هذه الجملة في ظاهرها لا تبين حال شيء تقدم، وقد تأوّلها ابن جني أن المراد: جاء زيد والشمس طالعة عند مجيئه، وتأولها ابن عمرون بحال مفرد جاء زيد مبكراً[1]، والربط بالواو فقط أضعف من الربط بالضمير، وقد اختصت الجملة الحالية بالواو دون جملة الخبر؛ لأن الحال يجيء فضلة بعد تمام الكلام، فاحتاجت الجملة الفضلة إلى ربط، فصدرت الجملة المستقلة بواو لتجعلها في وصف حال فاعل أو مفعول[2] وليس من الفصيح قولنا: خرجت زيد على الباب، وهو قليل في لغة القدماء لخلو جملة الحال من الرابطين.

وإن كانت الجملة من فعل وفاعل والفعل مضارع مثبت لم تسبق بالواو نحو: جاءني زيد يسعى، وهو الأفصح [3]، قال تعالى: **﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾**[المدثر: ٦] والتقدير مستكثراً، وقال تعالى: **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾** [الليل: ١٧، ١٨] ومنه قول كعب في وصف قوائم الناقة المتصلة بخفاف الناقة، وقد أثر فيهن الحصى والرمال الساخنة، فأشبهت النعل:

سمر العُجَايات يتركن الحصى زيماً   لم يقهنَّ رؤوسَ الأكم تنعيل

«يتركن الحصَى زيماً» جملة الحال والرابط الضمير.

والجملة الفعلية خلاف الاسمية في ذلك، فالجملة الفعلية في المضارع تحذف الواو

(١) الأشباه والنظائر، جـ٢/٩٧، وشبهها ابن جنى بالحال والنعت السببين نحو: مررت بالدار قائماً سكانها، ومررت برجل قائم أولاده.
(٢) شرح الكافية، جـ٢/٧٧، والصفة لتبعيتها للموصوف لفظاً وكونها لمعنى فيه، كأنها تمامه، فاكتفى فيها بالربط بالضمير خلافاً لجملة الحال التي قد لا تكون في معنى صاحبها نحو: جاء زيد والشمس طالعة، وجملة الصلة لا تحتاج الواو، لأن الجملة بعد الصلة متصلة بها ومبينة لها واسم يوافق موصوفه.
(٣) ارجع إلى: دلائل الإعجاز، ص ٢٠٦.

قبلها قال تعالى: ﴿وَيَـذَرُهُمْ فِي طُغْيَـانِهِمْ يَعْمَهُـونَ﴾[الأعـراف: ١٨٦]. الـرابط الـضمير فقط، ومجيء الواو هنـا يحتمـل أن يكـون عطفـاً كقولنـا: يـتركهم ويـضلون. والأبلـغ الاكتفـاء بالضمير في مع المضارع المثبت؛ لأنه يمكن تأويل المضارع باسم الفاعل، يقال: جـاء زيـد يركـب سيارة، والتقدير: جاء زيد راكباً، وهذا أصل الحـال. ويـشترط في المـضارع أن يخلـو مـن حـرف الاستقبال السين، و«لن» وكل ما حُول زمن الفعل عن وصف الحـال، فـلا يكـون المـضارع حـالاً بدلالته على الاستقبال لاختلاف الحال والاستقبال.

وتجيء الواو أيضاً الجملة الفعلية مسبوقة بقد، والرابط بين الجملتين الضمير والواو نحـو قوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ الـلـه إِلَيْكُمْ﴾ [الصف:٥]، والمعنى وأنتم تعلمون يقيناً. وأجاز بعض العلماء أن تقع إذْ وما بعدها حالاً، منع بعضهم ذلك، قال كعب:

لذاك أهيب عندي إذ أكلمه وقيل إنك منسوب ومسئول

إذا أكلمه: حالاً، وما بعـدها حـال أيـضاً، والمعنـى: لـذاك أهيـب عنـدي مكلـماً ومنـسوباً ومسؤولاً[١]، وإذ ظرف يدل على الحال.

والمضارع المنتفي بلم تجب فيه الواو سواء أكان في جملة الحال ضمير رابط أولاً، قال كعب:

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أُذنبْ وإن كثرت في الأقاويل

لم أذنب: جملة حالية، أي: لا تأخذني بأقوال الوشاة غير مذنب، وليـست الجملـة معطوفـةٍ؛ لأنه خلاف المعنى، فالأسلوب الإخباري لا يعطف على الطلبى[٢]، ولم أذنـب بمعنـى «مـا أذنبـتُ» ماض معنى، و«لم أذنب» تحتاج إلى الواو التي هي علامة الحالية،

---

(١) قال التبريزي: «أ إذ أكلمه» جملة في موضع الحال، ومنع ذلك البغدادي، لأن إذ أكلمه: ليس بجملة بل ظرف وأكلمه مضاف إليه، وظرف الزمان لا يكون حالاً من جثة، ارجع إلى شرح قصيدة كعب ص ٢٨١.

(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص ٢٧٦، ومثله قول الشاعر:

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سُلَّت

المانع فساد المعنى مع جواز العطف بين خبريتين، فالمراد أنهم أعمدوا سيوفهم عند ثبوت كثرة القتلى، فلم يغمدوا السيوف في حال فيه القتلى بل حين كثرت، ومانع العطف في قول كعب فساد المعنى واختلاف الجملتين.

مثلما احتاج الماضي إلى قد المقربة له من الحال لفظاً أو تقديراً[1].

وإذا انتفى المضارع بلفظ «ما» لم تدخله الواو، لأن المضارع المجرد يصلح للحال، وما إذا انضمت مع الفعل دل ظاهرة على الحال فلا تلزم الواو، فيلزم الضمير لعدم اقتران الجملة الحالية بالواو، فجملة الحال يلزم فيها الرابط، يقال: يعمل زيد ما يتوقف.

وإذا انتفى الفعل المضارع بلا لزم الضمير كما يلزم في المضارع المثبت، والأغلب تجرده من الواو كالمثبت، نحو: جاءني زيد لا يركب. والمعنى: جاءني زيد غير راكب، فوقع المفرد موقع الجملة، و«لا» لا تغير زمن الفعل المضارع خلاف حرف النصب «لن» الدال مع المضارع على الاستقبال، والفعل المضارع المسبوق بلا يرجح فيه أن تقترن الجملة بالواو[2].

ويجوز عدم اقترانه بالواو، وصح ذلك في الفصيح، قال كعب:

حتى وضعت يمينى لا أنازعه   في كف ذى نقمات قيله القيلُ

لا أنازعه: جملة حالية غير مقترنة بقد، والرابط الضمير، وهذا جائز فيما كان فيه الضمير، فيغنى عن الواو.

والأصل في زمن الجملة الفعلية التي وقعت حالاً أن تدل على زمن حال التكلم، ومن ثم لا يجوز دخول ما يحول زمن المضارع عن الدلالة عن زمن الحال، فلا يجوز دخول «لن» لقلبها زمن الفعل إلى الاستقبال (نحو: لن يأت محمود، أي في الاستقبال)، فلا تجوز أن تكون حالاً، وهذا ظاهر من قولنا: أتيت ولن يأتي محمد، فالجملة معطوفة على التي تقدمتها، ولا تحتمل الحال، لأننا لا نستطيع تقدير مفرداً موضعها، ولا تدل على الحال من الجملة الأولى وفعل الأولى غير عامل في الثانية.

ولا يجوز دخول ما يدل على الاستقبال صراحة على الفعل الذي جاء للدلالة على الحال كسوف والسين نحو: أتيت وسوف يأتي محمد.

ولكن يجوز أن يأتي الماضي المثبت حالاً، وذلك بإضافة ما يقربه من زمن الحال،

---

(١) شرح الكافية، جـ٢/٨٢.
(٢) ارجع إلى: شرح الكافية جـ٢/٨٢.

وتَصدُّر الماضي بقد التي تفيد التحقيق مع الماضي يقربه من زمن الحال ويحوزه حالاً، وصح هذا في الفصيح[1]، نحو: سافرت وقد صاحبني صديقي.

و«قد» يجب ذكرها في الجملة التي تخلو من الضمير، وخلو الجملة من الضمير جائز نحو: خرجت وقد طلعت الشمس، وبعض العلماء يقدرون ضميراً محذوفاً: وقد طلعت الشمس عليّ.

ويجوز إثبات «الحال» و«قد» أو تركهما، أو إثبات أحدهما أو نفيه قبل الفعل الماضي، إذا كان بالفعل ضمير يعود على المتقدم ذكره؛ ليكون رابطاً عند حذف الواو، وإن لم يكن الفعل الماضي في معنى الشرط ولم يقع بعد «إلا» ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللـه عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾**[الأنعام: ١١٩]. أثبت الواو وقد قبل الفعل الماضي، وهذا جائز، لانتفاء شروط وجوب حذفهما أو وجوب حذف أحدهما[2].

ويجوز أن تقترن الجملة بالواو دون «قد» في الجملة المثبة، قال تعالى: **﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾** [الشعراء: ١١١] حذفت «قد» جوازاً؛ لأن «قد» تجب في الجملة المثبتة الماضية المثبتة، والفعل خلو من الضمير،نحو: خرجت وقد طلعت الشمس، ويجوز أن تأتي الجملة الشرطية حالاً، مسبوقة بواو الحال، ومنه قول كعب:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يوماً على آلة حدباء محمول

جملة الشرط «وإن طالت سلامته» في الماضي فجاز وقوعها حالاً دون قد، والرابط الواو الضمير، ورجح ابن هشام أن تكون الواو للعطف وأن الحال محذوف تقديره: كل ابن أنثى إن قصرت مدة سلامته وإن طالت على آلة حدباء محمول.

وقد تحذف الواو جوازاً، وتتصدر «قد» جملة الحال، ومنه قول الشاعر[3]:

وقفت بربع الدَّار قد غير البلَى   معارفَهَا والساريَات الهَواطَل

جملة «قد غير البلى معارفها» حال، وقد حذفت الواو لوجود ضمير بها، فأغنى

---

(١) ارجع إلى: شرح الكافية جـ٢/٨٢
(٢) يجب ذكر الواو وقد إذا كان الماضي مثبتاً ولا ضمير منه يعود على متقدم. ويحذفان وجوباً إن كان الماضي في معنى الشرط أو وقع بعد إلا، وتجب الواو دون قد إذا نفى الفعل ولم يكن ضمير، وتجوز إن وجد الضمير أو كان الفعل ليس، فيجوز إثبات الواو وحذفها دون قد، وقد تجب مع الماضي المثبت ولا ضمير في الفعل وليس فيه شرط مما سبق.
(٣) شرح قصيدة كعب ص ٩٦ والقائل مجهول.

عن ذكرها وجوباً.

ويجوز أن يأتي الماضي غير مقترن بقد والواو، وهذا يستوجب الربط بالضمير، لعدم وجود الواو، والربط بالضمير الأصل، والأقوى قال تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[النساء: ٩٠] حذفت الواو، وقد قبل الفعل الماضي وهذا جائز، وعلى هذا قرأ الحسن البصري: (حَصِرَةً صدروهم) بنصب «حصرة» على الحال. ومنه قوله تعالى: ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا﴾ [التوبة: ٩٢] حذفت الواو وقد وهذا جائز[١]. ومنه قول كعب: «تجلو عوارض شجت بذى شبم»، والمعنى: «لها عوارض»(أسنان) بيضاء أو بوارق في لعاب صاف كأنه ماء بارد من أرض منعطفة بالوادي، وقد شرب منه مرة بعد مرة، وقيل لعابها قد أشبه الخمر، وقد خلطت بماء صاف بارد ليكسر حدتها، وحملة شجت ماضية وهي حال في المعنى الأول من العوارض وفي المعنى الثاني من الخمر، وقد جاز وقوعها حالاً مع تجردها من الواو، لإضمار ضمير في الفعل[٢]. ويجوز أن تعرب جملة «شحت» صفة وال تكون للجنس، والأرجح أن تكون حالية. وقال أبو صخر الهذلي[٣] :

وإني لتعروني لذاكرك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

بلله القطر جاءت الجملة في محل نصب حال، ولم تسبق الواو وقد الجملة وهي زمن الماضي[٤]، وأرى جواز القولين لصحة الوجهين في الفصيح. وإن كان الماضي بعد إلا فالربط بالضمير من دون الواو وقد نحو: ما لقيته إلا أكرمني، لأن إلا تدخل غالباً على الأسماء، والفعل يؤول باسم ما لقيته إلا مكرماً لي، فحكمها حكم المضارع المثبت. وحذف الواو يستوجب الربط بالضمير لعدم جواز خلو الجملة من الواو والضمير أو أحدهما.

(١) ارجع إلى: شرح الكافية جـ٨٢/٢ وبعض العلماء يقدر قد قبل الماضي: قد حصرت صدورهم، قد ردت إلينا. والأرجح أن لا تقدر «قد» لصحة ذكرها وعدمه في الفصيح، فالعمل بالوجهين صحيح.
(٢) شرح قصيدة كعب ص ٩٥.
(٣) شرح الكافية جـ٨٢/٢، وشرح المفصل ج٦٧/٣، والأغاني جـ ١٦٩/٥، وشرح ابن عقيل جـ٣٦١٢/٢، ولسان العرب جـ١٥٥/٣.
(٤) لسان العرب جـ١٥٥/٣، وشرح ابن عقيل جـ٣١٦/٢، وشرح المفصل جـ ٦٧/٣، والأغاني جـ١٦٩/٥، وشرح الكافية جـ٨٢/٢.

وهنالك مواضع في العربية يلزم ذكر الواوفيها لتكون رابطاً، ومنها:

- أن لا يكون بالجملة ضمير يربط الجملة بما قبلها، فتكون الـواو وحـدها رابطـاً لا غنـاء عنه، ويشترط لها أن تكون جملة الحال مثبتة في زمن الماضي و أن تصدر بقد بعـد واو الحـال، ومنه قول كعب:

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت وُرْقُ الجنادبِ يركضن الحصا قِيلوا

جملة الحال «وقد جعلت ورق الجنادب» الواو الـرابط، وقـد غـاب الـضمير وهـذا جـائز لدخول قد على الفعل الماضي، وعامل الضمير فعل القول[1]. وكقول الشاعر[2]:

وجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم وقد حان من شمس النهار غروب

ويجوز أن تأتى الواو وقد بعد إلا نحو: ما لقيته إلا وقد أكرمني

ويجوز أن يقترن الفعل بالواو وحدها بعد إلا نحـو: مـا لقيتـه إلا وأكرمنـي[3]، ولم يـسمع فيه قد من دون الواو فليس من الفصيح: ما لقيته إلا قد أكرمني والفـصيح: جـاءني زيـد وقـد خرج أبوه، ويجوز: «قد خرج أبوه» دون واو، ويجوز: جاءني زيد وخرج أبوه، والأفصح قد بعد الواو، لاحتمال العطف في واو: جاءني زيد خرج أبوه. ولا يقال: جاءني زيد قد خرج عمرو، ومن الضعيف قولهم: زارني زيد ما قد خرج أبوه، لأن قد لتحقيق وقـوع الفعـل المـاضي، ومـا لنفـي وقوعه.

ولا تلزم «قد» في كل المواضع، فقد تذكر الـواو قبـل المـاضي، وتمتنـع «قـد» قبـل الفعـل- والواو وحدها الرابط- إذ انتفى الفعل ولم يكن ضمير رابطاً نحو: جاء زيد وما طلعت الشمس وتمتنع «قد» أيضاً قبل العفل إذ انتفى الفعل ووجد الضمير، نحو: جاء زيد وما درى كيف جاء (الضمير هنا رابط مع الواو).

ولا تدخل قد عـلى لـيس التـي تـصدرت جملـة حاليـة نحـو قولـه تعـالى: **﴿وَلا تَيَمَّمُـوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾**[البقرة: ٢٦٧] ويجوز حذف الواو أيضاً، مع

---

(١) ارجع إلى: شرح الكافية جـ٥٢/٢، شرح قصيدة كعب ص ٢٤٥.

(٢) شرح قصيدة كعب ص ٩٦.

(٣) شرح الكافية جـ٨٣/٢ وقد جاز دخول إلا والواو على الماضي لجواز دخولهما على جملة الخبر نحو: ما رجل إلا ولـه نفـس أمّـارة، ولا يجـوز دخول الواو وحدها على الخبر دون إلا، وقولنا: كل عام وأنتم بخير، أصله:كل عام يمر وأنت بخير، فالخبر محذوف، وسمع فيه كل عام أنتم بخير، الجملة خبر بلا تقدير خبر، والجملة دون الواو تصلح خبراً لاتـصال الخـبر بالمبتـدأ دون فاصـل فهـي تمامـه. شرح الكافيـة جــ ٨٣/٢ والأشباه والنظائر جـ٦٠/٢وفيه: قال ابن الدهان في (الغرة): المبتدأ لا يعطف عليه خبره بحرف البتة إلا بالفاء.

ليس إن كان بها ضمير[١]، نحو: أتى الوفد ليس فيه غريب.

وتحذف الواو وقد إذا كان الماضي في المعنى شرطاً وفيه ضمير نحو: لأضربنه ذهبَ أو مكثَ أو وقع بعد «إلا» نحو: ما تكلَّم إلا قال خيراً. وما لقيته إلا أكرمني، حذفت قد، ليأول ما بعد إلا اسماً، فإلَّا تدخل على الأسماء، وهو الأصل[٢]. فالمعنى: ما لقيته إلا مكرماً لى، فحكم الجملة الماضية بعد إلا حكم المضارع المثبت، يقال: جاءني أخي يبتسم، والتقدير: مبتسماً، فجملة الحال تقع موقع الحال المفرد، والحال المفرد يقدر فيه ضمير رابط (جاءني أخي مبتسماً هو)، وهذا الضمير فاعل في الجملة (يبتسم)، فالضمير أساس الربط، والسيارة تقطع الطريق، فيقدر محذوف يفهم من سياق الكلام والسيارة تقطع الطريق أمامي، فحذف الطرق لدلالة الموقف عليه.

الرابعة - جملة الصلة:

تأتى بعد اسم الموصول لتمامه وتوضيح معناه، وجملة الصلة صريحة أو مؤوّلة غير طلبية ولا إنشائية، والموصول اسم مبهم لوقوعه على كل شيء، وجملة الصلة تزيل عنه إبهامه فتخصصه لشيء، وهي جملة زائدة وليست أصلاً، وسماها: سيبويه حشواً، فالصلة زائدة، ولا موقع لها من الإعراب لعدم وقوعها موقع المفرد، وهي لا تكون اسماً مفرداً بل جملة خبرية والموصول والصلة بمنزلة اسم واحد مركب فلا يفصل بينهما الموصول الاسمى، وصلته جملة اسمية والعائد ضمير له، وجملة الموصول صفة في المعنى[٣]. قال تعالى: **﴿أَهَـذَا الَّـذِي بَعَـثَ اللـه رَسُولاً﴾**[الفرقان: ٤١] المعنى أهذا المبعوث رسولاً.

والموصول يستوجب جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات، فالموصول اسم

---

(١) شرح قصيد كعب ص ٩٥ وقد ذكر ابن هشام في ذلك قول الشاعر:

إذا جَرَى في كفه الرشاء جرى القليب ليس فيه ماء

(٢) ارجع إلى: شرح الكافية جـ٧٦، ٧٧، وشرح قصيدة كعب ص ٩٥.

(٣) شرح المفصل م١١٦/٢ وتسهيل الفوائد ص ٣٧، ٣٨، والموصول نوعان: اسمىّ له جملة صلة نحو الذي وأخواتها ومن وما، والموصول الحرفي الذي يؤول المصدر المؤول اسماً واسم الموصول الاسمي: ما لا يتم معناه إلا بصلة وعائد فلا يتم معنى اسم الموصول إلا بصلة، واسم الموصول لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسماً فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، وهو مبني لاحتياجه إلى الصلة، ووجبت له لرفع إبهامه. واسم الموصول معرف، ويحب مطابقة العائد للموصول إن طابق لفظه معناه، ويجوز فيه الحمل على اللفظ والمعنى، كقوله تعالى: (ومنهم من يستمع إليك) [الأنعام: ٢٥] ومراعاة المعنى نحو: (ومنهم من يستمعون إليك) [يونس: ٤٢] شرح المفصل جـ١٠١/٢ يجوز فيه أن يقع مبتدأ وخبراً وفاعلاً ومفعولاً ومضافاً إليه، ويقع صفة، وهو الأصل فيه،ويعرب إعراب الموصوف؛ لأنه حل موضع الصفة المفردة، وجملة الصلة لا موضع لها من الإعراب لعدم تأويلها بمفرد، فلا تقع موقع المفرد، وهو مبهم لوقوعه على كل شيء لوقوع اسم الإشارة على كل شيء. شرح المفصل م١٠٢/٢ وتسهيل الفوائد ص ٣٨ وحاشية الصبان ٢٣٧/١ واسم المفعول يدل على معهود خارجي.

ناقص، فيستلزم ذلك الصلة والرابط الذي يجعلها له، والصلة تتبع الموصول.

وجملة الصلة تحتاج إلى الضمير لوقوعها موضع الوصف، فتحتاج إلى ضمير فتكون الصلة وصلتها مخصوصين بوصف الموصوف، فيحصل بهذا الاتصاف تخصص[١]. وقد تكون الجملة لإزالة الإبهام عن الاسم الموصول الذي لايقع وصفاً، فيأتي الضمير ليربط جملة الصلة بالموصوله قال تعالى: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾**[الأنعام: ٢٥] الضمير في يستمع عائد على من، لأنها لتبين المراد منه[٢].

والإفراد على اللفظ، والجمع على المعنى قال تعالى: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾**[يونس: ٤٢] فمنهم يراد لها الجميع، فالعائد على المعنى.

والصلة تكون جملة فعلية وجملة اسمية وشرطية والظرف، ويشترط فيها جميعها العائد الذي يعود منها إلى الموصول، وهو ضمير ذلك الموصول ليربط الصلة بموصولها ويؤذن بتعلقها بالموصول، وهذا الرابط ضروري في الجمل التي تستقل بنفسها لتمام معناها بلفظها، زيد الذي أبوه أسود، الرابط فيها الضمير، ويقوى الرابط في قولنا: جاء الذي هو قائم، والضمير الظاهر رابط[٣].

فإن جيء برابطين فهو أحسن، نحو: جاء زيد الذي قام أبوه، فاسم الموصول رابط، فهو صفة الفاعل، والضمير رابط ثان، ويشترط الرابط أيضاً في الجملة الشرطية صلة، فهي بمنزلة جملة واحدة، وقد تناولنا ذلك في الجملة الشرطية، وقال ابن يعيش: «واعلم أن كل واحد من الشرط والجزاء جملة فعلية تامة؛ فلما دخل عليهما حرف الشرط ربطهما وجعلهما كجملة واحدة في افتقار كل واحدة من الجملتين إلى الأخرى كافتقار المبتدأ إلى الخبر، فالجملة الأولى التي هي شرط بمنزلة المبتدأ والجملة الثانية التي هي جزاء كالخبر»[٤].

والرابط في الجملة الشرطية يجوز أن يكون في جملة الشرط أو الجزاء نحو: جاءني

---

(١) شرح الكافية جـ ٣٨/١، والفرق بين الصفة والصلة أن الصلة لا تكون إلا جملة، والصفة مفردة وجملة، وجملة الصلة لا موضع لها من الإعراب، وجملة الصفة بحسب الموصوف.

(٢) شرح الكافية جـ٣٠٨/١ ومن للعاقلين، ويفرد لها الضمير على لفظها ويجمع لها على معناها. حاشية الصبان جـ ٢٣٨/١، ٢٣٩.

(٣) شرح المفصل م١١٦/٢، وحاشية الصبان جـ٢٤٦/١، ٢٤٧، والصلة المؤولة: الظرف والمجرور، قال تعالى: (ما عندكم ينفد) [النحل: ٩٦]، و(يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض)[الجمعة: ١].

(٤) شرح المفصل م١١٧/٢.

الذي إن تأته يأتك عمرو. وجاءني الذي إن تكرم زيداً يشكرك[١].

والرابط في شبه الجملة صلة مضمر في المحذوف الذي تعلق به الظرف أو حرف نحو: الذي عندك زيد، والذي في البيت زيد. والمحذوف مقدر فعل أو اسم مشتق مقدر فيه الضمير: ويرجح الفعل لكثرة مجيء الصلة جملة فعلية ولانتفاء اختلاطها بالفعلية فالموصول دليل الاسمية، نحو: الذي استقر عندك زيد، والذي استقر في البيت زيد. والأسماء الموصولة للمفرد والمثنى والجمع، وبعضها لا يجمع لفظه ويحمل الجمع على معناه أو لدلالته على الجمع.

فالذي للمفرد المذكر، ومثناه: اللذان، وجمعه الذين، واللذون (فى بعض اللهجات) والألى، واللاءون ومؤنثه: التي ومثناها: اللتان، وجمعها: اللاتي واللات واللائى واللاء واللاى واللواتى[٢].

فالذي اسم موصول للمفرد العاقل وغير العاقل[٣]، وهو العمدة، وأتى لمعان منها الفاعلية والمفعولية والابتداء والإخبار والوصف، وقد ينوب عن مصوفه قال كعب:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

أعطاك صلة الذي، وهو في موضع فاعل،وجيء به للتعظيم ولزيادة في المعنى أن الله تعالى أنزل عليه القرآن وليس من وصفه صلى الله عليه وسلم ،وهو اعتراف بالنبوة والتنزيل، والذي في الأصل صفة: هداك الله الذي أعطاك نافلة القرآن، ودليل ذلك قول كعب:

ولا تمسك بالعهد الذى زعمت إلا كما يُمسك الماءَ الغرابيلُ

---

(١) نفسه م ١١٨/٢، حاشية الصبان جـ٢٤١/١، ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) شرح المفصل م ١٠١/٢، والألف واللام في الذي وما تفرع عنها قيل إنها زائدة للتعريف، وقيل إنها ليست للتعريف، لأن أداة التعريف ليست لازمه، وهي لازمه في الذي مفرداً ومثنى وجمعاً وتأنيثها، فهي زيادة لازمة، وهنالك أسماء موصولة غير معرفة نحو:أي، وما، فليست للتعريف بل لإصلاح لفظ الاسم المبني، وزيدت اللام فيها للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل، فالجمل نكرة نحو: = = مررت برجل عمله حسن، ومثلها: مررت بالرجل الذي عمله حسن، جيء بالذي بعد المعرفة ليسوغ الوصف بالجملة النكرة، فتكون صفته. وحذف الذي يجعلها حالاً، والحال نكرة، فساغ دون الذي، والذي وأخواتها بمنزلة أي التي يتوصل بها في نداء المعرف: أيها الرجل، وذو للتوصل إلى وصف الأسماء بالأجناس نحو: زيد ذو مال، فالألف واللام فيها ليحصل لفظ المعرفة الذي قصدوه فيتطابق اللفظ والمعنى.
شرح المفصل ج١٠٣/٢، ١٠٤ والأسماء المعرفة لا تثنى بل تجرد من التصريف مثل: رجل: رجلان ثم يلصق بها التعريف.

(٣) المشهور في الموصولات: الذي وأخواتها: اللذان واللتان، والذين واللائى واللاتي وغيرها... ومن وما. وجاء فيها: ال، وقيل هي اختصار الذي في نحو: الترضى: الذي ترضي، وذو وتلزم الواو فيها خلافاً لذو بمعنى صاحب، قيل هي في لهجة طيىء. حاشية الصبان ٢٤٤/١ وسمع في الذين اللذون، وهي في هذيل أو عقيل، وسمع اللات واللاء.

جملة زعمت صلة الموصول، وهي مرتبطة به واسم الموصول صفة لما قبله (العهد)، فأمسكت الجمل بلباب بعضها[1]. والذي يوصف بها العاقل وغير العاقل، فزيدت فيها الألف واللام ولزمتها لوصف المعارف خلافاً لما ومن وأي لا تدخل عليها الألف واللام، والأصل في ما أن تكون لغير العاقل مفرداً ومثنى وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً.

ومن تكون للعاقل وغير العاقل، ويفرد الضمني لها ويجمع، فالإفراد على اللفظ والجمع على المعنى ومراعاة اللفظ الأكثر، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ﴾** [الأحزاب: ٣١] **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾** [يونس: ٤٠] على اللفظ، وحمل على المعنى في: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾** [يونس: ٤٢]، فإن لزم لبس وجب مراعاة المعنى نحو: أعط من سألتك لا من سألك[2].

وما تحتاج من الصلة مثل ما تحتاج الذي، وهي بمعناها، وهي مبنية لشبهها بالحرف وتقع على ذوات ما لا يعقل، وقد تقع على صفات من يعقل، وقد تستخدم للعموم والإطلاق، قالت تعالى: **﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾**[النساء: ٣] أي ما خلق من النساء المؤمنات على العموم، وقيل: انكحوا الطيب من النساء.

وما في قوله تعالى: **﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾**[الشمس: ٥] قيل والذي بناها، جاز في من أن تأتي في هذا الموضع، لأنها للوصف بمعنى: والباني لها[3]، وقيل ما مصديرية والمعنى: والسماء وبنيها، مثل: **﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّ﴾** [يس: ٢٧] أي بغفران ربي، وقيل: المعنى: ومن بناها، أي: ومن خلقها ورفعها، وحكى عن أهل الحجاز: سُبحان

---

(١) الذي اسم يوصف به، ويوصف أيضاً: جاء زيد الذي قام، وجاء الذي قام المجتهد، لأنها تشبه الأسماء المتمكنة في عدد الحروف والتشبيه والجمع. ومن أشبه بالحروف، وتحمل على اللفظ فيفرد لها الضمير وتحمل على معنى الجمع، وهي مثل الذي وبمعناه، ولكنها تكون لمن يعقل، ومن لا يوصف بها ولا توصف، لأنها تشبه المضمرات لخروجها عن الاسمية في عداد الحروف (هي حرفان) وقد تقع على من لا يعقل نحو: (و اللـه خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) [النور: ٤٥] قيل، جاء بها للجمع بين العاقلين وغير العاقلين فهي للجميع وغالب العاقلين بمن و«ما» لغير العاقل، وقد تقع للعاقل كقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) [النساء: ٣] استخدم ما للإطلاق توسعة، وقيل هي للوصف أي: الطيب من النساء، والدليل قوله تعالى: (والسماء وما بناها) [الشمس: ٥]. والمعنى: والباني لها، وهذا يرجح.

(٢) حاشية الصبان جـ٢٤٦/١، ٢٤٧.

(٣) شرح المفصل م١١٠/٢، وحاشية الصبان ج٢٤٦/١.

ما سبحت له؛ أي: سبحان من سبحت له[1] ومثلها: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس: ٦].

ويجوز حذف الرابط من الصلة، قال تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللـه رَسُولاً﴾ [الفرقان: ٤١] أي: بعثه، حذف العائد؛ لأن الذي وما بعده من الفعل والفاعل والمفعول كاسم واحد، فلذلك كل موصول يكون هو وصلته بمنزلة اسم واحد مركب، فحذفوه لطول الجملة والمحذوف معلوم لا لبس فيه.

ويجوز حذف الضمير الرابط من الصلة في ثلاثة مواضع:

الأول- أن يكون الرابط في موضع المفعول المنصوب فلا يكون ضميراً مرفوعاً ولا مجروراً، ويجوز حذف المفعول، لأنه المفعول كالفضلة في الكلام والمستغني عنه.

والثاني- أن يكون الرابط متصلاً لا منفصلا، لكثرة حروف المنفصل، وأجاز بعضهم حذف المنفصل المقدر في الكلام نحو: أعطيتك المال الذي وعدت، والتقدير: الذي وعدته أو وعدتك إياه.

والثالث- أن يكون على حذفه دليل، فلا يعمى ولا يلتبس بغيره، وذلك أن يكون ضميراً واحداً لابد للصلة منه، فيقدر دون لبس نحو: الذي ضربت زيد، فتحذف العائد، وهو الهاء في موضع المفعول، ولا يجوز حذف الضمير في نحو: الذي ضربته في داره زيد، لا تحذف الهاء؛ لأن الصلة تتم بدونه، فلا يبقى ما يدل عليه في الجملة وقد أجازوا حذف الضمير الرابط إذا كان مبتدأ بعد الموصول نحو: جاء محمد الذي ضارب زيداً. والتقدير الذي هو ضارب ومثله مثال الخليل: «ما أنا بالذي قائل لك شيئاً» أي: الذي هو قائل. ومثله: ﴿مَثَلاً مَا بَعُوضَةً﴾[البقرة: ٢٠٦] بعوضة بالرفع على تقدير: مثلاً ما هو بعوضة[2] ومثله: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾[الأنعام: ١٥٤] أي: الذي هو أحسن[3]. وقد وقع حذف المفعولين في قول كعب:

فلا يغرنّك ما منّت وما وعدت　　　إن الأماني والأحلام تضليل[4]

---

(١) تفسير القرطبي جـ٥٦/٢، (ط التوفيقية)، ونقل الأخير عن الطبري، وحاشية الصبان جـ١ ٢٤٧، ٢٤٨.
(٢) المحتسب جـ١٤٥/١، وبالرفع قراءة رؤبه، شرح المفصل م١٢٠/٢.
(٣) شرح المفصل م١٠٢/٢، وارجع إلى شرح قصيدة كعب، ص ١٥٣، ١٥٤.
(٤) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص ١٥٢، ١٥٣، وقيل ما مصدرية بمنزلة أنَّ وأنْ، فتكون وصلتها في موضع رفع، وهذا وجه بعيد، والفعل وعد يتعدى لاثنين نحو: (وعدكم اللـه مغانم) [الفتح: ٢٠].

منت: جملة الصلة وما في موضع الفاعل، والمفعول في الجملتين محذوف، وهو الرابط، والأصل: الذي منتكه والذي وعدتكه، ويجوز حذف الضمير العائد للعلم به، قال تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [البقرة: ٣] والتقدير: الذي رزقناهموه ينفقونه، فلزم اتصال الضميرين المتحدين الرتبة، ويجوز: رزقناهم إياه، فيكون المحذوف الضمير المنفصل وهو العائد، فيجوز: ما منتك إياه، وما وعدتك إياه، فالضمير المنفصل الرابط، وقد رجح ابن هشام ترجيح حذف المنفصل على المتصل، فهو أولى بالحذف من الملتصق بالفعل، والضمير المنفصل الرابط المقدر في قول كعب: مامنتك إياه، والضمير المتصل المفعول الأول ضمير المخاطب، والثاني ضمير المفعول العائد على اسم الموصول «ما» وهو لغير العاقل. وقال كعب:

فقلت خلو سبيلي لا أبالكم فكل ما قدّر الرحمن مفعول

ما موصول لغير العاقل، وهي في موضع مضاف إليه وجملة الصلة: قدّر الرحمن، وما بمعنى الذي[1]، وعائد الصلة محذوف، وهو مفعول قدّر، والأصل كل الذي قدره الرحمن مفعول.

الخامسة - الجملة المصدرية

الجملة المصدرية التي تتصدر بموصول حرفي[2]، فيؤول مع صلته بمصدر اسمي، والأحرف الموصولة ستة: أنّ (الثقيلة) وأن (المخففة)، وما، وكي، ولو، والذي[3]

(١) يجوز أن تكون ما بمعنى شيء: كل شيء قدر الرحمن مفعول ويجوز أن تعرب قدر الرحمن صفة لما بمعنى شيء. وارجع إلى حاشية الصبان جـ١/٢٥٥، ٢٥٧.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني (على ألفية ابن مالك) ومعه شرح الشواهد للعيني، مكتبة الصفا جـ١/٢٧٩. والموصول الاسمي الذي لا يجوز تأويله مصدراً والجملة بعده صلة نحو: الذي وأخواتها ومن ما، وقد تناولناها في جملة الصلة.

(٣) مثال أنَّ: (أولهم يكفهم أنَّا أنزلنا) [العنكبوت: ٥١] أي إنزالنا.
ومثال أنْ: (وأن تصوموا خير لكم) [البقرة: ١٨٤] أي وصيامكم خير لكم.
وما مثل: (وبما نسوا يوم الحساب) [ص: ٣٦] أي وبنسيانهم.
وكي مثل: (لكي لا يكون على المؤمنين حرج) [الأحزاب: ٣٧] وكي ناصبة وتقرن بلام التعليل لفظاً أو تقديراً وتوصل بالمضارع.
ولو: (أيود أحدكم لو يعمر) [البقرة: ٩٦] أي التعمير، ولو توصل بالماضي والمضارع المتصرفين، وقد تكون صلتها جملة اسمية: (يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) [الأحزاب: ٢٠] ويقدر أن بعدها: لو أن.

والجملة بعده فعلية أو اسمية.

والموصول الحرفي يوصل بجملة خبرية أو أمرية أو طلبية خلافاً للموصول الاسمي الذي يوصل بجملة خبرية فقط فلا يجوز أن تكون جملة الصلة طلبية، وذلك أن المقصود من الموصول الحرفي و الجملة المتصلة به المصدر، والمصدر يسوغ من الجملة الخبرية والطلبية.[١]

والجملة المصدرية تؤول اسما له موضع من الإعراب، وتعرب بحسب موضعها، قال تعالى: **﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾** [البقرة: ٦] سواء مصدر بمعنى يستوي عليهم إنذارك وعدم إنذارك[٢]، ويشترط في الفعل أن يكون متصرفاً، فغير المتصرف لا مصدر له، وأن يكون المصدر في معنى الجملة، وهذا يتحقق من الجمل الخبرية لا الطلبية، نحو: **﴿لَوْلا أَنْ مَنَّ اللـه﴾** [القصص: ٨٢] أي لولا منُّ اللـه علينا.

والمشهور في جملة المصدر أن تكون خبرية، فقولنا: كتبت إليه أن قم، فقولنا: كتبت إليه بالقيام، ليس فيه معنى طلب القيام وأجاز بعض العلماء تقدير محذوف يدل على الطلب: أي: كتبت إليه الأمر بالقيام، وذهب إلى هذا الزمخشري، فقدّر مصدراً طلبياً، قال تعالى: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾**[نوح: ١] أي: أرسلنا نوحاً إلى قومه بالأمر بالإنذار، فيتضمن المقدر معنى الطلب[٣]. ولا يجوز تقدير المصدر من : أن أنذر، لأن الإنذار لا يتضمن معنى الطلب، فجملة: «أن أنذر قومك» تفسير معنى الطلب: الأمر أن أنذر، ولا يجوز تقدير حرف الجر قبل الحرف المصدري نحو: كتبت إليه بأن قم، لأن حرف الجر ولو زائد لا يدخل على اسم مؤول به.

ومنع ابن هشام أن يكون ما بعد الحرف المصدري طلباً، لعدم جواز تعلق الفعل قبله بالإنسان، لأن الإنسان لا يقدر فاعلاً أو مفعولاً، فلا يوجد في كلام العرب: يعجبني أن قم[٤]، ويجوز تقدير معنى الأمر في المصدر، وهو ما ذهب إليه الزمخشري

والذي نحو: (وخضتم كالذي خاضوا) [التوبة: ٦٩] أي: كخوضهم، والراجح في الذي أنها اسمية وبعضهم قال الذي المصدرية حرف. وقوله: (كالذي خاضوا) قيل أصلها: الذين، وقيل المعنى: كالخوض الذي خاضوه. حاشية الصبان جـ١/٢٨٠، ٢٨١.

(١) الأشباه النظائر، جـ٢/٢٠٩.

(٢) مغني اللبيب، جـ٢/٤٧١، والاستفهام من أجل التسوية. القرطبي، جـ١/١٩١، والأشباه والنظائر، جـ٢/٢٤٦ (أو وأم).

(٣) حاشية الصبان، جـ١/٢٨١.

(٤) مغني اللبيب، جـ٢/٤٧٢، وارجع إلى: الكافية، جـ٤/٤٤٩.

وصح العمل به تفسير الآية قال: والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر، أي: أرسلناه بالأمر بالإنذار، ويجوز أن تكون مفسرة؛ لأن الإرسال فيه معنى القول[(١)]».

ويحذف حرف الجر الذي يتعدى به الفعل قبل جملة المصدر المصدرة بأنَّ وأنْ، والحذف فيهما مشهور؛ لأنه مقدر في الكلام وفسر على هذا قوله تعالى: ﴿**وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ**﴾[النساء: ١٢٧] يجوز تقدير «في» للدلالة على الرغبة في زواجها إذا كانت ثرية وجميلة، ويجوز تقدير «عن» للدلالة عن ترك (أو العزوف)؛ لأنها معدمة أو غير جميلة، وأسقط حرف الجر لاحتمال المعنيين، وكلا الفعلين مذموم.[(٢)]

ويجوز هذا في خبر ليس، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا**﴾ [البقرة: ١٧٧] والمعنى: بأن تولّوا، هذا على رفع البر (اسم ليس) والنصب في البر (خبر ليس) وأن تولوا واسمها مضمر، وجملة المصدر بدل من البر فلا يقدر فيها حرف، ويجوز أن تكون تفسيرية.[(٣)] وقال كعب:

أنبئت أنَّ رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

أنَّ وصلها (رسول الله أوعدني) على تقدير بكون رسول الله أوعدني، وهو الأصل مثل قوله تعالى: ﴿**أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**﴾ [البقرة: ٣٣] و﴿**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٤٣] [(٤)]

ويجوز أن يتضمن أنبأ وَنبَّأَ معنى فعل متعدٍ إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر مثل أعلم أرى، وأن علقت عمل الفعل، فالجملة سدت مسد المفعولين، بعد جعل المفعول الأول نائب فاعل، وقد صرف الفعل عن فاعله الحقيقي ليكون النبأ احتمالاً، وهذا يناسب طلب العفو.

وقد اطرد فيهما جواز حذف حروف الجر نحو: عجبت أن قمت، وعجبت من أن قمت أي من قيامك، فيظهر حرف الجر عند تقدير المصدر

---

(١) الكشاف، مكتبة مصر، جـ٤/٤٦٧ مكتبة مصر، وقال الزمخشري: (أن أنذر) أصله: بأن أنذر، وحذف الجار وأوصل الفعل».
(٢) ارجع إلى: الكشاف، جـ١/٤٩٥ قال: «(وترغبون أن تنكحوهن) يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن».
(٣) (وليس البر) بالنصب على أنه خبر مقدم، وقرأ عبد الله: بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد، ولكن البر بر من آمن فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقرئ (ولكن البار)، وقرأ بالرفع (ولكن البرُ) ابن عامر، ونافع. الكشاف جـ١/١٩٩
ويجوز أن يكون الخبر ظاهراً والمبتدأ ضميراً نحو: هي إقبال وإدبار. الأشباه والنظائر جـ٢/٢٢٩.
(٤) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص٢٧٠، ٢٧١.

دون أنَّ وأن فيظهر الحرف المحذوف أو المضمر وجوباً، فلا يعطي المصدر حكم أنَّ وأنْ وصلتهما في جواز حذف الجار، ولا ينزل منزلتهما في مسدهما مسد جزءي الإسناد (المبتدأ والخبر) مع ظن وعسى فلا يجوز: ظننت قيامك، فيجب الأصل: ظننت أنك قمت. ولا يجوز عسى قيامك بل عسى أن تقوم.

ويجوز أن ينوب المصدر عن ظرف الزمان ولا يجوز ذلك في أنَّ وأنْ وصلتهما يقال: جئتك صلاة العصر. أي: وقت صلاة العصر، وليس من الفصيح: جئتك أن تصلي العصر[(١)]. ويجوز حذف الجار في التحذير ويجوز حذف الواو العطف نحو: إياك أن تعصي الله، أي: احذر من أن تعصي الله أو من معصية الله.

ونحو: إياي وأن يرمي أحدكم السيارة، ويجوز: إياي أن يرمي أحدكم السيارة، والمعنى احذروني ورمي السيارة بحجر،جوزوا حذف الجر والعطف لطول الجملة.[(٢)]

وأنَّ الثقيلة تعمل في النصب في الاسم بعدها وصلتها جملة اسمية.[(٣)]

وأن المخففة تدخل على الجملة الفعلية، وتعمل النصب، قال كعب:[(٤)]

أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل

أن بالإسكان مصدرية، فتنازع الجملة فعلان: أرجو دنو مودتها وآمله.

وقال:[(٥)]

إذا يساور قرناً لا يحل له ... أن يتركَ القرن إلا وهو مجدول

والتقدير لا يحل له ترك القرن إلا مقتولاً.

---

(١) ارجع إلى: مغني اللبيب جـ٤٧٢/١، وشرح الأشباه والنظائر جـ٢٢٧/٢.
ولا يجوز المصدر المؤول في موضع المفعول المطلق نحو: ضربت زيد ضرباً، فلا يقال ضربت زيداً أن ضربت.
(٢) الأشباه والنظائر جـ٢٢٧/٢.
(٣) الكتاب، سيبويه جـ١١٩/٣، ١٢٠ وإنَّ لا تكون إلا مبتدأ خلافاً لأن التي تعرب حسب موقعها في الكلام.
(٤) شرح قصيدة كعب ص ١٦٦، أن يجوز أن تكون أن مثل ما مهملة، قال تعالى: (لمن أراد أن يتم الرضاعة) [البقرة: ٢٣٣] بالرفع قراءة مجاهد، وأن ساكنة مهملة لا عمل لها. ومن اسم موصول والفعل المسند إلى المفرد حملاً على لفظ من، ويجوز حمله على المعنى يتمّون مثل: (ومنهم من يستمع إليك) [يونس: ٤٢]
(٥) الديوان ص ٨ وشرح قصيدة كعب، ص١٦٦ ويروي: مفلول وروى: مثلول: مكسور ومجدول من الجدالة، كناية عن القتل، والجدالة: الأرض.

السادسة- الجملة التى تقع مفعولاً

هنالك أفعال في العربية تتعدى إلى مفعولين هما في الأصل جملة (وهي: ظن، حسب، خال، زعم، وجد، رأى، علم)، وأصل المفعولين المبتدأ والخبر، فتنصبهما مفعولين نحو: حسبت السعرَ رخيصاً، وعلمت الله موجوداً، ووجدت العلمَ نافعاً، وهذه الأفعال عاملة في مفعوليها النصب[١].

والجملة الاسمية (من المبتدأ والخبر) تقع مفعولاً لفعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر نحو: ظننت محمداً قائماً. وقد تأتي في المتعدي إلى ثلاثة نحو: أعلمت زيداً محمداً مجتهداً، ويجوز أعلمت زيداً أن محمداً مجتهدٌ، فتعلق أن عمل الفعل وتعمل هي في الجملة بعدها، والجملة في محل نصب.

ويعمل الفعل فيها النصب ما لم يعلق عن العمل فيها فيكون المبتدأ المفعول الأول والخبر المفعول الثاني نحو: رأيت محمداً مجتهداً، فإن علق الفعل عن العمل في المفعولين بحرف ناسخ، فالجملة في محل نصب[٢].

والجملة التي تقع مفعولين جزء من الجملة الكبرى، لأنها مكملة لمعنى الفعل المتعدي، فلا تتم دلالته إلا بمفعول، وهي جملة لها محل من الإعراب؛ لأنها بمنزلة المفعول المفرد، نحو قولنا: ظننت العلم نوراً، وعلمت هذا أو ذلك أو ذاك، قام اسم الإشارة مقام الجملة.

وقد يعلق الفعل المتعدي، فيبطل عمله في اللفظ، ولكنه يعمل محلاً، وذلك في المواضع التي يأتي فيها ما له صدر الكلام في حكم الكلام المستقل، ولكنه يشغل محل المفعول، فيكون في محل إعراب المفعول، هذه الجمل ترتبط بالفعل والفاعل.[٣]

---

(١) ارجع إلى: ملحة الإعراب ص١٦٣، ويجوز أن تقيم أن المفتوحة المخففة مع الفعل بعدها مقام المفعولين نحو: ظننت أن يخرج زيد، وقد تسد ذلك وذاك مسد المفعولين نحو: ظننت ذلك، وكل ما جاز أن يكون خبراً جاز أن يكون مفعولاً ثانياً لظن وأخواتها، إلا الظرف فإنه ينتصب على الظرفية نحو: ظننت زيداً عندَك. وشرط عمل ظن وأخواتها أن تتقدم على المفعولين، ويجوز عملها فيما تقدمها، ويجوز رفعه، ورأى بمعنى علم، فإن كانت بمعنى شاهد نصبت مفعولاً واحداً نحو: رأيت زيداً، أي شاهدته أو ضربت رئته أو أصبتها، وكذلك علم بمعنى أيقن تنصب مفعولين، وعلم بمعنى عرف تنصب مفعولاً واحداً، وكذلك وَجَد بمعنى أيقن فإن كانت بمعنى صادف نصبت مفعولاً واحداً.

(٢) التعليق أن يتصدر الجملة الواقعة مفعولاً حرفاً يكون حامياً للفعل عن العمل في لفظ الاسمين، فتعرب الجملة في موضع نصب، فقد أبطل الحرف (إن وأخواتها) عمل الفعل المتعدي لفظاً لا محلاً. الأشباه والنظائر جـ٢/٢١٥.

(٣) يعلق عمل الفعل في المواضع الآتية:

- أن تأتي الجملة بعد لام الابتداء، قال تعالى: (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) [البقرة: ١٠٢]

ومذهب البصريين وجوب إعمال الفعل إذا تقدم الفعل على مفعوليه والكوفيون يجيزون الإلغاء (إبطال عمله) في مثل هذا الموضع، واستدلوا بقول كعب بن زهير:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها   وما إخال لدينا منك تنويلُ

والمشهور على مذهب البصريين: ما إخال لدينا منك تنـويلاً، والقافيـة بـالرفع، وقـد فسر البصريون ذلك أنه من قبيل الإلغاء، لأن الفعل ليس في أول الكـلام بـدليل تقـدم حـرف النفـي «ما» عليه، ومنهم من يجعل الفعل معلقاً بتقدير لام الابتداء بعين الفعل ومعموله[1].

وكون المفعول مذكوراً الأصل، وقد يحذف إذا دل عليه دليل مقالي سابق أو حالي معـروف في العالم الخارجي، وحذف المفعولين في قول كعب:

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت   إلا كما يمسك الماء الغرابيل

المعنى: الذي زعمت أنها تفي، أو الذي زعمت الوفاء به واقعاً، والأول أرجح؛ لأن الغالـب في زعم وقوع «أن» وصلتها بعدها.[2]

وحذف المفعولين جائز قال تعالى: ﴿**أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُـونَ**﴾ [القصـص: ٦٢] المعنى: الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء. والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَا**

- أن تأتي بعد لام القسم نحو: علمت ليكونن زيداً وفياً.
- أن تأتي بعد ما النافية، قال تعالى: (ولقد علمت ما هؤلاء ينطقون) [الأنبياء: ٦٥].
- أن تأتي بعد لا وإنْ النافيتين أو بعد الاستفهام، وبعد لعل وإنَّ المشددة: علمت إن محمداً لوفيّ، وبعـد لـو الشرطية وكـم الخبريـة، علـم الناس لو أن زيداً شجاع.

ارجع إلى: شرح شذور الذهب ص٣٦٦، ٣٦٧ وأوضح المسالك ص١٨٨ والتعليق وقف عمل الفعل لسبب مع بقاء العمل بالأصـل، والإبطـال إلغاء العمل مطلقاً.

(١) ارجع إلى: شرح التصريح جـ٢٥٨/١، وتهذيب التوضيح جـ١١٦/١ وقضايا نحوية، إبراهيم بركات ص ٣٤ وإخال بكسر الهمزة لهجة في أخال، وهي بمعني أظن وهما سيان في نصب المفعولين، ويجوز أن تسد أنَّ وأنْ وصلتهما مسدهما، ويجوز إلغاء عمل إخال لتوسـط الخـبر بينهـا وبين المبتدأ، وقد عملت إخال في قول الشاعر:

وخلت بيوتي في يفاع ممنَّع   تخالُ به راعي الحمولة طائرا

أي ظننت بيوتي في مكان مرتفعة، تظن به راعي الإبل طائراً. وعلقت أنَّ عمل إخال في قول الشاعر (أبي ذؤيب الهندلي): =

= **فغيرت بعدهم بعيش ناصب   وإخال أني لاحق مستتبع**

سدت أن مسد المفعولين. ارجع إلى شرح قصيدة كعب ص١٦٦، ١٦٧ .

(٢) وقيل بمعنى تكفّل، وهو لازم لتضمنه معنى اللازم، وقيل زعم بمعنى قال و بمعنى ادعى زوراً، وقد قال الخليل إن زعـم مـن أخـوات ظـن يغلب أن تدخل أن على مفعوليها فتعلقه عن العمل، ووقع زعم على الاسـمين دون أن في الشـعر، قـال أبـو محجـن الثقفـي أو أبـو أمـين الحنفي، وكان شراباً:

زعمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدبُ دَبيبا

والمشهور مجيء أن قبل الاسمين قال تعالى: (الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) [القصص: ٦٢].

﴿نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ٩٤] وهذا كثير في القرآن الكريم.(١)

وقد يضمن الفعل معنى غيره من الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، فيكون له حكم أخوات ظن، ومن ذلك أنبأ ونبّأ، قال كعب:(٢)

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

أنبئت، ويروي نُبِّئت، بمعنى أعلم، والجملة بعده سدت مسد المفعولين لتصدرها بأن، وقيل أن وصلتها على تقدير اسم مجرور بعد باء مقدرة أنبئت بأن رسول الله أوعدني، مثل قوله تعالى: **﴿أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾**[البقرة: ٣٣] بمعنى أخبر.

السابعة - الجملتان المتنازعتنان

هما الجملتان المتنازعتنان في العمل النحوي، وهو اشتراك عاملين (الفعل وما يعمل عمله) أو أكثر في معمول واحد أو أكثر، إما بالرفع أو النصب، أو بالخلاف بينهما، أو هما معاً، والتنازع في الجملتين الفعليتين أو ما يقوم مقامهما (اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والمصدر واسم الفعل)(٣) وشروط المتنازعين:

- أن يكون الفعل في الجملتين متصرفاً، أو أن يعمل المتنازعان عمل الفعل.
- أن يسبق كل من المتنازعين المعمول، فلا يقدم المتنازع فيه على العامل.

- أن يتحقق به الارتباط المعنوي بين المتنازعين، فلا يجوز في الأفعال التي تدل على معان مختلفة ليس بينها علاقة ترادف أو تضاد أو مصاحبة.(٤)

والعاملان في التنازع لابد من ارتباطهما إما بعاطف كما في قولنا: قام ومشى أخوك، أو أن يعمل أولهما في ثانيهما نحو: **﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾** [الجن: ٤]

---

(١) جاء الحذف في قوله تعالى: (أو تسقط السماء كما زعمت) [الإسراء: ٩٢] ومثلها [الإسراء: ٥٦] و[الكهف: ٥٢] و [الأنعام: ٢٢] و[القصص: ٦٢] وغيرها.
واقترن الاسمين بأن في قوله تعالى: (الذين زعمتم أنهم فيكم) [الأنعام: ٩٤] ومثلها: [الجمعة: ٦] و[النساء: ٦٠]. ولم يرد وقوع الفعل على الاسمين دون أن في القرآن الكريم.

(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص٢٧١.

(٣) ارجع إلى: الكتاب، جـ٧٣/١: ٧٩، والمقتضب جـ١١١/٣: ١١٧. والتسهيل، ابن مالك ص ٨٦ ، وشرح المفصل م١٨٠/١، ١٨١، وارجع إلى: قضايا نحوية، الدكتور إبراهيم بركات ص ٥٢، ٥٤، والأشباه والنظائر جـ٢٢٧/١.

(٤) يجوز قولنا: أكرمت وأطعمت زيداً، فالإطعام من معاني الكرم، ولا يجوز: أكرمت وضربت زيداً، فالفعل الثاني ليس من معنى الأول، ويجوز التنازع في: قام وقعد زيد، فالرابط علاقة التضاد.

تنازع الفعلان سفيهنا، وكان العامل في جملة يقول،وقوله: **﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً﴾** [الجن: ٧] والمتنازع فيه في الآية جملة «أن لن يبعث الله أحداً»، و«كما ظننتم» متعلق بظنوا.

وقد تتنازع الجملتان في اسم واحد أو اسمين، فيكون المتنازع فيه الرابط بينهما، وهذا الاسم ظاهر بعدهما، وهذا الاسم قد يتصل بالجملتين كالفاعل أو المفعول، يتنازعان في الفاعل نحو: جاء وذهب زيد. والمفعول نحو: أنا ضارب وشاتم زيداً. ونحو: أطعمت وأسقيت زيداً. والرابط بين الجملتين الواو والمفعول الذي تنازعه العاملان.(١)

والتنازع المنفصل نحو: ما جاء وجلس إلا أنا، وما أكرم زيد وأعطى إلا أنا.

والعاملان في المتنازعين قد يكونان متفقين أو مختلفين، والمتفقان قد يتفقان في الفاعلية فحسب نحو: ضربني وأكرمني زيد، أو في المفعولية فقط نحو: ضربت وأكرمت زيداً، أو في الفاعلية والمفعولية معاً نحو: ضرب وأكرم زيد عمْراً، وقوله تعالى: **﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾** [الكهف: ٩٦] أي: آتوني بقطر أفرغ عليه قطراً.

والمختلفان يختلفان في معموليهما نحو: ضربني وأكرمت زيداً. أو ضربت وأكرمني زيد. اختلفا في الفاعل والمفعول. وقد يختلفان في نوع العامل نحو قوله تعالى: **﴿هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾** [الحاقة: ١٩]

وقد وقع التنازع في الفاعل، في قول كعب:

لقد أقومُ مقاماً لو يقومُ به   أرى وأسمعُ ما لو يسمعُ الفيلُ

اشترك الفعلان في فاعل واحد ومفعول واحد أرى وأسمع. والتقدير: أرى ما لو يراه الفيل، واسمع ما لو سمعه الفيل. وتنازع قام وسمع الفاعل والعامل ضمير الأول على الأرجح، ويعطي الثاني ضميره.(٢)

وقد يتنازع فعلان جملة في موضوع المفعول، ومنه قول كعب:

أرجوا وآمل أن تدنوا مودتها   وما إخال لدينا منك تنويل

(١) الأشباه والنظائر جـ٢٢٧/١.
(٢) شرح قصيدة كعب ٢٧٧، ٢٧٨ والمعنى أرى ما لو رآه الفيل لظل يرعد، وأسمع ما لو سمعه الفيل لظل يرعد.

الجملـة «أن تـدنوا مودتهـا» تنازعهـا الفعـلان، فأعمـل الثـاني وحـذف مفعـول الأول، ولا يحسن أن يعمل الأول ويحذف مفعـول الثـاني لالتـصاق المفعـول بـه أو لقربـه[1]، و«أن تـدنوا مودتها» جملة تصدرت بأن المصدرية، وهي في موضع نصب مفعـول بـه للفعـل «آمـل» عـلى الأرجح.

وإخال بمعنى أظن، وهما سيّان في نصب المفعولين، (والكسر لغة فى إخال، والمشهور فيهـا أخال)، ويجوز أن تسد إن أو أن وصلتهما مسدَّهما نحو: خلت أن محمداً عالم. وجملـة «لـدينا منك تنويل»، قيل إن «إخال» ألغى عملها فيها لتقدم الخبر (شبه الجملـة) عـلى المبتـدأ، فهـي ملغاة فلا عمل لها، ويجوز أن تعلق إخال عن العمل في الجملة بعدها، وهي في موضع نـصب المفعولين على تقدير أن محذوفة: وما إخال أن لدينا منـك تنـويلاً، فحـذفت أن للـضرورة.وقـد توسع الناس في اسـتخدام التنـازع، يقولـون: أكـل وشرب عـلي، وفـلان مطـاع ومـسموع الكـلام (كلامه)، ومسموع ومحمود حديثه (الحديث نائب فاعل). ويـستخدمون المـصدر نحـو: سررت من قراءتك وفهمك الدرسَ.

واسم التفضيل نحو: محمد أكرم الناس وأحسنهم وأطيبهم خلقـاً أو نفـساً. وفـلان أدقهـم وأضبطهم وأكثرهم علماً.

والصفة: فلان أصيل وعريق أصله، وفلان كريم وحكيم أبوه.

الثامنة - جملة الاشتغال

وهى جملة تتضمن ضـميراً يعـود عـلى الاسـم المـشغول عنـه، وهـو الاسـم المتقـدم عـلى الجملة، والاسم المتقدم قد يرفع على الابتداء أو الإخبار، وقد ينصب ويكون عامله محذوفاً دّل عليه المذكور العامل فى ضميره، والأصل فيه جملتان، فنصب الأول اسـماً ظـاهراً ونـصب الثـاني ضميره أو ما أضيف إليه ضميره، فحذف الفعل الأول اكتفاء بدلالة الثاني عليه، لأن الثاني مفسر له، فلم يجمع بين المفسَّر والمفسِّر، وقد بقي عمل المحذوف في الاسم المنصوب المتقـدم، ويـراد به اشتغال المحل بضمير يعود على المشغول عنه، وأركانه: مـشغول عنـه (وهـو الاسـم المتقـدم الذي ترك مكانه للضمير)، ومشغول (العامل)، ومشغول به (الضمير العائد على الاسـم الـسابق الذي عمل فيه العامل)،

(١) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ١٦٦.

والضمير ضروري ليربط الجملة بالمشغول عنه؛ لئلا يكون أجنبياً عنه، قال تعالى: (والأنعامَ خلقها لكم) [النحل:٥] (١) والأنعام منصوبة بفعل محذوف، ورفعت في القراءة الشاذة، والضمير في «خلقها» ضمير الاشتغال، والأصل: واذكروا الأنعام خلقها لكم، فأضمر الفعل العامل وجوباً، وتأخر عن الاسم فعل (أو ما يعمل عمل الفعل) مشتغل عن العمل فيه بالعمل في ضميره، ومثله: (وكل إنسان ألزمناه طائره) [الإسراء: ١٣] وقد وجب حذف الأول؛ لأن الثاني مفسر له فلم يجمع بينهما. (٢)

وهو في الخطاب المعاصر نحو: علياً أفهمته، علياً منصوب بمحذوف، فهي فعلية، و«هذه احترمتها» اسمية والخبر احترمتها. (٣)

والجملة التي فيها الضمير المشغول به عن اسم متقدم ترتبط بالاسم قبلها بالضمير الذي يعود على الاسم المتقدم المشغول عنه، فلا يكون أجنبياً عنه، ولا يستغني عن هذا الضمير في الاشتغال، ويشترط فيه أن يتصل بالفعل نحو: محمد أحببته، أو يتصل بحرف يتعلق بالفعل نحو: محمد مررت به، أو يضاف إلى اسم منسوب إليه نحو: علي أكرمت أخاه، أو تتضمنه جملة تتعلق باسم متقدم عليها كجملة الصفة نحو: علي قابلت صديقاً يحبه. أو جملة الصلة نحو: علي قابلت الذي يحبه، ونحو: علي قابلت

---

(١) التبيان في إعراب القرآن جـ٧٨٩/٢، وارجع إلى: شرح ابن عقيل جـ١٢٨/٢ والتسهيل ص ٨٠، وشرح شذور الذهب ص ٤٢٦، وقيل الاشتغال: اشتغال فعل عن اسم متقدم عليه بضمير هذا الاسم أو بما نسب إلى ضميره. والفرق بين التنازع والاشتغال أن التنازع: تنازع الفعلان اسماً ظاهراً بعدهما، والاشتغال تنازعهما ضمير اسم متقدم عليهما، أو شغل الضمير موضع الاسم المتقدم.

(٢) شرح شذور الذهب ص٢٠٥.

(٣) شروط الاشتغال: شروط المشغول عنه:
- ألا يتعدد في اللفظ والمعنى، ويجوز أن يتعدد في اللفظ غير المعنى نحو: صديقي ورفيقي أكرمتهما.
- وأن يتقدم على الفعل، فإن تأخر، فهو بدل من الضمير إن نصبت ومبتدأ مؤخر إن رفعت نحو: أكرمته علياً، والمشغول عنه: علياً أكرمته.
- وأن يقبل الإضمار، فلا يصح فى غير المفعول به أو ما في حكمه.
- وأن يعتمد في معناه على العامل (الفعل الذي يليه)
- أن يصلح للابتداء، نحو: علي أكرمته.

وشروط العامل المشغول بضمير الاسم المتقدم:
أن يتصل بالاسم المشغول عنه، وأن يكون صالحاً للعمل فيما قبله، وذلك بأن يكون متصرفاً ومتعدياً أو ينوب عنه ما يعمل عمله كاسم الفاعل والمفعول. ارجع إلى شرح شذور الذهب ص٢٠٥.

زيداً الذي يحبه[1]، فالرابط يجوز أن يكون في أي جزء مما تعلق بالفعل العامل.

التاسعة - الجملة المحكية

حكاية الجملة: حكاية قول ملفوظ (منطوق) أو مكتوب.

والملفوظ: الجملة المحكية بالقول المسموع بالنقل أو بالرواية عنه سماعاً أو بصريح القول، قال تعالى: (وقالوا الحمد لله) [الأعراف: ٤٣] فالحكاية مماثلة اللفظ المسموع على هيئة من غير تغيير.[2]

وحكاية المكتوب تكون بلفظ الكتابة أو ما في معناه نحو: نص، وعبارة، ولفظ، ونقش، ومنه حديث أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس من الأعاجم، فقيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا عليه خاتم، فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة نقشه: «محمد رسول صلى الله عليه وسلم ».[3]والنقش من ألفاظ الكتابة. وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: «...ونقش فيه «محمد رسول الله» وجاء في أخرى عن أنس: «إني اتخذت خاتماً من ورق ونقشت فيه «محمد رسول الله» فلا ينقش أحد على نقشه. وجاء في رواية: «وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، و الله سطر».

والجملة المحكية شفاهة تتعلق بالقول فهي معمول القول، والجملة المكتوبة تتعلق بالكتابة أو ما يرادفها ولا يدخل فيها ما حكي على لفظه وصار اسماً نحو: «تأبط شراً» و«سر من رأي» و«الحاكم بأمر الله» و«المنتصر بالله»، وهي جمل تروى على لفظها دون تغيير، فهذه جمل صارت على لفظها وليست في موضع المفعول أو القول، والجملة المحلية التي ترتبط بما قبلها تقع بعد القول أو مرادفه، ويطلق عليها جملة مقول القول، وجملة الحكاية، والمشهور فيها الجملة المحكية.[4]

---

(١) ارجع إلى قضايا نحوية للدكتور إبراهيم بركات ص٤٠.
(٢) ارجع إلى: شرح حاشية الصبان، جـ١٢٤/٤، ١٣١.
(٣) رواه البخاري في كتاب اللباس، جـ٣٥/٤: ٣٧.
(٤) الحكاية: إيراد اللفظ على استيفاء صورته الأولى، أو ذكر الكلام على لفظه الأول، أو حكايته على لفظه دون تغيير يخل بأصله. الكليات ص٤٠٩.
وتأتي الحكاية مفعول القول أو ما يرادفه القول نحو: (قال إني عبد الله آتاني الكتاب) [مريم: ٣٠] ومرادف القول، نحو: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) [البقرة: ١٣٢] وألفاظ: سمعت، وروى، وحَدَّث.

وتعرب جملة مقول القول إعراب المفعول، فقال بمنزلة الفعل ظن، فيجري القول مجرى الظن، والجملة الفعلية بعد القول على سبيل الحكاية، فتكون في موضع نصب مقول القول. واختلف العلماء في الجملة الاسمية، فبعضهم يجيز إعمال القول فيها، فيجري في المبتدأ والخبر النصب، وبعضهم يجعلها في محل نصب، فتبقى على إعرابها الأصلي دون إعمال القول فيها، وتكون في محل نصب[1].

والحكي قد يكون عن الذات المتكلمة، وقد يكون عن الآخر، فحكي المتكلم عن نفسه نحو قول كعب لمخوّفيه:

خلوا سبيلي لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

القائل المتكلم، وحكى قوله لمخوفيه على لفظه: «خلوا سبيلي» ثم «لا أبالكم» جملتان الأولى في موضع مقول القول والثانية بدل منها و«كل ما قدر الرحمن مفعول» قول ثالث قاله، فالحاكي راوٍ عن نفسه.

وحكي المتكلم عن الآخرين قولهم، قال كعب:

وقال كل خليل كنت آمله: «لا ألهينك إني عنك مشغول»

جملة: «لا ألهينك» في موضع نصب.

وإن ومعمولها إما بدل من «لا ألهينك»، أو في موضع التعليل، وقد كسرت «إن» لمجيء اللام بالخبر.

والجملتان حكيتا على لفظهما بلفظ قائلها، وهما في موضع المفعول لفعل الراوي «قال»، وقد نزلت الجملة منزلة الاسم المفرد، قال كعب:

يسعى الوشاة جنابيها وقولهم «إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول»

الجملة حكيت بلفظ قائلها، وهي في موضع المفعول لفعل الراوي، وقد نزلت

وهناك جمل تسمى بها أفراد بعد أن حكيت على لفظها دون تغيير نحو: تأبط شراً، وسر من رأى، وجاد الحق، وجاد المولى.

(١) روى العلماء عن بني سليم أنهم يجرون الإعراب في المبتدأ والخبر وبنو سُليم من قيس عيلان، وقيل من جذام باليمن، شرح التصريح ٢٦٢/١ والجملة التي تصدرت بأن مفتوحة تدل على إعمال القول إعمال الظن، وإن الهمزة المكسورة والنون المشددة تعلق عمل الفعل: (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) [مريم: ٣٠]، والمشهور أن تحكى الجملة الاسمية على لفظها دون إجراء القول مجرى الظن، واشترطوا لعمل الفعل أن يكون مضارعاً مسنداً إلى تاء المخاطب، وأن يكون مسبوقاً باستفهام نحو: أتقول محمداً مجتهداً.

منزلة الاسم المفرد من الإعراب فجملة: «إنك- يا ابن سلمى- لمقتول» اسمية في موضع نصب مفعول المصدر «قول»، ويجوز أن تكون خبراً.

وقد تكون جملة مقول القول أمراً، قال كعب:

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت وُرْقُ الجَنَادبِ يركضنَ الحصا قيلوا

جملة المفعول: قيلوا، وقال:

في فتية من قريشٍ قال قائلهم ببطنِ مكةَ لما أسلموا زُولوا

القائل حكى ما تناقلته العرب عن موقف قريش من المسلمين، فقد كانوا يترقبون موقف قريش فلما دخلت في الإسلام بادروا بإسلامهم. وهذا الحكي يستدعي أصوات الآخرين في القصيدة، فقد استوعبهم الشاعر بما حكاه عنهم، فحول القصيدة من نص ثابت إلى نص متفاعل يتناوب المتكلمون الحديث فيه، فأعطى القصيدة صفة الدرامية، فالأشخاص شاركوا في صناعة الحدث اللغوي.

العاشرة - الجملة التفسيرية أو المفسرة

الجملة الشارحة لما قبلها والكاشفة لحقيقته، وهي جملة فضلة لا محل لها من الإعراب؛ فلا تقع موقع اللفظ المفرد.(١)

ولها ثلاثة أقسام: الأول- جملة مجردة من حرف التفسير. والثاني- جملة مقترنة بحرف التفسير «أي». والثالث- جملة مقترنة بحرف التفسير «أن».

أولاً- الجملة المجردة من حرف التفسير: وتكون خبرية اسمية وفعلية أو إنشائية. وهي نوعان: أولهما- أن تكون مفسرة لمضمون جملة قبلها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللـه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**﴾ [آل عمران: ٥٩] (خلقه من تراب) تفسيرية لمثل آدم. وقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللـه**﴾ [الصف: ١٠، ١١] تؤمنون تفسير المراد بالتجارة(٢).

وقال تعالى: ﴿ **وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾

(١) تسهيل الفوائد، ص١١٣.
(٢) تسهيل الفوائد، ص١١٣، ومغني اللبيب، جـ٥٦/٢، ٥٧.

[الأنبياء: ٣] الجملة الاستفهامية تفسير ما أسروه من القول.

والثاني- أن تفسر مبهماً قبلها نحو الجملة المفسرة لضمير الشأن، ويسميه الكوفيون الضمير المجهول؛ لأنه لم يتقدمه ما يعود عليه، فهو ضمير يعود على متأخر في اللفظ، فيفسره ما بعده، ويفسره جملة تكون خبراً له، فلا يكون خبره مفرداً. وضمير الشأن أول الكلام، فيمتنع الإخبار به، لاستحقاقه أول الكلام، فلا يعود على متقدم بل يعود على متأخر في الرتبة، فلا يجوز إضماره في متأخر، لأنه لا يعود على ظاهر متقدم، وإنما تفسره الجملة بعده. والجملة بنوعيها (الاسمية والفعلية) بعد ضمير الشأن مفسرة له، فهو ضمير مبهم، وموحد؛ لأن المتحدث يريد الأمر والحديث، ولكل جملة شأن وحديث، ويؤتى به في مقام المدح أو التفخيم أو التعظيم، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ١] هو مبتدأ ولم يتقدمه مذكور، وفسره ما بعده من الجملة [١].

والجملة المفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه، نحو: زيداً ضربته، فجملة ضربته جملة مفسرة للفعل الذي نصب زيداً، ولا يفسر العامل إلا بالجملة المذكورة، وقد تضمنت ضميراً يعود على زيد، ومثله: زيداً ضربت أخاه. أو زيداً ضربت عمراً وأخاه، وقد جاز حذف العامل لذكر ما يدل عليه في الجملة التي تعلقت به.[٢]

ثانياً- الجملة المقترنة بحرف التفسير «أي»، وتستخدم في التفسير مطلقاً في الألفاظ أو الجمل أو النصوص، وتعني: المعنى، أو المراد الألفاظ، نحو: جاءني عمر أي: أبو عبد الله ونحو: لا ريب في الكتاب ، أي: القرآن.

والجملة نحو: فاضت نفسه أي: مات، وهُرِيق دمه، أي: قتل، أي: تعني كذا أو معناها كذا، وقال الشاعر:[٣]

وَترْمينني بالطرفِ أي أنت مُذنِبُ   وتقلِينَني لكنَّ إياكِ لا أقْلى

أي: أنت مذنب وجعلها فك شفرة حال الطرف.

---

(١) شرح المفصل، م٦٥/٢، ١٣٠.
(٢) مغني اللبيب، جـ١٠٩/٢.
(٣) شرح المفصل، م٥٩،٦٠/٤، والمعجم المفصل، جـ١٨٥/٢، وتذكرة النحاة، ص٢٣، وشرح الكافية، جـ٤٤٦/٤، وخزانة الأدب، ٢٥٥/١١.

ثالثاً- الجملة المقرونة بأن: أنْ حرف تفسير بمعنى أي، ويشترط فيها ثلاثة: الأول- أن تكون بعد الفعل في معنى القول، وليس بقول، لئلا تكون جملة مقول القول نحو: نادى أن ...، أمرته أن ...، أشار أن ...، والإشارة في معنى القول. والثاني- ألا يتصل بأن شيء من صلة الفعل الذي تفسيره، كالباء؛ لئلا تتعلق بالفعل فتكون من جملته نحو: أشرت إليه بأن قم، وكتبت إليه بأن يأتي، الجملة تعلقت بالفعل الذي تقدمها من جملته.

الثالث- أن يكون ما قبلها كلاماً تاماً، فإن كان غير ذلك فهي تمام معناه نحو: ﴿ **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [يونس: ١٠] الجملة خبر والمعنى أنه الحمد لله العالمين. وقوله تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾ [الصافات: ١٠٤] ليس من ذلك، لأن (ناديناه) تامة، وتفسير النداء يا إبراهيم[١].

وقد فسرت أن الضمير بعد القول في قوله تعالى: ﴿**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي**﴾ [المائدة: ١١٧] أي: اعبدوا الله، والأمر في معنى القول، وقد فسرت المفعول به الظاهر وفسرت ما فيه معنى القول نحو: أوحى: ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ اقْذِفِيهِ**﴾ [طه:٣٨، ٣٩] وقد يقدر المفسر المضمر بعد لفظ في معنى القول نحو: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ**﴾ [المؤمنون: ٢٧]

وفسرت أن المقدر بعد النداء في قوله تعالى: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ [الصافات: ١٠٤] «يا إبراهيم» تفسير مفعول «نادينا» المقدر، أي: ناديناه بشيء وبلفظ قولنا: «يا إبراهيم» نحو: كتبت إليه أن قم، أي: كتب إليه شيئاً هو: قم، وأن تدل على أن ما بعدها تفسيراً.[٢]

وقال تعالى: ﴿**وَانطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا**﴾ [ص: ٦] معناه: أي امشوا، وانطلق مقام القول، فشاكل الجملة بعد أن، ويراد به القول أي قالوا لهم: امشوا، أي أسرعوا بالمشي؛ لئلا يسمعوا القرآن[٣]. وقال تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ**﴾ [المؤمنون: ٢٧]

---

(١) شرح المفصل، جـ٤/٦٠، ٦١.
(٢) ارجع إلى: شرح الكافية، جـ٤/٤٤٧.
(٣) شرح المفصل، م٤/٥٩، ٦٠.

وما بعد أن المفسرة ليس جزءاً متمماً لما قبله بل يتم الكلام دونه، ولا يحتاج إليه إلا من جهة تفسير المبهم المقدر أو الظاهر.[(١)]

وأن تستخدم في فك شفرة الإشارة مثل «أن» في قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩] أي: فأومأت إليه بيدها أو بإشارة منها إليه دون كلام، والإشارة فيها وهي بالمراد: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ [مريم: ١١] والإيحاء هنا الإشارة والإماءة، وما بعد أن مفسر للإيحاء بالرمز، والإشارة والعلامة والحركة والهيئة والصوت لها دلالات في التواصل، وتغني عن اللغة في بعض السياقات في الخطاب المنطوق، وذكرها في الخطاب المكتوب يستوجب ذكر تفسيرها، فالمشار إليه في العالم الخارجي يفسر المراد بالإشارة، والإشارة إليه في الكلام يستوجب ذكره وتفسير الإشارة، والمعاينة في المنطوق تجزئ عنهما.

الحادية عشر - الجملة التعقيبية

أن يعقب المتكلم بجملة تامة تأكيداً أو تعليقاً على معنى سابق، ليكون تماماً لها على جهة المثل أو التأكيد[(٢)]، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللـه قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]، وقوله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: ٨١] ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٩، ١١٠] فقال فرعون تعقيباً على قولهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف:١١٠].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] قيل هذا تعقيب من بلقيس تأكيداً لما قالته، وقيل هو تعقيب من رب العالمين تحقيقاً لقولها[(٣)].

---

(١) إن كان ما بعد أن مكملاً لما قبلها فليست بحرف تفسير قال تعالى: (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) [يونس: ١٠] أن وما بعدها خبر المبتدأ. شرح الكافية جـ٤/٤٤٨. قال تعالى: (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً) [آل عمران: ٤١] أي: إشارة بالحركة، وهي إماءة بالشفتين أو بالحاجبين والعينين واليدين. القرطبي جـ٤/٧٢ . (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً* قال إني عبد اللـه.....) [مريم: ٢٩، ٣٠] أي أحالتهم إلى مخاطبته عليه السلام، فأنكروا عليها ذلك.

(٢) نهاية الإيجاز، ص١٧٢، ١٧٣ وقد ذكره الرازي تحت عنوان الالتفات والأولى أن تكون تعقيباً؛ لأنها جاءت في عقب معنى تماماً له.

(٣) القرطبي، جـ١٣/١٥٨، ١٥٩.

ولم يستخدم كعب الجملة التفسيرية اكتفاء بالصفة المفردة والجملة، فقد أكثر من الوصف وما يدل عليه كخبر المشتق والحال بنوعيه فهو في معنى الوصف أيضاً غير أنه متعلق بحال صاحبه، والجملة التفسيرية والتعقيبية أيضاً يضيق بهما الوزن في الشعر، ومن ثم مجيئهما في النثر أكثر.

الثانية عشرة - جملة التوكيد

جملة تأتي فضلة لتأكيد مضمون ما قبلها، وهي جملة قد تأتي دون رابط عطفي، وقد تصدر بعطف، ولكنها لا تخلو من رابط في الجملة كالضمير أو الإشارة، قال تعالى: ﴿**الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ١، ٢].

وهذا يقوي التصاق جملة التوكيد بما قبلها، فالمعنى متصل فاستغنت الجملة عن الرابط، وجملة «لا ريب فيه» اتصلت بما قبلها من ذات نفسها، فاستغنت عن حرف العطف، وهي «ذلك الكتاب» للتعظيم، وعهد المدح والتخصيص له، و«لا ريب فيه» بيان وتوكيد وتحقيق وزيادة تثبيت له، فهي في معنى ما تقدمها، كالخبر يكون في معنى المبتدأ. وجملة لا ريب فيه بها ضمير يعود على الكتاب، فالربط بالضمير[(١)]، فالرابط المضمون- وهو رابط معنوي- والضمير، وهو رابط لفظي، وهذا أبلغ في المعنى. وجملة لا ريب فيه تعالقت مع ما قبلها، فجاز أن تكون خبراً عن ذلك والكتاب بدل والمعنى ذلك الكتاب لا شك فيه، خبر معناه النهي. وقد عاد اسم الإشارة على متأخر في الكلام «الكتاب»، والخبر معناه لنفي الشك عنه[(٢)]، وقال كعب:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

جملة «لم يفد مكبول» يجوز فيها أن تكون خبراً لقلبي عند من جوّز تعدد الخبر مختلفاً بالإفراد والجملة، وقيل صفة لمتيم، وقيل حال من ضمير متيم، وهو الظاهر أو من ضمير متبول[(٣)]، وأرى أن الجملة توكيد لمعنى ما قبلها مثل: (ذلك الكتاب لا

(١) ارجع إلى: دلائل الإعجاز، ص٢٢٧، والكتاب له وجوه منها القرآن واللوح المحفوظ والتوراة والإنجيل. القرطبي، جـ١٦٥/١.
(٢) القرطبي، جـ١٦٨/١.
(٣) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص٥٨.

ريب فيه) أي هذا الكتاب العظيم لا شك فيه، فقد تقدمها: قلبي متبول متيم، فأكدت «لم يفد مكبول» مضمونها، وهذا لا ينفي عنها وقوعها صفة أو حالاً. ويرجح ما ذهبت إليه جواز دخول الواو: ولم يفد مكبول.

والربط بالإشارة نحو قوله تعالى: ﴿**مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف: ٣١] فالثانية مؤكدة لمعنى الأولى والرابط اسم الإشارة في الثانية، وقد ارتبطت الثانية بالأولى ودخلت في مضمونها من وجوه: الأول أنه إن كان ملكاً لم يكن بشراً، فالجملة الثانية مؤكدة على النفي، وإن للنفي مثل «ما».

والوجه الثاني- أنه جاء على التعظيم والمدح والتعجب من شدة جماله يقولون: ما هذا بشراً ما هذا بآدميّ. في سياق التعجب والاستحسان في الخُلُق والخَلْق، فكني عن هذا بقوله إن هذا إلا ملك كريم، والمعنى الثاني قد فهم من جملة لفظ المؤكد المتقدم.

والوجه الثالث- أنه أراد تعيين المعنى الثاني وإثباته له، فقد نفي عنه أن يكون بشراً، فجنسه ملك كريم. وهذا دليل على علو الاستحسان والإعجاب الشديدين[1]. ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللـه عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة: ٦، ٧]. قوله تعالى: (لا يؤمنون) تأكيد لما قبله، وقوله: (ختم اللـه على قلوبهم وعلى سمعهم) تأكيد ثان أبلغ من الأول، فقد طبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون.

وقد يكون التوكيد لمضمون عام، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللـه وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ**﴾ [البقرة: ٨، ٩] قوله: (يخادعون اللـه) تأكيد لمضمون ما تقدمها[2].

وقد سبقت الجملة التوكيدية بالواو في قوله تعالى تعقيباً على قول ملكة سبأ: ﴿**... وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ [النمل: ٣٤] قيل: هو من قول ملكة سبأ تأكيد للمعنى الذي أرادته من تمام الحكاية، وقيل: هو من قول اللـه تعالى مُعْلِماً محمداً صلى اللـه عليه وسلم ذلك

---

(١) ارجع إلى: دلائل الإعجاز، ص٢٢٩.
(٢) ارجع إلى: دلائل الإعجاز، ص٢٢٨.

ومخبراً عنهم، وهو للتأكيد أيضاً[١]. ومستأنف من الله تعالى.[٢] وهو توكيد لمضمون جمل سبقت.

ويتأكد المعنى بما يرادفه أو يدخل في معناه، ومن ذلك قول كعب:

أرجوا وآمل أن تدنوا مودتها وما إخال لدينا منك تنويل

تنازعت الفعلان فاعلاً ومفعولاً، وهما الرابطان بين الفعلين المتنازعين، وأرجوا من الرجاء وهو التأميل، والثاني آمل، فهما مترادفان، فالثاني مؤكد الأول لشكه في وفاء سعاد، وأكد هذا بقوله: «وما إخال لدينا منك تنويل».

وقال كعب في أصالة ناقته وصفاء نسبها من الدخيل: أخوها أبوها وعمها خالها ، فالأخ من جهة الأب، وقد صار أباً لها، والعم، وهو من جهة الأب قد صار خالاً لها، والخال من جهة الأم: يريد أنها من إبل كرام لها نسب واحد خلو من الدخيل. ومثل: [هي] حَرْف [هي] قَوْدَاء، [هي] شِمْلِيل، فالحرف الشديدة، والقوداء الطويلة الظهر والعنق، والشمليل الخفيفة، وهي صفات تؤكد قدرتها على السير.

وقوله: ضخم مقلّدها فعم مقيدها، فالثاني في معنى الأولى، وتعني الإمتلاء، وقوله:

لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

صدر البيت: هم شجعان في مواجهة الأعداء حتى الموت، والثاني: أنهم لا يجبنون، فلا تسمع لهم صوتاً عند لقاء الأعداء، فالثاني في معنى الأول.

وقد أكد الشاعر معناه بالتلميح[٣]، فقد أكد إخلاف الوعد عندها بمواعيد عرقوب، فألمح إليه، وهو مثل عند العرب، قال كعب:

مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا أباطيل

ضرب لها مثلاً في إخلاف الوعد بعرقوب الذي اتخذه الناس مثلاً في إخلاف الوعد، وأكد هذا بالجملة التي بعدها، وقال:

لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت عنّي الأقاويل

---

(١) القرطبي، حـ١٥٨/١٣.
(٢) التبيان، العكبري، جـ١٠٠٨/٢.
(٣) نهاية الإيجاز، ص١٧٣، والتلميح عند الرازي: أن يشار في فحوي الكلام إلى مثل سائر، أو شعر نادر أو قصة مشهورة، ومنه قول لبيد:
المستغيث بعمرو عند كُربته كالمستغيث من الرَّمضاء بالنار

جملة «لم أذنب» تكذيب لأقوال الوشاة وتأكيد على كذبهم، والرابط الضمير بين الجملتين «لا تأخذني» و«لم أذنب»، والثانية بيان الأولى، وتأكيد على انتفاء ما نسب إليه، والجملة المؤكدة لما قبلها ليست جزءاً منها، فهي زيادة عليها تأكيداً لمعناها.

الثالثة عشرة - جملة جواب الشرط وشبه الشرط

وهي من الجمل التي لا يصح الشرط دون وجودها وجوداً ظاهراً في اللفظ أو مقدراً يدل عليه ما أغني عن ذكرها من متقدم في الكلام، فجملة الجزاء (أو الجواب) [1] منزلتها من الشرط مثل منزلة الخبر من المبتدأ في الإخبار عنه، فلا تصح الجملة الشرطية دون الشرط وجزائه.

وهذا النوع من التراكيب أكثر تماسكاً وتلازماً من غيره، فالربط فيه على مستوى الشكل (اللفظ) والمعنى، والرابط حرف الشرط والرابط المعنوي أن الثانية جزاء الأولى وتتم بها الفائدة، والأولى جملة الشرط في حاجة إليها فلا فائدة إلا بالثانية فهي في مقام الخبر، ولكنها من ناحية الشكل جملتان، وهما باعتبار ما بينهما من ترابط لفظي ومعنوي بمنزلة الجملة الواحدة البسيطة المكونة من مسند ومسند إليه، بيد أنها تزيد عنها في اللفظ وقوة الترابط فزيادة اللفظ فيها زادت من معناها فلا يحتمل أن تكون جملة الجزاء لغير جملة الشرط لتعلقها بها على مستوى اللفظ والمعنى خلافاً للخبر الذي يقطع عن المبتدأ، لاحتمال وقوعه لغيره، فاللفظ الواحد يخبر به عن أكثر من معنى، ولكن الجملة لا تتسع لغير الإخبار عن معنى واحد، كجملة الجزاء التي تكون جواباً لشرطها.

وقال عبد القاهر: «واعلم أن سبيل الجملتين [جملة الشرط وجملة الجزاء] وجعلهما بمجموعهما بمنزلة الجملة الواحدة، سبيل الجزءين تُعْقَد منهما الجملة....كذلك يكون الشرط في مجموع الجملتين لا في إحداهما» [2]، والجمل التي تعطف على جملة الشرط أو جملة الجزاء تدخل في مجموعهما، وتكون الجملة الشرطية

---

(١) وجملة الجزاء تشبه الخبر في أنها الركن الثاني الأساسي من الشرط، وكذلك الخبر من المبتدأ، وأنها ترتبط في المعنى به فهي تمام الشرط، والخبر في معنى المبتدأ، وتتضمن روابط أخرى كالفاء وإذا والضمير، ولكنها قد تستغني عنها.

(٢) ارجع إلى: دلائل الإعجاز، ص٢٤٦.

بمجموع ما دخل فيها شرطاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ [النساء: ١١٢]، فكل مرتكب خطيئة أو إثماً ثم اتهم بريئاً. آثم ومستحق العذاب سواء فعلهما أو واحدة منهما؛ لأن جزاء الشرط اقتضى وجوب الحكم عند تحقق الشرط والجزاء واحد لكل ما تقدم، وهذا دليل على أن ما يعطف على الشرط جزء منه[١].

وقد ذهب الرضي إلى أن أداة الشرط الرابط بين جملتي الشرط؛ لاقتضائها الفعلين اقتضاء واحداً وربطها الجملتين إحداهما بالأخرى حتى صارتا كالواحدة، فأداة الشرط كالابتداء العامل في الجزأين[٢]. فأداة الشرط هي التي علقت الجملة الثانية بالأولى، فجعلت الأولى شرطاً لها، التركيب الشرطي يمثل وحدة نصية مستقلة، ويمثل الشرط فيها رابطاً قوياً، فلا يمكن اقتطاع الثانية من الأولى أو العكس، فكل منهما يقتضي الآخر.

والربط في الشرط ذهني، فالجملة الثانية جزاء الأولى، وهذا يقوي الرابط بينهما، وزيدت الفاء في جواب الشرط لتكون رابطاً يدعم الرابط الذهني، وهذا يقوي توظيفها في الخطاب الإقناعى، لمحاكاتها أحكام العقل المنطقية.

وجواب الشرط المجزوم (المضارع) لا يقتضي الربط بالواو؛ لأنه أشد اتصالاً بشرطه من غيره، فالجزم فيه يقتضي عامل جزم، فلا يقطع عما قبله ولا يستقل عنه ولا يقدم عليه، وهو أقوى اتصالاً به من اتصال المجرور بجاره، ومن جواب القسم بالقسم، لأن المجزوم فعل، وحاجة المجزوم إلى جازمه أقوى من حاجة الاسم إلى عامله، ولهذا لا يجوز تقديم جواب الشرط المجزوم على عامله[٣]، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] عملت ما الجزم في الجواب، فارتبط بها، فلا يقدم عليها، وهي عاملة فيه الجزم، وربط الضمير جملة الجزاء بجملة الشرط،

---

(١) نفسه.

(٢) شرح الكافية، جـ٤/٩٦.

(٣) جواب الشرط المجزوم في اتصاله بشرطه أقوى من المجرور بجاره؛ لأن عوامل الاسم أقوى من عوامل الفعل، فلما قويت حاجة المجرور إلى جاره كانت حاجة المجزوم إلى جازمه أقوى، وجواب الشرط أشد اتصالا بالشرط من جواب القسم بالقسم؛ لأن جواب القسم ليس بمعمول للقسم، ولكن جواب الشرط معمول الشرط، فقولنا: أقسمت لا أقوم، جملة الجواب «لا أقوم» في اتصالها به ليست كاتصال الجواب بالشرط. الأشباه والنظائر جـ٢/١٣٣. وجواب القسم لا يقدم على القسم والأول غير عامل فيه ومن الأجدر أن لا نقدم جواب الشرط المجزوم على عامله، لأنه معمول الشرط.

وضمير المفعول لا يعود على متأخر لفظاً فلا يجوز: يعلمه الله ما تفعلوا، وقوّى الضمير ارتباط الجزاء بالشرط فلا يقطع عنه في المعنى لحاجة الضمير إلى مفسر.

وجملة جزاء الشرط التي تحتمل معنى مستقلاً، يجب ربطها برابط ظاهر ومقدر، والرابط الفاء (أو إذا التي تقع موقعها وتدخل على الجملة الاسمية فقط، وهي حرف)، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ**﴾[المائدة:١١٥] وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ**﴾[الروم:٣٦][1] .

وكذلك يجب ربط جملة الجزاء بالضمير، كما تقدم في الآية، والضمير رابط في جملة الجزاء؛ لئلا تحتمل الانقطاع عن جملة الشرط، ويجوز أن تقدر الضمير: ﴿**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة:١٩٧] والتقدير: فلا شيء من ذلك يجوز منه أو في حجة.

والفاء حرف عطف يربط الجزاء بالشرط والجزاء متصل بشرطه فلا يقتطع عنه، والواو تفيد الاتصال والإتباع، ومن ثم جيء بالفاء في المواضع التي تحتمل الاستقلال عما قبلها[2].

إذا كان الجزاء بشيء يصلح الابتداء به على الاستئناف، فيظن أنه ليس جزاء ما قبله، فيفتقر حينئذ إلى ما يربطه بما قبله، فزادوا الواو، لأنها تفيد الإتباع وتؤذن بأن ما بعدها مسبب عمل قبلها، وهذا يناسب معنى الشرط والجمل التي تستوجب الفاء: الجملة الاسمية والجملة

---

(١) الجملة التي وقعت خبراً تتقدم على جملة جزاء الشرط في قوة الارتباط بالمبتدأ؛ لأنها الطرف الثاني المكمل، وتتضمن ضميراً، وتسند إلى المبتدأ دون عطف أو فاء لقوة الإسناد. مغني اللبيب جـ٤٨٥/٢. وإذا التي تقع في جواب الشرط تدخل على الجملة الاسمية فقط نحو: إن تذاكر إذا عبد الله يذاكر، وهي تقع محل الفاء: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) [الروم: ٣٦] والدليل= = قوله: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) [الشورى: ٤٨]

(٢) تجب الفاء في المواضع الآتية:
- أن يكون جواب الشرط ماضياً: (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين* وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) [يوسف: ٢٦، ٢٧]
- أن يكون الجزاء طلباً: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) [آل عمران: ٣١]
- أن يكون فعلاً جامداً مثل: عسى، نعم: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) [البقرة: ٢٧١]
- أن يكون مقروناً بالتنفيس السين أو سوف: (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) [النساء: ١٧٢] (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) [التوبة: ٢٨]
- أن يكون مقروناً بقد: (وإن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) [يوسف: ٧٧]
- أن يقترن بحرف نافٍ غير لا ولم: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [المائدة: ٦٧]، (وما تفعلوا من خير فلن يكفروه) [آل عمران: ١١٥]، ويجوز الوجهان في لا ولم قال تعالى: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [المائدة: ٦٧]
- أن يكون الجواب جملة اسمية، فيجب أن يقترن بالفاء أو إذا: (وإن يمسسك الله بخير فهو على كل شيء قدير) [الأنعام: ١٧]، وقوله: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) [الروم: ٣٦]

الطلبية: الأمر، والنهي، والجملة التي فعلها ماضٍ[1].

الاسمية نحو: قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللـه فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ١٣]، ونحو: من يأتنى فله درهم، وإن تأتني فأنا صاحبك[2]. وقد تدخل على الجملة الفعلية: ﴿**وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللـه مِنْهُ**﴾ [المائدة: ٩٥] برفع (فينتقمُ) وحسن ذلك لما كان فعل الشرط ماضياً في اللفظ، والجملة في موضع خبر. وتزداد قيمة الفاء في جواب الشرط الذي فعله مضارع مرفوع؛ لئلا يحتمل الاستقلال، فالأصل أن يجزم المضارع؛ فإن رفع قدر قبله رافع يرتفع به نحو: (إن تأتني فأكرمك) برفع أكرم على تقدير: فأنا أكرمك. فوقع الفعل خبراً[3]. وقد استخدم كعب «إذا» الشرطية، وهي ظرف

---

(١) الجمل الفعلية التي تقترن بالفاء في الجزاء الأمر: إن أتاك زيد فأكرمه، والنهي: إن خانك أحد فلا تخنه، «ولا تخن من خانك» [الحديث] والماضي الذي يقدر قبله اسم محذوف والمقترن بقد لتجعله شبيه بالحاضر؛ لأن الجزاء لا يكون إلا بمستقبل نحو: إن أكرمتني اليوم فقد أكرمتك أمس، ويقدر محذوف مبتدأ قبل قد أي: فأنا قد أكرمتك أمس. وهذه الجملة تستوجب تقدير اسم محذوف؛ لأنها ماضٍ لفظاً ومعنى، فلا يصح أن تقع جزاء، والجزاء يكون مستقبلاً لا ماضياً متحققاً، فقدر قبلها اسم لتكون اسمية.
والجملة الاسمية نحو: إن جئتني فأنت مكرم.
وسمع عن بعض العرب حذف الفاء من الجملة الاسمية، قال كعب بن مالك:
من يفعل الحسنات اللـهُ يشكرُها   والشر بالشر عند اللـه مثلانِ   =
= ديوان كعب بن مالك ص٢٨٨، ونسبه صاحب الخزانة لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت جـ٩/٤٩، ٥٢، ونسبه صاحب اللسان لعبد الرحمن بن حسان مادة بجل ١١/٢٤٧، وقيل: حذفت للضرورة، ورواه سيبويه: «من يفعل الخير فالرحمن يشكره»، وهو ما يوافق القاعدة. الكتاب جـ٣/٦٥ ، ١١٤. وقد استوجبت الجملة الاسمية الفاء، لأنه يصح الابتداء بها فتقطع عما قبلها، ومثلها الجملة الأمرية والنهيية، وهي في موضع جزم على جواب الشرط، ويتبين هذا من المعطوف عليها في قوله تعالى: (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم) [البقرة: ٢٧١] بسكون «نكفرْ» ومن ذلك قراءة ابن عباس وجماعة: (نكفِّر عنكم) بالتاء وكسر الفاء أي نكفر عنكم الصدقات. مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه ص٢٤.

(٢) الكتاب، سيبويه جـ٣/٦٣. والأشباه والنظائر جـ٢/ ٦٠، الفاء بعد مبتدأ سبق بأما نحو: أما زيد فقائم، ولا تلزم الفاء فيما ليس بشرط جازم كأن يكون المبتدأ في معنى الشرط كاسم الموصول: (وما بكم من نعمة فمن اللـه) [النحل: ٥٣] (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) [النساء: ١٦] وشرط اسم الموصول أن يكون جملة أو ظرفاً. أو يكون المبتدأ نكرة موصوفة نحو: كل طالب يذاكر فله جائزة، يجوز فيهما أن يقترن الجزاء بالفاء.

(٣) يجوز في جواب الشرط الرفع على تقدير مرفوع قبله يرتفع به ويستوي في ذلك مع فعل الشرط المضارع والماضي، ومنه قوله تعالى: (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً) [الجن: ١٣] برفع يخاف، والتقدير: فهو لا يخاف، مثل: إن تأتني فأكرمُك، أي فأنا أكرمك، برفع الفعل خبراً. والماضي نحو: (ومن كفر فأمتعه قليلا) [البقرة: ١٢٦] بالرفع. الكتاب جـ٣/٦٩، والفعل الذي يقع بعد الشرط والجزاء يجوز فيه الجزم علي العطف، والرفع على الاستئناف والنصب بإضمار أن، والنصب ضعيف، وجاء على هذه الوجوه قوله تعالى: (وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللـه فيغفر لمن يشاء) [البقرة: ٢٨٤] روي في يغفر الرفع والسكون (الجزم) والنصب ونسب النصب إلى ابن عباس رضي اللـه عنهما، وهو وجه ضعيف. شرح شذور الذهب ص٣٢٩.

منصوب المحل، وناصبه فعل الشرط على المشهور، لأن الفاء وإذا الفجائية وما النافية تعلق عمل ما بعدها، ويضعف عمل ما بعدها فيما قبلها[١]. وإذا الشرطية[٢] تكون مضافة وتضمن الربط بين ما تضاف إليه وغيره، والعامل فيها على كونها مضافة جملة الجزاء (الفعل في جملة الجواب).

وقيل إذا ليست مضافة بل معمولة للفعل بعدها، لأنها لو كانت مضافة لكان الفعل من تمامها فلا يحصل به ربط، والعامل فيها على هذا الوجه فعل الشرط.[٣] قال كعب في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وقوته في الحرب:

إذا يساورُ قرنا لا يحل له   أن ترك القرن إلا وهو مجدول

استعمل الشاعر إذا شرطاً. وهي ظرف على هذا المعنى مثل «إذ» وجملة الشرط يساور قرناً، وجوابه: لا يحل له...». حذفت الفاء من الجواب؛ لأنه مضارع منفي، وهذا جائز، وقد جاء الجزاء جملة استثناء منفية. وقد ربط الضمير جملة الجزاء بجملة الشرط، ويجوز في إذا إن استعملت شرطاً وجهان: أولهما- أن تكون مضافة وضمنت الربط بين ما تضاف إليه وغيره. والثاني- أن تكون معمولة لفعل الشرط بعدها[٤].

وقد تحذف الفاء من جواب الشرط «الجملة الاسمية» للضرورة في الشعر،

---

(١) تدخل الفاء على جواب إذا الشرطية نحو: (إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) [الطلاق: ١] وإذا الفجائية: (ثم إذا دعاهم دعوة إذا أنتم تخرجون) [الروم: ٢٥] ونحو قول الشاعر: ومن يشابه أبه فما ظلم

(٢) الأصل في إذا أن تكون لما يستقبل من الزمان نحو: (إذا جاء نصر الله والفتح....فسبح) [النصر: ١، ٢، ٣] وجيء الماضي بعدها لتحقيق وقوعه مستقبلاً، وإذا موافقة لـ«إذا» في إفادة الاستقبال، قال تعالى: (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر) [مريم: ٣٩] (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) [غافر: ١٨]، وقوله (فسوف يعلمون إذا الأغلال في أعناقهم) [غافر: ٧٠، ٧١] وذكر ابن مالك أن أكثر النحاة أغفلوا معنى إذ للاستقبال. وكذلك تستخدم إذا بمعنى إذ للماضي كقوله تعالى: (إذا ضربوا في الأرض) [آل عمران: ١٥٦] (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) [الجمعة: ٣] و (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه) [التوبة: ٩٢]

(٣) الأشباه والنظائر جـ١٨٦/٢ وقد نقله عن أبي حيان في شرح التسهيل.

(٤) إذا الشرطية اختلف في العامل فيها فقيل العامل فيها الفعل بعدها (فعل الشرط) فليست الجملة بعدها مضافة على هذا الوجه، وضمنت الجملة التي عملت فيها رابطاً يربطها بالجزاء، وقيل إذا مضافة إلى الجملة بعدها، والعامل الفعل في جملة الجزاء. الأشباه والنظائر جـ١٨٦/٢.

وإذا وما تضاف إليه تتعلق بعامل جملة الجزاء، لأن الإضافة جزء منها. وشرط عمل إذا وإذْ أن تقترن بما.

والأصل أن لا تحذف قال الشاعر[1]:

من يفعل الحسنات اللـه يشكرها　　　والشر بالشر عند اللـه مثلان

حذف الشاعر الفاء من «اللــه يـشكرها»، والأصـل: فـالله يـشكرها. وزعـم الأصـمعي أن النحويين غيروه .

وأن الرواية[2]:

من يفعل الخير فالرحمن يشكره والشر بالشر عند اللـه مثلان

وأجاز ابن مالك أن يقال: «إن استعنت فأنت معان» دون الفاء، وقد خصه بعض العلـماء بضرورة الشعر، وأجاز ابن مالك التوسع فيه في النثر أيضاً لصحته في فصيح العربية، وقـد أبطـل ابن مالك قول من زعم أنه مخصوص بالشعر فقط، فقـد أجـاز حـذف الفـاء إذا كـان الجـواب جملة اسمية أو جملة طلبية.

ويجوز حذف الفاء مع المبتدأ المتصل بها بعد طلب، ومن ذلـك قـول النبـي صـلى اللــه عليه وسلم لهلال بن أمية: «البينـة وإلا حـد في ظهـرك»[3] والمعنـى وإلا فهـو حـد في ظهـرك. فحذفت الفاء والمبتدأ معاً للعلـم بالمحـذوف: وإلا فجـزاؤك حـد في ظهـرك. ومـن ذلـك قـراءة طاوس: (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خـير) [البقـرة: ٢٢٠] قـرأ طـاوس: (أصْـلِحْ لهـم خيراً) أي: فهو خير. لم يصرح بأداة الشرط؛ لأن الأمر تضمن معناها، فكان بمنزلة التصريح بها في استحقاق جواب، واستحقاق اقترانه بالفاء لكونه

(١) الكتاب جـ٦٤/٣، ٦٥، ١١٤ ، وقد نسبه إلى حسان بن ثابت، ونسبه البغدادي إلى عبد الرحمن ابنه خزانة الأدب جـ٤٩/٩، ٥٢ ونسب إليـه في اللسان جـ٤٧/١١ بجل، والمعجم المفصل جـ١٠١٦/٢، وقد جاء في ديوان كعب بن مالك رضي اللـه عنه ص٢٨٨، وهو الأرجح، فلم يرد في ديوان حسان. ورواه جماعة من العلماء: ابن جني في الخصائص ٢٨١/٢، والمنصف ١١٨/٣، وابن يعيش في شرح المفصل جـ٩٠/٤.

(٢) خزانة الأدب ٤٩/٩، ٥٢ وقد نقل الأصمعي ذلك عن يونس بن حبيب، وجعله الشنتمري من الضرورة في الشعر.
وقد جاء الحذف في قول غيره للضرورة ومنه قول الأسدي:

بني ثُعَلٍ لا تنكعُوا العنزَ شِرْبها　　　بني ثعل من ينكع العنزَ ظالم

الكتاب جـ ٩٥/٣ ، واللسان: نكع، والنكّع المنع، والشِرْب: الحظ من الماء، وبني ثعل: نداء وهم بنو ثعل بن عمرو مـن طـيء. وقـد حـذف الفاء من الجواب ضرورة، وحَسُن الحذف هنا شبه «من» الشرطية بمن الموصولة، وارجع إلى المحتسب ١٢٢/١ وشواهد التوضيح ص١٣٥.

(٣) البخاري، كتاب التفسير، سورة النور، باب: (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين)، والمعنى: ائت بالبينة وإن لم تأت بها فهو حد في ظهرك. أو فجزاؤك حد في ظهرك. شواهد التوضيح ص١٣٤، ١٣٥.

جملة اسمية. وانتهى ابن مالك من ذلك إلى أن من خص حذف الفاء بالشعر فقط فقد حاد عن التحقيق وضيَّق على الناس، فقد أجاز في الخطاب: «إن استعنت أنت معان»، فقد جاز حذفها في الجملة الاسمية مع المبتدأ، وحذف الفاء وحدها قبل الجملة الاسمية أولى، والمشهور أن تحذف الفاء مع المبتدأ، فحذف الفاء وحدها قليل، والقلة لا تمنع العمل بحذفها، والناس تقول: «من يخطئ بعيد عن الله تعالى». أي فهو بعيد، وقولهم: إن فعلت كذا جائز، وإن فعلت غيره جائز. أي فهو جائز.[1] والأصل في حذف الفاء أن تكون جملة الجزاء فعلاً مضارعاً مجزوماً.

ويجوز حذف جملة الشرط بشرطين أساسين: أولهما- أن يكون المحذوف معلوماً، فيدل عليه غيره أو يفهم من سياق الكلام. والثاني- أن يكون فعل الشرط ماضياً، لتحقق وقوعه، فيعلمه المتلقي. والجواب يكون معلوماً إن أغنى عنه غيره، ومنه: جواب القسم إن تقدم على الشرط قسم: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ [الحشر: ١٢] حذف الجواب للدلالة جواب القسم عليه: إن نصروهم يولوا الأدبار، ومثله: و الله إن جاءني زيد لأكرمنه. والأصل: إن جاءني زيد أكرمه، فحذف الجواب للدلالة جواب القسم عليه.[2]

ويجوز حذف الجواب، إن تضمنت الجملة تأكيداً أو طلباً، قال كعب:

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... أذنب وإن كثرت فيّ الأقاويل

---

(١) ذكر ابن مالك شواهد في شواهد التوضيح ص١٣٣، ١٣٤، ١٣٥ يستدل بها على جواز حذف فاء الجزاء من الجملة الاسمية، فارجع إليها.

(٢) يقال: أنت ظالم إن فعلت، ويمتنع قولنا: إن تذاكر وإن تعمل دون دليل سابق على الجواب، ولأن فعل الشرط مضارع، ويمتنع: إن ذاكرت. وكذلك: أنت ظالم إن تفعل، وقد حسن الحذف في قوله تعالى: (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية) [الأنعام: ٣٥] الجواب محذوف تقديره: فافعل، وجاز ذلك؛ لأن الفعل ماضٍ، والمحذوف معلوم. ويجوز حذف فعل الشرط إن دل عليه الدليل، وأن يقدر في الكلام بعد «وإلا» نحو: افعل هذا وإلا عاقبتك، أي: افعل هذا وإلا تفعل عاقبتك. وإن مدغمة في «لا»، قال الأحوص:

فطلّقها فلست لها بكفءٍ ... وإلا يعلُ مَفرِقَكَ الحُسَام

أي: وإلا تطلقها يَعْلُ.....شرح شذور الذهب ص٣٢٣. وسمع عن بعض العرب في النوادر حذف فعل الشرط دون «وإلا»، ومنه: إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وهذا شاهد في جواز حذف كان واسمها، وفائدة ذلك الاختصار، وهذا ممتنع فيما لا يعلم فيه تقدير المحذوف. وقد تحذف الأداة والشرط معاً إن تقدم الجملة الشرطية طلب بلفظ الشرط نحو: ائتني أكرمك، والتقدير: فإن تأتني أكرمك. و(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) [الأنعام: ١٥١] أي: تعالوا فإن تأتوا أتلُ. ويحذف بعد النهي: لا تكفر تدخل الجنة. جاز إن كان الجواب أمر محبوباً.

الشرط: «وإن كثرت» شرط حذف جوابه، وهذا جائز إن دلّ عليه دليل، وجوابه مدلولاً عليه بقوله: لا تأخذني، وهو في معنى الجواب. الأصل: إن كثرت فيَّ الأقاويل. لا تأخذني بأقوال الوشاة، و(يجوز اقتران الجواب في هذا الموضع بالفاء قبل لا). ومنه قولنا: لأذهبن إلى المسجد وإن نزل المطر. أي فأنا سأذهب، أو سوف أذهب.

ويحذف الجواب إن سد الخبر مسده في المعنى قال كعب:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آله حدباء محمولُ

قوله: إن طالت، تحقق فيه شرطا الحذف الرئيسان[(١)] ففعل الشرط ماضٍ، والجواب معلوم، فحذف لدخوله في حكم شمولي والمعنى: كل إنسان ميت وإن طال عمره فهو محمول، فخبر المبتدأ في الجملة الاسمية (كل ابن أنثى....محمول) سد مسد جزاء الشرط في الجملة الشرطية التي اعترضت بين المبتدأ والخبر[(٢)]، وهذا جائز لدخول المعنى في حكم عام (كل ميت)، ومثله قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللـه لَمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ٧٠]، والمعنى: إن شاء اللـه فسنهتدي إلى البقرة. سد الخبر مهتدون مسد جملة الجزاء.

فقد جاز حذف الجزاء لدلالة الخبر عليه، فيقر الجزاء على معناه، وأجاز بعض العلماء أن كون الواو قبل جملة الشرط عاطفة، وقدّروا جملة محذوفة عطفت عليها جملة الشرط، والتقدير: كل ابن أنثى محمول إن قصرت مدة سلامته وإن طالت، والجزاء لهما معاً، نحو: آتيك إن أتيتني وإن لم تأتني، وقد دل الفعل المتقدم على الجزاء: فأنا آتيك [(٣)].

---

(١) الشرطان الرئيسان في الحذف: أن يكون معلوماً وأن يكون فعل الشرط ماضياً، والثالث جائز إن سُبقت جملة الشرط بقسم.

(٢) الواو في «وإن طالت سلامته» قيل واو الحال، والأرجح أنها عاطفة على حال محذوفة معمولة للخبر والتقدير: كل ابن أنثى محمول على آلة حدباء على كل حال وإن طالت سلامته فهو محمول. ويجوز تقدير: إن قصرت مدة سلامته وإن طالت فهو محمول. فالجملة معطوفة على المحذوف إن قصرت مدة سلامته، مثل: (آتيتك إن أتيتني وإن لم تأت).

(٣) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص٢٧٠ يجوز أن تقع جملة الشرط حالاً إذا شرط فيها شرط ونقيضه، نحو: لأضربنه إن ذهب وإن مكث. وحذفت الفاء والمبتدأ معاً من جواب الشرط في الفصيح، ومنه قول رسول اللـه ﷺ لسعد رضي اللـه عنه: «إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة» [رواه البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث البنات] والمعنى: «فهو خير من أن» وقال ﷺ لأبي بن كعب: «فإن جاء صاحبها، وإلا استمتع بها» [البخاري، اللقطة، باب يأخذ اللقطة ولا يدعها تضيع حتى لا يأخذها من لا يستحق]. والمعنى فإن جاء صاحبها فهي له أو فأعطها له.

وقد حذفت جملة الشرط الأولى على هذا المعنى؛ لأن الثانية منافية لثبوت الأولى دائماً، وحكم الجزاء ثابت لإحداهما على السواء، فحذف الأول (إن قصرت)، وثبت الثاني (وإن طالت)، لدخول معنى الأول في الثاني، فالقصر يدخل في الطول، فثبت الأعم، ولا يجوز حذف الواو، لفساد المعنى من دونها.

وقد وجه بعض العلماء قول كعب:

تجلو عوارض ذي ظُلْم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

على أن الجواب محذوف تقديره: إذا ابتسمت جلت، فضمنت إذا معنى الشرط وجاز حذف الفاء من جوابها الذي قدر محذوفاً. (١)

ولو للتمني، ويقترن خبرها بالفاء قال تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾ [القلم: ٩] تمنوا في قلوبهم المداهنة، والرفع بعد الفاء على الاستئناف، وسمع النصب: فتدهنوا.

وجاءت لو لما مضى في قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا**﴾ [آل عمران: ١٥٦] حكاية عما مضى من قول المنافقين لوماً وتأنيباً وشماتة. (٢)

واللام تقع جواباً للو وتربط ما بعدها بالجملة التي دخلت عليها لو. (٣) نحو: لو أن زيداً قائم لقمت، والأصل: لو ثبت أن زيداً قائم لقمت. (٤)

وقوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ الـلـه لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء: ٢٢] دخلت

---

(١) وقيل إذا ظرفية وليست لمعنى الشرط نحو قوله تعالى: (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) [الشورى: ٣٩]، وقال تعالى: (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) [الشورى: ٣٧] إذا ظرف لما بعده، وإذا الظرفية في البيت ظرف لما قبله تجلوا خلافاً للآيتين. وجملة «ابتسمت» على هذا الإعراب في موضع خفض، وجملة االشرط لا موضع لها من الإعراب. و«تجلو» خبر آخر لسعاد عند من أجاز تعدد الخبر، أو أنها جملة مستأنفة في الوصف.

(٢) شرح المفصل، ١٠٣/٤.

(٣) لو حرف شرط بمنزلة إن إلا أنها غير جازمة، وجواب لو محذوف غالباً لدلالة الكلام عليه، قال تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) [يوسف: ١٧] أي لو كنا صادقين لا تؤمن لنا. وفسر الحديث: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الـلـه لم يعصه» (الحديث لا أصل له، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٠٦)، «لم» حملت على معنى «لا» أي: لا يعصي، الـلـه وإن قدّر أنه لا يخافه، لأنه مطبوع على الطاعة بما اختصه الـلـه به من الانقياد لطاعته والمعرفة له. ولو تدخل على الماضي لفظاً ومعنى أو معنى دون لفظ؛ لأن جوابها جزاء حدوث الأول، وقد تدخل على أن ويقدر محذوف: (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) [الرعد: ١٨] أي لو ثبت أنَّ، وقد يحذف الجواب نحو: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) [الرعد: ٣١] أي: لكان هذا القرآن.

(٤) شرح ابن عقيل، جـ٤٩/٤، ما بعد لو يجوز فيها وجهان: أن يكون فاعلاً لفعل محذوف (ثبت) أو أن وما دخلت عليه في موضع رفع مبتدأ والخبر محذوف: لو قيام زيد ثابت، وهذا مذهب سيبويه.

اللام لتأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى، وبعض العلماء جعل اللام قسماً قائماً برأسه، والمشهور أنها اللام التي تقع في جواب القسم، ويقدر القسم: و الله لو أن زيداً قائم لقمت، فاللام لتأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى.[1]

ويجوز حذف اللام نحو: ﴿**لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً**﴾ [الواقعة: ٧٠] أي: لجعلناه أجاجاً، ويجوز حذف اللام والجواب أصلاً، نحو: ﴿**قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً**﴾ [هود: ٨٠] وقال كعب:

أكرم بها خلة لو أنها صدقت　　　موعودها أو لو أن النصح مقبولُ

لو يرجح فيها كونها شرطية، والجواب مقدر للدلالة المتقدم عليه «أكرم بها خلة»، أي: لو صدقت لتمت خلالها، أو لكانت كريمة. ويرجح الثاني فالاستدلال باللفظ أظهر، والأول تقدير على المعنى[2].

ولو على معنى الشرط يقدر بعدها فعل في معنى الجملة «أكرم بها خلة لو ثبت أنها صدقت»، وقد حذف الفعل، لأنه مفسر بما بعده نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ**﴾ [التوبة: ٦] ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ**﴾ [الانشقاق: ١] وقوله: ﴿**قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ**﴾ [الإسراء: ١٠٠][3]

والمشهور في لو أن يليها ماضٍ معنى، وقد يقع بعدها ما هو مستقبل المعنى، قال

---

(١) شرح المفصل، م١٢٠، ١٢١.

(٢) ومثلها قوله تعالى: (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم) [السجدة: ١٢] أي: لرأيت أمراً عظيماً، وتدل عليه المعنى، وقد يدل عليه اللفظ نحو قوله تعالى: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال...) [الرعد: ٣٠] أي لكفروا به، بدليل ما جاء بعده: (وهم يكفرون بالرحمن). وقدّر فيه أيضاً: لكان هذا القرآن، والاستدلال باللفظ أظهر. شرح قصيدة كعب ص١٢٠، ويقدر فعل بعد لو على المعنى العام. وارجع إلى شرح المفصل م١٢٠/٤.

(٣) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص١٢٢، وتحذف كان بعد لو ومنه الحديث: «التمس ولو خاتماً من حديد» (رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود عن سهل بن سعد). ومثله قول العرب: «المرء مقتول بما قتل به إن سيفاً فسيف». ويحذف كذلك بعد «لا» ومنه قول الأحوص:

فطلقها فلست لها بكفءٍ　　　وإلا يعلُ مفرقك الحسام

أي: وإن لا تطلقها. وحذف كان من قول النبي ﷺ «لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب» رواه البخاري في كتاب التمني، باب ما يكره من التمني. والمعنى: إما يكون محسناً وإما يكون مسيئاً، وتحذف كان بعد إن ولو قال الشاعر:

انطق بحق وإن مستخرجاً إحنا　　　فإن ذا الحق غلاَّب وإن غُلِبا

أي: وإن كان مستخرجاً، وقال آخر:

علمتك منانا فلست بآمل　　　نداك ولو غرثان ظمآن عاريا

أي: ولو كنت غرثان. شواهد التوضيح ص١٣٩، ١٤٠.

تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء: ٩] قلبت لو المضارع إلى معنى المضي، وجواب «لو» يكون ماضياً، ويقترن باللام غالباً، ويجوز حذفها، وإن كان منفياً بلم لم تصحبها نحو: لو قام زيد لم يقم عمرو، وإن نفي بما فالأكثر تجرده من اللام[(١)]، قال كعب:

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به — أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له — من الرسول بإذن الله تنويل

ولو فيها معنى الشرط لا يفارقها، وتخلص الفعل المضارع إلى الماضي، كقول كثير عزة [(٢)]:

لو يسمعون كما سمعت كلامها — خرُّوا لعزَّة ركعاً وسُجُوداً

لو سمعوا. ومنه قول المرأة التي غاب عنها زوجها في الجهاد فشكت غيابه، فسمع عمر رضي الله عنه قولها [(٣)]:

فوالله لوْلا الله لا شيء غيره — لزعزع من هذا السرير جوانبه

وهذا يؤكد أن اللام التي دخلت على الجزاء لام جواب القسم، وتجب اللام في هذا الموضع؛ لأن المتكلم صرح بالقسم. وينوي القسم إن لم يذكر في جملة دخلت اللام على جوابها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١] ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

ويقترن جواب لولا باللام أيضاً التي تدخل على الفعل الماضي، واختلف النحاة

---

(١) ارجع إلى: شرح ابن عقيل جـ٤/٥١ وإن حرف شرط جازم: (إن تعودوا نعد) [الأنفال: ١٩] وإن حرف مبني، وإذ ما: حرف عند سيبويه والجمهور، واسم عند المبرد وابن السراج والفارسي، وهي جازمة: إذ ما تقم أقم. ومهما اسم بدليل عودة الضمير عليها: (مهما تأتنا به من آية) [الأعراف: ١٣٢] عاد الضمير المجرور عليها، ومن تكون للعاقلين: (من يعمل سوءا يجز به) [النساء: ١٣٣] وما لما لا يعقل: (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) [البقرة: ١٩٧] وضمن اسم الشرط معنى الزمن: متى، أيان، وما وضع للدلالة على المكان: أين، وأني، وحيثما، وأي تكون بحسب ما تضاف إليه: أيهم يقم أقم معه. أي مثل من، أيّ الدواب تركب أركب. أي مثل ما، أي يوم تصم أصم، أي مثل متى، أيّ مكان تجلس أجلس، بمعنى : أين.

(٢) ديوان كثير عزة، جـ١/ ٦٥، وشواهد العينى، ٤/ ٤٦٠، والخصائص، جـ١/ ٢٨.

(٣) المفصل م٤/١٢٠، والخزانة ٣٣٣/١٠، والبيت لا يعرف قائلته.

في لولا[١]، فقد رأى بعضهم أن الاسم المرفوع بعد لولا مبتدأ وخبره محذوف مقدر بكـون عام؛ لأن لولا امتناعية، والخبر معلوم بمقتضاها إذ هي دالَّة على امتناع لوجـود فوجـود المبتـدأ منع الجواب نحو: لولا الشرطي لسرق البيت، أي لولا الـشرطي موجـود لـسرق البيـت، فوجـود الشرطي منع من سرقة البيت، وقد سد الجـواب مـسد خـبر المحـذوف لحلولـه محلـه، وبعـض النحاة يقدر فعلاً بعد لولا يرفع الاسم بعدها، وقد ظهر هذا الفعل في قول أبي ذؤيـب الهـذلي: [٢]

ألا زعمت أسماءَ أن لا أحبُّها   فقلت بلَى لولا ينازعُني شُغْلِي

وأجاز الرمانّي وابن الشجري والشلوْبين وابن مالك أن يذكر خبر المبتدأ بعـد لـولا إن أريـد به كون بعينه، فإن كان حدوث الجواب مقيد بشيء معين جاز ذكر الخـبر، واسـتدل ابـن مالـك برواية حديث لفظه أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم قـال لعائـشة رضي اللــه عنهـا: «لـولا قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعـد إبـراهيم»[٣] فكـونهم حـديثي عهـد بكفـر منعه صلى اللـه عليه وسلم من إعادة بناء البيـت عـلى قواعـد إبـراهيم، وهـذا يـسوغ لمـن تباعد الزمن به عن الجاهلية أن يفعل مـا امتنـع النبـي صـلى اللــه عليـه وسـلم عـن فعلـه لقربهم من الجاهلية، ولهذا أعاده عبد اللـه بن الزبير رضي اللــه عـنهما إلى قواعـد إبـراهيم، فتحدث فيه الجهال. وقد رد بعض النحاة هـذا الـشاهد؛ لأنـه مخـالف روايـة البخـاري: «لـولا حداثة قومك بكفر لنقضت البيت...»، ولحنوا أبا عمرو بن العلاء في قوله [٤]:

يذيبُ الرعبُ منه كلَّ عَضْبٍ   فلولا الغِمدُ يُمسِكُه لسالا

(١) لوما مثل لولا في الحكم. ارجع إلى: همع الهوامع، م٢/٥٧٥، ٥٧٦.
(٢) خزانة الأدب، جـ١١/٢٤٦، ٢٤٧، ومغني اللبيب، ٢/ ٢٧١، ولسان العرب: عذر، وهمع الهوامع، م١/٣٩٤.
(٣) الحديث في صحيح البخاري (كتاب الحج) بلفظ مختلف: عن عائشة رضي اللـه عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لـولا حداثـة قومـك بكفـر لنقضت البيت، ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإن قريشاً استقصرت بناءه، وجعلت له خلفـاً» خلفـاً: بابـاً. والحـديث بهذا اللفظ لا شاهد فيه لموافقته المشهور من حذف الخبر. وقد نسب ابن مالك روايته إلى البخاري، وليست على لفظ البخاري. ارجـع إلى شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك، ص٦٥ ورواية ابن مالك: «يا عائشة لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين».
(٤) حاشية الصبان، مكتبة الصفا، جـ٤/ ٧٢.

وقوله «يمسكه» خبر المبتدأ، وقد استدل به ابن مالك في ثبوت خبر المبتدأ بعد لولا، وقد سبقه إلى ذلك الرماني وابن الشجري واستدل برأيهما، ورأى أنه من باب العمل بالجائز توسعة بصحته عند العرب، وهذا جائز إن كان المبتدأ مخبراً عنه بكون مقيّد لا يدرك معناه عند حذفه، والحديث بلفظ شاهد ابن مالك الخبر فيه مقيد فلا يعلم علة امتناع إعادة البناء إلا بذكره، ولا يعلم عمل الغمد إلا بذكر الخبر في قول أبي العلاء. وقد ثبت اللام في جواب لولا في الحديث وقول أبي العلاء، فهما شاهدان في دخول اللام على جوابها الماضي.

وقد تحذف اللام من الجواب المثبت، قال الشاعر:[1]

لولا زهير جفاني كنت معتذرا ولم أكن جانحا للسلم إن جنحوا

جاز حذف اللام؛ لأنه لم يصرح بالقسم بل أضمره، ومنه قول يزيد بن حكيم[2]:

فكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق مُنْهوي

أي: لطحت، ويجوز حذف جواب لولا لدليل عليه، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللـه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللـه رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٠] والجواب دل عليه ما تقدم، وتقديره: لعذبكم أو لأخذكم بما فعلتم، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللـه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النور: ١٤]. أي: لهلكتم.

وجواب «أما» التفصيلية، وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعل الشرط، والمذكور

---

(١) شروح سقط الزَّنْد (ط. الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، جـ١/١٠٤) والمعنى أن سيفك تهابه السيوف كما تهابك الرجال وأشد ما يجوز على السيف أن يسيل حديده، ولولا الغمد يمسكه لظهر سيلانه. والضمير في «منه» للسيف، وحسن وصف السيف بأنه يذوب ويتحول ماء، لأنه يشبه بالماء. وقد ثبت خبر لولا لأنه أريد به كون بعينه وهو إمساك الغمد إياه.

(٢) شرح المفصل م١٢١/٤، اختلف النحاة في خبر لولا، فذهب فريق إلى أنه محذوف يدل على كون عام نحو: لولا أخوك لضربتك. أي: لولا أخوك موجود. ولضربتك جواب سد مسد خبر لولا، وأجاز بعضهم ذكره إن دل على معنى مقيّد نحو: لولا أبوك حى لما زوجتك، فكونه حي سبب زوجه، فحي خبر.

وذهب قوم إلى أن الخبر بعد لولا الجواب، وذهب بعض النحاة إلى أن الاسم المرفوع بعد لولا مرفوع بفعل محذوف، وقيل مرفوع بلولا، وقيل مرفوع بالابتداء. همع الهوامع م٣٩٣/١، ٣٩٤ وقد استدل به ابن مالك في جواز ثبوت الخبر بعد لولا في الكون المقيد. شواهد التوضيح ص ٦٦.

بعدها جواب الشرط فلزمته الفاء قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦] الفاء جواب أما ولا يجوز أن تكون عاطفة ونحو: أما محمود فمجتهد، وحذفت جملة الشرط، والمعنى: مهما يك من شيء أو من أمر فمحمود منطلق، فأنيبت «أما» مناب «مهما يك من شيء» ثم أخرت الفاء إلى الخبر، فصار: «أما زيد فمنطلق»(١)

واشترط بعض العلماء أن تقع الفاء في جواب أما، وأجازوا حذف الفاء في الشعر لضرورة الوزن، أو حملوه على معنى خاص تأوّلوا به حذف الفاء، قال الحارث بن خالد المخزومي:

فأمّا القتالُ لا قتال لديكمُ ... ولكن سيراً في عِرَاض المواكب

والقتال مبتدأ، و«لا قتال لديكم» في محل رفع خبر والرابط بين المبتدأ والخبر العموم الذي في اسم لا، ويجوز أن يكون الرابط إعادة المبتدأ بلفظه نحو قوله تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ**﴾ [الحاقة: ١، ٢] و﴿**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾ [الواقعة: ٨] والأصل أن يقول: أما القتال فلا قتال، وبعضهم حمل الحذف هنا على الضرورة في الشعر، وقد صح حذف الفاء في الفصيح، وقد يحذف الفاء مع القول بعدها قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم، وجاء في الحديث: «أما بعد ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله»(٢) والأصل: أما بعد فما بال رجال، فحذفت الفاء، ويجوز التقدير: فأقول: ما بال رجال.

والأصل أن يقترن جواب أما بالفاء، قال تعالى: ﴿**أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ**﴾ [يوسف: ٤١] ويجوز أن تحذف الفاء من جوابها فيما كان معلوماً، وصح ذلك في فصيح العربية جاء في الحديث: قال صلى الله عليه وسلم : «... أما موسى كأني أنظر إليه إذ انحدر في الوادي»(٣) وقالت عائشة رضي الله عنها:

---

(١) شرح ابن عقيل، جـ٥٢/٤، وقد فسر سيبويه أما بمعنى مهما، ويقدر الفعل بعدها إن لم يكن مذكوراً، وحق المتصل بها أن يقترن بالفاء.
(٢) همع الهوامع، م٥٧٧/٢، ٥٧٨، وشرح المفصل، م١٠٣/٤، ١٠٤، وشواهد التوضيح، ص١٣٧، رواه البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل.
(٣) رواه البخاري في كتاب الحج، باب التلبية إذا انحدر في الوادي. وروى: إذا انحدر في الوادي.

«وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة طافوا طوفاً واحداً»[1].

وقال البراء بن عازب رضي اللـه عنه: «أما رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم لم يول يومئذ»[2]، وحق المتصل بأمّا أن تصحبه الفاء، وبعض العلماء أجازوا حذف الفاء في الشعر فقط للضرورة ولم يجوزوه في كلام الناس، وحملوا الأحاديث على مخالفة القاعدة، وهؤلاء ضيقوا واسعاً، والأولى العمل بالوجهين توسعة على المتكلم. وهذا رخصه ابن مالك.[3]

ويتحقق الربط في الجملتين في الزمن أيضاً فقد يكون الشرط والجزاء مضارعين، وهو الأصل، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ**﴾ [الأنفال:١٩] وقد يكونان ماضيين نحو: قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾ [الإسراء: ٨] والمعنى وإن ثبت أنكم عدتم نعد، ومثله: ﴿**إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**﴾ [المائدة: ١١٦] فالمعنى: إن يتبين أني كنت قلته، ففعل الشرط لا يكون ماضي المعنى.

وقد يأتي الجواب مضارعاً لشرط في زمن الماضي ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**﴾ [الشورى:٢٠] وهذا جائز فالواجب تقدم حدوث الشرط. فزمن جملة الجواب يأتي بعد زمن الشرط في الحدث سواء أكان حكاية عن الماضي أو زمناً مباشراً في الحال، وبعض الجمل الشرطية ظاهرها ماض، ويشترط ألا يكون ماضي المعنى، وهذا جائز عما حكي في الحاضر عن الماضي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**﴾ [المائدة: ١١٦]، والمعنى: إن يتبين أني كنت قلته فقد علمته، فهذا حكاية، وحدوث فعل الجزاء يأتي بعد الشرط لاشتراط حدوث الشرط، فالجزاء بسبب منه، نحو: إن أتى زيد أكرمته، فالإكرام بعد الإتيان، ولا يجوز أن يكون ماضي المعنى في غير الحكاية نحو: إن قام زيد أمس أقم معه، ففعل الجزاء ليس متصلاً بزمن الشرط لاختلاف الزمنين، وهذا جائز في قولنا حكاية: إن قام زيد قمت.

والمشهور أن يأتي فعل الشرط مضارعاً ويأتي الجواب في المضارع؛ لأن الجزاء بعد حدوث الشرط، ولا يجوز أن يسبق زمن الجواب زمن الشرط، فالجواب بسبب منه،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، باب طواف القارن.
(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب: من قال خذها وأنا ابن فلان.
(٣) ارجع إلى: شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق عبد الباقي، دار الكتب العلمية ص١٣٧، ١٣٨.

وأجازه بعض العلماء للضرورة[١]

وقد صح في لغة الفصحاء لمعنى التحقيق جاء في الحديث: «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له»[٢] جاء الجواب في الماضي للتحقيق، ومثله قول عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم في إمامة أبيها: «إن أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامك رق»[٣]، والإتيان بالماضي بعد المضارع لمعنى جائز.

وقد تضمن ما سبق وقوع الشرط مضارعاً والجواب ماضياً لفظاً،لا معنى والنحويون يستضعفون ذلك ويراه بعضهم مخصوصاً بالضرورة، وقد أجازه ابن مالك وقضى بصحته لصحة ثبوته في الفصيح ولثبوته في كلام أفصح العرب، ومما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾ [الشعراء: ٤] فعطف على الجواب (تنزل) الماضي «ظل»، وهو ماض لفظاً، والعطف يكون في زمن واحد؛ لأن العطف على ما يجوز أن يحل المعطوف محله، فحمل ظل على معنى ننزل في تمام الحدوث، والمعنى: إن نشأ ظلت أعناقهم لما ننزل خاضعين، فمحل الشرط يتأثر بعمل أداة الشرط لفظاً أو تقديراً، ولكن الجواب لا يخضع لحكم لازم؛ لأنه قد يستقل بحكمه عن الشرط، فاستوجب ذلك الربط، وأداة الشرط تغير معنى اللفظ لا اللفظ لعدم عملها فيه[٤]، وساق ابن مالك شواهد قالها فحول الشعراء، ومنه قول حاتم الطائي:[٥]

وإنك مهما تعط بطنك سؤله   وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال قُعنب بن حمزة:[٦]

---

(١) ارجع إلى: شرح شذور الذهب، ص٣١٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم، ١٩٠١، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٧٦٠، وأبو داود، كتاب الصلاة، ١٣٧٢، والترمذي، كتاب الصوم ٦٨٣، والنسائي، كتاب الصوم، وأحمد ٤٢٣/٢، ٤٧٣، ٥٠٣، وابن حبان ٣٦٨٢، وابن خذيمة ١٨٩٤.

(٣) رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وروى: «مرض رسول الله ﷺ فاشتد مرضه، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إنه رجل رقيق القلب إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس....». وجاء الحديث بطرق مختلفة عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر.

(٤) ارجع إلى: شرح التوضيح، ص١٦، ١٧.

(٥) ديوان حاتم ص:١٧٤، مكتبة الخانجى، وشرح التوضيح، ص١٥، ومغني اللبيب، جـ٢/٢٠، والأمالي، ٣١٨/٢ :

وإنك إن أعطيت بطنك سؤله   وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

ولا شاهد فيه على هذه الرواية.

(٦) الحماسة، ١٢/٤ (بولاق)، وشرح التوضيح ص١٦.

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً   عني وما سمعوا من صالح دفنوا

والمضارع فيها محمول على معنى الماضي، والمعنى: إن سمعوا ريبة طاروا فرحاً بها؛ لأنه يصف سوء خلاقهم الملازم لهم، فجعل السمع في المضارع ليدل على حالهم الكائن، وجعل رد فعلهم ماضياً، لثبوتهم عليه، وعدم انقطاعهم عنه.

ربط شبه الجواب بشبه الشرط

بعض الجمل فيها معنى الشرط، ولكنها ليست شرطاً، فلا يصح أن تقع شرطاً، ومن ثم لا ترتبط الثانية بالأولى على معنى الشرط، فاستعين على إيقاعها جواباً له برابط هو الفاء أو ما يخلفها، وهذا كمعنى التعدية، ومن ذلك:

- الجمل التي تقع جواب الموصول الذي وقع مبتدأ نحو: الذي يأتيني فله جائزة، ربطت الفاء الجواب بشبه الشرط، وبدخولها فهم المتلقي ما أراده المتكلم من ترتيب لزوم الجائزة على الإتيان، ولو لم تدخل الفاء على الجواب احتمل القول الأول الثاني وغيره.[1]

وقال تعالى: ﴿**وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللـه لَهُنَّ سَبِيلاً**﴾ [النساء: ١٥] اللائي في موضع رفع بالابتداء والخبر (فاستشهدوا عليهن)، وهذا جائز وإن كان أمراً؛ لأنه صار في حكم الشرط، فيجوز في اسم الموصول أن يكون في معنى الشرط إن كانت الصلة جملة فعلية، وقدّر بعض العلماء فعلا محذوفاً تقديره: قصدوا اللاتي أو تعمَّدوا اللاتي، والراجح أن تكون واللاتي مبتدأ، ومثلها: ﴿**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾ [النساء: ١٦] وحكم الفاء هنا حكم الفاء الواقعة في جواب الشرط.[2] ومثلها: الذي يأتيني فله درهم و﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللـه**﴾ [النحل: ٥٣] ما بمعنى الذي والجار صلته، (فمن اللـه) الخبر، وقيل ما شرطية، وفعل الشرط محذوف أي «ما» يكن بكم، والفاء جواب الشرط.

---

(١) ارجع إلى: الأشباه والنظائر، جـ١٣٢/٢، والفاء في هذا الموضع بمنزلة لام التوطئة في قوله تعالى: (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) [الحشر: ١٢] في إيذانها بما أراد المتكلم من معنى القسم.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، جـ٣٣٨/١، ٣٣٩.

ويجوز إثبات الفاء في الخبر إذا كان المبتدأ نكرة موصوفة نحو: كل رجل يأتيني فله درهم. ويجوز له درهم[1]. وعلة ذكر الفاء أن الجملة تضمنت معنى الشرط، فالدرهم جزاء الإتيان.

والفاء ليست أصلاً فيما كان بمعنى الشرط، ويمكن الاستغناء عنها إن كان الجزاء مما يصلح أن يقع شرطاً[2]، فيستغنى عن الفاء، لوجود مناسبة لفظية بين الشرط وجوابه من ناحية صلاحية وقوعه موقعة، وإن لم يصلح فلابد من رابط بينهما، والفاء أنسب الروابط له، لدلالتها على معنى التعقيب بلا فصل، وجواب الشرط متعقب للشرط، فالفاء أنسب له.[3]

وإذن (إذاً) [4] تقع جواباً أو تعليقاً لكلام من آخر فيجاب عليه بإذن نحو قول القائل: أنا آتيك فتقول: إذن أكرمك. وقد تسبق بالواو أو الفاء، قال تعالى: ﴿..... **وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ**... ﴾ [الإسراء: ٧٦] وقُرئ: (لا يلبثوا) بحذف النون[5]والجملة بعد إذن جزاء للفعل الأول.

واحتملت الفاء السببية في قول كعب:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ   متيم إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

وهذا مرجح هنا على العطف لاختلاف الثانية عن الأولى، والعطف بين جملتين من نوع واحد، والثانية بسبب الأولى، مثل قول القائل: إن جئتني فأنا أكرمك، فشرط الإكرام المجيء، فهو بسبب منه.

والفاء التي تقع في جواب الشرط عاطفة، ولو كانت الفاء عاطفة في قول كعب

---

(١) الأشباه والنظائر، جـ٦٠/٢، وهذه هي المواضع التي يعطف فيها الخبر على المبتدأ، والأصل عدم العطف.
(٢) الفاء تربط الجواب بشرطه، وكذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط نحو: الذي يأتيني فله درهم، فدخولها ترتب عليه لزوم الدرهم على الإتيان، وهذه الفاء بمنزلة لام التوطئة في نحو: (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) [الحشر: ١٢] فلام التوطئة فيها معنى القسم. وإذا تقع موقع الفاء قال تعالى: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) [الروم: ٣٦] وحكم إذا حكم الفاء، والتقدير فهم يقنطون، ويمكن أن يغني المضارع «يقنطون» عن الفاء، والضمير رابط مؤكد وإذا للمفاجأة في جواب الشرط، وهي ظرف مكان،= = والمجزاة هنا بإذا التي نزلت منزلة الفاء لصحة الابتداء بما بعدها فهي واجبة في الجزاء. الكتاب جـ٦٤/٣ وذكر سيبويه أنه قال في الآية إن الكلام في الجملة الثانية معلق بالأولى بإذا الفجائية كما ربطت الفاء بين الجزاء والشرط، وإذا في موضع «قنطو» كما كان الجواب بالفاء في موضع الفعل مثل الجملة الاسمية في (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) [الأعراف: ١٩٣] أي: أدعوتموهم أم صمتم. وإذا بمنزلة الفاء أنها لا تجيء مبتدأة كما أن الفاء لا تجيء مبتدأة. الكتاب، ٦٤/٣، وقد ورد تصحيف في قوله: «وهذا هاهنا في موضع قنطوا»، والصواب: وإذا هاهنا في موضع قنطوا.
(٣) شرح الكافية، جـ١٧٧/٣.
(٤) الأصل في إذن النون لثبوتها وصلاً ووقفاً.
(٥) حذف النون قراءة أبي بن كعب (وإذا لا يلبثوا) بإسقاط النون؛ شرح المفصل، م١٠٥/٤.

كان ما بعدها موافقاً لما قبلها والمخالفة تقتضي الشرط، وكذلك ما فيه معنى الشرط نحو: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر: ١، ٢] لا يجوز في الثانية العطف؛ لأنها إنشائية، والإنشاء لا يعطف على الخبرية. والفاء هنا لربط الجملة الثانية بالأولى؛ لأنها بسبب منها.

وساغت المجازاة بإذا، لأنه لا يصح الابتداء بها، فلا تستوجب الفاء قبلها، ولا تكون إلا مبنية على كلام سابق، ويجوز دخول الفاء عليها في غير معنى الشرط نحو: خرجت فإذا زيد، وزيد مبتدأ خبره إذا المتقدمة والتقدير: خرجت فإذا حضرني زيد، واختلفوا في الفاء في قولنا خرجت فإذا زيد، والمرجح فيها أنها عاطفة، لأن المعنى: خرجت فقد جاءني زيد. ولا يجوز في غير معنى الشرط حذف الفاء، فلا يجوز: خرجت إذا زيد، فالفاء لازمة هنا وليست زائدة [١].

وبعض الأسماء تأتي بمعنى الشرط، فيجازى بها وتكون بمنزلة الذي، وهي: من، وما وأيُّهُم فلا تجزم ولا تشترط الفاء في الجزاء نحو: من يأتني آتيه وأيها تشاء أعطيك، وآتي من يأتيني. وأقول ما تقول [٢]، ومثلها: متى وحيثما وأين وأنّى نحو: أقول مهما تقل، وأكون حيثما تكن، وأكون أين تكن، وآتيك متى تأتني.

لقد بلغت الجملة الشرطية مبلغ الجملة الاسمية والفعلية في التماسك، فجملة الجزاء متعلقة بالشرط والأداة العاملة، فإن لم تكن عاملة ربطت الفاء الجزاء الذي يحتمل الاستقلال بشرطه، والجملة التي بمعنى الشرط لها حكم الشرط في ارتباط الجملة الثانية بالأولى.

الرابعة عشرة - الجملة المضافة

الجمل المضافة إلى مبهم لترفع عنه الإبهام، فالإضافة توضح المبهم، وبعض الأسماء التي يضاف إليها جملة المبهم أو مبهم غير شديد الإبهام مثل: يوم وحين فيرجح فيه الإعراب، والمبهم الشديد الإبهام يرجح فيه البناء مثل: مثل، ودون، وبين لضرورة الإضافة فيها. وجملة الإضافة في موضع جر بالإضافة، فلها محل من الإعراب؛ لأنها بمنزلة الاسم المضاف.

والمضاف لا يقطع عن المضاف إليه ولا يفصل عنه لتعلقه بما

---

(١) ارجع إلى: شرح المفصل، م٩١/٤، والفاء في خرجت فإذا زيد، ليست فاء جواب الشرط؛ لأن معنى الشرط غير موجود، ولو كانت بمعنى الشرط لأغنت إذا عن الفاء.
ولا تحذف الفاء في غير الشرط، فهي تلزم في قولنا خرجت فإذا...

(٢) لم تعمل هذه الأسماء الجزم لتأخرها، فحملت على معنى الذي لقبح عملها متأخرة، قال الفرزدق:

ومن يميلُ أمال السيفُ ذروته ... حيث التقى من حِفَافَي رأسه الشَعَرُ

ومن بمعنى الذي. الديوان ص١٤٤ والكتاب جـ٧٠/٣.

يضاف إليه، والجملة المضافة تتعلق بالمضاف إليه أو بما تعلق به المضاف إليه.

وتأتي الجملة مضافة إلى بعض المبهمات، منها: أسماء الزمان التي يجوز إضافة الجملة إليها، مثل أسماء الزمان التي تدل على وقت بعينه نحو: يوم، وحين.

وبعض الظروف مثل: إذا، وإذْ، وحين، وحيث، ولدن. والجملة المضافة فعلية واسمية في موضع جر بالإضافة، ويرجح الإعراب على البناء في اسم الزمان(١).

والمبهم المضاف لمبني سواء كان زماناً أو غيره، والمبهم الذي لا يتضح معناه إلا بما يضاف إليه مثل: دون، وبين، ومثل، ونحوهما مما هو شديد الإبهام(٢) والمشهور في الظروف البناء مثل: مثل:

إذ: ظرف زمان يلزم الإضافة، وهو مبني على السكون لشبهه بالحرف، وهو في معنى حين، ويكون لما مضى من الزمان ويضاف لكل من الجملتين نحو: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ**﴾ [الأنفال: ٢٦] ويأتي ظرفاً لما يستقبل نحو: (فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم) [غافر: ٧٠، ٧١]، وتأتي للتعليل نحو: ﴿**وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ الله فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ**﴾ [الكهف: ١٦] أي: ولأجل اعتزالكم إياهم. وقد تأتي للمفاجأة قال عنبر بن لبيد العُذْري:(٣)

---

(١) ارجع إلى: مغني اللبيب جـ٤٨٢/٢، ٤٨٣ وشرح شذور الذهب ص٧٩، ويجوز في اسم الزمان الإعراب والبناء على الفتح، ويرجح الإعراب في اسم الزمان المضاف إلى فعلية فعلها مضارع (معرب)، قال تعالى: (هذا يوم لا ينفع الصادقين صدقهم) [المائدة: ١١٩] فيوم مضاف إلى فعل مضارع إلى ينفع (المعرب)، وقرأ السبعة كلهم إلا نافعاً برفع اليوم على الإعراب، لأنه خبر المبتدأ هذا، وقرأ نافع وحده بالفتح على البناء، والبصريون يقدرون الفتحة إعراباً على الإضافة التي منعت التنوين مثل: صمت يوم الخميس. شرح شذور الذهب ص٨٠ والبناء في قول النابغة:

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألّما أصح والشَّيب وَازعُ

يرجح البناء؛ لأن الفعل مبني، وحينِ في البيت مكسور على أنه معرب، ويروى بالفتح على أنه مبني في محل جر، ارجع إلى شرح شذور الذهب ص٨٠، ٨١.

(٢) تبنى دون إن أضيفت إلى مبني نحو: (ومنا دون ذلك) [الجن: ١١] دون مبتدأ مبني. وتبنى يوم إذا أضيفت إلى مبني نحو: (ومن خزي يومئذ) [هود: ٦٦] وقال تعالى: (لقد تقطع بينكم) [الأنعام: ٩٤] يقرأ حين بالرفع على أنه فاعل، وقرئ بالفتح على البناء. ومثله مثل: (إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) [الذاريات: ٢٣] تقرأ على وجهين: بالرفع على الإعراب صفة لحق وبالفتح على البناء. شرح شذور الذهب ص٨١، ٨٢.

وهنالك فرق بين عند ولدن ولدى، فهي تضاف إلى المفرد نحو: عندنا، لدُنا، لدينا، وتختلف عند ولدن إذا كان المحل ابتداء غاية نحو: (ءاتيناه رحمة من عندنا وعلمانه من لدنا علما) [الكهف: ٦٥] بخلاف لدى، ولا تكون لدن فضلة بخلافهما، وتجر لدن بمن أكثر من نصبها، وتجر عند أيضاً وجر لدى ممتنع، وهي مبنية دائماً وهما معربان، ولدن قد تضاف نحو قول القطامي:

صريعُ غوانٍ راقُهنَّ ورقنَه ... لَدُنْ شبَّ حتى شابَ سُودُ الذوائبِ

مغني اللبيب، جـ٢٠٨/١، والديوان، ص٢٨٠، ط الهيئة.

(٣) ارجع إلى: شرح شذور الذهب، ص١٢٣.

استقدر اللـه خيراً وارضين به   فبينما العسر إذْ دارت مياسرُ

إذ للمفاجأة، والمعنى: فبين الأوقات التي العسر فيها حاصل يفجؤك دوران مياسير، وحذفت الجملة المضافة في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً**﴾ [الزلزلة: ٦] والجملة بعد إذ مضافة في موضع خفض، وإذ الظرفية[١] تتعلق بفعل أو ما يعمل عمله وما أضيف إليها ملازم لها ويتعلق بما تعلقت به ، قال كعب:

وما سُعادُ غَدَاة البين إذ رحلوا   إلا أغن غضيض الطرْف مكْحُولُ

إذ ظرف ورحلوا جملة في موضع خفض للإضافة إلى إذ، وإذ قيل فيها إنها بدل من غداة وقيل ظرف ثانٍ مثل: صليت يوم الجمعة أمام المسجد، وقيل هي ظرف للبين، والمعنى: وما هي غداة بانت وقت رحليهم. والإضافة هنا هي الرابط[٢].

والعامل في إذ هو العامل في غداة قبلها على البدل منها، فغداة تعلقت بفعل مقدر قبلها أو بعدها، والتقدير: تشبه غداة بانت ظبياً، واختلفوا في تقديره قبلها أم بعدها، والأرجح أن يقدر قبل غداة وإذ، وقال كعب:

لذاك أهيب عندي إذْ أكلمه   وقيل إنك منسوب مسئول

إذ ظرف زمان متعلق بأهيب، وأكلمه جملة فعلية مضافة إلى إذ.[٣] وإذا الظرفية

---

(١) إذ لازمة للإضافة، والإضافة توضحها، فلا تصلح للشرط حينئذ، وتصلح للشرط بزيادة ما إليها لتكفها عن الإضافة فتبهم فتصبح للشرط، لأن الشرط مبني على الإبهام، والإضافة مبنية على التوضيح. الأشباه والنظائر جـ١٠١/١، ومثلها «إذا». ارجع إلى حروف المباني ص٦٤، وإذا حرف شرط يشترط اقتران «ما» بها، وما الملازمة لها عوض من إضافتها ، فالأصل فيها الإضافة، وهي حرف شرط جازم قال العباس بن مرادس [الديوان ص٧٢]:

إذا ما أتيت على الرسول فقلْ له   حقاً عليك إذا اطمأنّ المجلس

وحكم الماضي بعدها أن يكون في موضع جزم، وهي في الجزم مثل «إن».
وحيث دون إضافة مبهمة فيلزمها ما لتكفها عن الإضافة فتصلح للشرط ولكنها دون ما تضاف إلى الجملة. الأشباه والنظائر جـ١٠٢/١ إذ وإذا للزمان ولا يكونان للمكان وأنهما يكفان بما عن الإضافة فيكون لمعنى الشرط جازمين، كما يضافان للجملة الفعلية. وانفردت حيث بأنها تكون للمكان والزمان والغالب كونها للمكان. الأشباه والنظائر جـ٢١٩/٢.

(٢) ارجع إلى: مغني اللبيب، جـ٤٨٢/٢، ٤٨٣. وشرح قصيدة كعب، ص٧٠.

(٣) إذ وإذا وحيث تشترك في الظرفية ولزومها والإضافة ولزومها وكونها للجمل وكونها مبنية ولزومها، وتشترك إذ وإذا في أنهما للزمان ولا تكونان للمكان، وأنهما يكفان بما عن الإضافة، فلا تحتاج جملة إضافية في إذ ما وإذا ما. وأنهما يفيدان الشرط وأنهما جذمان، وأنهما يضافا للجملة الفعلية. وانفردت إذا بإفادتها الشرط دون ما، وأنها لا تضاف إلا إلى الجمل الفعلية،و انفردت حيث بأنها للمكان والزمان والغالب فيها كونها للمكان. الأشباه والنظائر جـ٢١٨/٢.

وهي حرف وتضاف لها جملة[١]، والجملة المضافة قد تكون تامة أو فيها حذف مقدر في المعنى، ومثال ذلك الجملة بعد إذا الفجائية، والجملة بعدها اسمية، وإذا التي تكون جواباً لشرط، قال كعب:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالرّاح معلول

إذا ظرف في محل نصب وناصبه تجلو إذا لم يقدر قيه معنى الشرط، والأرجح أن يكون ظرفاً لعدم دخول الفاء على جوابه، وعامل إذا الشرط فعل جواب الشرط[٢]، وقال كعب:

من كل نضَّاخةِ الذَّفرى إذا عَرقت ... عرضتها طامس الأعلام مجهول

يرجح في إذا أن تكون ظرفية، وإن قدر فيها معنى الشرط، فجوابها محذوف، أي: إذا عرقت نضخت ذفرياها، أو جوابه مذكور، وهو الجملة الاسمية بعدها: عرضتها طامس الأعلام مذكور، وحذفت الفاء للضرورة، ومثله قوله:

ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق ... إذا توقدت الحُزّاز والميل

ومثل:

كأن أوبَ ذراعيها إذا عرقت ... وقد تلفع بالقور العساقيل

إذا إن قدرت خلية من معنى الشرط، فعاملها «الأوب» أو ما في كأن من معنى التشبيه، وعرقت مضافة إلى «إذا».

الخامسة عشرة - جملة جواب القسم

وهي جملة لا محل لها من الإعراب، وهي ترتبط بالقسم، قال تعالى: ﴿ **يس** *

(١) إذا تكون حرفاً في موضعين: الأول- أن تكون للمفاجأة: خرجت فإذا السيارة، أي ففوجئت بالسيارة مسرعة، والسيارة مبتدأ، والخبر يقدر بحسب المعنى: مسرعة، ويجوز في مُسرعة النصب على الحال. والخبر محذوف لدلالة المفاجأة عليه، تقديره: فإذا السيارة قادمة مسرعة. ويجوز: فإذا السيارة: خبر أو حال مذكورين، فيكون الخبر محذوف تقديره: فإذا السيارة كائنة أو مستقرة، قال تعالى: (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) [يس: ٧٣] و(إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) [يس: ٢٩] أي: فجأة هلكوا. والجملة بعد إذا الحرفية تامة.
والثاني- أن تكون جواباً لشرط كالفاء، ويشترط في الجملة بعدما أن تكون اسمية غير طلبية، قال تعالى: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) [الروم: ٣٦] والجملة بعدها جواب الشرط، فحلت إذا محل الفاء في الجواب، غير أن الجملة بعد الفاء يجوز فيها أن تكون طلبية نحو: إن يقل محمد فافهم، وإن سألك فما تقول؟

(٢) ارجع إلى: شرح شذور الذهب ص١٢٣، وشرح قصيدة كعب ص٨٢، ومثله قوله تعالى: (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) [الشورى: ٣٩]، وقوله تعالى: (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) [الشورى: ٣٧] إذا ظرف منتصب على الظرفية، وليست شرطية، فالشرطية تقتضي دخول الفاء على الجواب والناصب فعل الجزاء.

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣] و**﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾** [الأنبياء: ٥٧] ويكون لفظ يؤدي معنى القسم نحو: حلف، عاهد، أقسم، يمين وأيمن، آلي (أقسم) قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾** [الأحزاب: ١٥] والأصل في القسم اللفظ، وقد ناب عنه الحرف، ويقدر الفعل قبله أو ما يعمل عمله في اللفظ والمعنى.[١] وما عطف على القسم يدخل فيه، والجواب واحد للجميع[٢].

والمقسم عليه جملة، والجملة عبارة عن كلام مستقل قائم بنفسه، فاحتاجت إلى رابط يربطها بالقسم كربط حرف الشرط بالجزاء، فجيء باللام، و«إن» في جملة جواب القسم (المقسم عليه) في الإثبات لربطها بالقسم، و«ما» و«لا» في المقسم عليه المنفي، وهذه الأحرف في الجواب، لأنه في حكم كلام مستأنف، ولذلك لم تقع الفاء جواباً للقسم؛ لأنه لا يستأنف الكلام بها، وهذا الاستئناف يستوجب ربط جواب القسم بالقسم.

واللام في جواب القسم تدخل على الجملة الاسمية والفعلية، والجواب يكون للاستقبال أو في معنى الاستقبال، وغير المستقبل يزاد فيه ما يصيره للاستقبال أو ما يقربه منه، ومن ثم لحقت النون بالمضارع، ليكون مستقبلاً، ودخلت «قد» على الماضي، لتقربه من الاستقبال[٣]، قال تعالى: **﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾** [الأنبياء:٥٧] فاللام لتأكيد اتصال الجواب بالقسم والنون لتأكيد الفعل وصارفة للفعل إلى الاستقبال وإعلام المتلقي بأنه للمستقبل لا الحال، ﴿تالله لقد آثرك الله علينا﴾ [يوسف: ٩١] وقد دخلت اللام جواب القسم ليتلقى بها مبالغة في التوكيد، فالقسم توكيد للمقسم عليه، ويجوز أن تحذف قد، قال

---

(١) القسم يكون باللفظ الصريح: أقسم، أحلف، آليت، أعاهد، يمين الله، قسمي، وما أشبه القسم، والأفعال والأسماء تعمل عملها في عامة الكلام، واختلفوا في ايمن الله، فقال بعضهم: كلمة موضوعة للقسم، وهمزتها همزة وصل عند البصريين، ومثلها: ايم الله، وذهب الكوفيون إلى أنها جمع وهمزتها قطع. الأشباه والنظائر جـ١٨٨/٢.
والقسم بحرف من حروف القسم فيغني عن ذكر الفعل وحروف القسم: الهمزة (الله)، والباء (بالله)، والتاء (تالله)، والواو (و الله)، واللام، وتدخل لمعنى التعجب: لله، والميم «م الله» واختصت بربي أو «الله» في القسم، وبعضهم جعلها عامة، والكسر والضم في الميم، وأصل حروف القسم الباء، وهذه الأحرف بجر المقسم به.

(٢) القسم المكرر نحو: قوله تعالى: (والليل إذا يغشى* والنهار إذا تجلى* وما خلق الذكر والأنثى* إن سعيكم لشتى) [الليل: ١: ٤] والواو الأولى للقسم والثانية والثالثة للعطف؛ لأنها لو كانت قسماً لاحتاجت جواباً.

(٣) ارجع إلى: شرح المفصل، م٢٢٧/٤ تدخل اللام على الاسم فيعرب مبتدأ وما بعده خبر نحو: و الله لزيد أفضل من عمر، وإن دخلت على الفعل المضارع لزم آخره النون نحو: و الله لتكرمن الضيف، وتدخل النون عليه لتخلصه من الاستقبال، لأنه يصلح لزمنين الحال والاستقبال، ووقع الماضي جواباً للتحقيق نحو: و الله لقد ذهب، ويجب زيادة قد، قال تعالى: (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض) [يوسف: ٧٣] ولا تلحق النون بالماضي، لأن النون لا تدخل إلا على يفيد المستقبل، والماضي محقق بانقطاع منه، والجواب بالفعل واقع بالفعل، وتختص «إن» بالجملة الاسمية فقط في جواب القسم، ويقترن خبرها بالأمر.

امرؤ القيس[(١)]:

حلفت لها بالله حلفة فاجرٍ لناموا فما إن من حديث ولا صال

الشاهد: لناموا، والمشهود أن تدخل عليه مع قد نحو: و اللـه لقد نام. لتأكيد الجواب. ويجوز أن يضمر القسم وتبقى اللام في الجواب دليلاً عليه: ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة﴾ [النحل: ١٢٤] وهذا جاز إن زال الشك، وقد حذفت جملة القسم وبقيت جملة الجواب باللام لتدل عليه، وقال تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾ [آل عمران: ١٨٦] والنون زائدة لأجل التخليص للقسمية والاستقبال، والجملة الاسمية مؤكدة بمعناها، وتدخل عليها اللام للدلالة على القسم: ﴿ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ [النحل: ٣٠]، وقد تأتي الفاء في جملة بسبب من جملة الجواب، قال تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥] دخلت اللام على سوف لأنها تختص بالاستقبال، والنون لا تلحق بالمستقبل إلا في القسم قال تعالى: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ [ص: ٨٨] والمعنى: و اللـه لتعلمن نبأه، وحذفت القسم واللام، في المواضع التي زال عنها الشك فصارت يقيناً ومنه قوله تعالى: ﴿وسوف تسئلون﴾ [الزخرف: ٤٤] وقد تقع لو ولولا في جواب القسم، فيلزم جوابهما اللام للتوكيد نحو: و اللـه لو ذاكرت لأحسنت إليك. و اللـه لولا أبوك لضربتك، وقعت اللام في جوابها بعد قسم مقدر. وقد يحذف القسم قبلهما وتبقى اللام في جوابهما على نية القسم: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ [هود: ٩١]، ﴿ولولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ [سبأ:٣١] ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ [سبأ: ٢١]، وقعت اللام في جوابهما بعد قسم مقدر، والجواب بعدهما للقسم الظاهر أو المقدر، لوجود اللام

---

(١) جواب القسم إن كان جملة فعلية مثبتة مصدره المضارع أكد باللام والنون: و اللـه لأضربن محمداً، وإن كان ماضياً اقترن باللام وقد: و اللـه لقد قام محمد، وإن كانت اسمية أكد بأن واللام أو اللام وحدها أو إن وحدها. شرح ابن عقيل جـ٤٥/٤، ارجع إلى شرح المفصل م١١٧/٤، ١١٨ واللام تدخل على قد في الماضي؛ لأن اللام في الأصل للابتداء فتدخل على المضارع لدلالته على الحال والاستقبال، والقسم يخلص للاستقبال فزيدت قد قبل الماضي المحض لتقريب زمنه من الحال فيشبهه، فجاز دخول اللام عليها، قال تعالى: (لقد آثرك اللـه علينا) [يوسف: ٩١] ويجوز حذف اللام، وتبقى قد للدلالة على التحقيق والقسم: (قد أفلح من زكاها) [الشمس: ٩] أي: لقد أفلح. شرح المفصل وحروف المعاني ص٢٥٧، ٢٥٨ والجملة المنفية الفعلية تؤكد بما أو لا في القسم: و اللـه ما يقوم زيد، ويجوز أن تحذف قد وتبقى اللام كما في قول امرئ القيس: حلفت لها بالله....لناموا...، الديوان ص١٢٥، دار الكتب العلمية، وخزانة الأدب، ٧١/١٠، ٧٣، وشرح المفصل، ١١٧/٤، وارجع إلى مغني اللبيب، جـ٥٩/٢.

في جملة الجواب، ولا تلزم في غير القسم، وجوابهما محذوف ودل عليه جواب القسم.

وقد لزمت من اللام في عندما لحقت النون، وقد تحذف إن لم تلحق النون، وفي ذلك المواضع المؤكدة بقد نحو: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] والماضي لتحققه: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ [البروج: ٤] وتحذف اللام من الجواب إن دخلت اللام المؤكدة في الابتداء على القسم نحو: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢] لَعمر قسم بمعنى لحياتك أو لدينك الذي تعمر، وقيل معناها: وعيشك أي عمرك، وهو يمين، فالمشهور في المعنى: أحلف، واللام زائدة للتأكيد وسمع فيها: عمرك، فإذا دخلت اللام رفعتها بالابتداء.

وقد تكون اللام في الجواب للتوطئة في القسم الذي دخلت فيه فيه «إن» الشرطية نحو: ﴿لئن أخرجوا لايخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الأدبار﴾ [الحشر: ١٢] [1]، اللام في (ليولن) توطئة لجواب القسم، وتوكيداً له لعدم ذكره. و«إن» تدخل على الجملة الاسمية فقط، قال تعالى: ﴿حم* والكتاب المبين* إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان:٣،١،٢] و﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾ [العصر: ١،٢] والجواب بأن في الجملة الاسمية واقع على الخبر، لأنه في معنى الفعل، وتأخرت اللام فيه إلى الخبر لعدم جواز الجمع بينها وبين وإن في صدر الكلام. وتأتي «ما» في الجواب المنفي، قال تعالى: ﴿وقالوا: و اللـه ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام:٢٣]، ومثلها لفظ القسم نحو: ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾ [إبراهيم: ٤٤]، وقوله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ [التوبة: ٧٤]، ومثلها «لا» في الجواب المنفي: ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ [الحشر: ١٢]، جملة الجواب المقترنة بلا وقعت جواباً لقسم محذوف،

---

(١) اجتمع الشرط والقسم في الآية، وكل واحد منهما يستدعي جواباً، وجواب الشرط المضارع مجزوم وغيره مقرون بالفاء وجواب القسم إن كان جملة فعلية مثبتة مصدّرة بمضارع أكد باللام والنون وإن كان ماضياً اقترن باللام وقد، وإن كان جملة اسمية فبإن واللام أو اللام وحدها أو بأن وحدها، فإن اجتمع شرط وقسم حذف جواب المتأخر منهما لدلالة جواب الأول عليه، والجواب في الآية للقسم لتقدم اللام الموطئة للقسم المحذوف ودخول اللام في الجواب ولحوق النون به، وجواب القسم دل على جواب الشرط وقولنا: إن جاء زيد و اللـه يأتي عمرو. الجواب للشرط لتقدمه ودل على جواب القسم، وإن تقدم عليها مبتدأ رجح الشرط على القسم فكان الجواب له. نحو: محمد إن جاء و اللـه أكرمه. شرح ابن عقيل جـ ٤٤/٤ وحروف المباني ص ٢٦٢.

وقد ثبت جواب القسم لتقدم اللام الموطئة للقسم على «إن»، ولثبوت النون في الفعل المضارع.[1] وقد تحذف «لا» من الجواب فيما علم من اللفظ، أو ما بقي عليه دليل، قال تعالى: ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف﴾ [يوسف: ٨٥] أي لا تفتأ تذكر، حذفت «لا»، لأنها مقدّرة، فلا يجوز أن يأتي المضارع في جواب القسم دون اللام في أوله والنون في آخره فلا يأتي مجرداً منهما دون تقدير «لا».[2]

الجملة التي تقع جواباً لمعنى القسم: هنالك جمل حملت معنى القسم، فأشبهته ولها حكمه في الجواب، ومنها الجمل الآتية:

– الجملة التي تصدرت بلام التوطئة، قال تعالى: (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) [الحشر: ١٢]، فاللام إيذان بمعنى القسم، فاقتضى ذلك جواباً، قال كعب في حال مثوله أمام النبي صلى اللـه عليه وسلم :

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له مــن الرسـول بإذن اللـه تنويل

اللام في «لقد» موطئة لقسم محذوف، والتقدير: «و اللـه لقد أقوم مقاماً أرى وأسمع ما لو يقوم به الفيل لظل يرعد ...»، فالجواب لظل يرعد[3]. و«لقد» لا تكون إلا جواباً لقسم ملفوظ نحو: (تالله لقد آثرك اللـه علينا) [يوسف: ٩١] أو تكون جواب قسم مقدر نحو: (لقد كان لكم في رسول اللـه أسوة حسنة) [الأحزاب: ٢١]، والقسم في قول كعب مقدر، ويروى: «إني أقوم مقاماً».[4]

- الجملة الاسمية التي تصدرت بأن الثقيلة ودخلت لام التأكيد على خبرها، وجاءت إن بعد قسم مقدر واللام في الخبر في قول كعب:

---

(١) ارجع إلى: شرح المفصل، ٢٢٩/٤.

(٢) الأصل في المضارع: تالله لتفتأن تذكر يوسف، بلام ونون، وما كان مجرداً منهما أضمرت «لا» على معنى النفي مثل: و اللـه أترك الصلاة، أي لا أترك الصلاة، و اللـه أكرم اللئيم، أي لا أكرم اللئيم، والمضارع المثبت يستوجب اللام والنون: لأكرمن.

(٣) ارجع إلى: مغني اللبيب، جـ ٥٩/٢.

(٤) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص٢٧٧، وترتيب البيت: لقد أقوم مقاماً أرى وأسمع لو يقوم به الفيل ما لو يسمع لظل يرعد، وقيل المعنى: أرى ما لو رآه الفيل لظل يرعد وأسمع ما لو سمعه الفيل لظل يرعد.

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الـلـه مسلول

والمعنى: و الـلـه إن الرسول لسيف، والجملة الاسمية مؤكـدة بلفظهـا ومؤكـدة بـأنَّ واللام في الخبر، واستخدم اللام وحدها في قوله:

لذلك أهيب عندي إذ أكلمه وقيل إنك منسوب ومسؤول

ووظف كعب ما أشبه القسم في تأكيد قوله في الـدفاع عـن نفـسه والاحتجـاج لهـا، واللام دخلت على المبتدأ لغياب إن، وفي الأصل للابتداء، ولكنها تـؤخر في الخـبر إن أكـدت الجملة بأن. وتزاد قد وقبلها اللام في الجواب الذي تصدر بفعل ماض نحو: (تالله لقد آثرك الـلـه علينـا) [يوسـف: ٩١] لأن جـواب القـسم مـستقبل فـزاد قـد قبـل المـاضي ليـشاكل المضارع، وقد جاء بعد «لقد» الفعل في زمن المضارع في قول كعب:

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

ويروى: إني أقوم مقاماً، وجاز حذف القسم إذا وقعت لقـد في جـواب القـسم، ومنـه قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الـلـه أسـوة حـسنة) [الأحـزاب: ٢١] وجـاز أن تـدخل لقد في القسم على المضارع إن كان في معنى الماضي فالأصل: لقد قمـت مقامـاً، فـالكلام لا يحتمل الشك مثل قولنا: قد يـأتي زيـد. بـل جـاء في معنـى التحقيـق، وجعلـه في المـضارع حكاية عن حاله الذي كان عليه، فقد ذكر مصالحته النبي صلى الـلـه عليه وسلم فحـكى ما سبق المصالحة والعفو.

- أن تتصدر الجملة بحرف لا الناهية وأن تتصل بالفعل نون التوكيد نحو قول كعب:

لا تأخذنِّي بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت فيَّ الأقاويل

والمعنى: و الـلـه لا تأخذني ....

- أن تتصدر الجملة الفعلية بحرف نفي يحمل تأكيد النفي، نحو: ما قلته. أي و الـلــه، ما قالته. ونحو: لا أهمل. والمعنى: و الـلـه لا أهمل.

- أن تكون الجملة في معنى الدعاء، وأن يكون فعلها ماضياً، والواجب أن

تدخل قد واللام على الماضي كما ذكرنا آنفاً، ويجوز أن نحذف اللام وقد إن تصدر الكلام قسم وطالت جمل إردافاً عليه، ثم يأتي الفعل الماضي تابعاً ما سبق، ومن ذلك: قوله تعالى: (قتل أصحاب الأخدود) [البروج: ٤] دعاء عليهم بالهلاك بعد قسم، فتكون في معنى القسم، وهذا جواب قسم عند القراء، واللام مضمرة، وقبلها قسم:(والسماء ذات البروج* واليوم الموعود* وشاهد ومشهود* قتل أصحاب الأخدود) [البروج:١،٢،٣،٤] أي: لقد قتل. وهي مثل: (والشمس وضحاها...)، ثم قال سبحانه: (قد أفلح من زكاها) [الشمس:١،٢،٣،٤] أي: لقد أفلح[١] ويجوز فيها أن تكون في معنى القسم لتجردها من اللام وقد، ومثلها قولهم: هلك، وخاب، وخسر....، والمعنى و اللـه هلك وخاب وخسر، فالفعل الماضي إن وقع جواباً للقسم، اشترط أن يكون فيه دليل كاللام وقد، ويجوز رأي الفراء في أن «قتل» جواب قسم مجيء القيم قبلها دون جواب سابق على «قتل»، وقد أضمر كعب القسم لدلالة الجواب عليه اختصاراً وتكثيف اللفظ فمقام الشعر لا يتسع لسرد كل الألفاظ، فاكتفى بذكر ما يغني عن لفظ القسم، وقد وظف القسم في الدفاع عن نفسه وإثبات أدلته، والعرب تستوثق بالإيمان وتغلظها لتأكيد صدقها، ولم يأل كعب جهداً في الاستدلال بكل ما ينتصف به وما يؤكد صدقه، فمجيئه دليل مادي على صدقه، وتأكيد قوله بالإيمان دليل معنوي، فتكاتف المثول أمام النبي صلى اللـه عليه وسلم مع صدق قوله.

السادسة عشرة - الجملة التعليلية:

يراد بها الجملة التي جاءت بسبب من جملة سابقة، فالجملة قد تكون تعليلاً لجملة خبرية، ومنه قوله تعالى: (إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) [الطور: ٢٨] وقد تكون تعليلاً لنهي، قال تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً) [النساء: ٢] وقد تكون تعليلاً لأمر: (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) [التوبة: ١٠٣] [٢] فالجملة الثانية تعليلاً للأولى على تقدير سؤال محذوف، ومنه قول كعب:

---

(١) القرطبي، جـ١٩/٢١٦.

(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب بن زهير، ص١٥٤، والهمزة في ذلك مكسورة، ويجوز فتح الهمزة في مثل ذلك على تقدير لام التعليل مضمرة، ومنه قول الملبي: لبيك إن الحمد لك.

فلا يغرنك ما منَّت وما وعدت   إن الأماني والأحلام تضليل

جملة إن الأماني.. خبرية، وقد جاءت تعليلاً. وقد كسرت همزة إن على أنها تعليل مستأنف، لسؤال مقدر ومثله قوله:

وقال كل خليل كنت آمله   لا ألهينك إني عنك مشغول

جملة إني عنك مشغول: تعليل لما قبلها، وكسرت الهمزة لدخول اللام على الخبر، فإن أضمرت اللام تحت الهمزة (ويجوز أن تكون بدلاً مما قبلها).

وقد يذكر حرف التعليل قبل الجملة، ومنه قول كعب:

بانت سُعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

الفاء فاء سببية، وقد ربطت الجملة الثانية بالأولى، لأنها بسبب منها، وقد قوى هذا الوجه المخالفة بين الجملتين، فالأولى فعلية والثانية اسمية، والتناسب بين المتعاطفتين أولى من تخالفهما، وبعض العلماء منع العطف بين المتخالفين[1]، فالفاء في قول كعب لمحض السببية، وهي الرابط الحرفي بين الجملتين ولا رابط غيرها.

السابعة عشرة - الجملة الاسمية بعد أداة الاستثناء «إلا»:

حق المستثنى بـ«إلا» من كلام تام موجب أن ينصب مفرداً كان أو مكملاً معناه بما بعده.
(٢)

---

(١) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب، ص٥١، ومن ذلك قوله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) [الكوثر: ١] لا يعطف الإنشاء على الخبر. وارجع إلى: دلائل الإعجاز، ص٢٠٥، وصح عن العرب العطف بين زمنين مختلفين إذا حمل أحدهما على معنى الآخر، ومنه ما جاء في حديث عبد اللـه بن عتيك: «...فأهويت نحو الصوت، فأضربه بالسيف وأنا دَهِش». والمعنى: فضربته، ومثله قول شمر بن عمرو:

ولقد أمر على اللئيم يسبني   فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

والمعنى: ولقد مررت...فمضيت. دلائل الإعجاز ص٢٠٦.

(٢) المفرد بعد إلا نحو: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) [الزخرف: ٦٧] والمكمل معناه بما بعده نحو: (وإنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين) [الحجر: ٥٩] والمستثني فيما سبق منصوب، وإلا حرف استثناء ولفظه موضوع لذلك، وهي قسمان قسم يخرج بعض الشيء من كله، وهو الذي يسمى الاستثناء المتصل، وقسم بمعنى لكن، ويسمى ما يكون له كذلك الاستثناء المنقطع. وإلا حرف استثناء، ولا يتصور فيها الوصف مثل: غير نحو: عندي طعام غير جيد، ولا يجوز: عندي طعام إلا جيد. ولكن يجوز أن تكون إلا مركبة مع ما بعدها صفة ولا يجوز حذف الموصوف نحو: قام الناس إلا زيد، فالمعنى قام الناس غير زيد. ولا يجوز حذف الموصوف (الناس): قام إلا زيد. وهذا جائز في غير: قام غير زيد. وغير فاعل بيد أن إلا لا تنزل منزلة الموصوف المحذوف في الإعراب والإسناد، فلا يوصف بالحروف؛ لأنها لا تكون صفة، وإعراب المعطوف على الاسم الواقع بعد إلا حسب إعراب المعطوف عليه نحو: جاء الناس إلا محمداً وعلياً. علياً منصوبة عطفاً على المستثنى المنصوب، وإذا عطفت على الاسم الواقع بعد غير جاز فيه الجر لأنها تعمل عمل حرف الجر، ويجوز أن يحمل المعطوف على المعنى نحو: جاء الناس غير محمد وعليٍّ، ويجوز الرفع ، والرفع على تقدير: وعلي لم يجىء، جملة. ارجع إلى الأشباه والنظائر جـ ٢٢٠/٢ .

والرابط في الاستثناء «إلا» فهي قرينة على أن ما بعدها كان بعضاً من الأول أو يدخل فيه فأخرجته منه، ولولاها لدخل الثاني في الأول.[١] وما كان منفياً يجوز فيه النصب على الاستثناء، ويجوز الإعراب على البدل من المستثني منه[٢]، وما ليس فيه مستثنى يعرف حسب موقعه من الجملة. وقد يكون خبره في الكلام أو مقدراً، وهو في حكم المستثنى. والجملة المستثناه تابعة لما قبلها، فأخرجتها «إلا» منها، فإلا الرابط بين الجملتين لإفادتها خروج المستثنى من المستثنى منه، فالثانية تابعة للأولى، لأنها مستثناه منها، والمرتفع بعدها مما لا يجوز أن يعرب بدلا من المستثنى منه بل يكون مبتدأ، وما بعده خبره، وقد يكون مقدراً، ويسمى هذا بالاستثناء المنقطع، و«إلا» منه بمعنى «لكن» عند البصريين، وهذه الجملة لا محل لها من الإعراب [٣] .

ويسمى هذا النوع بأسلوب الحصر، وقد جعل منه ابن خروف قوله تعالى: (إلا من تولى وكفر* فيعذبه الله العذاب الأكبر*) [الغاشية: ٢٤،٢٣] من اسم موصول مبتدأ، وخبره: فيعذبه الله..، ودخلت الفاء على الخبر؛ لأن المبتدأ اسم موصول، وقد تناولنا ذلك في الجملة الشرطية، وقد أغفل بعض النحاة هذا النوع من الجمل، فلم يوردوه في كتبهم، وقد تناوله سيبويه، واستدل على وجوده في اللغة، واستفاض في تبيين وجه المعنى فيه، وذلك في المرفوع على الابتداء بعد إلا، ومن ذلك: ما مررت بأحد إلا زيد خير منه. والمعنى: مررت بقوم زيد خير منهم، فدخلت «إلا» لتجعل زيداً خيراً من جميع من مررت بهم. ولو كان القول: مررت بناس زيد خير

---

(١) حاشية الصبان، جـ٢/٢١٤.

(٢) ارجع إلى: حاشية الصبان، جـ٢/٢١٣، البدل نحو: ما قام أحد إلا زيد، والاستثناء المفرغ: (فهل يهلك إلا الفاسقون) [الأحقاف: ٣٥]. وبعضهم يجعل البدل على الموضع إن تعذر البدل على اللفظ، حاشية الصبان، جـ٢/٢١٤، والفرق بين البدل على موضع السابق والنصب على الاستثناء في قولنا: ما قام أحد إلا زيداً، أنك إذا نصبت جعلت معتمد الكلام إلا النفي، وصار المستثنى فضلة فتنصبه كما تنصب المفعول، وإذا أبدلت منه كان معتمد الكلام إيجاب القيام لزيد، وكان ذكر الأول كالتوطئة، مثلما ترفع الخبر، لأنه معتمد الكلام، وتمام الإفادة، وتنصب الحال، لأنه تبع للمعتمد في نحو: زيد في الدار قائم، وزيد في الدار قائماً.

(٣) مغني اللبيب، جـ ٤٩١/٢ قال تعالى: (لست عليهم بمسيطر إلا من تولى فيعذبه الله) [الغاشية: ٢٤،٢٣،٢٢،٢١] من مبتدأ، ويعذبه الله: خبره، والجملة في موضع نصب على الاستثناء، وهو مذهب ابن خروف. وقوله تعالى: (فشربوا منه إلا قليلاً منهم) [البقرة: ٢٤٩] بقراءة الرفع: قليل مبتدأ، حذف خبره وتقديره لم يشربوا، وقوله (فلا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) [هود: ٨١] بالرفع: امرأتك مبتدأ خبره ما بعده.

منهم، والمعنى على هذا الوجه: أنه قد مر بناس آخرين هم خير من زيد، وقد أراد: أنه ما مر بأحد إلا زيد خير منه، ليخبر أنه لم يمر بأحد يفضل زيداً. ومن ذلك قول العرب: «و اللـه لأفعلن كذا وكذا إلا حِلّ ذلك أن أفعل كذا وكذا. وحِل مبتدأ [(١)]. وبعض وجوه القراءات صح فيها تقدير المرفوع مبتدأ، ومن ذلك قوله تعالى: (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم) [هود: ٨١] قرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء برفع امرأتك، وهما من أصحاب القراءات السبعة المشهورة المتواترة[(٢)]، وامرأتك بالرفع مبتدأ، والجملة بعده خبر، ولا يصح أن تكون بدلاً من أحد، لأنها لم تسر معهم فقد تخلفت مع من كفروا، ودل على أنها لم تسر مع لوط من آمن معه قراءة النصب فإلا أخرجتها منهم، فلا يصح أن تكون بدلاً ممن أمرهم اللـه عز وجل عدم الالتفات، وتكلف بعض النحاة المعنى، فقال إنها خرجت لتلحق بهم عندما شعرت بالعذاب ولكنها التفت فهلكت، وهذا الوجه على ضعفه لا يوجب دخولها في المخاطبين؛ لأن الخطاب لمن آمن[(٣)]. وصحت أحاديث رفع فيها المستثنى بعد إلا على الابتداء، وقد ذكر فيها الخبر، منها قول عبد اللـه بن أبي قتادة رضي اللـه عنهما: أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم»[(٤)]، وإلا بمعنى لكن، وما ذكر فيها المبتدأ دون الخبر ما رواه أبو هريرة رضي اللـه عنه قال: سمعت رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول: كل أمتي معافى إلا المجاهرون».[(٥)]

---

(١) الكتاب سيبويه، جـ ٣٤٢/٢
(٢) القراءات السبعة قراءات نافع بالمدينة، وابن كثير بمكة، وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة، وعاصم بن أبي النجود الكوفي، وحمزة بن حبيب الكوفي، وابن عامر بالشام، وعلي بن حمزة الكسائي بالكوفة.
(٣) ارجع إلى: القرطبي، جـ ٦٦/٩ والمعنى عنده على النصب، وهي القراءة الواضحة البينة المعنى عنده: أي فأسر بأهلك إلا امرأتك وكذا قراءة ابن مسعود: فأسر بأهلك إلا امرأتَك) استثناء من الأهل، فخرج بكل أهله دون زوجه الخائنة، وقرأ أبو عمرو بن العلاء وابن كثير بالرفع ووجها القرطبي على البدل من أحد. وارجع إلى شرح المفصل م ٤٢٧/١ والجماعة قرأوا بالنصب إلا أبا عمرو وابن كثير قرأوا بالرفع، وقد ضعفها ابن يعيش ورجح النصب لموافقته المعنى على أنه بدل من فأسر بأهلك، وليس من أحد، والنصب على الاستثناء بدل من أحد، على مذهب من رأى أنها سرت بنفسها ثم التفتت، وقد ضعف هذا ابن مالك. وذهب آخرون إلا أنها مستثناه من أهله. ارجع إلى شرح التوضيح ص ٤٢ وحاشية الصبان ص ٢١٦
(٤) رواه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب لا يشير المحرم إلى الصيد، لكي يصطاد الحلال.
(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه وجاء في بعض الروايات إلا المجاهرين، وكذا ذكر ابن حجر أن النصب للأكثر، ورواه كذلك مسلم والإسماعيلي وأبو نعيم بالنصب، وفي رواية النسفي بالرفع «إلا المجاهرون» وعليها شرح ابن بطال وابن التين.

«المجـاهرون» بروايـة الرفـع عـلى الابتـداء، والخـبر محـذوف إلا المجـاهرون بالمعـاصي لا يعافون. وجاء في الحديث: «ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الـلـه»[١]، والمعنى: ولكن الـلــه يعلم بأي أرض تموت. ومما جاء في شعر العرب فتأوله العلماء على الابتداء قول الشاعر:[٢]

لِدَم ضائع تغيَّب عنه   أقربوه إلا الصبا والدَّبُورُ

أي إلا الصّبَا والدبور لم يتغيبا عنه.

وقال أبو ذؤيب الهزلي:[٣]

عرفتُ الديار كرقم الوُحِيّ   يَزبُرُها الكاتب الحِمَيريّ

على أطرِقا باليات الخيــا   م إِلا الثُّمامُ وإلا العِصيّ

أي: إلا الثمام والعِصي لم تبل، وقد استدل بذلك ابن مالك على أن المرفـوع مـما لا يـدخل، في حكم ما تقدمه يعرب مبتدأ، وهذا لا يعني انقطاع الجملة الاسمية فإلا الـرابط، وهـي عنـد البصريين بمعنى لكن الاستدراكية العاطفة، والكوفيـون ذهبـوا إلا أن «إلا» حـرف عطـف فـيما حذف خبره عند البصريين، وما بعد إلا معطوف على ما قبلها، وهذا عندهم عطف نـسق، فـإلا من حروف العطف في الاستثناء، والمرجح في ذلـك رأي البـصريين[٤]، والـربط في الاسـتثناء بـإلا، وعملهـا في المعنـى بمعنـى لكـن، والـترابط في الاسـتثناء، لا يـستغنى عنـه؛ لأنـه مـن الأسـاليب المتماسكة، والجمل التي تدخل بين حرفي النفـي والإيجـاب المفيـدين للحـصر مكمـلات لمعنـى التركيب، وهي جزء منه، ويدخل في بنيته المتماسكة، قال كعب:

وما سعاد غداة البين إذا رحلوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحُول

وقد قيل إن «أغن» صفة لمحذوف، والأصل: إلا ظبي أغن، ولا يجوز أن يكون

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الـلـه تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) [الجن:٢٦]
(٢) شرح التوضيح ص ٤٣ الدم الضائع: الهالك، أقربوه أصله أقربون له، فحذفت النون للإضافة، وحذفت لام الجر للإضافة أيضاً، والصَّبا: الريح الشرقية، والدبور: مقابلها (غربية).
(٣) شرح التوضيح ص ٤٤، ويروى: عرفت الديار كرقم الدوة يزبرها الكاتب الحميري. وروى كرقم الدويّ، وكخط الدواة، فشبه آثار الديار في خفائها: بالخط في الصحيفة، وزبر: كتب أطرقا: اسم مكان من منازل هذيل، باليات: مفردها: بالية. والعـصي: قـوائم الخيـام، والـثمام اسـم نبات يسدون به فروج الخيام.
(٤) حاشية الصبان، جـ٢/٢١٤.

أغن صفة لسعاد، فمؤنث أغن غنَّاء، والغنة وصف الظباء، فصارت لها غلبة، فشبه سعاد بالظبي الأغن لجمال صوتها، وقد انتقض النفي بإلا. ويجوز أن تنزل الصفة منزل الاسم الموصوف فيعرف بها، فتعرب إعرابه، ويجوز أن يكون أغن بالرفع مبتدأ حذف خبره. وقد يأتي بعد إلا جملة فعلية، وتكون في موضع نصب، ومن ذلك قوله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً* إلا أن يشاء الله...*)[الكهف: ٢٤،٢٣] وموضع أن يشاء نصب على وجهين؛ أولهما- على الاستثناء والتقدير: لا تقولن ذلك في وقت، إلا وقت أن يشاء الله أي يأذن، فحذف الوقت، وهو المراد به المعنى، والثاني- على الحال، والتقدير: لا تقولن أفعل غداً إلا قائلاً إن شاء الله، فحذف القول، وهو كثير[1] ، وقال كعب في موقفه أمام الرسول صلى الله عليه وسلم :

لظل يُرعَد إلا أن يكون له — من الرسول بإذن الله تنويل

الجملة الثانية يترتب عليها عدم ثبوت الأولى، والفعل «ظل» يقتضي الثبوت والدوام في المضارع وإلا بمعنى الاستثناء، وما بعد إلا محتاج إلى ما قبلها، والجملة بعد إلا في موضع نصب على الاستثناء، والأصل في «إلا» أن تدخل على الاسم. والاسم المرفوع بعد «سيما» خبر لمبتدأ محذوف، والجملة صلة الموصول «ما» في سيما، ومنه قول امرئ القيس:[2]

ألا ربَّ يومٍ لك منهن صالح — ولاسيما يوم بدارة جُلْجلِ

والمعنى ولاسي الذي هو يوم بدارة جُلجُل، وهو المقدر عائد إلى «ما» الموصولة مثل قوله تعالى: (تماماً على الذي أحسن)[الأنعام: ١٥٤] أي: الذي هو أحسن،

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، جـ٨٤٣/٢.

(٢) ديوان امرئ القيس، ص١١٢، طبعة دار الكتب العلمية، وشرح المفصل، م٣٤١/١ وحاشية الصبان، ٢٤٨/٢ سيما كلمة يستثنى بها ويقع بعدها المرفوع والمخفوض، فمن خفض جعل ما زائدة مؤكدة وخفض ما بعدها بإضافة السي إليه كأنه قال ولاسي يوم، وسي بمعنى مثل يوم، والرفع بجعل ما بمعنى الذي ورفع ما بعدها على أنه خبر مبتدأ محذوف والمعنى ولا سي الذي هو يوم، ولا للتبرئة مضاف للاسم على زيادة ما، أو أنها تعمل عمل ليس وخبرها محذوف، وهنالك أسماء بمعنى إلا مثل سوى غير الاستثنائية تنفي ما بعدها عما قبلها، فإذا كان قبلها إيجاب، فما بعدها نفي، وإذا كان قبلها نفي فما بعدها إيجاب، لأنها حملت في الاستثناء على معنى إلا فحكمها كحكمها. ارجع إلى الأشباه والنظائر جـ ٢٢٠/٢ وغير إذا كانت صفة لم توجب للاسم الذي وصفته بها شيئاً ولم تنفه؛ لأنها مذكورة على سبيل التعريف نحو: جاءني غير زيد، وصفته بالمغايرة له وعدم المماثلة، ولم تنف عن زيد المجيء، فالمعنى جاءني رجل ليس بزيد. وقولنا: كل ما شئت غير المحرم، استثناء؛ لأنه أباح كل شيء ولم يبح المحرم، فالمعنى: كل شيء ولا تأكل أبداً محرماً، وهذا غير قولنا: أكلت غير التفاح، فهذا لا ينفي الأكل مطلقاً، بل أخرج غير «التفاح» مما أكل، فالطعام الذي أكله غير التفاح فهي صفة.

والضمير يربط الصلة بصاحبها.

الرابط في الجملة الاعتراضية:

الجملة الاعتراضية بنوعيها الاسمي والفعلي: هي التي تفيد تأكيداً وتسديداً للكلام الذي اعترضت بين أجزائه، فتكون تعقيباً على معنى بتأكيد أو بمدح أو بذم أو بتفسير، أو للتنبيه[(١)].

والجملة الاعتراضية فضلة يصح الكلام دونها، فهي زيادة على معنى الجملة لمعنى يفيد تقوية بين جزءَي صلة أو إسناد، فلا محل لها من الإعراب [(٢)].

فكل كلام أدخل فيه لفظ على أصله لو أسقط أو أزيل عنه لبقي على حاله دون نقص فيه، ويسمى الزائد عليه اعتراض نحو: زيد قائم، كلام مفيد من مبتدأ وخبر، فإذا أدخلنا فيه كلاماً زائداً كالقسم نحو: زيد و الله قائم لا يعد الزائد أصلاً فيه؛ لأننا إن أزلناه عنه لم يضره، ولكنه بدخوله فيه أفاد التأكيد، والتأكيد معنى زائد، فالأصل أن يدل اللفظ على معناه دون زيادة أو نقصان كما أريد من وصفه، فإن أردنا الزيادة فهي فضلة، ولا محل لها من الإعراب[(٣)]. والجملة الاعتراضية تأتي لمعنى يريده.

المتكلم في معنى كلام، ولكن معنى الجملة الاعتراضية لا يدخل فيها تمام المعنى الأساس بل فضل فيه، فهي لزيادة في المعنى ولا يضر إزالتها منه بيد أنها تتعلق بسياق الكلام، ولهذا جعلتها في ذيل الجمل التي تتعلق بما قبلها، فهي ليست في درجتها. وهنالك علاقة معنوية بين الاعتراض وما جاء له في الكلام وهنالك أيضاً رابط ظاهر أو مضمر شأنه في ذلك شأن الجمل التي تتعلق بما سبقها غير أن الاعتراض فيه علاقة معنوية سببية، فهو تعقيب على معنى سابق يأتي منه بسبب، فقولنا: «زيد -جزاه الله

(١) ارجع إلى: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ص١١٣، ونهاية الإيجاز، الرازي ص ١٧٢ وارجع إلى همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، المكتبة التوفيقية م ٣٢٧/٢

(٢) قال الرازي الاعتراض: «أن تدرج في الكلام ما يتم الغرض دونه» نهاية الإيجاز. يميز الاعتراضية عن جملة الحال امتناع قيام مفرد مقامها، وجواز اقترانها بالفاء ولن حرف تنفيس وكونها طلبية، وأنها قد تعترض جملتين.

(٣) الجملة التي لا محل لها التي لا يقوم المفرد مقامها، كالجملة الاعتراضية، والجملة الاستئنافية مثل: زيد قام، وهي الابتدائية، وجملة جواب القسم نحو: (وتالله لأكيدن أصنامكم)[الأنبياء: ٥٧] وجملة جواب الشرط غير الجازم كجواب لو ولولا ولما وكيف، أو شرط جازم ولم تقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية نحو: إن لم تقم أقم، إن قمت قمت، والجزم من أثر الأداة فيه، والفعل الماضي في موضع جزم، والجملة الواقعة صلة لاسم أو حرف نحو: جاء الذي قام أبوه، وأعجبني أن قمت. والجملة المفسرة، وهي الكاشفة لحقيقة ما تليه سواء صدرت بحرف التفسير نحو: (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك) [المؤمنون: ٢٧] ارجع إلى: همع الهوامع م ٣٣٣/٢، والجملة بعد التحضيض نحو: هلّا ضربت زيداً. والجملة المؤكدة لما ليس له محل من الإعراب منها المؤكد للجملة الابتدائية نحو: جاء محمد جاء محمد، الأشباه والنظائر، جـ٢/ ٢٥.

خيراً- أكرمني». ليس كقولنا: الشيطان -لعنه الـلـه- أضلني، فالأولى فيها ثناء عـلى الكـرم، والثانية فيها ذم على الإضلال، ولا يصلح أحدهما للآخـر لاخـتلاف الـسياق، فمناسـبة الاعـتراض السياق رابط معنوي إلى جواز الضمير العائد على متقدم تعلق به الاعتراض، فالاعتراض متعلـق بما قبله على مستوى اللفظ والمعنى، ولا يعني قولنا: إنه زائد في الكلام، أنه منقطـع عـما قبلـه، أو أنه غير متصل به في اللفظ والمعنى، وترجع أهميتها إلى المعنى الخاص الذي يأتي تعقيباً على معنى سابق، ويشترط فيها أن تكون مناسبة لمعنى الجملة التي جاءت لمعنى فيها.[١] والجملـة الاعتراضية (أو المعترضة) يؤتى بها بين كلامين متصلين معنى غالباً، فتقـع بـين الفعـل وفاعلـه أو مفعوله والمبتدأ والخبر والشرط وجوابه والموصوف وصفته والموصول وصلته والمتضافين والجـار والمجرور، والحرف الناسخ وحرف النفي ومنفيه، وبـين جملتـين مـستقلتين. والجملـة المعترضـة تشبه الحالية، وقد تلبس بها، ويميزها عن الحالية امتناع قيام المفرد مقامها، ومـن ثـم لا محـل لها من الإعراب، والجملة الحالية في معنى الحال فيقع المفرد موقعها فلها محـل مـن الإعـراب، ويجوز اقتران الجملة المعترضة بالفاء أو بالواو[٢] مع تصديرها بالمـضارع المثبـت، وإن الـشرطية ولن والسين وسوف، وتكون إنشائية دعاءً أو طلباً أو استفهاماً. والاعتراضـية أبلـغ مـن الحاليـة؛ لأن فيها عموم الحال ومعانٍ أخرى تحققها والحالية لوصف الحال فقط،[٣] قال كعب:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يوماً على آلة حدباء محمول

والأصل: كل ابن أنثى -إن قصرت حياته أو طالت- يوماً على آلة حدباء محمول، فالجملة الشرطية اعتراضية، وجوابها محذوف، وتقديره وإن طالـت فلابـد لـه مـن المـوت، وقـد حـذف لدلالة خبر الجملة عليه، وأصل الجملة كل ابن أنثى يوماً عـلى آلـة حـدباء محمـول، والجملـة الاعتراضية اقترنت بالواو لمجيء إن الشرطية بعدها، وبعض النحاة رأى أن الواو في «وإن طالت سلامته» واو الحال، وضعفه ابن هشام.[٤]

---

(١) ارجع إلى: مغني اللبيب جـ ٤٣٢/٢، وهمع الهوامع م ٣٢٧/٢

(٢) الواو التي تدخل الجملة المعترضية تسمى الواو الاعتراضية.

(٣) ارجع إلى: الكليات ص ٣٤٣ وهمع الهوامع م ٣٢٧/٢،٣٢٨

(٤) معنى البيت: كل إنسان وإن عاش زمناً طويلاً سالماً من النوائب فلابد له من الموت. ويوماً ظرف متعلـق بـالخبر «محمـول»، ولا يجـوز أن يكون معمول طالت لفساد المعنى به فلا يجوز: طالت سلامته يوماً، فالمراد أنـه سـيموت يومـاً وإن طالـت سـلامته، فقـدم وأخـر للـوزن، وجواب الشرط محذوف سد مسده خبر كل «محمول»، ومثله: (وإنا إن شاء الـلـه- لمهتدون)[البقرة: ٧٠] أي: إن شاء الـلـه سنهتدي. وقال جماعة من النحاة الواو في «وإن طالت» واو الحال،

والاعتراضية قد تعترض بين المسند والمسند إليه أو تعقب على لفظ أو تعترض جملتين والجملة الحالية تتعلق بصاحبها، وهو في جملة، وقد تكون حالاً من مضموم جملة نحو: محمد أبوك عطوفاً،[1] والجملة المعترضة ليست معمولة لشيء من أجزاء الجملة المقصودة، وتقع بين الأجزاء المنفصلة بذاتها[2] ، وتأتي الجملة الاعتراضية في الكلام في المواضع الآتية:

- أن تقع بين طرفي الإسناد المبتدأ والخبر، كقول كعب:

يسعى الوشاة جنابيها وقولهم	إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

قوله: «يا ابن أبي سلمى»: جملة معترضة بين اسم إن وخبرها، لا محل لها من الإعراب، وقد تعلقت بما قبلها المخاطب في «إنك» فالنداء للمخاطب، و«ابن أبي سلمى» تعريف بنسبه، ويراد بذكره الاستهزاء، لمنزلة أبيه في العرب، وقال كعب:

مهلاً- هداك الذي أعطاك نافلة	القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم	أذنب وإن كثرت فيَّ الأقاويلُ

قوله: «هداك الذي أعطاك نافلة القرآن» هداك الذي... أسلوب خبري لفظاً ودعاء معنى، وسيق في زمن الماضي رجاء التحقيق مثل: شفاك الله، وغفر الله لك،

والأرجح أنها واو عاطفة على حال محذوفة معمولة للخبر، والتقدير على معنيين: أولهما- محمولاً على آلة حدباء على كل حال وإن طالت سلامته، فيكون من عطف الخاص على العام، والثاني- أن يكون الأصل: إن قصرت مدة سلامته وإن طالت، ويجوز في الجملة الشرطية أن تقع حالاً إن دلت على شرط ونقيضه، وقد بينا ذلك في الجملة الشرطية، والأرجح أن تكون اعتراضاً .

(١) هنالك فرق بين الجملة المعترضة والحالية:
- أن الجملة المعترضة تكون غير خبرية، كالأمرية والدعائية والقسمية والتنزيهية كقولنا: الله -سبحانه- عدل.
- أن يجوز تصديرها بما يدل على الاستقبال نحو لن التي تدخل على المضارع فتجعله مستقبلاً، والسين وسوف والشرط نحو: إن يسافرْ علي أسافرْ، ويشترط في الحالية أن تدل على الحال، والمستقبل لا يصف حال القائم، والماضي المنقطع حال من ماضيه وليس حالاً من قائم، فاستلزم مجيء «قد» قبله لتقريب زمنه. وقولنا: إن سافر عليّ سافرت، الشرط فيه مستقبل أي: إن تحقق سفره في المستقبل فسوف أسافر، والثاني يستوجب حدوث الأول في الاستقبال. وأزيد على هذا أن الجملة المعترضة تأتي في زمن الماضي كما في الدعاء خلافاً للحال التي تستوجب إضافة ما يدل على زمن الحال.
- أنه يجوز دخول الفاء عليها، وهذا ممتنع في جملة الحال.
- أنه يجوز اقترانها بالواو العاطفة، وهي في زمن المضارع، وجملة الحال في المضارع تكون خلواً منه. ارجع إلى مغني اللبيب جـ٢/٣٣٢، والأشباه والنظائر جـ ٢/٢٢٣ .

(٢) همع الهوامع، م ٢/٣٢٧.

رجاء في حدوث الشفاء والمغفرة، وذلك لتحقيق حدوث الفعل في الماضي، وحدوث الشفاء والمغفرة في المستقبل، فأوقعها في الماضي رغبة في التحقيق، وهذا أبلغ من صيغة الطلب «اهده» في الدعاء للآخر، ومن ثم قال المؤمنون: (اهدنا الصراط المستقيم)؛ لأنهم يطلبونه لأنفسهم، والأمر هنا رجاء، لأنه من الأدنى إلى الأعلى، وقد اعترضت بين فعل الطلب وجواب الطلب «لا تأخذني»، وقد ناسب الدعاء سياق الجملة، وضمير المخاطب في «مهلاً» هو نفسه المخاطب في «هداك»، و«أعطاك»، فارتبطت الجملة الاعتراضية بالجملة الأصل.

- أن تقع بين جزأي صلة، كالموصول وصلته، قال جرير:[١]

ذاك الذي - وأبيك يعرف - مالكاً والحق يدفع تُرَّهات الباطلِ

جملة الاعتراض جملة القسم «وأبيك»، وجملة النداء مثل قول حسان:[٢]

فأنت الذي، يا سعد، أُبت بمشهدٍ كريم وأثوابِ المكارم والحمد

وقد تفصل الجملة بين جملة الصلة وما عطف عليها، ومن ذلك قوله تعالى: (والذين كسبوا السيئات -جزاء سيئة مثلها- وترهقهم ذلة...) [يونس: ٢٧]

- أن تقع بين الفعل ومرفوعه، قال جويرية بن زيد:[٣]

وقد أدركتني والحوادث جمّة أسنة قوم لا ضعافٍ ولا عُزْل

أو تقع بين الفاعل والمفعول به قال أبو النجم العجلي:[٤]

وبدلت - والدهرُ ذو تبدُّل هيفاً دبوراً بالصَّبا والشمأل

- أن تقع بين جزأي شرْط (بين الشرط وجزاؤه) قال تعالى: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار) [البقرة: ٢٤]

- أن تقع بين جزأي قسم (القسم وجوابه): قال تعالى: (قال فالحق -والحق أقول- لأملئن جهنم) [ص: ٨٤، ٨٥]

(١) ديوان جرير، ص٤٣٠، مكتبة الحياة، والخصائص، جـ٣٣٦/١، ومغني اللبيب ٤٥٠/٢، وهمع الهوامع، م ٣٤١/١، م ٣٢٧/٢ .
(٢) الديوان، ص١١٤، وروى وأنت وأثواب السيادة وارجع إلى: همع الهوامع، م ٣٤١/١ .
(٣) الخصائص، جـ ٣٣١/١، ومغني اللبيب، جـ ٣٨٧/٢، وهمع الهوامع، م ٣٢٩/٢.
(٤) خزانة الأدب، ٣٩١/٢، والخصائص، ٣٣٦/١، ومغني اللبيب، جـ ٣٨٧/٣، وهمع الهوامع، م ٣٢٩/٢.

– أن تقع بين جزأي صفة (بين الصفة وموصوفها) نحو: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) [الواقعة: ٧٦]

- أن تقع بين الحرف العامل ومدخوله، مثل «ليت» قال رؤبة بن العجاج:[١]

ليتَ وهل ينفع شيئاً ليتُ ليتَ شباباً بوع فاشتريت

وبين سوف ومصحوبها، قال زهير بن أبي سلمى:[٢]

وما أدري وسوف -إخال- أدري أقوم آل حصن أم نساءُ

والأصل: سوف أدري، ومثله: أتى –أظن- زيد.

– أن تقع الجملة الاعتراضية بين جملتين، الثانية منهما بسبب من الأولى، وهذا لا يخرج الاعتراض من لحمة النص، لكونه خرج من الجملة أو لم يقع بين متصلين في الإسناد أو ارتباط في المعنى، فالجملة الثانية نتيجة منطقية، وقد استطاع كعب أن يوظف الاعتراض بين جملتين متماسكتين في قوله:

فقلت خلوا سبيلي – لا أباً لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

الجملة الأولى طلبية «خلوا سبيلي» والثانية اسمية «كل ما قدر الرحمن مفعول»، والثانية تعليل الأولى ونتيجة لها والمعنى: اتركوني لقدري، لأن ما قدره الرحمن لا رد له، فالفاء فاء السببية، فارتبطت الجملة الثانية بالأولى، وارتبطت الاعتراضية بما قبلها بالضمير فالمخاطب في الجملتين واحد «خلَّوا...» و«لا أبالكم» والأولى طلبية تدل على ضيقه بهم، والثانية الاعتراضية ذمهم بها، لأنهم خوفوه وتشاغلوا عن نصرته، وقد شاكلت الجملة الاعتراضية ما قبلها في المعنى العام، فناسبت مقصودها، فهي كالتأكيد لها. لقد استخدم كعب الجمل الاعتراضية بعد أن انتهى من سرد رحلته، ثم دخل في موضوع القصيدة الرئيسي (الاعتذار) فاستهله بحديث عمن لاذ بهم ليستشفعوا له فأبوا عليه، وتشاغلوا عنه، وذكّروه بسالف أمره ومنزلة أبيه في الناس في مقام الذلَّة: «إنك –يا ابن أبي سلمى- لمقتول» وأبوه زهير بن أبي سلمى، كان حكماً في الجاهلية يقضي بين العرب في الخصومات والمنافرات وعرف بالحكمة والفضل، فاعترض

(١) ديوان رؤبة، ص١٧١(الملحق)، وأوضح المسالك، ١٥٥/٢، ومغني اللبيب، جـ٦٣٢/٢، وهمع الهوامع، م ٣٢٩/٢.
(٢) ديوان زهير، ص٧٣، ومغني اللبيب، ص٤١، ١٣٩، ٣٩٨، وهمع الهوامع، م ٥٥٤/١، م ٣٣٠/٢.

عليهم بقوله:

خلوا سبيلي – لا أباً لكم- فكل ما قدر الرحمن مفعول

وقوله لا أبالكم، لا يحتمل الحقيقة، فهم ولدوا لآباء، ولكنه أردا به معنى بعيداً مكنياً، فالعرب يكنون عن أغراضهم بألفاظ لها معنى ظاهري ومعنى باطني، وهم يطلبون البعيد لمعنى فريد خاص، وهذا من سمت علّو التعبير، وقوله: «لا أباً لكم» اعتراض مشاكل بالمخالفة لقولهم «يا ابن أبي سلمى» فهم ذكروه بأبيه في موضع ذل فيه استهزاءً بمنزلته، فرد عليهم نافياً نسبهم استهزاء «لا أباً لكم» يريد ذمهم؛ لأنهم نكروه ولم ينصروه وشمتوا فيه وتشاغلوا عنه فنفي عنهم الأبوية في مقام عرَّفوا نسبه فيه، فهو معروف الأب باعترافهم، وهم مجهولون، لأنهم لم يغنوا عنه شيئاً، فذمهم، ومن خصال العرب التفاخر بالأنساب، فحفظ الرجل منهم نسبه القريب والبعيد، وينتسب إذا انتسب الناس فيفاخرهم به، وأكرمهم نسباً محمداً صلى الله عليه وسلم القرشي ابن النبي (إسماعيل) ابن النبي (إبراهيم) صلى الله عليهم.

الحذف في الجمل وأثره في الربط:

الحذف إزالة عنصر من الجملة لمعنى أو لضرورة أو للاختصار والإيجاز، أو لتقدم ذكره، فيغني السابق عن تكرار لفظه. ويعد الحذف رابطاً قوياً في النص، لأنه يعتمد اعتماداً خالصاً على ما تقدم فلا يستقل عنه البتة، كالجملة التامة، هذا في الخطاب المكتوب، أما المنطوق فقد يحيل المتلقي إلى العالم الخارجي[1]، فيربط خطابه به، ولكن المكتوب يحيل إلى متقدم يبينه، ومن ثم فالرابط في الجمل التي فيها حذف أقوى من الجمل التي استعانت بالضمير أو الإشارة أو بتكرار اللفظ أو المعنى، فالإحالة في مواضع الحذف بمنزلة ارتباط جواب الشرط بفعل الشرط، فالجواب قائم على شرطه وكذلك المحذوف يفسره ما تقدم، ولهذا يلزم أن يتقدمه مباشرة، لئلا يتوهم موصعه غيره، والحذف فيه اختصار وإيجاز وتكثيف اكتفاء بما تقدم فقد يسوء النص تكرار اللفظ فيمله المتلقي، فيغني الحذف عنه مثلما أغنى الضمير عن تكرار الظاهر، والحذف

(١) قد يقع الحذف ويدل عليه عين في العلم الخارجي نحو: بيت. جملة حذف المبتدأ فيها اكتفاء بالإحالة إلى العالم الخارجي أي: هذا بيت. بالإيماءة أو الإشارة، والمعاينة تغني عن الذكر في الخطاب المنطوق.

يحسن في السرد (الحكي) في الكلام المتصل لدفع الملل والاختصار. وللحذف دلالته في المعنى، فهو أبلغ من الإظهار، فالمتكلم يأتي بعده بما يريد أن يخبر به، فيكون أبلغ في المعنى. مثل: من هذا؟ تقول: أخي. أي هذا أخي، فالمراد الخبر. وقولك: ما دينك؟ تقول: الإسلام. ومن ربك: الله. وهذا أبلغ، لأن المتكلم يخبر بالمراد مباشرة. فكثف الجملة في المذكور وجعله نواة الجملة، فيصل إلى المحذوف من خلال المذكور، فهو العمدة في القول، وقد قصد المتكلم إلى المعتمد من الكلام، فترك ذكر المعلوم[1]. وقد يفسر المحذوف العالمُ الخارجى بالإحالة إليه فى الخطاب المنطوق، وقد وظف كعب الحذف في قصيدته، ويمثل ظاهرة فيها ويعد من الروابط الأساسية التي وظفها، ويميزه أنه ربط بين الأبيات فتماسكت، وهذا يدفع اتهام القصيدة العمودية بالتفكيك أو أن البيت وحدة مستقلة، فظاهر الاستقلال في المعاني التامة التي انتهت بتمام البيت كقول كعب:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يوماً على آلة حدباء محمول

المعنى تام والجملة تامة، بيد أن هذا المعنى التام يدخل فيما تقدمه من الحديث عن القتل الذي سيلاقيه عندما يمثل أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا البيت الذي تضمن «حكمة» يدخل في سياق ما تقدمه، فالرابط ضمني وليس شكلياً، وكذلك الرابط في الحذف ضمني غير ظاهر في اللفظ فكأن المسند إلى المحذوف التصق بما يفسره فأسند إليه أيضاً، وهذا أبلغ. والحذف في العربية ميزة فيها ومُدحة لقدرتها على الدلالة باللفظ الثابت عما غاب عن النص، فالمحذوف ليس فراغاً في المعنى، لأن المذكور سد مسده، وقد يكون الحذف أبلغ من الذكر مثل الصمت عندما يكون أبلغ من الكلام في موقف يستوجبه، وبعض الحداثيين يسمونه المسكوت عنه أو الفراغ، والعربية لا تعرف الفراغ، فالفراغ بمعنى المحذوف من النص يملأه غيره، والمسكوت عنه لفظاً يفسره المقام ويدل عليه، والحذف ليس مطلقاً بل مشروط بإفادة معنى كالمبالغة أو التعظيم أو الاختصار أو للتعمية أو للاحتمال في مواضع تطلبه أو للعلم به، وهذا

(١) ارجع إلى: همع الهوامع، م ١٩١/١، ١٩٢، وم ١١/٢، ١٢، ١٣

الموضع يستحسن فيه الحذف، والحذف في الجملة الاسمية والفعلية واقع على سواء[١].

ويقع الحذف في المبتدأ أكثر من وقوعه في الخبر، لأنه الخبر محط الفائدة، وجيء به لمعنى ليس في المبتدأ، والابتداء يكون بمعلوم والإخبار يكون بمجهول، فالحذف يكون في المعلوم لعدم خفائه في الكلام، ويحذف المبتدأ أو الخبر وجوباً لمعنى يطلبه.[٢] والأصل في الجملة الاسمية أن يذكر المبتدأ والخبر، فإن وقع حذف، فالأولى أن يذكر الخبر ويحذف المبتدأ، لأن الخبر محط الفائدة ومعتمدها، وهذا ما أجراه كعب في قصيدته، فقد حذف المبتدأ للعلم به مقدماً واستبقى الخبر لفائدته[٣]، فهو إخبار عن المبتدأ، قال كعب في وصف سعاد:

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة   لا يشتكي قصر منها ولا طول

هيفاء: خبر عن سعاد، وقد حذف الميتدأ لتقدم ذكره في البيت الأول والثاني ،

---

(١) هنالك مواضع في العربية يجوز فيها الحذف في الجملة الاسمية، ومواضع تستوجبه، فالخبر ما علم من مبتدأ أو خبر، فالمبتدأ يحذف في جواب استفهام للتهويل أو التعظيم قال تعالى: (وما أدراك ما هية نار حامية) [القارعة: ٢،١] وبعد فاء الجزاء: (من عمل صالحاً فلنفسه) [فصلت: ٤٦] أي: فعمله لنفسه، ومثله: (وإن تخالطوهم فإخوانكم في الدين) [البقرة: ٢٢] أي فهم إخوانكم، وبعد إذا الفجائية: خرجت فإذا الأسد، والمعنى: فإذا القائم أو المعترض الأسد. وفي مقام التعظيم: (سورة أنزلناها) [النور: ١] والتهويل والتخويف نحو: (براءة من الله) [التوبة: ١]. أي هذه براءة. وأن يتقدمها جملة فيها خبر دل عليه نحو: (أكلها دائم وظلها) [الرعد: ٣٥] أي دائم، وقوله: (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) [المائدة: ٥] أي كذلك، لتقدم القول فيمن يحل الزواج بهن. وهنالك مواضع يترجح فيها حذف المبتدأ أو الخبر، وذلك بعد فاء السببية قال تعالى: (فصبر جميل) [يوسف: ١٨] أي: شأني صبر جميل، أو صبر جميل أمثل من غيره، جاز الابتداء بنكرة، لأنها موصوفة. وإن تعدد المبتدأ وأفرد الخبر اختلف العلماء في وقوعه لأحد المبتدأين، نحو: زيد وعمرو قائم، رجح سيبويه والمازني والمبرد أن يكون الخبر قائم للمذكور الأول. أي زيد قائم، والثاني خبره محذوف دل عليه الأول، وذهب ابن السراج وابن عصفور إلى عكسه فجعلوا الخبر للثاني لاتصاله به أو لقربه منه، ورأى آخرون بجواز الوجهين. ارجع إلى: همع الهوامع م ٣٩١،٣٩٠/١، وحذف الخبر في هذا الموضع جائز لدلالة الأول عليه.

(٢) يحذف المبتدأ وجوباً في المواضع الآتية:
- أن يقطع الوصف عما قبله لمدح أو لذم، فالمدح نحو: مررت بزيد العالمُ، أي: هو العالم. ولعنت أبا جهلٍ الكافرُ، أي هو الكافر. وذلك بالرفع لمعنى التعظيم أو التحقير والذم. وأن يخبر عنه بمصدر أغنى عن فعله نحو: سمع وطاعة، أي: أمري سمعٌ وطاعة. وأن يخبر عنه بمخصوص بمدح أو ذم وذلك بنعم أو بئس نحو: نعم الرجل زيد، أي «هو زيد»
- أن يقع بعد صريح القسم نحو: في ذمتي لأفعلن كذا، أي: قسمي أو يميني لأفعلن كذا.
- أن يأتي الخبر بعد سؤال نحو: من أنت؟ زيد (أنا زيد).
- أن يأتي الخبر بعد لاسيما نحو: لاسيما زيد، أي: لاسيّ الذي هو زيد. وسي مصدر عمل الفعل وما: اسم موصول، فاعل والجملة بعده صلته. ومثله: لا سواء على تقدير مبتدأ قبلهما: هذان لا سواء أولاهما سواء فسواء تكون لشيئين بينهما ترجيح. شرح الهوامع م ٣٩٢،٣٩١/١.

(٣) راجع إلى الأشباه والنظائر جـ ٦٢/٢

وأناب عنه الضمير هي ، ومثله " عجزاء" خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي، أو خبر ثان عند من أجاز تعدد الخبر، وهذا البيت تعلق بما قبله في الإخبار فلا يقطع عنه .

وقال كعب في وصف الناقة:

غلباءُ وجناءُ علكومٌ مذكرةٌ   في دَفها سعة قُدامها ميلُ

تعددت الأخبار لمبتدأ محذوف، وهو معلوم مما سبق، وذكـرت الأخبـار لكـمال الوصـف، وحذف المبتدأ ظاهرة في قصيدة كعب، وقد حـذف المبتـدأ في الجمـل التـي تناولـت موضـوعاً واحداً للإيجاز، فقد حـذف في الجمـل التـي تنـاول فيهـا وصـف الناقـة، فقـد ذكرهـا في مبتـدأ الوصف ثم أضمرها وأحال إليه، وحذف في المدح وحذف المبتدأ أبلغ في المدح، لـدخول المـادح على ما يفيد المدح، وهو المراد قال كعب في مدح المهاجرين: «شم العرانين أبطال»، فالحذف لا يكون في مواطن الاختلاف أو في سياق منفصل عـما قبلـه بـل يقـع في كـلام متـصل، لا يقطعـه دخيل. وذهب بعض العلماء إلى تقـديم حـذف الخـبر؛ لأن الحـذف اتـساع وتـصرف، وذلـك في الخبر دون المبتدأ، فالخبر مفرد وجامد ومشتق وجملة على تشعب أقسامها، والمبتـدأ لا يكـون إلا اسماً مفـرداً، والحـذف بالأعجـاز والأواخـر أليـق منـه بالـصدر والأوائـل، ولأن حذفـه راحـة واستجمام عند نهاية الكلام. وأرى أن حذف المبتدأ أولى للعلم به، والخبر ترتجي به الفائدة فـلا يحسن حذفه، وحذف المبتدأ كثير في القرآن الكريم وكلام العرب، وحذف الخبر مختلف فيـه[1]، وليس حذف الخبر في قصيدة كعب بظـاهرة مثـل حـذف المبتـدأ؛ لأن كعبـاً اعتمـده في إفـادة معانى جديدة في الوصف، والدفاع عن نفسه والمدح، والخبر فيه إفـادة ليـست في المبتـدأ. وقـد وقع الحذف في الجملة الاسمية، وتفسير ذلك أن كعباً اعتمد عليها في تأكيد المعنى، وهي الأبلغ في الوصف الثابت، والمحذوف

---

(١) جاء في القرآن: (فصبرٌ جميل) [يوسف:١٨] أي شأني صبر جميل أو صبري شأن جميل، وقيل: صبر جميل مبتدأ نكرة موصوف، وخبره صبر جميل أمثل من غيره. ومثله: (طاعة وقول معروف) [محمد: ٢١] أي المطلوب منكم طاعة وقول معروف. أو طاعة أمثل لكم. الأشباه والنظائر جـ ٦٢/٢، وهنالك جمل حذف فيها الخبر لدلالة المبتدأ عليه نحو: لعمرك لأفعلن، وأيمن الله لأفعلن، والخبر تقديره قسمي أو يميني، وأجاز ابن عصفور أن يكون المحذوف المبتدأ، والأرجح الأول؛ لأن المراد القسم المراد؛ لأنه كبد الكلام. وقولنا: نعم الرجل زيد. الأصل: زيد نعم هو الرجل الممدوح، فلا يحذف الخبر هنا إلا إذا سد مسده شيء.

المبتدأ فهو معلوم والمذكور الخبر، لأنه المطلوب في الإخبار، و«غلباء وجناء علكوم مذكرة»: أخبار مبتدأ واحد مقدر: «هي» يعود على الظاهر (عذافرة: الناقة الشديدة)، وقد سبق الحذف بخمسة أبيات، والشاعر يحيل إليه بالضمير المضمر في الفعل: «ترمي»، والظاهر في الاسم مضافاً: مقلَّدها، مقيدها، خلقها، ثم حذف المبتدأ؛ لأن السرد السابق عنها وليس فيه غيرها، فليس هنالك ما يشاركها الإسناد، فأتي المتكلم بالأخبار (وهي صفات)؛ لأنها المستهدفة في الإخبار، فالمراد تعديد مميزاتها، فهو مفتون بها فشغلته عن «سعاد» التي عدد مثالبها فلم يحمد خلقاً فيها، فكانت محاسن الناقة غناء عن مساوئ سعاد، فتشاغل بها عنها في وحدته ومعاناته. وقد حذف المبتدأ تعظيماً في مدح كعب المهاجرين رضي الله عنهم:

شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل

حذف المبتدأ «هم»، وتعدد الخبر: «شم العرانين أبطال»، وجاز حذفه في مقام المدح تعظيماً.[١]

وقد يحذف المبتدأ وخبره جملة قوله في وصف الناقة: «صخم مقلدها، عبل مقيدها» أي هي صخم مقلدها عبل مقيدها، ودليل الحذف أنه أحال إلى ذكر اسم الناقة المتقدم فيما سبق، وقال بعد ذلك «حرف» أي: «هي حرف» (شديدة صُلبة)، وقوله: «عيرانة» أي: هي عيرانة (تشبه العير في قوتها)، وقوله: «قنواء» أي: هي قنواء (أنفها أحدب)، وقد وقع الحذف في الجملة الاسمية أكثر من الجملة الفعلية؛ لكثرتها ولتوظيفها في الوصف والمدح ولعدم تداخل الموضوعات واضطرابها، فمكنه ذلك من رد الكلام إلى المتقدم والإحالة إليه. وقد استغنى الشاعر عن ذكر المبتدأ فيما مضى لتقدمه، فقد ذكر اسم «الناقة عذَافره»، ثم أحال إليها في كل المواضع، وقال في المهاجرين «في فتية من قريش» ثم أحال إليهم في الكلام المتصل اكتفاء بذكرهم أول حديثه عنهم، ذلك أنه كان يخلص الكلام لموضوع واحد حتى يفرغ منه، فيدخل في غيره. وقد اعتمد كعب الخبر في قصيدته،[٢] فهو عمدته وآلته في وصف سعاد

(١) ارجع إلى همع الهوامع م ٣٩٠/١
(٢) يحذف الخبر جوازاً إن تنازعه مبتدآن نحو: محمد وزيد قائم، فالخبر يجوز أن يكون للأول أو للثاني، ويقدر في الآخر، ولا يجوز أن يكون لهما معاً، لإفراده، فالخبر يقدر فيه ضمير المبتدأ نحو: زيد قائم هو، ولا يحتمل في هذا الموضع

وخلّاتها المجهولة لـدى المتلقـي فأثبتـه في الكـلام، وعـرض بـه وصـفاً دقيقـاً لمعـالم الناقـة وطبيعة الرحلة القاسية، ووظفه في الدفاع عن نفسه فساق به أدلة لم تك معلومـة، وأخـبر بـه عن معتقده الواضح وإيمانه الصادق الذي اتهمه الناس فيه، ووظفه في الحكمة التي ورثها عـن أبيه زهير والأفكار التأملية في الكون والحياة ومعاملـة البـشر، فالرجـل لـيس شـاعراً فقـط بـل صاحب فكر مستنير في بيئة مظلمة، وذكر الخبر ضروري في الاعتذار والمـدح، فكلاهـما يطلبـان جديداً يستقطب المتلقي ويؤثر فيه فيستملحه، ويستجيب له. واختلف النحاة في قـول كعـب: «إن الأماني والأحلام تضليل»، "الأحلامَ" بالنصب عطف عـلى اسـم إن، ويكـون الخـبر لهـما معـاً نحو: إن علياً وزيداً مجتهدان، ولا يجوز إن علياً وزيدٌ مجتهـدان؛ لأن الخـبر لهـما معـاً فوجـب الجمع بينهما عطفاً والرفع على القطع يستوجب إفراد الخبر لواحد منهما وتقديره محـذوفاً في الآخر، كقوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى مـن آمـن بـالله واليـوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [المائدة: ٦٩]، فالخبر مقيد بالإيمـان بـالله واليوم الآخر والعمل الصالح، والأرجح أن يكون الخبر للذين آمنوا دون مـن بعـدهم، والمعنـى: إن الذين آمنوا... فلا خوف عليهم ولا يحزنون، والذين هادوا والـصابئون والنـصارى مـن ءامـن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً منهم مع المؤمنين بعد أن يـدخلوا معهـم في الإيمـان، أو الـذين أمنوا منهم قبل الإسلام ... ولا يجوز أن يدخلوا مع

التثنية، ويحذف وجوباً إن وقع المبتدأ بعد لولا؛ لأنه معلوم بمقتضاها، فوجود المبتدأ مانع من وقوع الجواب نحو: لولا أبوك لضربتك. أي لولا أبوك موجود لضربتك، فموجود خبر دليل على كون عام غير مقيد، ولضربتك: جواب لولا، فحذف الخـبر، لأنـه يـدل عـلى كـون عـام وسـد الجواب مسده فحل محله في اللفظ، ويجوز إظهار الخبر إن دل على معنى تقيد حدوث الجواب به، ومنه حديث البخاري عن عائشة رضي الـلـه عنها: لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبـراهيم عليـه الـصلاة والـسلام، فـإن قريـشاً استقـصرت بنـاءه، وجعلت له خلفاً» أي باباً، صحيح البخاري، كتاب الحج، ورواه النحاة بلفظ: لولا قومك حديثو عَهْد بكفـر» وهـو الـشاهد، فحـديثو عهـد بكفر خبر قيد صفة إعادة بناء البيت على بناء إبراهيم عليه السلام،ورواية البخاري لا شاهد فيها، وزعم النَّحاة أن الـراوي بـدَّل في الروايـة لمخالفة النص مذهبهم في كون خبر المبتدأ محذوفاً، فتركوا الاحتجاج به. ارجع إلى: همع الهوامع م ٣٩٣/١ ويحذف الخبر بعد قسم صريـح نحو: و الـلـه لأفعلن كذا. أي و الـلـه يميني أو قسمي، فوجب حذفه لكونه معلوماً، وسد جواب القسم مسده، بخلاف غير الـصريح نحـو: عليّ عهد الـلـه لأفعلن كذا. ويجوز أن يقدر المحذوف مبتدأ: قسمي و الـلـه. ويحذف إذا وقع المبتدأ بعـد واو المعيـة لدلالـة الـواو عليـه معنى نحو: كل رجل وصاحبه أي مقترنان أو متصاحبان. ويحذف إن كان المبتدأ مصدراً نصب حـالاً، ضربي زيـداً قائمـاً، فالحـال سـد مـسد الخبر، ومثله قول العرب حسبك ينم الناس، قيل حسبك اسم مبني سمي به الفعل، والخبر محذوف تقدير: حسبك الـسكوت يـنم النـاس. همع الهوامع ٣٩٥،٣٩٤/١.

المؤمنين في العطف لاختلافهم معهم في الإيمان، فقد خرجوا منه بعدم دخولهم في الإسلام ودليل ذلك الرفع في الصابئين، وهو مخالف للنصب في الذين آمنوا والرفع قرينة أخرى مع شرط من آمن بالله واليوم الآخر فله ما للمؤمنين في الآخرة من حسن الجزاء والأمن و الله أعلم، وجاء النصب في قوله تعالى: (إن ... والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر...) [البقرة:٦٢] وفيها قرينة الإيمان بالله واليوم الآخر والرسول محمد صلى الله عليه وسلم [١]، وقد منع العلماء أن يكون الخبر لاسمين متخالفين في الإعراب، كقولهم: إنك وزيد ذاهبان، لوجود ضمير المثنى للدلالة عليهما. وأجازوه في الأخبار التي يؤول فيها العدد أو لا تقيد بعدد نحو: إن زيداً وعمراً في الدار، جائز عندهم، واستدلوا بالآية السابقة؛ لأن الخبر عام بقيد الإيمان والعمل الصالح فمن فعل ذلك من اليهود والنصارى والصابئين دخل في الأُوَّل (الذين آمنوا)، وقول كعب يدخل شاهداً في ذلك فتضليل مصدر، والمصدر يخبر به عن الواحد فما فوقه؛ لأنه عام في العدد والنوع، والذين قالوا إنه خبر للأول «الأماني» أو الثاني «الأحلام» جانبوا الأرجح، ويجوز قولهم إن حمل لفظ تضليل على الاسمية، أما دلالته على المصدر فلا، وإن حملناه على الاسمية، فالأرجح أن يكون خبراً للاسم المتقدم والثاني مبتدأ خبر محذوف ومقدر، والجملة اعتراض بين المبتدأ الأول وخبره المحذوف، ودل المذكور على المحذوف إن الأماني -والأحلام كذلك- تضليل، ودليل هذا الوجه قول ضابئ البرجمي: [٢]

فمن يك أمسى بالمدينة رحلة　　　فإني وقيار[٣] بها لغريب

الخبر «لغريب» خبر اسم «إن» لدخول اللام عليه فلا يصح أن تدخل اللام على الخبر دون «إن»، والمعنى: فإني لغريب بها وقيار غريب بها أيضاً. فقيار: مبتدأ حذف خبره، واعترض الجملةَ بين المبتدأ والخبر في «فإني بها لغريب»، وبعض العلماء رجحوا أن يكون الخبر المذكور للثاني واستدلوا بقراءة قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) [الأحزاب: ٥٦] برفع «ملائكته» على أنه مبتدأ خبره ما بعده لاتصال

---

(١) ارجع إلى: تفسير القرطبي جـ ٢١٦،٢١٥/٦. وجـ ٤١١/١، ٤١٢ .
(٢) ارجع إلى: همع الهوامع م ٢٩٢،٢٩١/١ والقرطبي ٢١٦/٦ .
(٣) قيار اسم فرسه. وارجع إلى الحمل على اللفظ والمعنى للدكتور محمود عكاشة ص ١٤٣،١٤٢.

به دون فاصل، والمعنى: إن الـلـه يصلي وملائكته يصلون عليه صلى الـلـه عليه وسـلم ، واستدلوا بقول الشاعر[1]:

خليلي هل طبٌّ فإني وأنتما   وإن لم تبوحا بالهوى دنفان

فالخبر للاثنين، وليس للجمع بدخوله معهـما، ودنـف يوصـف بـه النوعـان والواحـد فـما فوقه كالمصدر، ويجوز تثنيته وجمعه ولا يخبر بالمثنى عن الواحد أو الجمـع، وقـد رد أصـحاب الرأي الأول عليهم أن مجيء الجمع في الآية يـصلون لا يمنـع أن يكـون الخـبر «يـصلون» واقعـاً للفظ الجلالة لجواز الإخبار عن المفرد بالجمع تعظيماً، واستخدام ضمير الجمع مع المفرد لهـذا المعنى جائز لرب العالمين، قال تعـالى: (قـال رب ارجعـون) [المؤمنـون: ٩٩] وذلـك في مخاطبـة الرب تعظيماً: والأصل: ربي ارجعني، وقال تعالى معظـماً ذاتـه: (إنـا نحـن نزلنـا الـذكر وإنـا لـه لحافظون) [الحجر: ٩] والبيت وحده في هذا لا يعد حجة دامغة، فقائله مجهول، وقول كعـب «إن الأماني والأحلام تضليل».[2] ليس من هذه الوجوه في شيء، لأن تضليل مـصدر والإخبـار بـه عام في العدد والنـوع، والمعنـى: إن الأمـاني والأحـلام ذوات تـضليل. ووقـع الحـذف في الجملـة الفعلية في المواضع التي علم فيها المحذوف، فقـد حـذف الفعـل لوجـود سـابق يـدل عليـه أو لدلالة السياق عليه قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقـولن الـلــهُ) [الزخـرف: ٨٧] برفـع الـلـه تعالى- والتقدير: خلقهم الـلـه ولا يقدر خبراً محذوف، لدلالة غيرها على المحذوف الفعل قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العلـيم) [الزخـرف: ٩] فالسؤال عمن خلق، فيكون الجواب بلفظ السؤال. [3]

وقد دل على المحذوف الفعل خلق في السؤال، وقد يحذف المفعول لمعنى يطلبـه منـه أو العلم به كما تقدم أو تقدمه في الكلام فأغنى الحذف عن إعادته، ومنه التعميم في

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير ص١٥٧، ولسان العرب، دنف. دنف: براه المـرض، ويجـوز إفـراده مـع المثنـى والجميـع، ويوصـف بـه المـذكر والمؤنث على لفظه.
(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ١٥٥، ١٥٦ ، والحمل على اللفظ والمعنى للدكتور محمود عكاشـة ص ١٤٢، ١٤٣ وقـد توسـع المؤلـف في بحث هذا الموضوع.
(٣) الأشباه والنظائر جـ ٦٢/٢ .

المعنى نحو: (يحيي ويميت) [البقرة: ٢٥٨] أي يحيي ما كان ميتاً، ويميت كل حي، وقد يحذف للجهل به نحو: ولدت فلانة. أي ولدت طفلاً أو بنتاً، أو للخوف نحو: أبغضت في الله، وحذف المفعول للخوف منه أو حذف دفعاً للحرج كياسة، ولقصد عدم التعيين نحو: (من يظلم نذقه عذاباً) [الفرقان: ١٩] أو للإطلاق نحو: (فعَّال لما يريد) [هود: ١٠٧] أي: لما يريده سبحانه. أو للتعظيم نحو: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) [المجادلة: ٢١] أي: أغلب كل كفار عنيد. ومنه الإيجاز للعلم به: (واسمعوا وأطيعوا) [التغابن: ١٦]، والمشاكلة نحو: (وأنه أضحك وأبكى) [النجم: ٤٣،٤٢] فالإضحاك شاكل الإبكاء فحذف المفعولين.[1] وقد يحذف المفعول لتناسب الفواصل، وهذا في القرآن الكريم: (ما ودعك ربك وما قلى) [الضحى: ٣] أي قلاك، ومثله ضرورة الشعر للوزن أو للقافية. ويحذف المفعول لأثر العمل نحوي، ومنه حذفه بعد لولا نحو: (لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) [الرعد: ٣١] حذف المفعول «هُدَى النـاسِ» لمجيئه في جواب لولا.[2] وحذف مفعول أحد الفعلين المتنازعين في قوله: أرجو وآملُ أن تدنوا مودتها، وجاز تنازعهما، لأنهما في معنى واحد، فالرجاء الأمل، ووقع العطف بينهما لاختلاف اللفظ قال تعالى: (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) [آل عمران: ١٤٦] والعلماء يرون إعمال الثاني وحذف مفعول الأول لقرب الثاني من المفعول فيكون دليلاً على حذف الأول فالأولى بالإعمال الأقرب، وبعض العلماء أجاز أن يكون

---

(١) همع الهوامع م ١٣،١٢/٢ .

(٢) ارجع إلى: همع الهوامع م ١٣،١٢،١١/٢. وقد يجر بباء زائدة نحو: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) [البقرة: ١٩٥]، (وهزي إليك بجذع النخلة) [مريم: ٢٥]، (ومن يرد فيه بإلحاد) [الحج: ٢٥]، أي أيديكم، وجذع النخلة، وإلحاداً، كما تزاد الباء أيضاً ولكن بصورة قليلة في مفعول ما يتعدى لاثنين، كما في قول حسان بن ثابت الديوان ص١٠٧:

تبلت فؤادك في المنام خريدة   تسقي الضجيع ببارد بسام

الديوان ١٠٧، والأغاني، دار الكتب، ١٣٣/٤، والسيرة جـ١٧/٣، والخريدة: الحبيبة الساكنة والجمع: خُرد وخرائد. والضجيع: المضاجع. وزيدت أيضاً في مفعول كفى المتعدية لواحد، ومنه الحديث: «كفى بالمرء كذباً أن يُحدث بكل ما يسمع». وقد زيدت الباء للتقوية والتأكيد والملاصقة.

المفعول للفعل الأول «أرجو»، وحذفوا مفعول الثاني.[1] وحـذف المفعـول في قـول كعـب: «فلا يغرنك ما منت وما وعدت» الفعل منّى متعدٍ لمفعولين، فالأصل: منتكه أو منتك إياه، ومـا قبلها اسم موصول، والضمير يعود عليـه، فـما اسـم، والأرجـح أن نقـدر الـضمير الثـاني متـصلاً: منتكه، لامتناع العائد المنفصل في منتك إياه عند بعض النحاة، وأجازه ابـن هـشام في القليـل[2] ووعد يتعدى إلى مفعولين أيضاً قال تعالى: (وعدكم الـلـه مغانم كثيرة) [الفتح: ٢٠] فالأصل: ما وعدتكه، ويجوز ما وعدتك إياه، وقد حذف المفعولين للعلم بهما، فالوعد بالخير على المـشهور بخلاف الوعيد والتوعد، وقد وعدته الوصل والتمني في الخير، وقد منته الوصل. وبعض الأفعال سمع فيها التعدي واللزوم فتتعدى بالحرف، ومن ذلك: «تجلوا عوارض» تجلوا: تكـشف، ومنـه جلوت الخبر أي كشفته وأوضحته، وجلا الخبر نفسه: اتضح وانكـشف، فهـو لازم مثـل: شـكرته وشكرت له، ونصحته ونصحت له. ومثله: «صدقت موعُودَها»، والأصل: صـدقت في موعودهـا، وموعود بمعنى وعد، ويقال صدقتني في الوعد، ووقع موعـود مفعـولاً توسـعاً، ويجـوز أن يقـع المصدر مفعولاً وينتصب على الحقيقة إن قدرته اسماً للموعود به، فأسقط حرف الجـر توسـعاً، فموعود منصوب بعد نزع الخافض. ومثله: «تُمسَّك» في «ولا تمسك بالعهد»، تمسَّك (بفتح التاء وتشديد السين، أصلها تتمـسك بتـاءين)، فحـذفت إحـداهما تخفيفـاً، وهـذا كثـير في العربيـة. ومسَّك وتمسَّك لازمان يقال: مسك بالشيء وتمسَّك به، وأمسك به، واستمسك به، وتماسك

(١) الأرجح إعمال الثاني في المفعول الذي اتصل به، لأنه الأقرب إليه. وأجاز بعضهم إعمال الثاني، وهذا خلاف وقوع خبر واحـد لمبتـدأين نحـو: إن الأماني والأحلام تضليل، قيل خبر للأول على الأرجح، وأرى أنه خبر لهما معاً؛ لأنه مصدر، والمصدر يقع للواحـد والمثنـى والجمـع، فلـيس بشاهد، والشاهد قول ضابئ البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحلة　　　فإني وقيار بها لغريب

أي لغريبان، والأصل: فإني غريب بها وقيار، الخبر الأول بدليل اللام مع إن. وأرى أن الوهن أشد من الضعف، ومن ثم قدم سبحانه الأقوى على الأقل، لإفادة معنى أنهم لم يدركهم الكثير منه ولا القليل لما أصابهم فهم أشداء. و الـلـه أعلم، ومثلـه (إنمـا أشـكو بثـي وحـزني إلى الـلــه) [يوسف: ٨٦] ارجع إلى شرح كعب ص ١٦٣ وص ١٥٦ .

(٢) شرح قصيدة كعب ص ١٥٣ أوجب العلماء اتصال الضميرين متحدي الرتبة كضميري المفعولين قال تعالى: (ومما رزقناهم ينفقون) [البقرة: ٣] أي ومما رزقناهموه ينفقونه، ولا يجوز: رزقكم إياه، فلزم اتصال الضميرين المتحدي الرتبة، وإن قدّر المفعول الثاني منفـصلاً لـزم حـذف المنفصل، ولكن ابن هشام لم ير لزوم حذفه على الإطلاق، بل يجوز ذكره.

وامتسك كلها لازمة، قال تعالى: (فقد استمسك بالعروة الوثقى) [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: (ولا تُمْسكوا بعصم الكوافر) [الممتحنة: ١٠] من أمسك، وقرئ (ولا تُمسَّكوا) أي: تتمسكوا، وقرئ بفتحها في غير السبع (تَمْسكوا) [١] من مسَك، وسمع فيه التعدي: أمسك الشيء: حبسه، وأمسكت الأرض الماء فانتفع به الناس، وأمسك اللصَ وأمسك به أدركه. [٢] وقد ناب الوصف موضع الموصوف في قوله: «من خادر من ليوث الأسد» أي: من أسد خادر فحذف الأسد، وخادر من الخِدر (الأجمة التي يسكنها)، والمعنى: أنه صلى الله عليه وسلم كأسد في مسكن آمن. وناب المضاف موضع المضاف إليه بعد حذفه نحو: مسكنه... غيل دونه غيل» أي مكان مسكنه غيل دونه غيل، وقد تنوب الألف واللام عن المضاف مثل قول كعب: أو لو أن النصح مقبول، فالألف واللام خلف من ضمير الإضافة، والأصل: نصحها مثل قوله تعالى: (واشتعل الرأس شيباً) [مريم: ٤] أي: رأسي، وقوله: (فإن الجنة هي المأوى) [النازعات: ٤١] أي: مأواه، ومثله: الحسن الوجهُ، أي: وجهه. وقد حذف الجار والمجرور في قول كعب: "إنك منسوب ومسئول» أي: منسوب إليك قول فيه صلى الله عليه وسلم ، ومسئول عما نسب إليك فيه صلى الله عليه وسلم ، فاسم المفعول من: نسب، ونسب إليه كذا: ادّعاه له، ومسئول من سأل، يقال سأله عن كذا: استفهمه. وقد يحذف الحرف وحده، ومن ذلك قول كعب: أنبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعدني»، [٣] حذف الباء قال تعالى: (أنبئهم بأسمائهم) [البقرة: ٣٣] و(نبئوني بعلم) [الأنعام: ١٤٣] فحذف كعب الباء، وقيل إنه حمل أنبأ على معنى أعلم وأرى المتعديين إلى مفعولين، فسدت الجملة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعدني» مسدهما، فاتصل الفعل أنبأ بالجملة، وحرف الجر موصّل إلى المفعول إن ضعف الفعل عن الوصول إليه، وقد وقع الحذف فيما سبق

---

(١) التشديد في (تَمسَّك) بالتشديد، التشديد دليل الحذف في التاء، والأصل: تتمسك وليس لمعنى التكثير والتشديد؛ لأن التضعيف أصل في البناء، والتضعيف للتكثير والتشديد مثل: خبَّر، وحدَّث لكثرة الإخبار والتحديث، وليست للتعدية لواحد كفرّحته، ولا للاثنين كعلّمته الحساب، ومثل مسَّك: حوَّل وطوَّق، ولفَّق، وعدَّد، أفعال موضوعة على التضعيف.

(٢) لسان العرب م ٢٨٦/٨

(٣) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ٢٧١

جوازاً توسعاً؛ لحاجة المعنى إليه كما في سياق المدح، وللاختصار كـما في الـسرد، وقـد خـلا الحذف من التكلف واللبس، ولم يخرق عرف العربية فقد عمل كعب بالوجوه الجائزة ووظفـه لمعاني ساهمت في مضمون القصيدة العامة، والحذف لم يبتر تواصل الكلام واتـصال المعـاني، ولم يترك فراغاً لخيال المتلقي بل اعتمد على المذكور المتقـدم فـلا حاجـة إلى إعـادة تكريـر المتقـدم رغبة في الاختصار، ودفعاً للملل من طول الكلام، وقد وظفه كعـب في الوصـف الـذي اسـتغرق مساحة كبيرة من القصيدة؛ لأنه وحّد الموضوع واكتفى بالإحالة إلى المتقـدم، لـئلا يكـرر فيمـل المتلقي، وهذا مقام يستحسن فيه الحذف، ولم يضر ذلك بدقة الوصف وحسن العرض، ولاشـك أن المتلقي يربط اللاحق بالسابق المتصل به، وكان كعب يعيد ذكر شيء عن المتقدم كلـما بعـد العهد به لئلا ينساه المتلقي، فيحضره إلى النص بلفظة مثلما أعاد ذكر سعاد بعد تقـادم العهـد بها، أو يذكر شيئاً من صفاته المعلومة مثلما ذكر صفات الناقة، فـلا شـك أن الحـذف سـاهم في تماسك البنية النصية، فغياب المحذوف يستدعي إلحاق المتأخر بالمتقدم المذكور وإسناده إليـه. والحذف يربط النص اللغوى بالعالم الخارجى، فقد يحيل المتكلم إلى العالم الخـارجى، فيحـذف ما يشير إليه اكتفاء بمعاينته خارج النص، وذلك فى الخطاب المنطوق.

لقد تماسكت الجمل في قصيدة كعب، وأبرز عناصر الربط التي لحمت بينها الضمائر التي وظفها الشاعر في موضعها، فلم تشذ عن عرف كلام العرب الفـصحاء، وفـصل مـن ذلـك إلى أن الضمائر تمثل أهم عناصر الربط بين الجمل، وأكثرها استعمالاً، ولم يستخدم الشاعر اسم الإشارة كثيراً، لأنه في مقام «الحـكي» وقـد اسـتغرق معظـم القـصيدة، ولم يـستخدم التكـرار كثـيراً، لأن الضمير أغنى عن إعادة ذكر الاسم، ومقام الشعر لا يتـسع لـه إلا لحاجـة المعنـى بأقـصر لفـظ وأدل معنى. والقصيدة على طولها -ليست مفككـة، فهـي مرتبـة، لأن الـشاعر رتـب الأحـداث وتطورها من الماضي إلى مقام الاعتذار وجعلها بسبب مـن بعـضها، فرصـد الأحـداث متسلـسلة دون تقديم أو تأخير، فهجر سعاد أغراه بالوصول إليها، والوصول إليهـا اسـتطلب وسـيلة سـفر تقوى على السفر في ظروف قاسية، والصبر على السفر والمفازة من الهـلاك يعقبـه الوصـول إلى القصد، وهنا التحول المفاجئ، فالشاعر عمى على الناس مقصده من

السفر خشية الطلب، لأن بعض البدو في البوادي التي قطعها لمّا يسلموا، وكان من المتوقع لدى المتلقي أن يصل كعب إلى سعاد فيفوز بها، ولكنه ذكر أن من أحاط بناقته ليس قوم سعاد وأنها لم تك في انتظاره بل أحاط به وشاة خوّفوه وأعاقوا مقصده، فكشف بعد عناء أن قصده الوصول إلى الإيمان وأن رحلته قطعها إليه، وليس قصده سعاد التي ترمز إلى الدنيا وفعالها به، وهذا المضمون العام شكل تماسكاً كلياً في النص، وترابط الجمل واتصالها شكل هذا البناء العام المتماسك، وتميزت بنية الجمل وتماسكها بما يأتي:

– أن الشاعر اعتمد على الجمل القصيرة البسيطة غير المعقدة، لأنها أسرع فهماً وتأثيراً في المتلقي، فليس في الجمل غريب أو ملبس على الأفهام، فاللغة مباشرة والجمل بسيطة، والمعاني قريبة، والأفكار مرتبة، وهذا من أثر الإعداد الجيد والتنقيح، فكعب من مدرسة الصنعة التي أسسها زهير الذي عرف بالحوليات لمكثه زمناً في تنقيح شعره وتجويده، وقد تأثر كعب بمنهج أبيه في إجادة حبك النص وسبكه في قوالب لفظية متماسكة وبليغة.

– أن بعض الجمل جاءت بسبب من بعضها عن علة تطلبها، وأن ترتيبها منطقي، وأنها جزاء لما تقدم، وهذا الربط المنطقي الذهني بين بعض الجمل ساهم في تماسك النص الكلي، فالجملة تؤدي إلى ما بعدها، وتتعلق بما التي قبلها، أوالثانية بسبب من الأولى، فلا غناء لها عنها.

– أن الشاعر وظف الحذف في الربط بين الجمل، فما تقدم أحال إليه بالضمير والإشارة دون إعادة لفظه الظاهر، وأسند بعض ما تأخر إلى متقدم، فحذف المبتدأ في مقامه المعلوم اختصاراً، وحذف جواب الشرط لوجود ما يدل عليه من الكلام المذكور، وحذف الخبر للعلم به، وحذف المفاعيل المعلومة من المعنى، فاعتمد المحذوف على المذكور المتقدم أو ما نزل منزلة المحذوف كالخبر الذي دل على جواب الشرط المحذوف، والحال التي تسد مسد الخبر، والتنازع، واستوجب الحذف الاعتماد على المذكور، فتماسكت البنية الشكلية.

– أن الشاعر نجح في ربط الجمل، والإمساك برقابها في معانٍ متصلة، والالتحام بين التراكيب على مستوى البيت دون فصل، والاتصال بين بعض الأبيات على

مستوى اللفظ أو المعنى أو عليهما معاً، وقد امتدت بعض معانيه إلى البيت فأكثر، وهذا يدفع ما ادعاه بعض المعاصرين أن البيت وحدة بناء القصيدة العمودية.

- أن بعض الجمل طويلة، وطول الجملة لكثرة ما بها من متعلقات كالجار والمجرور والظروف والأحوال وتعدد الوصف وما يتعلق بالجملة من جملة الحال وجملة الصفة والجمل الاعتراضية والمعطوفة، فقد زاد في الجملة ما يحتاجه المعنى دون حشو، ولم تضطره ضرورة لحشو، وهذه لا يعني أنه مستطرد في المواضع التي لا تطلب تفصيلاً، فالشاعر عمد إلى الإيجاز الشديد، فأغنى المتقدم على الشرط على جوابه، وأغنى ما يدل على القسم في جوابه عن ذكره وسد الحال مسد الخبر وسد الخبر مسد جواب الشرط. ولكنه في مواضع أخرى تتكاثر عليه المعاني والخواطر، وتلح عليه غزارته على تأكيد معانيه وتدعيم حجته وتقويتها فيسترسل في الوصف، ويستطرد في ذكر الأدلة ويوظف المؤكدات للدفاع عن نفسه، وهذا شأن المحتج. والتعبير عن هذه المعاني والوصف الدقيق للأشياء التي وظفها في التأثير، والأدلة التي جندها في الدفاع عن نفسه تتطلب زيادة في اللفظ، فزاد في بعض المواضع ألفاظاً وتراكيباً وجملاً تعلقت ببنية النص الأصلية، وهذه المتعلقات تزيد من طول الجملة وليس هذا بعيب، فقد كثف الشاعر معاني كثيرة في هذه المتعلقات، والتركيب في حاجة إليها لاستيفاء المعنى، والوصف يتطلب سرداً، ومن ثم استخدم وزناً طويلاً، وهو بحر البسيط مستفعلن فاعلن أربع مرات، وقد استطاع الشاعر أن يحشو الجملة بها، لئلا يترك فرجة في المعنى، وقد أتت ملاصقة التركيب فهي بمنزلة اللواصق الداخلية بين أجزاء الجملة، وجاءت متممة لمعناها، وليست بحشو زائد يمكن الاستغناء عنه، وقد ساعد على ذلك طول البيت، ووقوع خاتمة التركيب في معظم الأبيات في قافيتها، وقد تحققت بذلك وحدة البيت وتماسكه، فالتركيب متلاحم الأجزاء، وتعلقت كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره وأخذ بعضها برقاب بعض، فلا يستغني عنها في إتمام المعنى، وربط الشاعر بين الجمل والعالم الخارجى وذلك فى مقام الخطاب المباشر (أنت، أنتم) والإشارة إلى العالم الخارجى والحذف الذى فسره ما تقدم والأعيان الخارجية، والجمل المباشرة التى عبرت عن السياق الخارجى، واستحضار الزمن والتفاعل المباشر مع الأحداث.

الفصل الابع

الربط اللفظي

التماسك النصي (الشكلي) cohesion يتحقق بروابط لفظية تربط بين الألفاظ والجمـل، ومنها الضمائر الظاهرة (وبعضها مضمر في اللفظ يدل عليه لفـظ مـذكور أو يحيـل إلى عـين في العالم الخارجي)، وأسماء الإشـارة وهـي ظـاهرة في اللفـظ، (قـد تـضمر أيـضاً للعلـم بهـا، فتحذف لمعنى)، وتحيل أيضاً إلى العالم الخارجي، وأدوات العطف تظهر في اللفظ، ولا تضمر إن احتمـل الـسياق التنـوع، وتتحقـق عنهـا علاقـات العطـف Conjunctive Relations بـين الألفاظ والجمل[1] .

والروابط منها الحرفي والاسمى، فالحرفي مثل حروف العطف التي تربط بين الألفاظ في الجمل، وتربط بين الجمل أيضاً، فهي تربط بين اسمين وجملتين، وبعض الحروف تـربط بـين جملتين فقط كحروف الشرط مثل «إن» نحو: إن جاء محمد أكرمته، وبعض الحروف تـربط بين فعل واسم كحروف الجر نحو: جاء محمد بالأكل [2] .

والـرابط الاسـمى مثـل : أسـماء الإشـارة التـي تحيـل إلى متقـدم أو معهـود في العـالم الخارجي، أو متـأخر في الكـلام مثـل: هـذا قلـم، وهـذه كراسـة، ويعاينهـا المتلقـي في العـالم الخارجي، والمشار إليه المعاين يتأخر في اللفظ والضمائر (والأصل فيها الإضـمار، وأظهـرت في اللفظ)، وأسماء الشرط التي تدل على اسم الموصول مثل: من، ما، وتربط بين جملتي الشرط والجزاء، ومنها مختلف فيه بين الحرفية والاسمية نحو: إذ وإذا ، ومنها الحروف لو ، ولولا.

---

(١) التماسك أو الترابط نوعان: تماسـك شـكلي أو نـصي Cehesien ويـسمى في العربيـة الـسبك ويكـون في الألفاظ، وتماسك معنوي coherence وهو تناسق المعاني وائتلافها ويسمي عند البلاغيين الحبك.

(٢) ارجع إلى: الأشباه والنظائر جـ١٨/١ .

وهذه العناصر تحقق الترابط بين الجملة بعناصرها الداخلية وما يجاورها من جمل أخرى، فتشكل في مجموعها العام نصاً يعتمد على علاقات تربط بين بنيته الداخلية، وبعض هذه العناصر تربط النص بعالمه الخارجي الذي شارك في إنتاجه، وهي الضمائر وأسماء الإشارة، وهي أسماء مبهمة تحتاج مفسراً داخلياً (في النص) أو خارجياً (في العالم الخارجي أو السياق غير اللغوي). والرابط الضميري والإشاري يحيلان إلى متقدم مكتوب أو منطوق، فيربطا المتأخر بالمتقدم، أو يحيلان إلى العالم الخارجي الذي ولد فيه النص فشارك في إنتاجه، ويفسر في ضوئه أو إلى معهود ذهني بين طرفي الاتصال.

وهذا يستدعي تفسير مفهوم الإحالة Reference في الكلام الإماءة باللفظ إلى لفظ سابق أو معناه أو مضمون قول ونوطه به، أو إشارة اللفظ إلى شيء في العالم الخارجي والاستدلال به على مراده، فيتحول المعنى إليه، ويفسر اللفظ المرموز به في ضوء المشار إليه.

وهي نوعان: الإحالة النصية، والإحالة المقامية [١] .

أولاً- الإحالة النصية Texluol : الرجوع إلى متقدم، وذلك بالإشارة والضمير إلى شيء في اللغة أو في النص.

وفيها نوعان:

الأول- إحالة إلى سابق في الكلام أو متقدم في اللفظ anaphoro ، ويعد اللفظ السابق مفسراً لها ومحدداً مرادها، وهي الأكثر دوراناً في الكلام.

وهذه الإحالة بالضمير أو بالإشارة أو بالموصول فهي تحتاج إلى ما يبينها لخفاء المراد بها، ومن ثم تعود إلى متقدم في اللفظ [٢] . والمتقدم قد يكون لفظاً أو قولاً، فيحيل المشير إلى مضمونه .

الثاني- الإحالة إلى اللاحق cataphora (الإحالة البعدية) وتعني الإشارة بالضمير أو بالإشارة إلى مذكور بعدهما في النص أو لاحق عليهما، والإحالة هنا إحالة

---

(١) Cohesion in English p33 وقد ذكر المؤلفان أن الإحالة تكون قبلية تشير إلى سابق أو بعدية تشير إلى لاحق، والضمير في العربية والإشارة يحيلان إلى متقدم في النص.

(٢) ارجع إلى: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. عفيفي ط٢٠٠١/١م زهراء الشرق ص١١٧ ، وقد يحيل الضمير واسم الإشارة إلى متأخر، وسوف نبين ذلك.

داخل النص Endaphro .

ويعود الضمير فيها على متأخر، والأصل أن يعود الضمير على متقدم رتبة؛ لأنه مبهم في عوذ إلى ما يبينه، وقد عاد الضمير على متأخر في بعض المواضع التي زال عنها اللبس، وجاء فيها ما يبينه، وذلك لضرورة يطلبها المعنى، ويسمى هذا في عرف اللغويين المرجعية اللاحقة CATAPHORIC REFERNCE [(١)] .

ثانياً- الإحالة الخارجية: وهي التي تحيل إلى شيء في العالم الخارجي، فقد يحيل الضمير أو اسم الإشارة إلى شيء خارج اللغة، فيفسره المشار إليه، وتفسر لغة والنص في ضوء علاقتهما بالأشياء والمواقف في العالم الخارجي، فالكلمات والضمائر والإشارات تدل على أشياء في العالم الخارجي، والخطاب المنطوق أكثر تفاعلاً من النص المكتوب مع العالم الخارجي، وهو أكثر إحالة إليه وأكثر تفاعلاً مع الموقف الخارجي، فالإحالة العلاقة بين اللغة والأشياء Objects والأحداث Events والمواقف situations .

وهذا النوع يربط اللغة بالعالم الخارجي، فتكون أكثر فاعلية وتأثيراً في المتلقي، فهي لا تفسر في ضوء النص وحده بل في ضوء علاقتها بالعالم الخارجي، وهذا يستوجب العودة إلى ظروف إنتاج النص للوقوف على قصده الحقيقي، واجتزاء النص التراثي عن ظروف إنتاجه لا يعطي تفسيراً وافياً لمراده، وهذا التفسير لا يتجاوز رؤية المفسر التي عكسها عليه والمعنى المعجمي لبنائه الشكلي[(٢)] .

وقد تكون الإحالة إلى معهود ذهني معلوم لطرفي الاتصال، وهذا يدخل في الإحالة الخارجية، فما يضمره طرفا الاتصال بمنزلة العالم الخارجي للنص، وهذا المعهود الذهني يفسره سياق الكلام والمقام الخارجي، وقد ترجع الإحالة على شيء معلوم لا يحتاج ذكراً فيعتمد المتكلم على معرفة المتلقي وشهرة ما أحال إليه، وهذا الغائب في اللفظ والمضمر في النفس يحتاج ما يؤكد المراد به في اللفظ.

قال تعالى: **(قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين)** [البقرة:٩٧] الإحالة إلى القرآن الكريم،

(١) حصر ابن هشام المواضع التي يعود فيها الضمير على متأخر: ارجع إلى مغني اللبيب جـ١٠٨/٢، ١١٢، وارجع إلى الأشباه والنظائر للسيوطي جـ٤٧/١ وسوف نتناولها وافية مستقبلاً في الضمائر، إن شاء الله تعالى.
(٢) النص والخطاب والأجراء ص١٤ .

بالضمير "في نزله" ولم ينص عليه في الكلام بذكره بل أحال إليه بالضمير، وأردفه بما يغني عن ذكره: **(نزله على قلبك مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين)** فاستغنى عن ذكره لشهرته ولذكر صفاته تعظيماً له [(١)] ، والمقام يغني عن ذكره.

والإحالة من عناصر النص واتساقه، فهي تربط بين أجزائه كما تربطه بالعالم الخارجي، وتحقق نوعاً من الإيجاز، وهي تخضع للمطابقة بين المحيل والمحال إليه في اللفظ أو في المعنى، ويشترط في النوعين أن يكون المحال إليه معلوماً بين طرفي التواصل، فلا يحيل المشار به إلى أشياء تحتمل عودته إليها جميعها بل إلى معين في النص، وإن كان خارج النص فلابد أن يكون لها حضوراً معايناً، ليفهم المتلقي مرادها.

وأدوات الإحالة الضمائر وأسماء الإشارة والاسم الموصول، وكل اسم يفسر في ضوء النص، فإحالته نصية لتقدم صاحبه عليه وملاصقته له؛ لأن اسم الموصول شديد الإبهام وتصاحبه صلته التي ترفع عنه إبهامه، والإحالة به وهو وصف فقط، وتعد الضمائر أبرز أدوات الإحالة ؛ لأنها تحيل إلى كل الأسماء وتحيل إلى العالم الخارجي أيضاً وتغني عن ذكر الذوات، وتدل على معانٍ مختلفة بحسب توظيفها.

وقد درس النحاة وظائف الروابط الحرفية والروابط المضمرة لعلاقاتها بالجمل التي تأتي في سياق واحد؛ لأن معرفتها تحدد وظائفها النحوية وأثرها في الجمل، والدراسات النحوية موجهة إلى النص اللغوي فقط دون العالم الخارجي الذي تولى البلاغيون معرفة أثره في النص اللغوي.

والنص يتخطى مفهوم الجملة إلى مجموع الجمل التي يربطها موضوع واحد، ومن ثم رأى بعض العلماء أن النص مجموعة من الجمل المتتابعة تربط بينها عناصر لغوية وسياقية، فالنص بنية مركبة متماسكة تمثل وحدة كلية شاملة وقد استلزم وصف النص بالتماسك البحث عن عناصر الربط فيه والمكونات السطحية المتحققة عن علامات لغوية قائمة على أشكال من التبعية النحوية وشكلت البنية النصية [(٢)] .

وقد تناولنا الرابط الحرفي في حديثنا عن الفعل اللازم، وتناولنا الرابط الشرطي في

(١) الكشاف، الزمخشري، دارا لكتاب العربي، بيروت ١٩٤٧م ، ١٦٢/١ .
(٢) ارجع إلى: علم لغة النص ص١١٨، ١١٩ .

الجملة الشرطية، وتناولنا بعضاً من الربط الضميري في الجمل التي تتعلق بما قبلها، وسوف نستكمل ما بقي منه في هذا الباب، ونتناول الرابط الإشاري بعده لدخوله مع الضمير في الإحالة ثم نتناول الرباط العطفي، وهو رابط نصي يتعلق ببنية النص.

الرابط الضميري

الضمير لغة المستور أو الشيء الذي تضمره، والضمير اصطلاحاً: الاسم المتضمن تقديراً في الكلام (وهو الأصل) (١)، وماله صورة في اللفظ (البارز)(٢)، للدلالة على متقدم أو متأخر في اللفظ(٣)، أو للدلالة على عين في العالم الخارجي(٤) . أو إشارة إلى ذات أو عين أو مضمون قول، والأصل فيه الإخفاء لا الإظهار، وهو المفهوم من لظفه، فالمضمر في اللغة المستور وما يضمر في الكلام، وقد أطلقه العلماء على ما خفي في الكلام وقدر، وقد قدروه في المفرد مضمراً غير ظاهر، وأبرزوه في المثنى والجمع للحاجة إلى ضمير يدل عليه، وقد خفي في المفرد لعلم السامع أن الفعل له فاعل، وليس كذلك في التثنية والجمع؛ لأن السامع لا يعلم أن الفاعل مثنى ولا مجموع إلا بدليل (٥)، والضمير المستتر قرينة معنوية والظاهر قرينة لفظية .

والضمائر باعتبار دلالتها: ضمائر تشير إلى حضور أو إلى غائبين، وضمائر الحضور: ضمائر المتكلم والمخاطب، وهي تحيل إلى العالم الخارجي لمعاينة الذات التي يشير إليها الضمير، وهذا النوع يربط النص بالعالم الخارجي، ولا تدخل في الربط النصي الداخلي وضمائر الغائب ذات إحالة داخلية، وتعد أساساً في الربط النصي، فهي تربط اللاحق بالسابق، والضمير يدفع اللبس في الكلام واختلاطه بغيره، وتحقق

---

(١) الضمير في بعض التعريفات: ما دلّ على تكلم أو خطاب أو غيبة، مثل: أنا ، أنت، هو معاني القرآن، الفراء، ١٤/٢. وقيل: الضمير: الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب بعد سبق ذكره لفظاً أو تقديراً أو معنى أو حكماً.

(٢) الأصل في الضمير الإضمار؛ وهذا مفهوم من تسميته، فالمتكلم أو الكاتب يضمر ما سبق ذكر لفظه فيقدر ما يغني عنه في اللفظ (مثل العائد على مفرد أو أنثى: محمد ذهب) أو يبرز في اللفظ ما يغني عن إعادة ذكره، فلا يضمر للدلالة على عدده مثل إظهار ضمير المثنى والجمع والغائب نحو: زيد رأيته، لايعاد ذكر الاسم الظاهر المتقدم، فيغني الضمير عنه اختصارًا والإيجاز؛ لأنك تستغني عن الاسم بالقليل من الحروف.

(٣) الأصل أن يدل الضمير على متقدم في اللفظ؛ لأن المتقدم يفسر المتأخر.

(٤) ارجع إلى: الأسرار النحوية؛ ابن كمال باشا، تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد، دار الفكر، ص١٧٠، ونتائج الفكر في النحو، السهيلي، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم، منشورات جامعة قاريونس ص٢١٨ .

(٥) ارجع إلى: نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق محمد إبراهيم، ط دار الرياض، ط١٤٠٤/٢هـ ١٩٨٤م ص١٦٤ .

نوعاً من الاختصار لعدم الحاجة إلى تكرار اللفظ، فيغني عنه الضمير دون استحضاره ثانية، وقد يفهم من تكرار اللفظ أنه ليس السابق أو أنه غير الأول[1] .

ويعد الضمير من أقوى عناصر الربط في الكلام لصعوبة الاستغناء عنه أو حذفه إلا بدليل عليه، والضمائر تشير إلى سابق في النص أو تحيل إلى العالم الخارجي، ومن ثم فهي من عناصر الربط النصي.

وللضمير دلالة في المعنى إلى جانب علاقته الشكلية بالتركيب الذي جاء فيه، وترجع أهمية الضمير إلى أنه يمثل المادة التي تصل بين الألفاظ، فتجعل منه بنية متماسكة في المعنى لا اللفظ، لدلالته على معنى في سابق عليه أو لاحق نحو: (هو الله)، والضمائر تشير إلى أسماء في النص أو أشياء في العالم الخارجي [2].

والضمير الرابط الرئيسى فى الربط بين الجمل، وهذا الضمير يدفع لبس الانفصال بين الجملتين، فإعادة اللفظ قد يعني شيئاً آخر، وإن وقع لبس بذكر الضمير عدل عنه إلى الإظهار دون الإضمار، فلا يقال جاء غلمان زيد وهو؛ بل يقال جاء غلمان زيد وزيد [3] وحكم ضمير الربط الظاهر حكم أدوات الربط، ويربط الضمير بين اسم واسم سابق عليه وجملة وجملة، أو يربط بين الجملة واسم سابق [4].

والأصل في الضمير أن يعود على متقدم، فيفسره المتقدم[5]، والضمير اسم مبهم

---

(١) ارجع إلى: مفتاح العلوم ص ٦٦ ، والعربية معناها ومبناها، الدكتور حسان ص١٨ ، وشرح الكافية جـ٤٠١/٢ .

(٢) ارجع إلى:

Context and text Halliday & Hasan: oxford's university press p28

والضمير مبهم المعنى، ولهذا شبه بالحرف في البناء لعدم دلالته على معنى في ذاته وحاجته إلى لفظ يبينه أو شيء يدل عليه. فأشبه الحرف في ذلك، فالحرف له معنى في غيره وليس في ذاته.

(٣) ارجع إلى: دلائل الإعجاز ص٣٤٥ .

(٤) الربط بين اسم واسم كالربط بين المبتدأ والخبر، فضمير المبتدأ مقدر في الخبر، ويربط جملة الخبر بالمبتدأ، ويربط جملة الصفة بالموصوف وكذلك جملة الحال، وهو الرابط الرئيس فيها عند غياب واو الحال، والضمير أكثر الروابط استخداماً في العربية، وتأتي حروف العطف من بعده.

(٥) المواضع التي يعود فيها على متأخر لفظاً ورتبة:

أولها- أن يكون فاعل نعم أو بئس ولا مفسر له إلا التمييز نحو: نعم رجلاً زيد، والمعنى: نعم هو [أي زيد] رجلاً زيد.

الثاني- أن يكون مرفوعاً بأول المتنازعين نحو: جفوني ولم أجف الأخلاء.

الثالث - أن يكون مبتدأ ويفسره خبره: (إن هي إلا حياتنا الدنيا) [الأنعام:٢٩] فسر الضمير ما تلاه.

الرابع- أن يكون ضمير الشأن والقصة نحو: (قل هو الله أحد)[الإخلاص:١] وقال تعالى: (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) [الأنبياء:٩٧].

الخامس- أن تدخل على الضمير رب ويفسره التمييز: ربُّه رجلاً، ويشترط فى المفسر أن يكون نكرة.

السابع- أن يتصل بفاعل مقدم ويكون مفسره مفعول مؤخر نحو: ضرب زوجُها هنداً . الأشباه والنظائر في النحو جـ٤٧/١ . ومغني اللبيب، ابن هشام جـ١٠٨/١، ١٠٩.

يحتاج ما يفسره ، والمفسر اسم متقدم، قال تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى) [طـه:١٣١] عاد الضمير على متقدم لفظاً. وهـي في المكتـوب تحيـل إلى سـابق، فتعـود عـلى متقـدم في الخطاب مذكور لفظه أو معلوم، ويجوز أن يقـدر إن دل عليـه دليـل، كقولـه تعـالى: (ولـئن صبرتم لهو خير للصابرين) [النحل:١٢٦] أي: لصبركم خير. وقوله تعـالى: (ذلـك ومـن يعظـم حرمات الـلـه فهو خير له عند ربه) [الحج:٣٠] أي: فتعظيمه خير، وقـد يعـود الـضمير عـلى معلـوم غـير مـذكور في الكـلام، قـال تعـالى: (والـصبح إذا تـنفس إنـه لقـول رسـول كـريم) [التكوير:١٩] ويراد بالضمير القرآن الكريم، وقد دل عليه (قول رسـول كـريم)، وهـي إحالـة نصية لدلالة اللفظ عليه.

وقد يعود الضمير عـلى بعـض مـما تقـدم، قـال تعـالى: (فـإن كـن نـساء فـوق اثنتـين) [النساء:١٠] جاء هذا في عقب الحـديث عـن الورثـة مـن الأولاد؛ والنـساء جـزء مـن الأولاد: (يوصيكم الـلـه في أولادكم) [النساء:١٠].

وقد يعود الضمير في الظاهر على متأخر لفظاً، ومنـه قولـه تعـالى: (فـأوجس في نفـسه خيفة موسى) [طه:٦٧] وقد تقدم ذكر موسى في آيات سابقة فهو مقدم في النيـة، وقـد ذكـر ثانية بعد الضمير تأكيداً له، ومثله: (وأنه كان يقول سفيهنا) [الجن:٤] .

وقد يحيل الضمير إلى ما بعـده فيكـون مفـسراً لـه ومرتبطـاً بـه لوظيفـة في المعنـى لا تتحقق إلا بتقديمه على ما يفسره، ومن ذلك ضمير الشأن، ويأتي ضمير الشأن في أول الجملة وتفسره الجملة بعده، وهو مؤكد لمضمونها الذي يدل على شيء مفـرد، وهـو نـسبة الحكـم لمحكوم عليه، فلزم الضمير الأفراد ووجـب ذكـر جـزأي الجملـة لمعرفـة مـضمونها، ويكـون مفرداً وغائباً في صدر الجملة الخبرية للدلالة على استعظام الحديث، ويقدر اسم من معنـى الجملة، يفسره ذلك الضمير، وضمير الـشأن الـرابط بـين الجملـة التـي أتـت بعـده، والاسـم المقدر، فلا تحتاج الجملة بعده إلى رابط؛ لأنها نفس المبتدأ في المعنى [١].

والجملة بعد الشأن خبرية، ولا يحذف أحـد ركنينهـا، والـضمير قبلهـا مؤكـد لمـضمونها فوجب ذكر جزأيها، والضمير يطابق الاسم بعده على الأرجح، قال تعالى:

---

(١) يسميه البصريون ضمير الشأن والحديث إذا كان مذكراً، وضمير القصة إذا كان مؤنثاً وسماه الكوفيون ضمير المجهول، لأنهم لا يعرفون ما يعود إليه، والفرق بينه وبين الضمائر الأخرى أنه لا يعطف عليـه، ولا يؤكد، ولا يبدل منه، ولا يتقدم عليه خبره ولا يفسر بمفرد بل بجملة تأتي بعده.

(قل هو اللـه أحد) [الإخلاص:١] وقال تعالى: (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفـروا) [الأنبياء:٩٧] وقال تعالى: (فإنها لا تعمى الأبصار) [الحج:٤٦].

ويجوز المخالفة بين الضمير وما بعده، فيجوز التذكير مع المؤنث، جاء عن العرب: «إنه أمة اللـه ذاهبة». ويجوز التأنيث مع المذكر، وعليه جاءت قراءة بن عامر قولـه تعـالى: (أو لم تكن لهم آيـة أن يعلمـه) [الـشعراء:١٩٧] بالتـاء في «تكـن» ورفـع «آيـة» [١] والـضمير في «يعلمه» مذكر ، والمطابقة أرجح بين الضمير وما بعده، لما فيـه مـن مـشاكلة اللفـظ[٢] قـال تعالى: (وأنه لما قام عبد اللـه) [الجن:١٩][٣].

ويتقدم ضمير الشأن لمعنى التعظيم والتأكيد والتنبيه ، وقد تقدم للتعظيم والتأكيد في قوله تعالى: (قل هو اللـه أحد) [الصمد:١] هو رفـع بالابتـداء، و اللــه تعـالى خـبره، وجـاز تقدم المكني ولم يتقدم صاحبه في اللفظ؛ لأنه ثناء على اللـه تعالى، وهـذا خـالص لله تعـالى للتعظيم [٤]. وقيل هو ضمير الـشأن و«اللــه أحـد» هـو الـشأن كقولـك هـو زيـد منطلـق، بمعنى: الشأن هذا، وهو أن اللـه واحد لا ثاني له، وقدر بعض العلماء سؤالاً، قال ابن عباس: قالت قريش: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت: يعني الذي سألتموني وصـفه هو اللـه تعالى، و"أحد" خبر لمبتدأ تقديره: هو أحد[٥].

وقيـل الـضمير إحالـة إلى كـلام كـان بـين المـشركين والنبـي صـلى اللــه عليـه وسـلم والمشركين عن رب العالمين، فالمعنى: قل: الأمر والشأن اللـه أحد [٦].

والأرجح أن الضمير يفسره ما بعده، لأن الآية في سياق سؤال عـن رب العـالمين، وتقـدم الضمير المكني جائز في سياق يوضح معناه، ومن ذلك سياق الموقف، وهذا مشروط بتفـسير يأتي بعده يؤكد ما أحال إليه[٧] .

وهنالك هاء تعرف عند بعض العلماء بهاء الاعتماد، وهي من علامات الأسماء

---

(١) عبد اللـه بن عامر الشامي من القراء السبعة.
(٢) ارجع إلى: همع الهوامع م٢٧٣/١ .
(٣) أجاز بعض العلماء أن يكون ضمير الشأن مبتدأ، وأن يتأثر بالحروف الداخلية عليه كما في هذه الآيـة، فهو معمول إن .
(٤) ارجع إلى: إعراب ثلاثين سورة من القرآن، ابن خالويه، دار المنار، ص٢٢٨.
(٥) تفسير النسفي، دار الكتاب العربي جـ٣٨٣/٤ .
(٦) ارجع إلى: القرطبي، المكتبة التوفيقية جـ١٩٣/٢٠.
(٧) ارجع إلى: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص٢٢٨ .

المضمرة في مثل قوله تعالى: (إنه أنا الله) [النحل:٣] و(إنها لظى) [المعارج:١٥] و(إنه من يأت ربه مجرماً) [طه:٧٤] وهي عند ابن درستويه ضمير يفسره ما بعده [(١)].

ويختلف ضمير الشأن عن عامة الضمائر فيما يأتي:

- أنه لا يكون إلا مبتدأ ولا يعمل فيه إلا الابتداء أو أحد نواسخه (إن وأخواتها)، والضمائر تأتي في الموضع الذي يتطلبها.

- أنه ملازم للإفراد فلا يثنى ولا يجمع، ولا يتأثر بالجملة المفسرة له في ذلك.

- أنه يتقدم على خبره؛ لئلا يحتمل التأكيد والبدل، ويتقدم للدلالة على ما بعده، والتأكيد عليه.

- أنه لا يحتاج إلى اسم ظاهر يعود إليه بخلاف ضمير الغائب، يعود على متقدم ظاهر أو مقدر.

- أنه لا يعطف عليه ولا يؤكد ولا يبدل منه بخلاف غيره من الضمائر، لأن التوكيد والبدل يوضحانه، والمقصود منه الإبهام، ليلتفت المتلقي إلى ما بعده فما بعده يفسره، وهو موضع الفهم.

- أنه لا يجوز تقديم خبره (الجملة بعده) عليه، ويجوز هذا في غيره من الضمائر.

- أنه لا يشترط عود ضمير من الجملة إليه؛ لأن جملة الخبر لا تفصل عنه ولا تتقدمه، ولا يدخل بينهما ما يمنع اتصالها به ولاربطٌ يجوز الفواصل، والرابط الأساس في جملة الخبر الاتصال المباشر به، وغيره من الضمائر تستوجب الرابط في جملة الخبر لجواز تقدمها عليه وفصلها عنه، فلابد من ضمير يعود إليه.

- أنه لا يفسر إلا بجملة (اسمية أو فعلية) فلا يفسره مفرد، وغيره يجوز تفسيره بمفرد.

الجملة بعده لها محل من الإعراب فهي خبر، والأصل فيه أن يكون مفرداً فوقعت موقع الخبر المفرد، فلها موقع من الإعراب، والجمل بعد غيره من الضمائر إن كانت خبراً فلها موقع الخبر المفرد، فلها موقع من الإعراب، وإن كانت مفسرات فلا موقع

---

(١) تصحيح الفصيح وشرحه، ابن درستويه، تحقيق محمد بدوي المختون، ومراجعة رمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ص٤١٢ .

لها، ولا يلزم فيها أن يكون لها موقع[1]، فالجملة الواقعة خبراً بعد ضمير لها محل من الإعراب، والمفسرات لا يلزم فيها أن يكون لها محل من الإعراب.

- أنه لا يقوم الاسم الظاهر مقامه؛ لأنه يحيل إلى ما بعده، فالجملة بعده تفسر معناه، والضمائر تحيل إلى اسم ظاهر أو مقدر متقدم في الكلام.

- أنه يدل على غائب (هو ، هي) ولا يكون ضمير الشأن ضمير متكلم أو مخاطب، لسببين:

أولهما- أن المقصود بوضعه الإبهام والغائب مبهم، والمتكلم والمخاطب في نهاية الإيضاح، فالمتلقي يعاينهما ويباشرهما سماعاً ورؤية أو سماعاً فقط فهما معلومان.

والثاني- أنه غائب في المعنى يحيل إلى جملة متأخرة عنه، والجملة موضوعه للغيبة، فلا تتضمن ضمير المتكلم (في الخطاب) أو ضمير المخاطب نحو: هو القول فصل، وهو الخالق واحد، فالجملة فيهما للغيبة [2].

وضمير الفصل يقع بين مبتدأ وخبر معرفتين، ولا يكون إلا قبل خبر، فقدجيء به للفصل بين ما يكون خبراً وما يكون وصفاً نحو: زيد هو المجد، والمجددون الضمير تحتمل أن تكون صفة، وهذا الضمير يعود على المبتدأ قبله ويؤكد وقوع الخبر له، ويطابق ما قبله في الإفراد والتثنية والجمع والنوع قال تعالى: (وأولئك هم المفلحون) [البقرة:٥]، وقال تعالى: (كنت أنت الرقيب عليهم) [المائدة:١١٧] طابق ما قبله في الخطاب، وقد تدخل عليه لام التأكيد: (إن هذا لهو القصص الحق)[آل عمران:٦٢] [3].

ويستخدم الضمير رابطاً في المواضع الآتية:

- الخبر المفرد والجملة، فيقدر في الخبر المفرد نحو: «إني عنك مشغول»، أي

(١) الأشباه والنظائر جـ٢/٢٠٣ .

(٢) وقد خالف ضمير الشأن القياس المشهور فيما يأتي: أولاً- أنه يلزم التقديم، فلا يتقدم عليه خبره. ثانياً- إن مفسره لا يكون إلا جملة، ولا يشترط الرابط بينهما. ثالثاً- إنه لا يتبع بمؤكد ولابدل ولا يعطف عليه . رابعاً- إنه لا يكون إلا مبتدأ. خامساً- أنه ملازم للإفراد فقط. ويفترق ضمير الفصل عن سائر الضمائر في أنه اسم لا محل له من الإعراب. الأشباه والنظائر جـ٢/٢٠٥ .

(٣) ارجع إلى: الأشباه والنظائر جـ٢/٢٠٤ وهمع الهوامع جـ٢٧٤/١ وضمير الفصل ويسمى عماداً ودعامة. ويعرب لا محل له من الأعراب عند البصريين، ويعرب مبتدأ خبره ما بعده عند الكوفيين، ويسميه الكوفيون الدعامة. ويقع بعد اسم معرّف، ويجوز أن يقع بين نكرتين: (أن تكون أمة هي أربى من أمة) [النحل:٩٢].

مشغول أنا ، الضمير نائب فاعل، وهو عائد على الضمير المتكلم المبتدأ، والخبر الجملة نحو: «رسول الـلـه أوعدني» ضمير الفاعل في أوعدني، الرابط.

- جملة الصلة ولا يربطها إلا الـضمير نحـو: «فكـل مـا قـدر الـرحمن مفعـول» ضـمير المفعول المحذوف الرابط الأصل: «كل الذي قدره الرحمن مفعول»، وحذف المفعول المعلوم من الكلام جائز بدليل، ومثله: «هداك الذي أعطاك نافلة القرآن»، الـضمير في أعطـاك عائـد على الذي.

- الوصف المفرد والجملة، الأول نحو: الوصف بالمشتق، ويقدر فيه ضمير نحو: الجـمال الزُّهْر (أي البيض، ومفرده أزهر)، ومثله: السود التنابيل (فمفـرده تنبـال: قـصير)، والوصـف بالجملة نحو: «يوماً يظل به الحرب مصطخداً» المصطخد: المحترق، ويـروى: مـصطخماً، أي: قائماً من الحر، والجملة الفعلية صفة ليوم، (وهو ظرف لقوله تلفع)، ومثله: لقد أقوم مقامًا لو يقوم به الفيل أرى وأسمع ما لو يسمع.

- الحال المفرد والجملة نحو: جاءزيد سعيداً، أي: سـعيداً هـو، أو هـو سـعيد، والحـال الجملة نحو: «لا يحل له أن يترك القرن إلا وهو مجدول»، أي يتركه مجـدولاً (ميتـاً، ويـروى مفعول أو مثلول: مسور)، ومثله: «تخذى على يسرات وهي لاحقة» (أي تـسرع عـلى أقـدام سريعة)، وقوله: لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب.

والضمير الرابط الرئيس في الحال الجملة إن لم تقترن بـواو الحـال مثـل: أعطـاك نافلـة القرآن فيها مـواعيظ وتفـصيل» أي: وفيهـا مـواعيظ وتفـصيل» فحـذف الـواو فلـزم الـربط بالضمير، ومثله:

حتى وضعت يميني لا أنازعه   في كف ذي نقمات قِيلُه قيلُ

قوله: «لا أنازعه» حال، و«قيله قيل» صفة، وجاء زيد نفسه وعينه.

- المؤكد لمضون ما قبله نحو: الألفاظ المؤكدة لمـا قبلهـا (للتأكيـد المعنـوي) نحـو: جـاء الطلاب كلهم، وأجمعهم، وجاء الطالبان كلاهما، ويشترط فيما مضى ضـمير يربطهـا بالمؤكـد، وهذا الضمير يطابقه: (إن هذا إلا ملك) [يوسف:٣١] (كأن لم يـسمعها كـأن في أذنيـه وقـراً) [لقمان:٧] ويجب الضمير هنا لغياب الواو.

والجملة القسمية لا يشترط فيها الضمير؛ لأن القسم المتقدم يؤكد جوابه المتأخر فيعود إليه بمضمونه.

- الجملة الاعتراضية ، قال كعب:

فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم   فكل ما قدَّر الرحمن مفعول

«لا أبالكم» اعتراض، والرابط الضمير في لكم، وهو عائد على المخاطبين، والدعاء الذي يراد به التوبيخ موجه إلى المخاطبين قبلها فتعلقت به .

- الجملة التفسيرية، وهي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه، قال تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)[آل عمران:٥٩].

- بدل البعض وبدل الاشتمال، ولا يربطهما إلا الضمير نحو: (عموا وصمّوا كثير منهم) [المائدة:٧١] و(عن الشهر الحرام قتال فيه) [البقرة:٢١٧]، وبدل الكل لا يحتاج رابطاً؛ لأنه نفس المبدل منه في المعنى مثل الجملة التي هي نفس المبتدأ لا تحتاج إلى رابط.

- جواب الشرط المرفوع بالابتداء، ولا يربطه إلا الضمير قال تعالى: (فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه) [المائدة:١١٥]، اسم الشرط مبتدأ، وخبره الجواب.

- الجملة المفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه نحو: زيد ضربته وزيد ضربه أخاه.

- والجملتان المتنازعتان في الفاعل أو المفعول نحو قول كعب:

أرجوا وآمل أن تدنوا مودتها   وما إخال لدينا منك تنويل

- معمول الصفة المشبهة، ولا يربطه إلا الضمير نحو: زيد حسن خلقه، خلق فاعل الصفة التي تعمل عمل الفعل، والضمير الرابط حتماً لعدم وجود رابط آخر، ومثله قوله تعالى: (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)[النساء:٧٥] أهلها فاعل اسم الفاعل الظالم وهو من المشتقات ويعمل عمل الفعل مثل المصدر واسم المفعول الذي يرفع نائب فاعل في المعنى.

ويجوز تقدير الضمير فيما تقدم، وقد سبق أن تناولنا الربط بالضمير في حديثنا عن الجمل التي تتعلق بما قبلها.

ويعد الضمير الرابط النصي الأكثر استخداماً في قصيدة كعب، وقد وظفه كعب في الربط بين أبيات القصيدة، فالضمير الرابط الأساس في موضوعات النص، فكل

موضوع شكل وحدة متماسكة، والضمير لحمة هذا التماسك وآصرة الربط بين الأبيات فيه، فالمقدمة تناولت موضوعاً متصلاً محوره «سعاد» والموضوع الثاني محوره «الناقة»، والاعتذار والمدح محورهما النبي صلى الله عليه وسلم ، والضمير وصل بين أجزاء الموضوع ثم وصل بين موضوعات القصيدة كافة، فقد وظفه الشاعر في فواصل الموضوع التي اتخذها الشاعر مدخلاً إلى موضوع آخر وصله الشاعر بما انتهى منه، قال كعب بعد حديثه عن هجر سعاد وامتناعها منه:

أمست سعاد بأرض لا يبلِّغها   إلا العتاق النجيبات المراسيل

هذا البيت مدخل حديثه عن الناقة، وقد أعاد الشاعر ذكر اسم سعاد، بعد أن أضمره في أبيات سابقة لطول عهد المتلقي بالإضمار فأظهره تذكيراً وتأكيداً، فالشاعر يتكلم ولا يغفل حال المتلقي، وهذا أثر المتلقي في النص، فأعاد ذكر سعاد بعد إضمار فأقام الظاهر مقام المضمر، وقد استحسن ابن هشام ذكر اسم سعاد في هذا الموضع، وأرى أن إعادة ذكرها هنا أحسن من إعادة ذكرها في البيت الثاني من القصيدة:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحول

ذكر اسم سعاد ثانية في البيت الثاني، وكان حقه الإضمار، ذكره في البيت الأول «بانت سعاد»، فهو قريب منه ولا حاجة إلى إظهاره، وقد حسن ذكره في قوله «أمست سعاد»، لأنه قصد الدخول في موضوع آخر [1] (وصف أرض سعاد بالبعد وذكر ما يتصل بذلك من وصف الناقة) فأعاد ذكر اسمها، لآخر عهده بها وتحسراً على فراقها.

وقد أضمر كعب اسم سعاد في البيت الأول بعد أن ذكره في الشطر الأول

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يُجزَ مكبول

الضمير في «إثرها» الرابط.

والأفصح أن ينوب الضمير عن الظاهر المتقدم، فيحيل إليه، وقد فعل كعب ذلك، ولكنه أناب الاسم الظاهر عن المضمر في قوله في البيت الثاني:

وما سعادُ غداة البين إذْ رحلوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحول

---

(١) شرح قصيدة كعب ص١٨٠ .

وقد سبقه قوله: «بانت سعاد ....» فأناب الظاهر عن المضمر، وقد أعاد ذكر الظاهر في البيت الثاني؛ لأن الجملة الثانية مستقلة عن الأولى في البناء، وقد سهّله أنهما في جملتين بينهما فاصلة، وقد كرر الشاعر ذكر المحبوب للتلذذ به وشاهد ذلك قول الحطيئة(١) :

ألا حبذا هند وأرض هند   وهند أتى من دونها النأى والبعد

كرر الظاهر للتلذذ بذكر المحبوب.

ويسهل تكرار الظاهر تباعد ما بين الظاهرين كقول الشاعر(٢) :

ليت الغُرَاب غداة ينقبُ دائباً   كان الغراب مقطَّع الأوداج

أناب الظاهر عن المضمر لتباعد ما بين الظاهرين، ومثله تكرار الظاهر في بيتي كعب، وأحسن من ذلك ذكره في البيت الرابع عشر «أمست سعاد بأرض...» لشروعه في موضوع بسبب مما تقدمه.

ويحسن إعادة الظاهر في الجملة الواحدة في مقامي التعظيم والتهويل، التعظيم في قوله تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) [الواقعة:٢٧] ومقام التهويل نحو: (الحاقة ما الحاقة) [الحاقة:١، ٢] وتكرار لفظ المبتدأ في الخبرى أغنى عن الربط بالضمير، وقد تناول ذلك في حديثنا عن الخبر الجملة.

وتجوز إعادة ذكر الاسم الظاهر أيضاً إن كان في جملتين كالجملة الواحدة بعد إذ وإذا، فيحذف الفعل، ويبقى فاعله لدلالة الثاني عليه، ومثال ذلك قول النابغة الجعدي:

إذِ الوحشُ ضمَّ الوحش في ظُلَاتها   سواقط من حر وقد كان أظهرا

أناب الظاهر عن المضمر؛ لأن الجملتين كالجملة الواحدة، فالرافع للفاعل الأول الوحش فعل محذوف مقدر بعدا «إذ» أغنى عنه ذكر الثاني، فسد مسد الأول المحذوف

---

(١) شرح قصيدة ص ٦١، وهى من قصيدة للحطيئة أولها: ألا طرقتنا بعدها هجدوا هند.

(٢) شرح قصيدة كعب ص٦١ ويجوز تكرار الاسم الظاهر مخالفاً للآخر في الموقع الإعرابي ومخالفاً له في الدلالة، ومنه قول النابغة الجعدي:

إذا الوحشُ ضمَّ الوحشُ في ظَلَاتها   سواقط من حَرّ وقد كان أظهرا

فالوحش الثاني مفعول في جملة فاعلها الأول، فأضمر الفاعل في الفعل لتقدمه، وأضمر الفعل بعد «إذ» نحو: (إذا الشمس كورت) [الشمس:١] و(إذا السماء انفطرت)[الانفطار:١].

حتى كأنه هو، ولهذا لا يجتمعان [1] وقيل الرفع في الوحش على الابتداء، وما بعده متصل به خبره فالكلام جملة واحدة [2].

ويرجح ذكر الضمير إن لم يعترض في الكلام اسم ظاهر آخر يحتمل رجوع الضمير إليه، ولم يذكر كعب امرأة غير سعاد وكان يكفيه الضمير، مثلما فعل في الجمل التي تلتها: تجلو عوارض ...، إذا ابتسمت ... ، فما تدوم ... ولا تمسك بالعهد ...، ما منت وما وعدت ... ، وهذا مستحسن في المواضع التي لا تحتمل وقوع الضمير لغير سعاد، ولكن الشاعر ذكر سعاد ثانية تلذاذاً، وائتناساً بذكرها، فالحبيب لا يمل ذكر حبيبه، ولكن كعباً في سرد الحديث عن الناقة لم يذكر اسمها مطلقاً مكتفياً بصفاتها المتعددة، التي نابت موضع الموصوف مثل: القتيلة والنطيحة والذبيحة، نابت هذه الصفات عن أسماء ما حرم من الأنعام، والضمير الذي أغنى عن اسمها وصفاتها في الجملة الفعلية والإضافة ، وأضمره مبتدأ للتأكيد والتعظيم ولشدة إعجابه بها مثل قوله: «... غلباء، وجناء، عُلكوم، مذكرة» وهذا مستحسن لمعانٍ يريدها المتكلم في المواضع التي ليس فيها لبس، والعدول عن الاسم إلى الوصف، يكون لشهرة الوصف وتميزه به، فالصفة قد تغلب صاحبها؛ لأنها موضع النظر والقصد.

وقد أحسن الشاعر توظيف الربط بالضمير في قوله في حديثه عن أصل الناقة:

حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالُها قوداء شِمليلُ

والمعنى: هي حرف، أي مثل: حرف الجبل، فحذف المبتدأ تعظيما لها وتقديراً لقوتها وصلابتها، فأضمر كاف التشبيه للمبالغة، وقيل: جعلها نفس الحرف مبالغة، نحو: زيد أسد.

وربط الضمير (الجملة التي بعدها بها) في قوله: «أخوها أبوها»، وكذلك: «عمها خالها»، يريد بذلك أنها من إبل كرام، ثم أعقب الجملتين بجملة: قوداء شمليل، حذف المبتدأ تعظيماً، والتقدير: هي قوداء شمليل، أي هي طويلة الظهر، أو العنق، خفيفة الحركة، وربط الجملتين بالضمير المتصل بالمبتدأ في قوله:

---

(١) هذا مذهب البصريين مثل: (إذا الشمس كورت)[التكوير:١] و(إذا السماء انفطرت) [الانفطار:١].
(٢) شرح قصيدة كعب بن زهير ص٦٠.

عيرانة قذفت بالنحض عن عُرَضٍ مرفقها عن بنات الزّور مفتول

الضمير في مرفقها ربط الشطر الثاني بالأول، وهو جملة تامة، وقد أتم بها حديثه عن قوة الناقة التي أشبهت عير الوحش (عيرانة) في امتلاء جسمها وقوة مرفقها المفتول، فامتلاء جسدها غير معيب؛ لأن الجملة الثانية أفادت أن مرفقها مفتول قوى وجافٍ عن صدرها، فهي لا يصيبها ضاغط ولا حاز.

وقد أغنى الضمير عن حرف العطف الرابط في الربط بين الجمل في الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وهو في الجملة الفعلية أكثر قال كعب في الناقة:

ضخم مقلدها عبل مقيدها في خلقها عن بناء الفحل تفضيل

أسقط العطف: ضخم مقلدها وعبل مقيدها وفي خلقها ...، الضمير حل موضع المضاف، وقوله «في دفها سعدة، قدامها ميل»، جملتان حذف العاطف بينهما، وقوله:

عيرانة قذفت بالنحض عن عرض مرفقها عن بنات الزور مفتول

أي: هي عيرانة (تشبه العير) ... ومرفقها عن بنات الزور...

وقد اكتفى الشاعر بوصفها وإنابة الضمير عن الوصف الذي نزل منزلة الاسم (الناقة)، فحقق الربط به تماسكاً بين موضوع الناقة وتغلغل في أوصال القصيدة فأمسك بها، فقد أناب كعب الضمير عن الناقة، واستطاع الخروج من الحديث عنها والدخول في موضوع آخر رابطاً بينهما دون خلل أو نقص.

فقد أنهى الحديث عنها بالدخول في موضوع آخر بسبب منه، وقد أحسن وصل موضوع الناقة به في بيت وصل بين الموضوعين:

يسعى الوشاة جنابيها وقولهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

فالناقة نزلت به وسط الوشاة، فجعل ما قاله الوشاة له مدخلاً إلى الموضوع الرئيس (الاعتذار)، ولعل استخدامه الوصف يرمز إلى ما تمتعت به هذه الناقة من قوة وصلابة وعزم على اجتياز مشاق السفر، وأرى أنها ترمز إلى نفسه الحائرة التي استبان نور الحقيقة لها، فأقدمت إليه فلم يثنها عنه شيء، وهذا الرمز يتبين جلياً في قوله: «يسعى الوشاة جنابيها» وقد خوفوها القتل، والوشاة رمز لوساوس النفس التي تصدها عما تريده، والفعل في زمن المضارع يؤكد الصراع بين ما يريده وبين ما

يغالبه به الوشاة (الفشل).

وقد أعاد كعب ذكر الاسم الظاهر في قوله:

أنبئت أن رسول الـلـه أوعدني والعفو عند رسول الـلـه مأمول

أعاد ذكر الاسم للتعظيم والاسترحام وإعلان الاعـتراف بـه، وقـد فعـل ذلـك في الجمـل المستقلة ولم يفعله في جملة الخبر، فقد أناب الضمير في «رسول الـلـه أوعدني» ، وترك الاسم الظاهر هنا أفصح، لمجيئه في المبتدأ، فيضمر في الخبر الجملة، وهو فاعل لتقـدم ذكـره، قـال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعـل فـما بلغـت رسـالته و الـلـه يعصمك من الناس) [المائدة: ٦٧] (و الـلـه يعصمك) أضـمر الفاعـل في الخـبر ونـاب ضـمير المفعول «الكاف» عن الاسم الظاهر المتقدم، وقد أضمر الفاعل الواحد، لأن الفعل في الأصل يسند إلى الإفراد، وما زاد عليه احتاج إلى دليل لفظي كقوله تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص) الفاعل مضمر، وقد دل على الجمع نون المضارعة التي تأتي للمتكلمين، فـلا حاجـة إلى إظهار الفاعل الجمع، ولكن الياء للواحد فما فوقه وكذلك التاء عدا الهمزة فهي للواحد.

وقد جاز استتار الفاعل؛ لأنه كالجزء من الفعل، والأصل في الضمير الاستتار، وقد أضـمر الفاعل الواحد، لعلم السامع أن للفعل فاعلاً، وليس كذلك في التثنيـة والجمـع؛ لأن الـسماع يعرف أنه لمثنى بألف التثنية ويعرف الجمع بضمير الجمع الظاهر فلا مجموع إلا بدليل [(١)]، فالفعل المسند للمثنى يعرف بعلامة التثنية والمسند للجمع يعرف بعلامة الجمع ولا علامـة للواحد؛ لأن الفعل يدل على فاعل مطلق، والتثنية والجمع طارئان على الإفراد، وهو الأصـل، فالسامع يعلم أن للفعل فاعلاً واحداً، فما زاد عن الواحد احتاج إلى دليل ظاهر في اللفظ.

ولا يجوز إظهار الاسم بعد الضمير، فالضمير يغني عن ذكـره، ولكـن سـمع عـن بعـض العرب يجمعان بين الضمير والاسم الظاهر نحـو قولنـا: ظلـماني صـديقاي وظلمـوني النـاس، ومنه قول العرب قديماً: «أكلوني البراغيث»، ونقول الأصل ألا يجمع بين الاسم وضـميره؛ ومـا سمع عن العرب مخالفاً ذلـك نـادر، ولا يقـاس عليـه، فهـو فى حكـم الـشاذ لعمـوم العمـل بالأصل، وقد تأوله علماء النحو على غير، يفهم من تتابع ظاهره،

(١) نتائج الفكر، السهيلي، ص١٦٤ ، وارجع إلى: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار البيان العـربي ص١٢٥ .

فقال بعضهم إن إظهار الاسم بعد الضمير الذي عاد الضمير عليه للتأكيد المعنى والبيان مثل التاء مع المؤنث لتقوية إسناد الفعل للمؤنث نحو: قالت هند، ورأى آخرون أن الظاهر المتأخر بدل من الضمير[١].

وحروف المضارع تجوز للمذكر والمؤنث إن كان في الكلام ما يفرق بين النوعين وتكون لمطلق العدد إن كان في الكلام ما يدل على العدد فياء المضارعة تكون للمذكر والمؤنث لثبوت ما يدل على الذكور والإناث نحو: الأولاد يذاكرون والبنات يذاكرن، الواو لجماعة الذكور والنون لجماعة الإناث، وتجوز للواحد الولد يذاكر؛ لأن الفعل يكون في الأصل للإفراد كما تقدم ودل الضمير على العدد في الجمع والمثنى نحو: الولدان يقومان، ولكن الياء لا تصلح للمؤنث المفرد والمثنى لمشاركتها المفرد والمثنى في شكل الفعل والضمير فخولف بينهما في حرف المضارعة نقول: الولد يقوم، والبنت تقوم؛ لأن الضمير مضمر غير ظاهر، فلا يوجد في اللفظ ما يفرق بينهما، والمثنى: الولدان يقومان والبنتان تقومان، وهذا لا يلتبس بالتاء مع المخاطب، لظهور الضمير مع المؤنث نحو: أنت تقوم وأنتِ تقومين، واتحد النوعان فى المثنى لعدم دخول آخر معهما نقول للذكرين والمؤنثتين: أنتما تقومان، وأنتما تذاكران، فضمير الرافع واحد للنوعين وتاء المضارعة لمعاينة المخاطبَيْنِ فى الخطاب المباشر . وفى الجمع يكون لكل نوع ضميره موحد، نقول: أنتم تقومون وهن يقمن، الواو لجماعة المخاطبين، والنون لجماعة الإناث، بشهرة النون فى جمع المؤنث العاقل خلافاً لألف الإثنين والاثنتين فهى سواء فى النوعين، ويبقى الخلاف في قولنا: هو يقوم وهي تقوم، نقول: إن الأصل في الغائب الياء للمضارعة، ولكن عدل عنها مع المؤنث إلى التاء في المضارع، لأن تاء التأنيث لا تلحق بالفعل المضارع، وتلحق به في الماضي: قامت هند، فحذفت في المضارع؛ لئلا يجمع بين زيادتين في أول الفعل وآخره، فنزلت التاء منزلة الياء، لتغني عن التاء في آخر الفعل ولتدل على المضارعة أيضاً، فالتاء في أول المضارع تزاد مع المسند إلى المفردة المؤنثة مخاطبة وغائبة: أنت تقومين وهي تقوم وتقوم هند،

---

(١) ارجع إلى: بدائع الفوائد، ابن الجوزية جـ١٢٦/١ ، وقد ذهب ابن الجوزية إلى أن ثبات الاسم بعد الضمير في «أكلوني البراغيث» للبيان وتوكيد المعنى، وجعل هذا شبيها بأسماء الجمع وما يشبهها التي أطلقت على مسميات نحو: فلسطين وقنسرين وحمدان وسلمان، وأرى أن هذا وجه قريب، والأرجح الذي جوز هذا عندهم مشابهته للفاعل الظاهر نحو قولنا: الأولاد يعملون، ويعملُ الأولاد، وقوى إعادة ذكر الظاهر تأخره عن فاعله أو فصله عنه نحو: ظلموني الناس وأكلوني البراغيث، فأظهر الفاعل بعض إضماره للتأكيد.

وجاز أن يجمع بينها وبين ياء المخاطبة؛ لأن الأخيرة (ياء المخاطبـة) ليـست بزيـادة في بنية الفعل بل اسم في موضع رفع، والضمير لا يدخل في حروف الزيـادة بيـنما تـاء التأنيـث حرف وليست بضمير، فهي زائدة في الفعل فهذا لا يخالف قولنا عـدم الجمـع بـين زيـادتين، ولهذا نقول: أنت تقومين، والتاء في أول الفعل دليل المضارعة والتأنيث، فلا يجوز أن تأتي تاء التأنيث متصلة بضمير التأنيث.

والتاء تثبت في نهاية الماضي؛ لأن الفاعل المؤنث مضمر مثل المفرد المذكر سعاد نامـت، وتظهر تاء التأنيث وجوباً مع الفاعل المؤنث الظاهر نحو قول كعب: «بانت سعاد»، الفاعل لفظه مستقل، فزيدت تاء التأنيث في آخر المـاضي للدلالـة عـلى فاعلـه المؤنـث، والأصـل أن تزداد التاء فى الأسماء التى تخلو من علامة التأنيث لفظية نحـو: هنـد، سـعاد، للدلالـة عـلى تأنيثها ثم عمت فى كل مؤنث.

ونون المضارعة تكـون للجمـع المتكلمـين: نحـن نأكـل، والنـوان تـشاكل ضـمير الـذكور المتكلم «نحن» فدلت عليه في الفعل؛ لأنه مـضمر، ففاعـل نأكـل مـضمر في اللفـظ تقـديره «نحن»، فتصدر النون للمضارعة لتكون دليلاً عليـه مثـل التـاء في أول المـضارع مـع المؤنـث وعمم وجودها مع كل مؤنث حقيقياً أو مجازياً أو جمع تكسير، والنون تكون لجمع الإناث المتكلمات أيضاً؛ لأن ضمير التكلم موحد في النوعين تقول البنات: نحن نأكل، ولم يفـرق بـين النوعين؛ لأن التكلم يعني المعاينة الخارجية، فـالمتلقي يعـاين المـتكلم فيعـرف نوعـه خلافـاً للغائب الموصوف أو المحكي عنه: هو يأكل، وهي تأكل، ومن ثم اتحدت حروف المضارعة في كل المخاطبين في النوعين يقول الولد: أنا أشرب، وتقول البنـت أنـا أشرب، ويقـول المـتكلمان من النوعين والجمـوع مـن النـوعين: نحـن نأكـل، والمـتكلم واحـد عـن المثنـى والجميـع في النوعين، فحرف الهمزة في المتكلم المذكر والمؤنـث، لأن المتلقـي يعـاين المتحـدث أو يـراه أو يسمعه فيعرفه، وكذلك المثنى والجمع، فالاختلاف في الغائبين والمخاطبين؛ لأن المتكلم مخـبر عن نفسه فليس بحاجة إلى ما يعرّفه، فحرف المـضارعة واحـد في النـوعين، وكـذلك الـضمير، فالضمير في المفرد تاء الفاعل للمتكلم: قال كعب: «فقلت خلـو سـبيلي»، «أنبئـت أن رسـول اللـه أوعدني»، ومثله قول المؤنثة عن نفسها .

ولا يجوز أن يأتي فاعل اسماً ظاهراً في هـذا الموضـع، لأن ضـمير المـتكلم صـاحب هـذا الموضع لوجود ما يفسره وهو المتكلم فالمتكلم بمنزلة الاسم الظاهر المتقدم الذي

يحيل إليه الضمير، فوجب الإضمار حال التكلم لمعاينة المتكلم وحديثه عن نفسه، وما سمع عن العرب نحو: أكلوني البراغيث، مع الغائبين مقيس على التأكيد في قولنا في التكلم: قلت أنا محمود هذا فإظهار الضمير وذكر الاسم للتأكيد، ومنه قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[الحجر:٩] والأصل فيه الأول والثاني مؤكد له [١].والضمير الغائب المفرد ليس له لفظ في أصل الكلام، ومن ثم وجب ذكر ما يدل عليه قبله أو بعده وهو قليل كما في ضمير الشأن، فإن أظهر الضمير بعد الفعل فهو للتأكيد أو لجواز العطف فلا يجوز العطف على مستتر نحو: قال هو ومحمد ذلك، ومثله المتكلم لا يعطف على المتصل إلا في القليل، والمشهور العطف على المنفصل نحو: قلت أنا ومحمد ذلك، وقولنا: قلت ومحمد ذلك، جائز ولكن المشهور ذكر المنفصل، فهو بمنزلة الاسم. وهنالك ظاهرة رديئة في بعض الأعمال الأدبية الحديثة أن الضمير في الكلام ليس له متقدم في اللفظ أو متأخر كما هو الحال في ضمير الشأن والقص، فيقول الكاتب: يتحدثان، ويشيران إليها، محمد الذي قال كذا... وهو العمل الوحيد الذي كتبه... ، وتنقشان وشماً... ، وشهدت هذه الشجرة تلاصق رأسيهما... منال وهدى، وقالوا واختاروا الناس... .

وقد أطلق عليها بعض النقاد المحدثين انحرافاً وانزياحاً وخروجاً على المألوف اللغوي وعدوه ظاهرة حداثية، وليست هذه الظواهر إلا ضعفاً لغوياً يدل على عدم وعي الكاتب بالنظام اللغوي الذي يكتب به، فليس هذا الأسلوب إلا تأثراً بلغة الخطاب اليومي التي دون بها الكاتب أدبه، فالخروج على أسس اللغة لا يعد إبداعاً، فقد أبدع القدماء أدباً احتج به اللغويون في حقل اللغة، وتعد قواعد العربية (النحو) أهم ما يميزها في اللغات المعاصرة، والخروج عليها يدخل في الضعف اللغوي، لأن نظام القواعد جزء من الدلالة، وبعض النقاد توهموا أن الخروج على المألوف في العربية تجديداً، وهذا شأن بعض اللغات التي لا يعد النحو جزء من دلالتها.

***

(١) وضع بعض اللغويين أمثلة للإخبار عن مبتدآت متوالية، وجعلوا الخبر لها جميعاً في آخرها، ويضاف غير الأول إلى ضمير متلوّه نحو: زيد أبو أخوه عمّه خاله قائم، والمعنى: أبو أخو خال عم زيد قائم، وقد تأتي الروابط في الأخبار، فيؤتي بعد خبر الأخير بهاء آخراً لأوّل وتالٍ لمتلوه نحو: زيد هند الأخوان الزيدون ضاربوهما عندها بإذنه. والمعنى: الزيدون ضاربو الأخوين عند هند بإذن زيد. وأرى هذا تكلفاً وتعقيداً، قال أبو حيان: وهذا المثال ونحوه مما وضعه النحويون للاختبار والتمرين، ولا يوجد مثله في كلام العرب البتة. همع الهوامع جـ٤٠٣/١ .

الرابط الإشاري

الإشارة [1]: تعيين الشيء باليد ونحوها أو التلويح بـشيء يفهـم منـه المـراد، والأصـل في الإشارة اليد، قال تعالى: (فأشارت إليه) [مريم: ٢٩]

وأطلق في كل إشارة: التلويح بشيء يفهم منه المراد فهي بمنزلة: دلالة القـول، وهـي في الأصل تشير إلى حقيقة حسية ، فهي موضوعة للدلالة على الأعيان في العـالم الخـارجي؛ ثـم تطورت إلى الدلالة الذهنية مثل وضع الكلمة للدلالة على شيء حسن ثم تطورت إلى معنـى مجرد.

وشرط الإشارة أن تُفْهِم ما يفهم القول، وهو ما أكدته الآية (فأشارت إليه) أحـالتهم إلى توجيه السؤال إليه، فاستنكروا ذلك منها: (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صـبياً) [مـريم: ٢٩].

والإشارة كالضمير المبهم، يفسرها المشار إليه، فهـي متعلقـة بـه، ومعنـى الإشـارة تـدل عليه قرائن الأحوال من الإشارة باليد والإيماء بـاللحظ أو حركـة الـرأس والفـم، فتـدل عـلى معنى يعلمه المتلقي في العالم الخارجي، فجرت الإشارة مجرى اللفـظ في الخطـاب، فعملـت عمله، ولكنها أضيق استعمالاً منه وأقل دلالـة، لغموضـها أحيانـاً وتعـسّر اسـتعمالها في غـير حضور المتلقي والمعاينة، ولوجوب اقترانها بما يدل عليهـا في العـالم الخـارجي أو في الخطـاب المنطوق، وتستوجب إزالة الإبهام في الخطاب المكتوب، وذلك بالتعبير لغة عن المشار إليه في المكتوب أو الإحالة بالإشارة إليه في لفظ متقدم، والخطاب المكتـوب يعـبر عـن المـشار إليـه لغة، والإشارة تحيـل إلى متقـدم في اللفـظ في الخطـاب المنطـوق، وقـد وضـعت للإشـارة إلى المشار إليه في العالم الخارجي، وهو الأصل فيها، فهـي موجهـة إلى المتلقـي، فتـسبق بالتنبيـه (ها) ثم «ذا» للمفرد ويضاف إليها ضـمير يـدل عـلى المخاطـب فيـدل عـلى عـدده ونوعـه، واتصال ضمير المخاطب بها يدل على أنها وضع بالإشارة إلى خارج الخطاب، ودليل ذلك أيضاً أنها تدل على المسافة.

---

(١) الإشارة نوعان: حسية وذهنية، والحسية التي تقبل الإشارة إلى قريب مباشر نحـو: هنـا، أو الإشـارة إلى البعيد المباشر الذي تصل الإشارة إليه وتقع عليه فما تشير إليه الإشارة متعلق بها، وتخـصص الإشـارة لما تشير إليه، فيتعلق بها.
وقد يجوز استخدام الإشارة في المعنى الذهني نحو: أشار عليه بكذا أي أشار برأيه.

وأسماء الإشارة منها ما يدل على كل شيء[1]، ومنها ما خصص لبعض الأماكن[2]. ويستخدم اسم الإشارة في الإحالة إلى العالم الخارجي قال تعالى: (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) [الإسراء: ٦٢] هذا إشارة إلى المفرد القريب، للدلالة على الاستهزاء بآدم عليه السلام.

وقال تعالى على لسان امرأة العزيز: (فذلكن الذي لمتنني فيه) [يوسف: ٣٢)، دلت على معهود خارجي، ودلت على عدده ونوعه، وهي إشارة حسية تعيّن في العالم الخارجي[3].

ويحتاج اسم الإشارة إلى قرائن تحدد المشار إليه بالحركة كالإشارة باليد، أو الطرف أو الفم أو الرأس، واتجاه المتكلم وهيئته وحركته تحدد اتجاه الإشارة وامتداد خط الإشارة، فتغني الإشارة عن اللفظ الكثير قال تعالى: (وهذا بعلي شيخاً) [هود: ٧٢] أغنى الحال الخارجي عن الوصف اللفظي، وقولها شيخاً تأكيد لما عليه زوجها.

وقد تدل على إقرار كلام سابق، ومنه قوله تعالى: (ذلك ومن يعظم حُرُماتَ اللـه....) [الحج: ٣٠] أي ذلك المذكور قبل , فيجوز الوقف عليها , لتعلقها بما تقدم,

(١) الأسماء التي يشار بها إلى الذوات عامة والمعاني:
هذا: والأصل ذا لمفرد مذكر قريب وذلك للمفرد المذكر البعيد على المشهور.
هذه: اسم إشارة للقريبة (الواحدة، وذي، وتي، وتا، وذه، وته، وذات، وتيك، وذيك، وتلك للأنثى المفردة).
وهذان: اسم إشارة للمثنى القريب، وذان وذانك للذكرين.
وهاتان: اسم إشارة للمثنى المؤنث، وتان وتانك وتينيك للمؤنثتين
(وقيل النون في ذانك بدلاً من اللام في ذلك).
وذلك: زادوا و(اللام مع المذكر لبعد المشار إليه، وذاك للقريب بدون اللام، والكاف للخطاب).
وتلك: زادوا واللام لبعد المشار إليه المؤنث، (وقيل أصلها: تي، فحذفوا الياء لسكونها وسكون اللام بعدها، والأصل: تيلك).
وهؤلاء: للجمع المذكر والمؤنث، وأولاء مداً وقصراً وأولاك وأولئك وأولالك.
و«ها»: للتنبيه في هذا، وهذاك، وهذان، وهاتا، وهاتي، وهذي، وهاتيك، وهؤلاء، وهؤلاء، فها للتنبيه وذا إشارة، والمراد: تنبه أيها المخاطب، والكاف حرف خطاب في ذاك، وذان إشارة إلى اثنين والكاف حرف خطاب.

(٢) الإشارة إلى المكان: هنا: للمكان القريب، وهناك: إشارة للبعيد، وهنالك للإشارة إلى البعد، فزادوا اللام للبعد. وثَم: إشارة إلى المكان البعيد، وتزاد الهاء في السكت: ثمة.
شرح المفصل م٢/ ٩٥،٩٦،٩٧، وهمع الهوامع جـ١/٢٩٤.

(٣) ها تزاد قبل اسم الإشارة، ويفصل الضمير بينهما قال تعالى: (هأنتم أولاء) [آل عمران: ١١٩] (هأنتم هؤلاء) [آل عمران: ٦٦] ويجوز إزالة الضمير وهو قليل.
همع الهوامع م٢٩٩/١ وبدائع الفوائد ج١٨٣/١, وتفيد الهاء التأكيد على المشار إليه، فهو بمنزلة النداء في تنبيه المتلقي إلى المشار إليه.

ومثله: (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به) [الحج:٦٠] وقد لا تقطع عما بعدها لاتصاله بها نحو: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) [يوسف: ٥٢] ، و(كذلك قال ربك هو علي هين) [مريم: ٩، ٢١] ووحد الكاف في خطاب المفرد، (وذلكما مما علمني ربي) [يوسف: ٣٧]. استخدم المثنى في مخاطبة المثنى في اسم الإشارة «ذلكما» وقال في مخاطبة الجمع: (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو) [الأنعام: ١٠٢]، (وكذلكم قال الله من قبل) [الفتح: ١٥] قامت الإشارة مقام العبارة، وهذا مشروط بالعبارة المعهودة في كلام سابق، فأغنى لفظ الإشارة عن لفظ كثير، فهو للربط والاختصار.

وقد تكون الإشارة للإقرار المباشر نحو الحديث: «هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون»[(١)]، أي (هذا المشار إليه) اليوم الذي أظهر الله فيه....، والمراد الإشارة إلى النوع.

ويدل اسم الإشارة على العدد نحو: هذا وهذه، وذلك للمفرد، ويزاد بعد الإشارة الكاف للخطاب وما يدل على العدد والكاف في اسم الإشارة حرف خطاب، فتدل على الخطاب المباشر، قال تعالى: (فذانك برهانان من ربك) [القصص: ٣٢] الخطاب مباشر مع فرعون، وذان للمثنى المذكر، ومثلها ذينك، وأولئك للإشارة إلى الجمع البعيد[(٢)].

ويدل على النوع أيضاً في دلالته على العدد، فيتصرف في أحواله من التذكير والتأنيث والتثنية والجمع، قال تعالى (كذلك قال ربك) [مريم: ٩] وقال (ذلكما مما علمني ربي) [يوسف: ٣٧] وقال: (ذلكم الله ربكم) [الأنعام: ١٠٢] وقال (فذلكن الذي لمتنني فيه) [يوسف: ٣٢] دلت الإشارة على النوع والعدد والمسافة.

والإشارة في الأصل تدل على مسمى في العالم الخارجي ثم دلت عليه في اللفظ أيضًا، ويرتبط اسم الإشارة بالمشار إليه خارج النص أو داخله لحاجته في المعنى إلى ما يوضحه، لأنه يقع على كل شيء ولا يختص بشيء دون شيء [(٣)]، ويحيل إلى متقدم

(١) سنن أبي داود، كتاب الصيام، رقم ٢٤٤٤.
(٢) الكاف اللاحقة بأسماء الإشارة نحو: ذاك وذينك وتاك وتانك وتيك وذيك وأولئك. الكاف في جميع ذلك للخطاب، وهي حرف مجرد من الاسمية وليس لها موضع من الإعراب.
(٣) شرح المفصل جـ٣/١٢٦، وشرح التصريح على التوضيح جـ١/١٢٦، والكتاب جـ٢/ ٧٧،٧٨.

في الكلام وهـو الأصـل ثـم وضـعت للدالـة عـلى متـأخر أيـضاً نحـو: (ذلـك الكتـاب) [البقرة:٢] وهو للتأكيـد عليـه وتعظيمـه أي: هـذا الكتـاب هـو كـل الكتـب أي جـامع لهـا والتعريف في الكتاب لخصائص الجنس كقولنا: زيد الرجل أي الذي اجتمعت فيـه خـصائص الرجولـة المحمـودة وقـد يـراد بـه الاسـتهزاء نحـو: (أهـذا الـذي بعـث اللــه بـشراً رسـولاً) [الفرقان:٤١] الذي بعد الإشارة خبر أو صفة وما بعد الإشارة خبر أو صفة ، وما بعد الإشارة خبر في معنى المشار إليه أو مُسَّماه، فيجري مجراه في التذكير والتأنيث، فإن كان صفة فهـو معنى يدل عليه السياق.

والمعنى: «ذلك الكتاب» أي ذلـك القـرآن أو الـسورة المـذكورة الكتـاب الجـامع النـافع الحق الذي يستأهل أن يسمى كتاباً، والكتاب يراد به الجنس الجامع خصائص الكتب، مثل: محمد ذلك الإنسان، أي الذي اجتمعت فيه خصائص الإنسانية، فما بعـد الإشـارة عـلى هـذا الوجه صفة، أو أن الكتاب خبر لاسم الإشارة والجملة خبر المبتدأ المقدر: القرآن ذلك الكتاب، أو: هذا الكتاب، وذلك إشارة إلى القرآن موضوع الحديث[1].

ويجـوز أن يكـون الكتـاب المـشار إليـه، أي: هـذا الكتـاب لا ريـب فيـه، ومنـه قولـه تعالى:(وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم) [الأنعام: ٨٣] ومثله: (تلك آيات نتلوهـا عليـك بـالحق) [البقرة: ٢٥٢] وقد تكون الإشارة وما بعدها بيان دلالة لما قبله من كلام سـابق، ومنـه قولـه تعالى: (ذلكم حكم اللــه يحكم بينكم) [الممتحنة:١٠] أي هذا المتقدم حكم اللـه، أو تحيل إلى مضمون كلام سابق نحو: (هذا وإن للطاغين لشر مآب) [ص:٥٥] وقد سبق تبيينه.

واسم الإشارة ذلك للبعيد، ويجـوز أن يكـون للقريـب مـدحاً، أو الإشـارة إلى مـا سـبق التكلم به وتقضي، والمتقضي في حكم المتباعد، ومن ذلك قوله تعالى: (لا فارض ولا بكر عـوان بين ذلك) [البقرة: ٦٨] و(ذلك مما علمني ربي) [يوسف: ٣٧] جاء اسم الإشارة ذلك في عقب المشار إليه، لأنه لما انقضى الحديث عنه ووصل مـن المرسـل إلى المرسـل إليـه صـار في حكـم المتباعد، كقولك لمن أعطيته شيئاً: احتفظ بذلك. أي الذي صار في حوزتك، فبعد مني، ومثـل تعقيبك على قول المتحدث إليك: ذلك مما لا شك فيه، وكذلك قول الحاسب (العاد): فـذلك عدده

(١) تفسير الكشاف جـ١/٣٤،٣٥، والقرطبي جـ١/١٦٥.

كذا وكذا.... لتمام العدد وانقضائه [1].

وقد يقع «هذا» موضع «ذلك»، وذلك في سياق استحضار المشار إليه، ومنه الحديث: «ناس من أمتي عُرضُوا عليّ غُزاةً في سبيل اللـه يركبون ثَبَجَ هذا البحر ملوكاً على الأسِرّة أو مثل الملوك على الأسِرّة» [2]. وهذا البحر استحضار له أمام المتلقي، والأصل ذلك البحر؛ لأنه لما يأت زمنه، ومكانه بعيد.

وخصصت هنا وهناك وهنالك وثَم وثَمة للإشارة إلى المكان: (إنا هاهنا قاعدون) [المائدة: ٢٤] ويقال في السكت هنه، للدلالة على المشار إليه القريب ويدل على البعيد بزيادة الكاف إشارة إلى مكان متباعد، «هناك» وتزاد اللام قبل الكاف للدلالة على الزيادة في المسافة: (هنالك الولاية لله الحق) [المائدة: ٢٤] وثَم وثمة (في السكت) إشارة إلى المكان البعيد، ولدلالته على البعيد لم يحتج إلى ما يدل على الجمع.

والأصل في الإشارة أن تحيل إلى العالم الخارجي في الخطاب المنطوق الذي يتفاعل مع العالم الخارجي المباشر، وتدل على اتصال الخطاب به ، وتستحضره في الخطاب اللغوي، وهذا أكثر تأثيراً في المتلقي، والإشارة من وسائل الإقناع المؤكدة، وهي من دعائم استمرار عملية الاتصال ونجاحه قال تعالى: (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم) [الأنبياء: ٦٢] أشاروا إلى ما أحدثه في الآلهة، والاستفهام عَزَّز من قيمة الحدث.

وقد يتناوب الضمير والإشارة في الإحالة والربط، فيبدأ المتكلم بضمير ثم يستبدله بالإشارة، قال كعب بن زهير مادحاً النبي صلى اللـه عليه وسلم ومعظماً قدر هيبته في نفسه:

لذاك أهيب عندي إذ أكلمه وقيل إنك منسوب ومسئول

ذاك اسم الإشارة للبعيد واستخدمه في مخاطبة القريب تعظيماً له، وقد سبق اسم الرسول صلى اللـه عليه وسلم في أبيات قبله فالخطاب له وعنه، فأغنى اسم الإشارة عن إعادة الاسم، وهو أنسب في نص منطوق موجه إلى مخاطب من تكرار الاسم، ويدل على الخطاب المباشر واستمرار عملية الاتصال، وهو لتنبيه والالتفات، فقد عدل عن الغيبة إلى المخاطب ثم عاد إلى الغائب، وهذا في المدح أقوى وأسد فمن الأدب ألا يكون الخطاب مباشراً مع صاحب المقام الأعز، والأبلغ أن يمدح الممدوح في غيبته، لئلا يقال

---

(١) تفسير الكشاف جـ٣٥،٣٤/١.

(٢) رواه البخاري ٢٧٨٨، كتاب الجهاد، ومسلم: ١٩١٢، كاتب الإمارة، وأبو داود: ٢٤٩٠ كتاب الجهاد، والترمذي ١٦٤٥ كتاب فضائل القرآن، وابن حبان: ٤٦٠٨، عن أنس عن خالته أم حرام بنت ملحان رضي اللـه عنهما.

مدحه خشيةً منه، وهذا دليل الصدق.

وقد استخدم كعب ضمير الغيبة في «ذاك» وقبله قوله: أنبئت أن رسول الله أوعدني....، ثم خاطبه مباشرة: لا تأخذني... وهذا التفات ثم تحول إلى الغائب: لذاك أهيب عندي...، وقد ربط اسم الإشارة البيت بما سبقه من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يستخدم الشاعر الإشارة إلا مرة واحدة، لأن الحكي في الماضي قد استغرقه، وقد قال القصيدة في حضرة الممدوح، فليس بغائب عنه، وكان أمامه، فأغنى عن الإشارة إليه، وكان بصدد الدفاع عن نفسه، فشغله الحديث عن الناقة - ومن قبلها سعاد- عن الاستغراق في المدح.

ويرجع عدم استخدام الإشارة في قصيدة كعب إلى أنه كان يحكي ما سلف، وكان المتلقي غائباً، ولم يشهد المواقع التي ذكرها فيحيله إليها، وأنه كان يشعر بالوحدة، ومن رموز الوحدة عدم مشاركة أطراف أخرى في الرحلة، فيقسم معهم معاناتها، ويشاركونه أحداثها، فالشاعر الشخصية التي لها حضور قبل أن يصل إلى مقام المدح، والإحالة دليل معايشة الحدث والمشاركة فيه، وهو فرد في رحلته.

وقد أناب الضمير في الربط بين أجزاء القصيدة؛ لأنه الرابط الرئيسى فى اللغة، وقد عبر الشاعر عن أحداثه لغة، فالضمير يمثل شبكة ممتدة فيه، أمسكت بأطرافه واجتمع الموضوع بها، وذكر الألفاظ آكد في الصدق، والخطاب إثبات حقيقة ولا يستدعي إثارة أو إجهاد المتلقي في البحث عما يحيل إليه المتلقي، فالمقام لا يتسع لرد فعل سريع، وقد حرص الشاعر على تهيئة المتلقي؛ لئلا يعجل عليه، وقد استهل بمقدمة طويلة يستقطب المتلقي ويذهب عنه ما به من غضب، وقد ذكر كعب المواضع لتوثيق كلامه والتأكيد عليه، وهذا أدعى للإقناع، ووصف الأشياء على هيئتها دون إحالة فيها تعمية على الجمهور الذين لم يشهدوا الأماكن التي ذكرها.

الروابط بين جملتين:

هنالك روابط بين جملتين، فتجعل بينهما تلازماً في اللفظ والمعنى أو اللفظ دون المعنى أو المفهوم دون اللفظ ويقوى الربط بهذه الروابط إن تحقق بها الربط في اللفظ والمعنى كأدوات الشرط العاملة، فالجملة الثانية (جملة الجواب) لا تقطع عن الأولى إن عملت فيها أداة الشرط، فإن لم تعمل وجب الربط بالفاء أو إذا، ويتحقق الربط بهذه الأدوات على مستوى الإعراب والمعنى أو المعنى فقط، في موضعين:

الأول- الربط الإعرابي، والمعنوي ويقتضي أن يكون الفعلان في زمن المضارع، قال تعالى (ومن يتق الله يجعل الله مخرجاً* ويرزقه من حيث لا يحتسب)

[الطلاق:٣] الثانية تابعة للأولى في الإعراب، وهي جزاء لها، فلا تقطع عنها.

الثانية- الرابط المعنوي في المواضع التي لا تعمل فيها أداة الشرط في الجواب ومن ذلك جواب الشرط الاسمي نحو: (ومن يتوكل على الـلـه فهو حسبه) [الطلاق:٣] أو يأتي الجواب ماضياً لشرط في المضارع نحو: إن تطع الـلـه نجوت، وبعضهم يـستوجب قـد: فقـد نجـوت، لتناسب المضارع. أو يكون فعل الشرط ماضياً نحو: إن أطعت الـلـه نجوت. الربط في المعنى دون اللفظ غير أن الماضي في جملة شرطهـا مـضارع يـستوجب قـد والفـاء وكـذلك الجـواب الاسمي كما تقدم. ومنه قوله تعالى (إن كنت قلته فقد علمته) [المائـدة: ١١٦] أي إن كنـت قلته في الدنيا فقد علمته، والسؤال بعد رفعه عليه السلام. ومن ذلـك حـديث النبـي صـلى الـلـه عليه وسلم لعائشة رضي الـلـه عنها: «إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الـلــه وتـوبي إليه»[١] والمعنى: إن كان صدر منك ذنب فـيما مـضى فاسـتقبليه بالتوبـة»، وهـذا فى سـياق حديث الإفك.

وإن تستخدم فـيما كـان محـتملاً، عنـد النحـاة ومـن تـابعهم مـن مفـسري النـصوص، فيعلقون عليها محتمل الوجود والعدم، ولا يعلقون عليها محققاً، يقولـون: إن تـأتي أكرمـك، ولا يستخدمونها فيما يتحقق، يقولـون: إذا طلعـت الـشمس أتيتـك، ولا يقولـون: إن تطلـع الشمس، لأنها تطلع لا محالة، وهذا الكلام ليس مطلقـاً، فـما كـان مـن الـلــه تعـالى فلـيس محتملاً أو مشكوكاً فيه، بل الشك والاحتمال من الناس قال تعالى: (إن كنـتم في ريـب ممـن نزلنا على عبدنا) [البقرة: ٢٣] فهم في شك. ومثله: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلـوا فـاتقوا النـار) [البقرة: ٢٤] و الـلـه على يقين، فأكد يقينه بلن تفعلوا، والعرب يحملـون مـا هـم فيـه مـن يقين على الاحتمال، لاحتمال خلاف ما يعلمون فيحترزون لقولهم بإن، نحو: إن كـان زيـد في الدار فأكرمه. وهو يعلم أنه في الدار، وجاءت إن لليقين في قوله تعـالى: (إن الإنـسان لظلـوم كفار) [إبراهيم:٣٤] فانتفى عنها الاحتمال، وقد جاءت في قوله تعالى: (إن كـان قميـصه قـد من قبل فصدقت وهو مـن الكـاذبين* وإن كـان قميـصه قـد مـن دبـر فكـذبت وهـو مـن الصادقين) [يوسف: ٢٧،٢٦] وهذا لاحتمال أحد الوجهين[٢].

(١) رواه البخاري رقم ٤١٤١، ومسلم رقم ٢٧٧٠.
(٢) ارجع إلى: بدائع الفوائد جـ٥٢،٥١/١.

والنفي بين الجملتين نحو: إن لم تتق الله لم تفلح، وإن لم تطع الله خسرت أو فقد خسرت، والأصل: تخسر، فوقع للماضي تأكيداً.

وبعض الأدوات لم تعمل، ولكنها تربط بين الجملتين، منها وبعض الحروف حملت على معنيين منها: لمّا تكون ظرفاً إن دخلت على الماضي نحو: لما جاء أكرمتُه. أي: عندما جاء أكرمته. ولما إن دخلت على مضارع جزمته، ومثلها إذا: إذا دخلت أجلستك.

ومثلها لو نحو: لو جاء محمد أكرمه، وهي تلازم بين امتناع الثاني لامتناع الأول، فالكرم لم يكن؛ لأن محمد لم يجيء، ومثلها لولا التي تلازم بين امتناع الشيء لوجود غيره نحو: لولا رحمة الله لهلكنا.

الرابط العطفي (النسقي)

ويسمى الشركة لمشاركة الثاني الأول في حكمه، والمشهور فيه النسق[1]، أي عطف بعضه على بعض بالحرف، فيتبعه فالإعراب، وهو رابط لفظي، فالتشريك يكون في الإعراب.

وهو أحد عناصر الربط اللفظية، فهو يصل بين الكلام فلا ينقطع بعضه عن بعض، ويقوى به الربط، فإن كان المعنى منفصلاً فالإعراب متصل فتتماثل الألفاظ في الإعراب فيكون دليلاً على اتصالها في اللفظ[2].

والعامل في المعطوف مقدر في معنى المعطوف عليه، وحرف العطف يغني عن إعادة العامل وينوب منابه، وما بعد حرف العطف لا يعمل فيما قبله، وحرف العطف يجمع بين المعطوفين، فلا يجوز إعادة العامل قبل المعطوف نحو: إن زيداً وإن عمراً لمجتهدان، فالأفصح: إن زيداً وعمراً لمجتهدان، ويسمع ذلك في القليل النادر نحو: «بل بنو النجار وإن لنا فيهم قتلى وإن ترة» يريد: لنا فيهم قتلى وترة، والمشهور عدم

(١) البصريون يسمون العطف شركة، والكوفيون يسمونه نسقاً، أي العطف، لعطف بعضه على بعض، همع الهوامع جـ١٨٥/٣. وهناك نوعان من الربط العطفي الأول عطف البيان وهو اسم غير صفة يكشف عن المراد، ويؤتى به لإيضاح ما يجري عليه نحو: جاء أخوك عمر. وعطف النسق يكون بالحرف. شرح ابن يعيش جـ٦٤١/١، ومغني اللبيب جـ٥٤٥/٢. ويميز عطف النسق عن عطف البيان توسط حرف العطف بين المتعاطفين. ارجع إلى: حاشية الصبان جـ١٣١/٣.

(٢) ارجع إلى: حاشية الصبان (مكتبة الصفا) جـ١٣٥،١٢٥/٣ والعطف لغة الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه. ارجع إلى شرح المفصل جـ٧٥/٣ ودلائل الإعجاز ص ٢٢٢ وشرح الكافية جـ٤٦٦/١ والمقتضب ٢٧٩/٣.

إعادة العامل نحو: اختصم زيدٌ وعمرو، وجلست بين زيد وعمرو. فحرف العطف (الواو) جمع بين الاسمين في العامل، فالمعنى اختصم هذان (أي: اختصم زيد واختصم عمرو) فحرف العطف الرابط، والمعطوف مرتبط بالمعطوف عليه لحذف العامل قبله ولاعتماده على العامل في المعطوف عليه[1]. والعطف يكون على اللفظ فيعرب إعرابه أو يكون على المحل أو الموضع فيخالفه في ظاهر اللفظ إتباعاً الإعراب المحل[2].

والعامل في المعطوف مضمر يدل عليه حرف العطف، وهو في معنى العامل الذي عمل في الاسم الأول، فحذف العامل استغناء عنه بحرف العطف وهو القياس[3]، وسمع إظهار العامل في بعض كلام العرب، ومنه قول خالد بن عبد العُزي الأنصاري[4]:

بل بني النجار وإنّ لنا فيهم قتلى وإن تِرَه

أعاد «إن»، والأصل: وإن لنا فيهم ترة.

وإذا ورد الاستثناء بعد جمل عطف بعضها على بعض، فالاستثناء يعود إلى الكل دون أن يختص بجملة، ويرجع هذا إلى اتحاد العامل.

وإن اختلف العامل فالاستثناء يختص بالجملة الأخيرة فقط إذ لا يمكن عمل العوامل المختلفة في مستثنى واحد[5].

والعطف يقتضى المشاركة في حكم ومعنى، وهذا يكون في الحروف التى تقتضي الجمع لا النفي أو الإزالة أو الترجيح مثل: جاء محمد وعلي، فالواو تقتضي التشريك، فشارك الاسم الثاني الأول في حكم ودخل في معناه، فالمجيء لهما معاً وهو المعنى الذي اشتركا فيه والفاعلية لهما معاً وهي الحكم الإعرابي. وقولنا: «جاء محمد لا علي» نفي لذلك فعلي لم يأت وليس بفاعل لجاء؛ لأنه لم يأت، ومثله: جاء محمد أو علي،

(١) ارجع إلى: بدائع الفوائد م١/١٩٥
(٢) ارجع إلى: مغني اللبيب جـ٢/٥٤٥. ترة مصدر: وتر: وتْراً وترة، أى قتل: حميمة.
(٣) ارجع إلى: نتائج الفكر، السهيلي، دار الرياض، السعودية، ص ٤٨، وشرح المفصل ٣/٧٥.
(٤) نتائج الفكر، السهيلي، ص ٢٤٩، والسير النبوية ١/٢٢.
(٥) الأشباه والنظائر جـ٢/١٨٧، ورأى بعض العلماء جواز تقديم المستثنى على المستثنى منه وعلى العامل فيه نحو: القوم إلا زيد قاموا. تقدم زيد على الضمير في الفعل المستثنى منه. وقد أجاز ذلك من قال: العامل فيه إلا، ومن قال: العامل الفعل مع ذلك، فلا يتقدم المعمول على عامله (الفعل وشبهه).

فالحكم والمعنى لأحدهما دون الآخر. وليس لهما معاً، وهذا ظاهر اللفظ، والحقيقة أن من وراء ظاهر اللفظ معنى يقتضي الحكم والمعنى أيضاً، فقولنا: جاء محمد وعلي، المشاركة على معنى: جاء محمد وجاء علي، والثاني: جاء محمد لا علي معناه: جاء محمد ولم يجيء علي، فعلي فاعل أيضاً ولكن لحدث منفي، وقولنا: جاء محمد أو علي، أي جاء محمد أو جاء علي، وعلى هذا التقدير شارك الثاني الأول في حكم الإعراب، ولكنه في المعنى اقتضت نسبة الحدث إليه حكماً آخر، فالنفي أزاله عنه وكذلك «أو» جعلته له أو لما قبله.

والعطف يكون بين أشياء بينها جامع مقبول عقلاً، فيكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل بينهما أو بينهما علاقة سببية كما بين العلة والمعلول والسبب والمسبب، قال كعب:

منه تظل سباع الجو ضامزة ... ولا تمشي بواديه الأراجيل

الجامع بين المتعاطفين الخوف من الأسد (يريد الممدوح النبي صلى الله عليه وسلم).

أو تكون بينهما علاقة وهمية كأن يكون بينهما تماثل أو شبهه، كالجمع بين الأبيض ولون قريب منه كالأصفر توهماً على أنهما متماثلان، أو أن الشمس تماثل القمر، وهذا توهم[(١)].

والتوهم في علاقة التضاد، كالسواد والبياض، والهمس والجهر، والحلاوة والحموضة، والطول والقصر، والملاسة والسكون.

أو شبه تضاد كما بين السماء والأرض، والسهل والجبل، والأول والثاني، فليست متضادة حقيقية بل توهماً، قال كعب:

لا يفرحون إذا نالت رماحُهُمُ ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

وقوله:

لا يقع الطعن إلا في نحورهم ... ومالهم عن حياض الموت تهليل

وقد يكون الجامع بينهما متخيلاً قال كعب:

---

(١) ارجع إلى: الإيضاح ص ١٥٢،١٥١، ومنه قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمرُ

قيل لأبي تمام، ولم أجدها في ديوانه، مفتاح العلوم، السكاكي، ص٢٥٤، ولم ينسبه.

لكنهـــا خُلـــة قـــد ســـيط مـــن دمهـــا   فجــــع وولــــع وإخــــلاف وتبــــديل

المعنى الجامع متخيل وليس حقيقة فقد صور الفجع والولع والإخلاف والتبديل أشياء محسوسة خلطت بدم الخلة (العلاقة) على وجه التخيّل، فأجاز العطف على نائب الفاعل الأول «فجع» على المعنى المتخيل، وقال كعب:

يمـــشي القـــراد عليهـــا ثـــم يزلقـــه   منهـــا لبـــانُ وأقـــرابُ زهاليـــلُ

أسند الفعل يزلق إلى اللبان والأقراب، والحقيقة أن القراد يزلق عن اللبان والأقراب لشدة ملاستها، وقد ترابط بناء النص على مستوى اللفظ والمعنى، فالعطف جامع لفظي والعلاقة المعنوية بين المعطوف والمعطوف عليه جامعة أخرى عضدت الرابط اللفظي.

العطف فى الألفاظ والجمل:

أولاً- العطف في الألفاظ، ويكون في الألفاظ التي تجتمع لحكم واحد نحو: مات زيد وعلي، فالموت عليهما سواء، وصحيح فيهما، ومنه قول كعب: «إن الأماني والأحلام تضليل» فالمصدر «تضليل» خبر لهما لجواز الإخبار به عن الواحد فما فوقه، والعطف صحيح على هذا الوجه، وصحيح أيضاً على تقدير خبر من لفظ المذكور لأحد الاسمين، فيكون العطف بين جملتين أي: إن الأماني تضليل والأحلام تضليل، والخبر المذكور في القصيدة للأول على الأرجح، وهذا مطرد في المعنى الواحد والمترادفين، وقوله تعالى: (وجمع الشمس والقمر) [القيامة: ٩].

العطف بين اسمين، والمعنى صحيح لاشك، لوقوعه آجلاً يوم القيامة، ولكن قولنا: اجتمع الشمس والقمر الآن، فاسد لعدم قبوله حقيقة، وكذلك: طلع الشمس والقمر،محال في إسناد الفعل لهما معاً على العطف، لعدم صحة الجمع بينهما نهاراً أو ليلاً، وهذا جائز على تقدير: طلع الشمس نهاراً وطلع القمر ليلاً، فالعطف بين الجملتين.

والعطف في الألفاظ التي يصح جمعاً في إسناد واحد صحيح، قال كعب:

لكنهـــا خلـــة قـــد ســـيط مـــن دمهـــا   فجــــع وولــــع وإخــــلاف وتبــــديل

فالجمع بين هذه الأسماء صحيح في إسناد واحد لصحة المعنى فيها مجازاً.

وقولنا: ولدت البقرة والدجاجة، لا يجوز الجمع بينهما في إسناد الفعل لهما، ويجوز بفصل الثاني عن الأول على تقدير فعل يصلح له في المعنى: ولدت البقرة وباضت الدجاجة.

ومن ذلك قوله تعالى: (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) [المائدة: ٦] المشهور في الأرجل النصب (قراءة نافع وابن عامر والكسائي)، وقرأ نافع أيضاً بالرفع، وقرأ كذلك الحسن البصري والأعمش (سليمان)، وقرأ بن كثير المكي وأبو عمرو بن العلاء وحمزة بن الزيات بالجر (الخفض)، فالنصب، وهو مخالف لحكم لفظ (رءوس) على إعمال «اغسلوا»، وهو الثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد غسل قدميه، وهذا مذهب الجمهور، والعطف على هذا الوجه بين جملتين امسحوا برءوسكم واغسلوا أرجلكم، وحذف العامل لتقدمه وللعلم به من السنة، وهذا لا خلاف فيه.

والقراءة بالخفض اختلفوا فيها وخلافهم ليس في جواب غسلهما بل في إجراء الجر، وأحسن ما قيل في ذلك أن المسح باليد والغسل في القدمين، ويراد التدليك، فهما أولى بالتنظيف، والمسح في القدم يراد به التنظيف والتشديد عليهما، فالغاسل يمسح بيده على قدميه أي يدلكهما، فالماء ينضح على الوجه والرأس، والمسح لا يكون إلا باليد، فاشترط في القدمين لإزالة ما بهما، والذين قاسوا مسح القدمين على مسح الرأس لا يدخل في هذا المعنى، لأنهم قاسوا المسح بالماء على المسح بالصعيد في التيمم، فالتيمم إجراء حكم لضرورة، والمسح بالماء غير التيمم، وذهب بعض النحاة إلى أن الجر على المجاورة لا على المعنى، وقيل المسح في الرجلين يكون على الخفين، والأصل الغسل، وما علم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يغسل القدمين ثم يمسح عليهما في السفر، فالمسح في الخفين دون القدمين.

والرفع قراءة الحسن والحسين وسمعهما علي رضي الله عنهم- يقرءان بها، وهي قراءة الحسن البصري والأعمش، والرفع على الابتداء. أي: وأرجلكم اغسلوهما[1].

والنصب مرجح على الرفع، والرفع مرجح على الجر، والأخير الأضعف، وإجراء العطف في الجر ضعيف لعدم دخول القدم في المسح على الأرجح، ومن حمل الجر

(١) ارجع إلى: القرطبي جـ٥/٨٢،٨٣.

على الجوار، فهو مما اختلف فيه العلماء، وسمع عن العرب قليلاً، ولا يؤخذ به في هذا الموضع لقيام الحكم بما يخالفه، والحمل في الجر قليل، والذي أجازه العلماء في الحمل على الجوار في غير العطف، والحمل على الجوار في القرآن الكريم تكلف، وما ورد من ذلك في كلام العرب رده العلماء، ومما جعله بعض النحاة محمولاً على الجوار: الجر في قراءة إبراهيم النخعي وقتادة والأعمش وحمزة بجر «الأرحام» في قوله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) [النساء: ١] قيل الجر على القسم، نحو: سألتك بالله والرحم، وهو الصحيح ولم يجيزوا العطف على الهاء في «به» إلا بإعادة الحرف، وحمل بعضهم على الجوار، فالجر عندهم لمجاورة الضمير المجرور بالباء، وهذا وجه بعيد، فالمشهور النصب(١).

وأرى أن الإتباع في الحركات للتماثل من أجل الإيقاع، والكثير من ذلك وقع ضرورة، ويوجه عليه ما جاء في قوافي الشعر(٢).

ثانياً- العطف بين الجمل: والغرض منه ربط الجملة بالجملة، فلا تقطع عنها، فتتصل بها في اللفظ والمعنى، فيتماسك النص وتتشكل الوحدة الكلية فيه. والعطف يكون بين الجمل المتفقة في النوع والزمن،كعطف الفعل على الفعل شريطة اتحاد زمنيهما، قال تعالى: (لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه) [الفرقان: ٤٩] وقوله: (وإن تتقوا يؤتكم أجركم ولا يسألكم أموالكم) [محمد: ٣٦] وقوله: (وأنه هو أضحك وأبكى* وأنه هو أمات وأحيا) [النجم: ٤٣،٤٤] والاتفاق في الزمن وحّد الإعراب(٣)، وهذا أبلغ، لأن العطف يقتضي المشاركة في الحكم الإعرابي، وارتباط الفعل الثاني بعامل الأول يشد من أزر تماسك الجملتين، فلا تقطع الثانية عن الأولى

(١) ارجع إلى: القرطبي جـ٤/٥، ضعف الزجاج الجر، لأنه لهجة رديئة في العربية فلا يعطف اسم على ضمير إلا لضرورة، والقسم بغير الله (الرحم) غير جائز، وأجاز سيبويه الجر في الشعر فقط، وما ورد في بعض القراءات رده العلماء، فالقياس في العطف إعادة العامل قال تعالى: (فخسفنا به وبداره الأرض) [القصص: ٨١].

(٢) قال امرؤ القيس:

كأن أباناً في أفانين ودقه ... كبيرُ أناس في بجاد مُزَمّلِ

الكسر في مزّمل للقافية وليس للجوار؛ لأنه وقع في الفعل للرويّ.

وقال زهير بن أبي سلمى:

لعب الزمان بها وغيَّرها ... بعدي سَوَا في المورِ والقطرِ

الكسر في القطر للقافية.

(٣) ارجع إلى: حاشية الصبان جـ١٧٧/٣، وشرح ملحة الإعراب ص ٢٥٦.

لتعلقها بعاملها.

ويستحسن الجمع بين الجمل في المواضع الآتية:

- أن تتفق الجملتان في النوع، فتكونان اسميتين أو فعليتين، قال تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم* وإن الفجار لفي جحيم) [الانفطار: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) [الروم: ١٩] الجملة الثانية متصلة بالأولى، وهذا إيذان باتصال الخطاب في المعنى، فالثانية ليست مقطوعة عنها، فزمن الأولى زمن الثانية، فالواو واصلة بينهما والضمير أيضاً. وحرف العطف واجب هنا للوصل، فالثانية ليست ملتبسة بالأولى مثل جملتي الصفة والحال بل يمكن أن تستقل في المعنى دونها، فوجب ذكر العاطف.

وقال كعب:

أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

الجملة التي شغلت الشطر الثاني «والعفو عند رسول الله مأمول»، معطوفة على «رسول الله أوعدني»؛ لأنه مما أنبئ به، وحُدث به، ومثلها قوله:

أكرم بها خلة لو أنها صدقت ... موعودها أو لو أن النصح مقبول

قوله: لو أنها صدقت موعودها أو لو أن النصح مقبول، لو في الجملتين الاسميتين للتمني، وقد اتفقت الجملتان في الاسمية، والعطف بأو التي خيرت بينهما، وهما في معنى مشترك، فإحداهما تعادل الأخرى، ولا ضير في وقوع إحداهما، فقد استحسنها الشاعر.

وجاز العطف فيما تؤول بمصدر من الأفعال، ومنه قول الحصين بن همام السري[1]:

فلولا رجال من رزامٍ أعزةٌ ... وآل سُبَيع أو أَسُوءَك عَلْقما

بنصب أسوءَ، أراد: أو أن أسوءك، والمعنى: فلولا رجالُ وآل سبيع أو مساءتي إياك، فالفعل متأوّل باسم، بعد أن قُدر قبله أن المصدرية.

وقد وقع ظاهر العطف بين اسم وفعل، وهذا مؤول بمصدر ومنه قول

---

(١) الكتاب ٤٢٩/١، وسر الصناعة ٢٤٤/١.

الشاعر[1]:

لَلُبس عباءة وتقرَّ عيني   أحب إليّ من لبس الشفوف

قدرت «أن» المصدرية قبل تقرَّ ولهذا روي بالنصب، وقيل الواو عوض عن «أن» وتقديرها واجب، لأن المصدر لا يقدر فيه ضمير.

وقد جاء عطف الفعل على الاسم في المواضع التي يشبه فيها الاسم الفعل، ومن ذلك المشتقات التي تعمل عمل الفعل نحو قوله تعالى: (صافات ويقبضن) [الملك: ١٩] فصافات: مشتق، فهو بمنزلة الفعل، فيقدر فيه ضمير مثل الفعل، ومثله: (وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس) [آل عمران:٤٥،٤٦] ويجمع عطف ما يعمل عمل الفعل على الفعل، ومنه قول كعب:

يسعى الوشاة حواليها وقولهم   إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

«قولهم» مصدر عَمِل عَمْل يقولون، والجملة بعده في موضع نصب، فجاز عطف المصدر على الجملة الفعلية قبله، لتعلق الجملة بعده به فعمل عمل فعله.

والعطف بين الجمل المتفقة في النوع والزمن أولى بالاتباع كعطف الفعل على الفعل شريطة اتحاد زمنيهما نحو قول الشاعر: «أرجو وآمل أن تدنو مودتها». وقوله:

يمشي القراد عليها ثم يزلقه   منها لبان وأقراب زهاليل

ويجوز عطف الاسمية على الفعلية عند بعض النحاة وجعلوا[2] منه قول كعب:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

وتناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من تخالفهما،

وقد عطف كعب الجملة الاسمية على الفعلية: «بانت سعاد فقلبي اليوم....»، وهذا جائز عند بعض النحاة، فالفاء لمحض العطف والتعقيب والمرجح أنها في قول كعب لمحض السببية، وهذا ترجيح ابن

---

(١) الكتاب ٢٦٤/١، ومغني اللبيب ص٤٧٣،٦٧٣،٨٦٨،٩٥٢، والخزانة ٥٩٢/٣، وروي للبس بلامين، وسر صناعة الإعراب جـ٢٤٤/١، وقدر المعنى: لَلبس عباءة، وقرة عيني أحب إلي...

(٢) هذا مذهب ابن هشام. شرح قصيدة كعب ص٥١ وأجازه أبو علي الفارسي إذا كان العاطف الواو خاصة. والذين رفضوا العطف بين الجملتين المتخالفتين، ذهبوا إلى أن الفاء في «فقلبي» للسببية. ارجع إلى مغني اللبيب جـ٥٥٥/٢،٥٥٨

هشام، والأولى تناسب الجملتين المتعاطفتين بدلاً من تخالفهما، ليكونا على نسق واحد في اللفظ والحكم الإعرابي، وبعض العلماء أجازوا العطف الفعلية والاسمية إن كانت الواو العاطفة خاصة.

ومن أدلة عطف الاسمية على الفعلية قول الشاعر (مجهول) [(١)]:

عاضـــها اللـــــه غُلامــــاً بَعْـــدَما   شـــابت الأصـــداغ والـــضرسُ نَقَـــدْ

وقيل: عطف الاسمية على الفعلية ممتنع مطلقاً، وقدروا فعلاً ارتفع به الضرس، وقد فسره نقد، فأضمر لوجود دليل عليه في الكلام، وقدروا محذوفاً فيما تخالف في العطف، وقد قدروا فعلاً ارتفع به الضرس، وفسر المحذوف للفظ «نقد» والأول أرجح؛ لأن فيه توسعة على المتكلم، وليس فيه ما يفسد المعنى، وقد صح عن العرب نحو قولهم: قام زيد وعمرو أكرمته[(٢)]، وقد أجاز أبو علي الفارسي العطف بين الاسمية والفعلية على أن يكون العطف بالواو.

وقال كعب:

كـــل ابـــن أنثـــى وإن طالـــت ســـلامته   يومـــاً عـــلى آلـــة حـــدباء محمـــول

الواو في: «وإن طالت سلامته»، عاطفة والمعنى: كل ابن أنثى محمولاً على آلة حدباء على كل حال وإن طالت سلامته، وقيل المعنى: كل ابن أنثى وإن قصرت سلامته وإن طالت سلامته، مثل: آتيك إن أتيتني وإن لم تأتِ.

وقيل الواو واو الحال، ويجوز أن تقع الجملة الشرطية حالاً إذا شرط فيها شرط ونقيضه مثل: لأضربنَّه إن ذهب وإن مكث[(٣)].

- أن يكون المعطوف عليه ظاهراً في اللفظ فلا يكون ظاهراً أو ملتبساً بأحرف الكلمة كالجزء منها مثل الضمير المتصل فهو غير مستقل بنفسه ويتصل بلفظ الكلمة فيشبه حروفها، والمضمر أشد التباساً منه، وأما الضمير المنفصل فيجوز العطف عليه، لأنه بمنزلة الكلمة، قال تعالى: (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) [سبأ: ٨] ومثله: أنا وأنت متفقان، فالمنفصل بمنزلة الاسم الظاهر، ولهذا يقدم على عامله

---

(١) شرح قصيدة كعب ص٥١، والخصائص جـ٢/ ٧٣، وإصلاح المنطق، ص٥٨.
(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص٥١، وسر الصناعة جـ٢٣١،٢٣٠/١، وجـ١٧٧/٢.
(٣) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب بن زهير ص٢٧٠.

في نحو: (إياك نعبد) ويعطف عليه الاسم نحو: أنت وزيد متفقان، فوقع في العطف موقع الاسم المعرب، ومثله: زيد وأنت متفقان. وهذا غير جائز في المتصل، لاتصاله بما يعمل فيه نحو: زيد ضربته وأحمد، فالهاء في «ضربته» لا يجوز العطف عليها دون إظهار الضمير المنفصل المؤكد، لأنه بمنزلة حرف في الكلمة، ويقدر فيه معنى آخر أي وأحمد (بالرفع) ضربته.

ويجوز العطف على المضمر والمتصل. بتوكيدهما بضميريهما الظاهرين، وأظهر الضمير للتأكيد المضمر في قوله تعالى: (لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى) [طه: ٥٨]، ومثله: (إنه يراكم هو وقبيله) [الأعراف: ٢٧] الضمير مضمر في الفعلين، فأظهر اللفظ للعطف عليه.

والضمير المتصل الظاهر نحو: أعطيته هو وأخاه، والعطف على الضمير المتصل وليس على الضمير الظاهر المنفصل المؤكدة له ويجوز العطف على الضمير مضمراً وظاهراً ومتصلاً إن سبق حرف العطف بفاصل أو تلي بفاصل يفصل بين الاسمين.

الفاصل القبلي نحو: (فأجمعوا أمركم وشركاؤكم) [يونس: ٧١] برفع شركاؤهم (وهي قراءة أبي عبد الرحمن، والحسن البصري، وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وسلام ويعقوب، ورفعها أبو عمرو وكسر الميم) والرفع على العطف على الضمير، وقد فصل المفعول أمركم بين المتعاطفين، وهو متقدم على الواو[1]. ونحو: أبي سيعطيني مالاً أو أخي. عطف « أخي» على الضمير المضمر في سيعطيني، والفاصل البعدي نحو قوله تعالى: (ما أشركنا ولا أباؤنا) [الأنعام: ١٤٨] لا زائدة للنفي، وقد فصلت بعد حرف العطف.

وقد يأتي الضمير المؤكد مع الفعل قال تعالى: (فكبكبوا فيها هم والغاوون) [الشعراء: ٩٤] و(ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا أباؤنا) [النحل: ٣٥]. وقد يحذف الضمير المؤكد وقد يحذف الفعل أيضاً للضرورة أو للاختصار، لأن طول الكلام قد يغني عما هو الواجب، والأولى إظهار المؤكد أو الإتيان بفاصل قبل حرف العطف أو بعده، فيجوز على كره عند البصريين: ماتوا وأولادهم، والأفصح: ماتوا

(١) شرح المفصل م٩/٢، وقراءة النصب معزوة إلى الأعرج وأبي رجاء وعاصم الجحدري والزهري. المحتسب ٤٣٤/١.

هم وأولادهم، أو ماتوا جميعهم وأولادهم. وأجاز الكوفيون العطف المذكور بلا تأكيد ولا فصل[1]. وأجاز بعض العلماء العطف على الضمير المتصل إن كان في موضع نصب نحو: أكرمته وأخاه، وأكرمتك وأخاك، وجاء في القرآن الكريم: (إني أراك وقومك في ضلال مبين) [الأنعام: ٧٤] قومك معطوف على الكاف، والمعنى يستوجب العطف.

ومثله: (أرجه وأخاه) [الأعراف: ١١١] أخاه معطوف على الهاء[2]. جاز العطف على المنصوب من غير تأكيد، لأن المنصوب فضله في الكلام يقع كالمستغنى عنه، فجاز حذفه وإسقاطه نحو: (ما ودعك ربك وما قلى) [الضحى: ٣] أي: قلاك. والعطف على المتصل دون توكيده بمنفصل قليل جداً، وليس بمشهور، ولم يجزه بعض العلماء في غير المنصوب، لأنه كالجزء مما اتصل به لفظاً لعدم جواز انفصاله عنه[3]، وقد صح في العربية شواهد عطف فيها على المتصل الظاهر والمضمر، ولكنه قليل، والعمل بالمشهور أولى، فيجب إظهار المضمر بغير مؤكد له منفصل، قال تعالى: (اذهب أنت وأخوك) [طه: ٤٣] و(اسكن أنت وزوجك الجنة) [البقرة: ٣٥] الضمير مؤكد لما قبله، والعطف ليس على المنفصل، بل على المتصل المضمر؛ لأنه الأصل والثاني مؤكد له، فلا يجوز العطف على المنفصل؛ لأن المعطوف بمنزلة المعطوف عليه، وليس ما بعد الواو تأكيداً بل اسماً مشاركاً ما قبله في الحكم.

ذكرنا أنه يجوز العطف على الضمير المتصل المنصوب، ويجب تأكيد المرفوع بضمير ظاهر منفصل، لأنه يضمر في الإفراد، ويجب إعادة ذكر حرف الجر في المعطوف المجرور على الضمير المتصل، ويترك في العطف على اسم مجرور لاستقلاله في اللفظ نحو: مررت بزيد وأخيه، ولكن الضمير المتصل بعامل الجر بمنزلة الحرف من الكلمة، فوجب إعادة عامل الجر في الاسم المعطوف سواء كان حرفاً جاراً أو اسماً مبهماً ملازماً للإضافة [4] عند العطف على الضمير المجرور، لشدة اتصاله به ولعدم

(١) ارجع إلى: شرح الكافية جـ٢/٣٥٤.
(٢) القرطبي ٢٠٩/٧، وارجع إلى: شرح المفصل ١١/٢.
(٣) شرح الكافية ٣٥٣/٢.
(٤) الأسماء المبهمة نحو: الظروف، ويضاف إليها ما بعدها، وقد لا تعاد في المعطوف إن لم يحتمل التجزيء .

جواز فصله عنه، فهو معه بمنزلة الحرف من الكلمة، فكره العطف عليه، وهذا هو المشهور عند العلماء، قال تعالى: (فخسفنا به وبداره الأرض) [القصص: ٨١] وليس للمجرور ضمير منفصل يؤكده كما سبق في إعادة المرفوع والمنصوب منه بضمير مؤكد له نحو: رأيته هو وأخاه، فوجب في الضمير المجرور سواء كان متصلاً أو منفصلاً إعادة عامل الجر في المعطوف نحو: المال بينك وبين زيد، ويذكر الحرف أيضاً إن عطف الضمير على اسم مجرور نحو: مررت بالبيت ثم بك. ولا يجوز عند بعض العلماء مررت بالبيت ثم أنت.

وقد صحت شواهد في العربية وقع العطف فيها على الضمير المتصل المجرور، ومنه قراءة إبراهيم النخعي وقتادة والأعمش وحمزة: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) [النساء:١] بجر الأرحام على العطف على الضمير، وقد استقبح العطف على الضمير جماعة من العلماء، وقال بعضهم لا تحل به القراءة، وقدر بعضهم محذوفاً في الآية: وتساءلون بالأرحام، فإنهم كانوا يتساءلون بها، وعلى هذا التقدير قرأ من يجر الأرحام[١]. وقد أجازه سيبويه في الشعر للضرورة، ومنه قول الشاعر المجهول[٢]:

فاليومَ قرَّبْت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

عطف الأيام على الكاف، وفسره سيبويه على الضرورة.

وقال آخر[٣]:

نعلّق في مثل السواري سيوفنا ... وما بينها والكعبِ مَهْوَى نَفَانِفُ

عطف الكعب على الضمير في بينها، وهو للضرورة، وضيق العلماء العمل به إلا لضرورة، وكان المبرد ينكره في القراءة، وهو مذهب الزجاج أيضاً، وهذا مذهب

(١) ضعف بعض النحاة هذه القراءة نظراً إلى العطف على المضمر للمخفوض، وينسب هذا إلى المبرد، وهذا رأي غير مرضٍ عند الآخرين، لأنها رويت عن أئمة ثقات، منهم ابن مسعود وابن عباس والقاسم بن محمد وحمزة والأعمش وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة، شرح المفصل ١٣/٢. وارجع إلى القرطبي جـ٤/٥ قال رؤساء البصرة تحل القراءة بالجر عطفاً على الضمير المجرور دون إعادة الجار في المجرور، واستقبحه الكوفيون ولم يجز سيبويه العطف على الضمير المجرور؛ لأنه بمنزلة التنوين والتنوين لا يعطف عليه، وضعف الزجاج (وهو كوفي) العطف عليه وأوجب إظهار الخافض في الثاني.

(٢) الكتاب جـ / ، وخزانة الأدب ١٢٣/٥،١٢٦، وشرح الأشموني٤٣٠/٢، وشرح المفصل ٧٨/٣،٧٩، وهمع الهوامع جـ٢/ ١٣٩، والقرطبي جـ٤/٥.

(٣) القرطبي جـ ٤/٥، والنفانف: السفيف: ما يتناثر من الطحن، وصاحب البيت مجهول.

النحاة في الرفض، ولكن علماء القراءات لا يردون القراءة المتواترة وإن خالفت مذهب النحاة. وقد ذكر القرطبي شواهد كثيرة عطف فيها على الضمير المجرور دون إعادة الجار في الاسم الظاهر المعطوف، وحمل بعضهم قوله تعالى: (وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين) [الحجر: ٢٠]. عطف «من» على الكاف في «لكم»[١]. وجعل بعضهم من ذلك قوله: (وما أنتم بمصرخي) [إبراهيم: ٢٢][٢]، وقيل عطف على (ما أنا بمصرخكم).

- أن يذكر المعطوف عليه، وذكره واجب، فالثاني محمول عليه في الحكم الإعرابي، متعلق به في الكلام؛ لأنه تابع له، فلا يجوز حذفه، وقد أبطل ابن هشام قراءة من وقف على قوله تعالى: (أفلا تبصرون* أم أنا خير) [الزخرف:٥٠،٥١] فقد من وقف معطوفاً محذوفاً: أم تبصرون، وهذا مفهوم من سياق السؤال، ثم ابتدأ (أم أنا خير) فجعل العطف على المحذوف، وهو وجه ضعيف، فلم يسمع عن العرب حذف معطوف بدون عاطفه والمعطوف في الآية جملة فعلية «أم تبصرون»، وأقيمت الجملة الاسمية «أنا خير» مقام الفعلية «أم تبصرون» المحذوفة، فوقعت الاسمية أنا خير موضعها، لأنها بسبب منها، وقيل أم ليست متصلة بل منقطعة، والمعنى: بل أنا خير، فالهمزة للتقرير، وقيل حذف فعل والمعنى أم استقر أو ثبت أني أنا خير[٣]. وقولهم أتفعل هذا أم لا؟ والحذف فيها بعد لا، والأصل: أم لا تفعل.

وأجاز الزمخشري وتابعه الواحدي حذف المعطوف عليه بأم في قوله تعالى: (أم كنتم شهداء) [البقرة: ١٣٣] فرأى أن أم متصلة وليست منقطعة على أن الخطاب لليهود، والمعنى: أتدّعون على الأنبياء أنهم كانوا يهوداً أم كنتم شهداء. وقدر الواحدي: أبلغكم ما تنسبون إلى يعقوب من إيصائه بنيه باليهودية أم كنتم شهداء[٤].

وبعض العلماء أجاز العطف على المحذوف، ومنهم الزمخشري وحمل عليه معنى

(١) القرطبي جـ٤/٥، وقد رأى القرطبي عدم رد القراءة لثبوتها وتواترها، وهذا مذهب ابن عطية، والإمام أبي النصر عبد الرحيم القشيري.
(٢) القرطبي جـ٥/٥، جـ٢٨٨/٩، وقد ردها المبرد.
(٣) ارجع إلى: مغني اللبيب جـ٥٤/١، وارجع إلى: الكشاف للزمخشري جـ١٦٢/٤.
(٤) الكشاف ١٧٨/١، رأى الزمخشري أن أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف، والمعنى: أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء، وذهب العكبري إلى أن أم منقطعة، أي: بل أنتم شهداء، للتوبيخ. التبيان ١١٨/١، وارجع إلى: مغني اللبيب جـ٥٥/١.

الوصل في «أم» في قوله تعالى: (أم كنتم شهداء) [البقرة: ١٣٢] رجح الوصل في أم ورفض أن تكون منقطعة، فالمعنى عنده: (أتدعون على الأنبياء العبودية أم كنتم شهداء....) فقدر جملة منافية لها، ومثله قوله تعالى: (أم أنا خير) [الزخرف: ٥١] أي: أفلا تبصرون أم تبصرون أني أنا خير فحذف وقام (أنا خير) مقام المحذوف(١).

وهنالك مواضع في العربية يضمر فيها محذوف قبل العطف، فيكون ظاهر العطف بين جمل مختلفة في النوع، والأصل أن العطف قائم على مقدر من نوع المعطوف، بيد أن ما قبل حرف العطف حذف لأسباب منها:

أ- أن يذكر العامل في الأولى فيضمر في الثانية نحو: (لا تأخذه سنة ولا نوم) [البقرة: ٢٥٥] أي ولا يأخذه نوم، و(والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) [الحشر: ٩] أي: وتبوءوا الإيمان. والإيمان شرط دخول الدار، فقدم الجزاء للترغيب في الإيمان.

ب- أن يشترك المعمولان في عامل له معنى واحد، ولكن لا يجوز الجمع بينهما بحرف العطف، فلا يعطف رب العزة على مخلوقه، ولكن يقدر محذوف مثل المذكور، ويشترط فيهما الاتفاق أو الترادف، ومنه قوله تعالى: (وجاء ربك والملائكة صفاً صفاً) [الفجر: ٢٢] والمعنى: وجاء الملائكة مرتبين صفاً فصفاً أو صفاً بعد صف مثل: دكاً بعد دك ومثل حسبته باباً باباً، وقرأت فصلاً فصلاً، وقيل: واصطف الملائكة بعد أن جاء أمر الله، أو جاء على ما شاء من الهيئة التي ارتضاها دون تصوير أو تكييف، ومنه قول اليهود: (فاذهب أنت وربك) [المائدة: ٢٤] والمعنى: وليذهب ربك. وأجاز بعضهم تقدير محذوف في قوله تعالى: (اذهب أنت وأخوك) [طه: ٤٢] و(واسكن أنت وزوجك) [البقرة: ٣٥] (ولا نخلفه نحن ولا أنت) [طه: ٥٨] قدر بعض العلماء فعلاً بعد حرف العطف، وقيل أظهر المضمر لتأكيده، ولجواز العطف عليه، ولاشتراكهما في فعل واحد، ولجواز العطف بينهما، فوجب إظهاره لجواز إيقاع العطف عليه، فهو الأرجح في المواضع التي يجوز فيها العطف بين الاسمين أو الضمير والاسم المعرب لجواز اشتراكهما في الإسناد، ويقدر محذوف في خلاف ذلك، ومنه (وجاء ربك والملائكة) على أن تكون الواو للعطف وليست بواو

---

(١) الزمخشري جـ١/١٧٨ وجـ٤/١٦٢.

الحال، وقوله على لسان العصاة من بني إسرائيل: (اذهب أنت وربك) يجوز فيه الواو، فهم لسوء أدبهم ولكفرهم جمعوا بين رب العزة وبين نبيه موسى عليه السلام، ويجوز تقدير فعل و الله أعلم.

جـ- أن يختلف العاملان في المعنى، فلا يجوز عمل الأول في الثاني، فيحذف العامل ويبقى معموله استغناء بعامل آخر يجمع بينهما في الظاهر ومنه قوله تعالى: (والذين تبوءوا الدار والإيمان) [الحشر: ٩] أي: واكتسبوا الإيمان أو واعتقدوا الإيمان، وقال الراعي النميري(١):

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيونا

أي: زججن الحواجب وكحلن العيونا، فالتزجيج للحاجب والتكحيل للعين، ولا يجوز الأول للثاني.

وقال عبد الله بن الزبعري(٢):

يا ليت بعلك في الوغى مقلداً سيفاً ورمحا

المعنى: وحاملاً رمحاً فهو لا يقلد مثل السيف.

وقال الشاعر: (٣)

علفتها تبناً وماء بارداً حتى شتت همّالة عيناها

والمعنى: وسقيتها ماء بارداً. وقد صح نسبة العامل في الأول، لما يليه، فتعين الإضمار في الثاني لصعوبته في الأول، وليحمل الثاني عليه في اللفظ.

د- أن تسبق الواو باستفهام نحو: أجاءك زيد أوَ عمرو؟ [بتحريك الواو للعطف] والمعنى: أوَ جاء عمرو.

هـ- أن ينوي افتراق العاملين نحو: ما جاءني زيد ولا عمرو. والتقدير: ولا جاءني عمرو، أرادوا نفي الفعل عن كل منهما بصفتي الاجتماع والافتراق، فأضمروا الثاني لتقدمه في اللفظ والمعنى، ويجوز أن يجتمعا لفعل واحد. لإفادة الواو معنى الجمع وحصول النفي لهما على سواء. ورجح بعض العلماء [منهم السيوطي] وجوب تقدير

(١) أوضح المسالك ٢١٧/٢، والأشباه والنظائر جـ٤/١٥٥.
(٢) شرح المفصل جـ٢/٥٠، والأشباه والنظائر جـ٤/١٥٥ وهمع الهوامع ١٨٩/٣.
(٣) شرح المفصل جـ٢/٥٠، وروى: حتى غدت همالة. همع الهوامع ١٨٩/٣، وأوضح المسالك ٢٦٣/٢، والخصائص ٣٣١/٢، وشرح شذور الذهب ص ٢٦٣.

عامل محذوف إن تكرر النافي[1].

و- أن يكون بين الفاعلين تضاد فيضمر الفعل الثاني، ومنه قول كعب:

هيفـــاء مقبلـــة، عجـــزاء مـــدبرة ... لا يُـــشْتَكَي قِـــصَرٌ منهـــا ولا طُـــولُ

أي: ولا يشتكي طول، ويجوز أن يكون العطف بين الوصفين قصر وطول، والرابط بينهما علاقة التضاد، وقد ترك العطف في الشطر الأول؛ لأن الخبرين مسندين لمبتدأ واحـد «هـي»؛ ولأن عجزاء مكمل معنى هيفاء، فكبر العجيزة والطول من معالم جمالها.

- أن يكون العطف بين جملتين زمنهما واحد، ومن ذلك قول كعب:

يمـــشي القُـــرادُ عليهـــا ثـــم يزلقـــهُ ... منهـــا لِبَـــانُ وأقـــرابُ زهاليـــلُ

يمشي ويزلق زمنهما مضارع وثم الرابط بين الجملتين والضمير، ويلزم الـزمن الواحـد في الحكي المتصل والمرتهن بحدث واحد، وقد التزم كعب زمنـاً واحـداً فـيما سـلف مـن حـدث، فقال بانت سعاد...، رحلوا...، شـجت...، صـدقت...، منـت...، وعـدت...، وقـال في استحـضار الأحداث الماضية في زمن الحكي: تجلوا...، تنفي...، تدوم...، تمسك..، أرجو...، آمـل... تـدنو....، ترمي...، يمشي....، وظف زمن المضارع في الحكي عما مضى لتفعيل الأحداث واستحضارها أمـا المتلقي، وقد التزم كعب زمناً واحداً في الأفعال المتصلة في اللفظ نحو:

أرجـــو وآمـــل أن تـــدنو مودتهـــا ... ومـــا إخـــال لـــدنيا منـــك تنويـــل

الزمن المضارع للدلالة على استمرار التعلـق بهـا، ثـم قـال إخـال (أظـن) للدلالـة عـلى استمرار القطيعة ومنه قوله: يغدو فيلحم ضرغامين، ويمشي القراد عليها ثم يزلقه منها...

والأصل في المتعاطفين أن يكون زمنهما واحد، وسمع عن بعض العرب المخالفة، فحمـل زمن الثاني على زمن المعطوف عليه[2]، وجاءت المخالفة في قول كعب:

تنفـــي الريـــاح القـــذى عنـــه وأفرطـــه ... مـــن صـــوب ســـارية بِـــيضُ يعاليـــلُ

---

(١) الأشباه والنظائر جـ٤/١٥٦.
(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٠٥.

تنفي مضارع، وأفرطه ماض. والواو للعطف، ويجوز العطف على أن يكون تنفي بمعنى نفت، ومثال ذلك قول عبد الله بن همام السلولي[1]:

فلما خشيتُ أظافيره ... نجوت وأرهنهم مالكا

قيل المعنى: ورهنت مالكاً، فحمل المضارع على الماضي، وقد جاء مضارعاً للحكاية، ومثله قول العرب: قمت وأصك عينه أو وجهه، والمعنى: قمت وصككت وجهه.

وقال شمر بن عمرو الحنفي[2]:

ولقد أمر على اللئيم يسبني ... فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

والمعنى: ولقد مررت.... فمضيت، فحمل المضارع على الماضي في المعنى، وجاء في زمن المضارع لبيان حاله الدائم.

وجاء في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي حصنه، قال: «فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدري أنَّى هو من البيت، فقلت: أبا رافعٍ، فقال من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه وأنا دَهِش»[3]، أضربه معطوف على الماضي قبله، لأنه في المعنى ماضٍ، فلأصل فأهويت فضربت.

- أن تتفقا في نوع الإخبار، فتعطف الخبرية على الخبرية والطلبية على الطلبية، فيتفقا خبراً أو إنشاءً لفظاً ومعنى، وما خالف ذلك قدر فيه محذوف، قال تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) [الأعراف: ٣١]

وبعض الجمل ظاهرها يوحي بوقوع العطف بين نوعين مختلفين، ومن ذلك قوله تعالى: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) [البقرة: ١٢٥] قدّر العلماء محذوفاً، والمعنى: وقلنا لهم اتخذوا....، فالجملة بعد الواو

(١) الإيضاح ص ١٥٥، وإصلاح المنطق ص ٢٤٩،٢٣١، وخزانة الأدب جـ٣٦/٩، والشعر والشعراء جـ٦٥٥/٢، وبعضهم ذهب إلى أن الواو حاليّة وفيه محذوف: وأنا أرهنهم مالكاً، وقمت وأنا أصك وجهه، والمعنى في قول كعب: وقد أفرطه... بيض يعاليل، وهذا جائز في الماضي بتقدير «قد» قبله لمشاكلة زمنه المضارع أو تقريبه منه.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٠٦، والإيضاح ص ١٥٥،الأصمعيات رقم ٣٨، والكتاب ٤١٦/١، والخزانة جـ١٧٣/١.

(٣) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، وجاء في مشكاة المصابيح بلفظ: «فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً، وهو نائم فقتله.....» عن جابر رقم ٥٨٧٦ (صحيح). والشاهد بلفظ عبدالقاهر: الدلائل ص ٢٠٦، وقال الشيخ شاكر معلقاً عليه: «لم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث عبد الله بن عتيك رضي الله عنه».

ليست معطوفة على الماضي قبلها بل معمول محذوف مقدر ماضياً (قلنا).

والأقرب أن يقدر محذوفاً يتعلق به الأمر الذي بعده، ويدل على معنى المقدر ما قبله، فيشترط في التقدير أن يكون في معنى ما تقدم[1]

وقد عطف كعب بين جملتين في معنى واحد في قوله:

أكــرم بهــا خلــة لــو أنهــا صــدقت   موعوهــا أو لــو أن النــصح مقبــول

أو عطفت بين جملتين فيهما معنى التمني، وجاءت المخالفة في نوع الجملة في قول كعب:

فقلــت خلــوا ســبيلي لا أبــالكم   فكــل مــا قــدّر الــرحمن مفعــول

«خلوا سبيلي» مقول القول وهي طلبية وعطف عليها «فكل ...» وهي جملة اسمية، فوقع العطف على طلبية «خلوا ...» فقيل: هذا جائز إذا كان الفعل في موضع الاسم، والأصل في المفعول أن يكون اسماً فوقع العطف على الأصل. وقيل: الفاء للتعليل، ولا يشترط في السببية أن يكون ما بعدها من نوع ما قبلها، وقد سبق مثلها في جملة «فقلبي اليوم متبول»، ويجوز أن يقدر محذوف: فقلت قولي: خلوا سبيلي، وجملة: «فكل....» موصولة بالقول، وهذا أرجحه على ما تقدمه لما فيه من موافقة الأصل (الموافقة في النوع).

ولا يحسن عطف الإنشاء على خبر، وأجازه بعض العلماء وضعفه آخرون، ومن ذلك قولهم: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله، التسمية خبر والجملة بعده دعاء، ولا يحسن العطف بينهما، ومن الضعيف قولهم: مررت بزيد وغفر الله لك. وذهب ابن الجوزية أن الواو لم تعطف دعاء على خبرٍ، وإنما عطفت الجملة على كلام محكي، كأنك تقول: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وأقول هذا وهذا، وأكتب هذا وهذا[2]. وأرى هذا التوجيه بعيداً، فمن الجائز عطف الجملتين إذا كانا في معنى واحد أو أمكن تأويل إحداهما بالأخرى فالبسملة والدعاء شيء واحد، ويجوز تقدير: أبدأ كلامي بسم الله الرحمن الرحيم، وجاء الفعل «صلى»

---

(١) ارجع إلى: الإيضاح ص ١٥٠ وما ليس فيه حرف عطف قدر على ما يحتمله المعنى قال تعالى: (فأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا...) [البقرة: ٥٧] والتقدير قائلين كلوا. فالمقدر حال.

(٢) بدائع الفوائد جـ٣٠/١.

في الماضي للدعاء، والأصل: وأصلي، ويجوز أن نقدر اسماً عاملاً نحو: أول قولي أو ابتداء كلامي بسم الله الرحمن الرحيم، والمصدر يعمل عمل الفعل، وفي هذا الرأي توسعة، وتبيين لما صح في العربية من مثله.

- أن يكون الفاعل أو المفعول في الجملتين الفعليتين واحداً، ولا يضر في ذلك اختلاف المعنى في الجملتين نحو: «أرجو وآمل أن تدنو مودتها»، ونحو: «أرى وأسمع».

وأن يكون الإسناد في الجملتين الاسميتين إلى اسمين يصح الابتداء بهما والإسناد إليهما، ويقوى الربط في الجملتين إن كان المسند إليه في الثانية متعلق بالمسند إليه في الأولى أو متصل بضميره.

- أن تكون بين الجملتين مناسبة كالدلالة على التنوع أو المقارنة نحو: زيد صحفي وأحمد شاعر، ونحو: زيد طويل، وعمر قصير، فالأوليان بينهما مناسبة في مزاولة العمل والهواية، والثانية فيها دلالة على التفرقة أو المقارنة في الطول، فالمناسبة قائمة[1]، ومثلها: زيد مسلم ووائل نصراني، فالجامع بينهما نوع الديانة، ويستبعد من ذلك: القمر الصناعي أفاد البشرية وزيد مجتهد. فلا مناسبة بين الجملتين تقتضي العطف بينهما، فلا جامع بينهما.

- أن يتفقا معنى أو تكون الثانية في معنى الأولى أو تكون سبباً لها، أو بينهما مناسبة قال تعالى: (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري...) [الصف: ١١] وغفران الذنوب يعقبه دخول الجنة. وقوله تعالى: (لآرجمنك واهجرني ملياً)]مريم: ٤٦] الرجم ليس من معناه قطع النفقة، ومن ثم قدر الزمخشري محذوفاً، والمعنى: لآرجمنك فاحذرني واهجرني ملياً. والأولى فيها تهديد وتقريع والثانية فيها إبعاد ونفي، والأولى مؤكدة والثانية في صيغة الأمر[2].

حروف العطف واستخدامها:

حروف العطف المتفق عليها بين أهل اللغة: الواو، والفاء، وثمَّ، وأو، وأمْ، وبل، ولا، ولكنْ (ساكنة النون)، وإما (مكسورة الهمزة)، وحتَّى.

---

(١) ارجع إلى: الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٥١.
(٢) ارجع إلى: الإيضاح ص ١٥١.

الواو: أشهر حروف العطف في العربية وأكثرها استخداماً[1]. وتفيد مطلق الجمع والمشاركة من غير تقيد بزمن في الأفعال أو ترتيب في الأسماء، وتقتضي المشاركة في الإسناد، فتعطف الشيء على صاحبه ولاحقه، ولها معانٍ فى الكلام. والأصل فيها أن تكون للجمع دون القيد بإطلاق[2]، والمعانى التى تأتى فى الكلام معانٍ سياقية من دلالتها فى غيرها، فالمعنى يأتيها من وضعها فى سياقها اللغوى. وهي لا تقتضي ترتيباً على أرجح الأقوال[3]. والواو الجامعة[4] الواو التي تعطف اسم على اسم لا يصح انفراده نحو: اختصم زيد وعمرو، فالمعنى يقتضي عطف الثاني على الأول دون إعادة العامل، لأن التخاصم اقتضى المشاركة، وجمعت الواو بين الاسمين في العامل فالمعنى: اختصم هذان.

---

(١) الواو في العربية نوعان واو عاطفة وجامعة وواو عاطفة فقط، فالعاطفة الجامعة التي يتحقق فيها المشاركة في المعنى والإسناد، فتكون في الأسماء التي اجتمعت في حكم جملة واحدة، والثانية التي تحقق فيها الحكم الإعرابي دون عامل إسناد واحد.
والواو نوعان: الأول- واو جامعة للاسمين في عامل واحد ونائبة مناب التثنية، نحو: قام زيد وعمرو، وهذا بمنزلة قام هذان. لاشتراكهما واتفاقهما في النوع والعدد والإثبات.
والثاني- واو مضمر بعدها العامل، وهذا في المواضع الآتية:
- أن يختلف نوع المعطوفين نحو: قام زيد وهند. والمعنى: وقامت هند، وأجاز بعض العلماء العطف دون تقدير تغليباً للمذكر.
- أن يتكرر النفي فيرجح تقدير عامل لتأكيد النفي في الثاني نحو: ما قام زيد ولا عمرو. أي: ولا قام عمرو. وقولنا: ما قام زيد وعمرو، لا يستوجب تقدير عامل، لأن التثنية تصح فيهما أي: ما قام هذان، خلافاً للأول الذي تكرر فيه النفي، فمعناه: ما قام زيد وما قام عمرو، ويجوز أن تكون الواو جامعة للاسمين في النفي المكرر، ومنه قوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) [الأحزاب: ٣٦]، ومثله قولنا: زيد وعمرو أكرمتهما، ولا يجوز أكرمته، ولكن في قوله تعالى: (و الله ورسوله أحق أن يرضوه) [التوبة: ٦٢]، الخبر للفظ الجلالة: الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك. الأشباه والنظائر جـ٤/١٥٧.

(٢) الجمع بين الشيء وصاحبه: (فأنجيناه وأصحاب السفينة)، وعلى سابقه ولاحقه وقد اجتمع هذا في قوله تعالى: (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) [الأحزاب:] فمحمد صلى الله عليه وسلم لاحق على هؤلاء عليهم السلام والمتقدم منهم سابق على من أتى بعده، فعطف اللاحق على السابق. وقد تفيد الواو التراخي نحو: (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) [القصص:] فإن الرد بعد إلقائه في اليم ثم تأتيه النبوة. مغني اللبيب جـ٢/٤٠٩.

(٣) رد ابن هشام قول من ذهب إلى أنها تفيد الجمع المطلق، وذكر وجوهاً لا تعني فيها الترتيب. وبعض العلماء قال: قد تأتي للمعية، مغني اللبيب جـ٢/٤٠٩. وسوف نتناول ذلك في خاتمة حديثنا عن الواو ونتناول واو الثمانية أيضاً؛ لأنهما موضعا خلاف.

(٤) نتائج الفكر ص ٢٥٠، قال تعالى: (وجمع الشمس والقمر) [القيامة: ٩] الواو للجمع وليست للعطف، لاجتماعهما يوم القيامة دليلاً على الساعة، وقولنا: طلع الشمس والقمر، لا يجوز على الجمع بل على العطف، فالمعنى طلع الشمس، وطلع القمر، الأولى في حينها والثاني في حينه.

والواو تفيد الجمع بين المتعاطفين في حكم واحد نحو: ذهب محمود وعلي. أي: ذهب هذان، ورأيت محموداً وعلياً، أي: رأيتهما، فالواو جامعة، والتقدير: ذهب محمود وذهب علي، ورأيت محمود ورأيت علياً، فحذف العامل في المعطوف ونابت الواو منابه، وأغنت عن تكراره، وجاز الجمع بينهما لفعل واحد، فإسناد الفعل لهما على سواء في المعنى ومقتضى النحو، واقتضى ذلك الاشتراك في الفعل، ولا يوجب العطف ملابسة أو مقاربة، فليس أحدهما ملابساً للآخر ولا مصاحباً له، ولا فرق بينهما في وقوع الفعل من كل منهما على حدة[1]. وفرّق ابن الجوزية بين الواو الجامعة والعاطفة، فالجامعة تقتضي الجمع لا العطف، فالعطف يقتضي إعادة العامل، والجمع يقتضي الاشتراك، فقولنا: جاء زيد وعمرو، أي هما، فجمع الضمير بينهما دون إعادة العامل. والموضع الذي يقتضي العطف يستوجب تقدير العامل نحو: جاءت هند ومحمد، أي وجاء محمد، ولا يجوز أن تكون الواو للجمع لعدم جواز توحيد الضمير، فيغلب المذكر، فتحذف التاء والفعل مؤنث، وقولنا: جاء هند ومحمد على الجمع جائز أي: جاءا هما، ومنه قوله تعالى: (وجمع الشمس والقمر) [القيامة: ٩] أي:جُمعا هما، وغلب المذكر على المؤنث لاجتماعهما، وقولنا: رأيت الذي قام زيد وعلي، لا يجوز على معنى الجمع، فاسم الموصول للمفرد والفعل مسند للواحد، وأجازه ابن الجوزية على معنى الجمع، ولم يجز على معنى العطف، لأن التقدير: قام زيد وقام أخوه، لانعدام العائد في الصلة، واستدل بقوله تعالى: (وجمع الشمس والقمر) [القيامة: ٩] رأى أن الواو تفيد الجمع لا العطف، وأرى أن هذا ليس بشاهد في هذا الموضع لجواز ترك التاء مع المؤنث المجازي: طلع الشمس وطلع القمر[2].

والشاهد: قام هند وزيد، صحيح على معنى الجمع وتغليب المذكر، فلا يجوز

---

(١) واو العطف تختلف عن واو المفعول معه، فالأخيرة بمعنى مع، والعطف بها يقتضي دخول الأول في الثاني، فيلابسه في الفعل؛ لأنه مصاحب له ودخل معه في المعنى، والعطف لا يدخل المعطوف في المعطوف عليه، فالفعل يكون لكل أحد منهما وحده نحو: ذهب محمد وزيد، أي: ذهب محمد وذهب زيد، ولكن المفعول معه يدخل الأول في معنى الثاني نحو: ما فعلت وأباك، أي: ما فعلت مع أبيك؟ فهما متصاحبان وتسمى الواو واو المصاحبة، فلا يفرد الفعل لأحدهما دون الآخر؛ لأن الواو توجب المصاحبة بين الاسمين لملابسة أحدهما الآخر، ومثله قولنا مستهزئين: ما أنت والشرف أي: ما أنت مع الشرف أي: مع ادعائك له وتشبثك به!

(٢) بدائع الفوائد ١٢٢/٢.

تقدير عامل آخر لزيد، فيكون: قام هند وقام زيد، فاستوجب ترك التاء الجمع بين المعطوفين، والشاهد: رأيت الذي قام زيد وأخوه، ضعفه ابن الجوزية وليس بشائع في العربية، والمشهور: «رأيت اللذين قاما زيد وأخوه»، واستقبح ابن الجوزية: طلع الشمس والقمر، وأرى أنه ليس بمستقبح في بناء القاعدة، بل في المعنى؛ لأن الشمس والقمر لا يجتمعان معاً في الطلوع نهاراً أو ليلاً، ولا يُجمعان إلا يوم القيامة، ويجوز على تقدير جملتين طلع الشمس وطلع القمر، على أن يكون حدث الأولى نهاراً والثانية ليلاً.

ويفهم من ذلك أن الواو تجمع بين اسمين يجتمعان معاً لحكم واحد، فإن لم يصلح الحكم لهما مجتمعين، قدر للثاني جملة تصلح للعطف على الأولى كقولنا: طلعت الشمس نهاراً والقمر ليلاً، أي: وطلع القمر ليلاً. جاز حذف الفعل لدلالة الأول عليه وسوَّغ حذفه الواو التي أدخلته في معنى الجملة الأولى.

ولا يجوز العطف بين اسمين ليس لهما حكم واحد، نحو: طار الهدهد والفرخ، أي: ومشى الفرخ.

والواو تقع بين أسماء تقع لمسند واحد، ولا تقتضي ترتيباً، ومن ذلك قول كعب:

لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديل

ففجع وولع وإخلاف وتبديل أسندت على وجه المجاز للفعل سيط وارتفعت به، وهو مبني للمفعول.

والواو تقتضي المشاركة بين الأسماء المتباينة في الإسناد نحو: جاء محمد وزيد، أفاد العطف أن زيداً أشرك محمداً المجيء، وأشركه في العطف أيضاً فنزل زيد منزلة الفاعل، فقد ترتب على الواو الإشراك في الحدث والإعراب(١).

ولا تقتضي الواو المشاركة في المعنى بين الجمل اقتضاء مطرداً فقط تكون المشاركة في الإعراب فقط دون المعنى نحو: عمرو عالم وزيد جاهل، وقولنا: علي خُلُقُه حسن وخَلْقه قبيح، الواو أشركت الثانية في إعراب الأولى، ولكنها لم تقتضي المشاركة في المعنى، فالثانية في غير معنى الأولى.

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٢٤.

ومثل: ذلك زيد طويل وعمر قصير، بينهما مفارقة في المعنى لا الإعراب[1]. وقد رأى عبد القاهر أن الجمع بين جملتين لا سبب بينهما غير مستحسن في الكلام كأن نقول: عمرو قصير وزيد شاعر، فلا علاقة بين الجملتين فنجمع بينهما بالعطف، والصواب أن تكون بينهما علاقة في المعنى، ولا يضر ذلك إن كانت علاقة تضاد نحو: زيد طويل وعمرو قصير، فالعلاقة قائمة بين الطول والقصر، ولذلك يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر، فهما شركاء في حقل الأدب. وهذا مطرد فيما كان بينهما علاقة أو تلازم نحو: العلم حسن، والجهل قبيح، فمدح العلم يقتضي ذم الجهل، ويقال: هو يقول ويفعل، ويضر وينفع، ويأمر وينهى، ويأخذ ويعطي، ويأكل ويشرب، هذا سائغ للتلازم بين طرفي العطف، وصحة نسب الحدثين إلى مسند إليه واحد يجوز ذلك، كالضرر والنفع، والقول والفعل والأكل والشرب[2]، ومنه قول كعب:

هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة لا يُشتكى قصر منها ولا طول

اقتضت الواو المشاركة في الإعراب دو المعنى، ولهذا قدر فعل ارتفع به طول، أي: ولا يُشتكى طول. والعلاقة الجامعة بينهما علاقة تضاد، والعلاقة هنا علاقة تلازم فالقصر يستدعي الطول، و«لا» بعد «الواو» لتأكيد النفي.

وقد استخدم الشاعر الواو أكثر من غيرها لمعنى الجمع فيها والتعقيب والسرعة والسببية، فتنوع معانيها يسر على الشاعر توظيفها في النص بدلالات مختلفة أكثرها الجمع والسببية. فمعنى الجمع فيها يوحي بالتعدد والاسترسال في الوصف والإطالة والتنوع. والسببية ترجع إلى الأدلة التي ساقها على صدقه وتعليله الأحداث. وهذا يوحي بالقلق والاضطراب والخوف من المستقبل المجهول الذي يلقى فيه جزاءه.

وقد وظف كعب الواو توظيفاً دقيقاً في قوله: «أرجو وآمل أن تدنو مودتها» فالواو تفيد التشريك في المعنى وحكم الإعراب، وقد تحققا في هذا الموضع، فالفعل الثاني له حكم الأول في الإعراب وشاركه في المعنى أيضاً فقد تنازعا مفعولاً واحداً، والأصل: أن يكون المفعول للأول ويقدر ضميره في الثاني فيقال: أرجو أن تدنو مودتها وآمله، والتشريك يكون بين شيئين يشتركان في كل شيء، والفعلان اشتركا

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٢٣،٢٢٤.
(٢) ارجع إلى: دلائل الإعجاز ص ٢٢٦.

في الفاعل والمفعول والمعنى، فالأمل في معنى الرجاء.

والواو لا تقتضي المشاركة في كل شيء، فقد لا تتجاوز الإعراب نحو: زيد قائم وعمرو قاعد، فالمشاركة هنا في الإعراب دون المعنى، وقولنا: زيد وعمر قائم. يقتضي المشاركة في اللفظ والمعنى، فقائم خبر لأحدهما وليست خبراً عنهما، لأن الخبر يتطابق مع المبتدأ في العدد والنوع، والحذف يقتضي أن يكون المحذوف في معنى المذكور، لأنه لا حذف إلا بدليل، فيجوز الحذف إن دل المذكور عليه (والمذكور هنا على الأرجح خبر الأول)، ليكون دليلاً على ما بعده، مثلما قدرنا المحذوف في الثاني في قوله: «أرجو وآمل أن تدنو مودتها»؛ لأن المفعول المحذوف يقدر ضميراً يعود على المذكور أولاً نحو قولنا: ضربت زيداً وضربه عمرو.

وقول كعب: «إن الأماني والأحلام تضليل» الواو تقتضي المشاركة في الإعراب والمعنى، فالخبر لهما معاً، فتضليل مصدر يقع للواحد فما فوقه، ويقع للنوعين أيضاً لعمومه في العدد والنوع، وقول بعض النحاة «تضليل» خبر لأحدهما دون الآخر وخبر الثاني محذوف، وهذا جائز أيضاً على أن تكون تضليل لفظاً أريد به الاسم لا المصدر، فبعض المصادر استخدمت للدلالة على الذات دون الحدث، وهذا يستوجب أن نقول: إن الأماني والأحلام تضليلان، أو أن يكون الاسم «تضليل» المتأخر خبر على الأرجح للمتقدم فنقول: إن الأماني تضليل والأحلام كذلك، مثل قولنا: أنا وأخي غريب، أي: أنا غريب، وأخي كذلك، والواو على هذا التقدير تقتضي المشاركة في الإعراب والمعنى، والمشاركة في المعنى واجبة ليكون المذكور دليلاً على المحذوف.

والتشريك في الإعراب والمعنى لازم فيما عطف بالواو على الفاعل أو المفعول، مثل قول كعب:

لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديل

فالولع والإخلاف والتبديل لها حكم نائب الفاعل «فجع» التي عطفت عليها فحدث الفعل لها جميعها وكذلك الإعراب، ولا يجوز القطع والمخالفة في الإعراب لوجود الواو التي تقتضي الجمع بين هذه الأسماء، والقافية التي تقتضي الرفع، والقطع جائز في سياق المدح أو الذم في قولنا: جاء زيد العادلُ الكريمُ الحليمُ، فيجوز النصب

على تقدير فعل بمعنى المدح: أمدح الكريمَ، الحليمَ، وهذا جائز لغياب حرف العطف، فاحتمل الكلام محذوفاً في معنى الجملة، ولا يجوز تقدير عامل بمعنى يخالف معنى الجملة؛ لأن الاستغناء عن العطف في المواضع التي تكون في معنى واحد. ولا يجوز إسقاط الحرف في قولنا: جاء زيد أو عمرو، لأن المجيء لأحدهما. ولا يجوز: جاء زيد القبيح والجميل، لأن الواو جامعة للصفات والجمال والقبح لا يجتمعان في شيء واحد، ويجوز على تأويل فيكون المعنى: جاء زيد القبيح شكله، والجميل خلقه، فيكون القبح في موضع ليس فيه الجمال.

وقد تأتي الواو للمعاني المتقاربة، قال تعالى: (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) [آل عمران: ١٤٦] ومثله في الأسماء: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [يوسف: ٨٦] وهذا النوع يعطف بالواو، فإن كان في أحدهما زيادة في المعنى أو معنى خاصاً نابت عنها ووجه العلماء عليه العطف بأو في قوله تعالى (ومن يكسب خطيئة أو إثما) [النساء: ١١٢] يراد بالخطيئة ما وقع خطأ، وبالإثم: ما وقع عمداً، فعدل عن الواو إلى أو للتفريق بين المعاني(١).

وقال كعب:

أرجو وآمل أن تدنو مودُّتها ... وما إخال لدينا منك تنويل

ذهبوا إلى أن الواو لمعنى خاص، فالرجاء يكون بمعنى التأميل، والرجاء قد يكون بمعنى الخوف، ومنه قوله تعالى (فما لكم لا ترجون لله وقاراً) [نوح: ١٣] أي: مالكم لا تخافون لله عظمة، وقيل الرجاء ما يتمناه المرء في الحال. والأمل ما يطول حدوثه أو الرجاء في الممكن، والأمل في الممكن المستحيل، فبينهما معنى مشترك، وجمعت بينهما الواو(٢)، وأرى أنه جمع بين مترادفين لتأكيد أمنيته.

والووا توظف في الصفات المتعددة للتنوع والكثرة، ويجب ذكرها في موضع الاختلاف، كقول كعب في سير ناقته:

ولن يبلغها إلا عُذافرة ... فيها على الأين إرقال وتبغيل

(١) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ١٦٤.
(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ١٦٥.

فالإرقال نوع من السير فيه خبب، والتبغيل مشي فيه اختلاف بين العنق والهملجة يشبه سير البغال لشدته. ومثلها عمرو طويل وزيد قصير، العلاقة هنا علاقة تضاد وهي علاقة عقلية. ومنها قول كعب: لا يشتكى قصر منها ولا طول. أي: ولا يشتكى طول، فحذف الثاني لدلالة الأول عليه، وهي علاقة تضاد، وإثبات الواو هنا واجب لاختلاف المعنى.

ويجوز الجمع بين فعلين بينهما تضاد مسندين إلى فاعل واحد نحو: هو يضر وينفع، وقد جاز ذلك لاستدعاء أحدهما الآخر، ومنه قوله تعالى: (وأنه هو أضحك وأبكى) [النجم: ٤٣]، فالضحك والبكاء لا يجتمعان، فهو يضر في حال وينفع في حال، ويبكي في حال ويضحك في حال، فجمعت الواو بين المعنيين المتضادين، لعلاقة التضاد بينهما وإسنادهما لفاعل واحد، فالمخبر عنه واحد.

وتدل على تغاير الصفات، قال تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) [الحديد: ٣]، وقوله تعالى: (غافر الذنب وقابل التوب) [غافر: ٣]، ويجوز أن يجتمع الذكر والحذف في سياق واحد، قال تعالى (حم* تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم* غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) [غافر: ٣:١] حذفت الواو من (العزيز العليم) و(شديد العقاب ذي الطول)؛ لأنها بمنزلة الوصف الواحد، وذكر الواو في (غافر الذنب وقابل التوب) لاختصاص كل واحد ة بمعنى خاص فالله تعالى يقبل التوب بعد أن يغفر، فالمغفرة قبل قبول التوب، فالثانية بسبب من الأولى وترتبت عليها وليست هي هي، فلكل منهما حكمه في المعنى[1].

ويرجح العطف كلما كان التغاير أبين مثل: (الأول والآخر والظاهر والباطن)؛ وقد فسر الحديث ذلك: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء»[2]. وقد أحسن كعب استخدام العطف وتركه بين الألفاظ والجمل، فقد استخدم الواو للتعدد والتنوع في قوله: «فجع وولع وإخلاف وتبديل» و«الأماني والأحلام تضليل» و«إرقال وتبغيل» وهما نوعان من السير. «نافلة القرآن فيها

(١) بدائع الفوائد جـ١٢٢/٢.
(٢) رواه مسلم: ٢٧١٣، وأبو داود: ٥٠٥١، والترمذي: ٢٤٠٠، وأحمد: ٣٨١/٢، والبخاري في الأدب المفرد:١٢١٢.

مواعيظ وتفصيل»، وقال في الجمل: «بها عنق مبين وفي الخدين تسهيل»، فالجملة الأولى غير الثانية، ومثل: «أرى وأسمع....»، «إنك منسوب ومسئول».

وقد رأى ابن الجوزية أن الصفات إذا ذكرت في مقام التعداد فتارة يتوسطها حرف العطف لتغايرها في نفسها للإيذان بأن المراد ذِكْر كل صفة بمفردها، وتارة لا يتوسطها العاطف لاتحاد موصوفها وتلازمها في نفسها وللإيذان بأنها في تلازمها كالصفة الواحدة، وتارة يتوسط العاطف بين بعضها ويحذف مع بعض بحسب هذين المقامين.

ومن ذلك: (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن) [الحشر: ٢٣]، وقوله (الخالق البارئ المصور) [الحشر: ٢٤] فما بعد الملك في معناه، وما بعد الخالق في معناه فترك العطف.

ومثله قوله: (أزواجاً خيراً منكم مسلمات مؤمنات تائبات عابدات سائحات) [التحريم: ٥] والدليل على أن الواو اختصت بالمخالفة تمام الصفات: (ثيبات وأبكارا) [التحريم: ٥] فالثيب من كان لها زوج: المطلق والأرمل والبكر من لم يسبق لها الزواج. والدليل أيضاً قوله: (وثامنهم كلبهم) [الكهف: ٢٢] أتى بالواو قبل العدد «ثامنهم»؛ لأن الكلب ليس منهم بل مغاير لهم، فجئ بالواو للمغايرة وأرى أن هذا الرأي يقدم على من ذهب إلى أنها واو الثمانية.

وحسن الحذف في المعاني المتحدة في الألفاظ والجمل نحو: «عُرضتها طامس الأعلام مجهول» فطامس ومجهول مترادفان. «وعيشهما لحم من القوم «معفور خراذيل» المعفور الملطخ بالتراب والخراذيل الممزق في الأرض، وقال في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم :

لا يزال بواديه أخو ثقة   مطرح البز والدرسان مأكول

أي: هو أخو ثقة مطرح البز، وقال في لبوس الصحابة (الدرع): بيض سوابغ قد شكت لها حلق».

وقال في الجمل التي لها معنى واحد:

«ضخم مقلدها عبل مقيدها» للدلالة على الامتلاء فحذف الواو لاتحاد المعنى فيهما، وقد اجتمع الحذف في الألفاظ والجمل في قوله:

غلبـــــاء وحنـــــاء عُلكـــــوم مـــــذكرة — في دفهـــــا ســـــعة قـــــدامها ميـــــل

وقال في شجاعة الصحابة رضي الـلـه عنهم:

شـــــم العـــــرانين أبطـــــال لبوســـــهم — مـــــن نســـــج داود في الهيجـــــا سرابيـــــل

واجتمع الحذف والذكر في قوله:

حـــرف أخوهـــا أبوهـــا مـــن مهجنـــة — وعمهـــا خالهـــا لهـــا قـــود إشـــمليل

أتى بالواو قبل العم لمخالفة العم والخال والأخ والأب، فالأخيران عصب، وحـذف الـواو في: [هي] حرف...، قوداء إشمليل»، لأنها مترادفة، والسياق واحد.

وتزاد بعض الحروف بعد الواو، ومن ذلك «إما» نحو: جاء إما زيـد وإمـا عمـرو، الـواو هي العاطفة.

وقد تأتي لا بعد الواو نحو: و الـلـه، لا كلمـت زيـداً ولا عمـراً ولا بكـراً، وهـي لتأكيـد النفي، والأصل في العطف الواو، ويشترط فيها زيادة حرف النفي قبل الجملة نحـو: مـا قـام زيد ولا عمر، وليست «إلا» عاطفة؛ لأن شرط العطـف فيهـا أن تكـون بعـد إيجـاب، وهـي منفية في الجملة، ويجوز أن تنفي الجملة «بغير» نحو: (غير المغضـوب علـيهم ولا الضـالين) [الفاتحة: ٧] معنى النفي في غير، وزيادة «لا» لتوكيد النفي عـن الثـاني(١). والـواو لا تقتضي ترتيباً في الألفاظ التي تربط بينها، وهـذا ثابـت في النصـوص الصـحيحة، قـال تعـالى: (ولقـد أرسلنا نوحاً وإبراهيم) [الحديد: ٢٦] الترتيـب لـيس مـن جهـة الـواو بـل مـن جهـة ترتيـب الأسماء فقدم الأسبق على المتأخر، وقال تعالى: (كذلك يـوحي إليـك وإلى الـذين مـن قبلـك) [الشورى: ٣] قدم النبي صلى الـلـه عليه وسـلم لأنـه المعنـىّ بالخطـاب وصـاحب الرسـالة القائمة الجامعة والخاتمة، وقد سبق الوحي إلى من تقدمه من الأنبيـاء علـيهم السـلام، ومـن قوله تعالى: (وادخلوا علـيهم البـاب سـجداً وقولـوا حطـة) [البقـرة: ٥٨] وجـاء التقـديم في: (وقولوا حطة وادخلوا البـاب سـجداً) [الأعـراف: ١٦١] وقـع التقـديم والتـأخير وهـي قصـة واحدة(٢)، وقدم

---

(١) ارجع إلى: بدائع الفوائد جـ٢٠٢/١.

(٢) المشهور في الواو أنها لمطلق الجمع دون ترتيب، وهو المختار، وهو مذهب جمهور النحـويين وخـالف هذا قُطْرب بن المستنير والرّبَعيّ، وهشام وثعلب وتلميذه أبو عمرو الزاهد، وأبـو جعفـر الـدينوري، ارجع إلى: همع الهوامع ١٨٧/٣ وشرح ملحة الإعراب ص ٢٥٧. وقد ذهب مالـك والشـافعي إلى أنهـا قد تكون للترتيب، وهذا المذهب له ما يؤيده

الثاني لأهميته فهو القصد.

وقد ناقش السهيلي وضع الواو للترتيب، فذهب إلى أنها لا تدل على الترتيب ولا التعقيب، ودعا إلى وجوب بحث أسباب التقديم والتأخير في العطف بها في كتاب الله والحديث الشريف لعظم منفعة ذلك ومكانته من المعنى[1]، ومن ذلك (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) [الأنعام: ١٣٠] والرسل من الإنس، وقدم الجن عليهم، لأنهم أسبق في الخلق وللتأكيد على أنهم مرسلون إليهم أيضاً، وقد رجح بعض العلماء أن الجن عصيت قبل آدم عليه السلام وهو المستفاد من قول الملائكة (أتجعل فيها من يفسدُ فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [البقرة: ٣١] فقد علموا ذلك من فساد بعض الجن و الله أعلم. وقدم الإنس في قوله تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض....) [الأنعام: ١١٢] قدم شياطين الإنس، لأنهم أشد على الأنبياء، وهم خلق واحد من طين، وقد فعلوا بأنبيائهم ما لم تفعله الشياطين، فسموا بالشياطين، لشدتهم في العناد والكفر والفساد.

وقدم الجن في قوله تعالى: (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض....) [الرحمن: ٣٣] قدم الجن؛ لأنهم أقدر على الحركة في الكون وأسبق وأسرع من الأنس، ولهم قدرة على الصعود لاستراق السمع من أهل السماوات، فَجَنَّد الله تعالى لهم شهاباً ثاقباً، فقدموا على من هم أضعف منهم في ذلك.

وبعض الأسماء قدمت لتقدم تاريخها ولا تدل الواو فيها على الترتيب فترتيبها من جهة تقديم لفظها وليس من الواو، ومن ذلك قوله تعالى: (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود* وعاد وفرعون وإخوان لوط* وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذَّب الرسل فحق وعيد) [ق: ١٢،١٣،١٤] فقوم نوح تقدموا هؤلاء.

وقد تقدم ذكر عاد في الفجر وهم أصحاب أرم ثم ذكر بعدهم ثمود، ثم فرعون،

وليس شرطاً في كل موضع تأتي فيه الواو، فالواو قد تأتي لمعنى الترتيب مثل غيرها من الحروف العاملة التي لها معانٍ في السياق اللغوي.

(١) ارجع إلى: نتائج الفكر ص ٢٦٦.

وقوم لوط كانوا زمن إبراهيم عليه السلام، وقد أهلك الله تعالى فرعون مصر وجنوده زمن موسى عليه السلام، وهو متأخر عن إبراهيم عليه السلام، وقد قدم في الخطاب من هم أكثر شهرة في العرب، ومن علموا بهم، ولا يعني ذكرهم الترتيب التاريخي بل قدم من هم أشبه بحال العرب المشركين، و الله أعلم، وقوم لوط الشواذ تأخروا، لأن الشذوذ لم يكن في أهل مكة، لكنهم أشبهوا قوم نوح، وقدم المشهور لعلمهم بخبرهم وبقية آثارهم، وسمعوا أمر فرعون ولوط من أخبار أهل الكتاب، وجاء الترتيب في (وما خلق الذكر والأنثى) [الليل: ٣] فالذكر سبق الأنثى. والترتيب مستفاد من العدد نفسه لا من الواو في قوله تعالى: (مثنى وثلاث ورباع) [النساء: ٦] وهو عدد قام مقام المعدود والأصل: امرأتين أو ثلاثة أو أربعة، والمؤنث يوصف بمفعل وفُعال وذهب بعض الحمقى إلى أن المراد جمع الأعداد المذكورة، فهن تسع، وهذا حمق وتضليل، فالثابت ألا يزيد الرجل عن أربع، وقد كان أهل الجاهلية يزيدون، فحد الإسلام من العدد المطلق فجعلهن أربعاً، والواحدة أفضل للعدل، الواو في هذا العدد لا تعني الجمع، فكل عدد عامل مضمر: أي: تزوج مثنى زد إلى ثلاث أو زد إلى أربع، ولا زيادة، فلم يسمع في المشهور خماس وسداس وسباع وتساع إلا في النادر ولا يقاس عليه عند كثرة المشهور.

ويقدم الأهم والأعظم والأفضل، قال تعالى: (يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر) [الحج: ٢٧] قدم الراجل على الراكب لعظم أجره على مشقته. (وكذلك أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك) ومنه (اسجدي واركعي) [آل عمران: ٤٣] لأن السجود أفضل وقوله: (مع النبيين والصديقين) [النساء: ٦٩] وقد يترتب على ترتيب الألفاظ ترتيب الأفعال، ومن ذلك قوله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) [المائدة: ٦]. فالوضوء على هذا الترتيب، ومن قوله: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) [البقرة: ١٥٨]، وجاء في الحديث: «.... نبدأ بما بدأ الله به....» [1]، فبدأ صلى الله عليه وسلم بالصفا، والترتيب قائم على اللفظ وليس على الواو، فوضع اللفظ في الكلام أساس الترتيب الواو نسق جامع بينهما.

(١) صحيح، رواه مسلم وابن ماجه والدارمي.

وللواو مواضع اختصت بها، فقد اختصت الواو بالجمع في افتعل الذي يدل على المشاركة نحو: اختصم عمرو وزيد. وبناء تفاعل: تخاصم عمرو وزيد، والفعل لهم على سواء، وارتفعا به، ويجوز تقديم الثاني على الأول دون خلل في الدلالة: اختصم زيد وعمرو، وتخاصم زيد وعمرو، ولا يستغنى عن المعطوف، لدلالة البناء على طرفين اشتركا فيه فلا يجوز اختصم زيد أو تخاصم زيد، لعدم جواز الاستغناء عن الطرف الثاني.

ومثل ذلك الأخبار التي تدل على مثنى أو جمع فاستوجب العدد في المبتدأ والواو حاصل الجمع نحو: زيد وعمرو مجتهد، وزيد وعمرو ومحمد مجتهدون. وكذلك المبتدأ الذي يدل على عدد نحو: هذان عمرو وزيد، وهؤلاء عمرو وزيد ومحمد، والبدل الذي يبدل من عدد نحو: جاء أخواك عمرو وزيد، وإن إخوتك عمراً وزيداً ومحمداً مصلحون. وما دل على قسمة نحو: المال بين زيد وعمرو.

وقد تقع الفاء موقع الواو ومن ذلك قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　　بسقط اللوى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ[1]

قيل المعنى: بين الدخول وحومل، وأجاز الكسائي العطف بالفاء وثم وأو في هذا الموضع[2].

واختصت الواو بجمع الخاص على عكسه، قال تعالى: (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) [البقرة: ٩٨] عطف الخاص فيها على العام، وقوله تعالى: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات) [نوح: ٢٨] عطف العام فيها على الخاص.

واختصت بجمع المرادف على مرادفه، قال تعالى: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [يوسف: ٨٦] وجاء في الحديث: «ليلنِّي منكم ذوو الأحلام والنهى»، وقال كعب: «إن الأماني والأحلام تضليل»، «وأرجو وآمل أن تدنو مودتها»، «إنك منسوب ومسئول»، وقال:

---

(١) الديوان ص١١٠، سقط اللوى: منقطع الرمل، والدخول فحومل: قيل إنهما موضعان شرق اليمامة.
(٢) همع الهوامع ١٨٧/٣.

زالــــوا فـــما زال أنكـــاس ولا كُـــشُف عنـــد اللقـــاء ولا ميـــل معازيـــل

كلها في معنى واحد وجمعت الواو بينها.

وتشاركها أو في الجمع بين المترادفات: (ومـن يكـسب خطيئـة او إثمـاً) [النـساء: ١١٢]، وقال كعب:

أكـــرم بهـــا خلـــة لـــو أنهـــا صـــدقت موعودهـــا أو لـــو أن النـــصح مقبـــول

واختصت بعطف النعت، نحو: العقاد الكاتب والمؤلف والأديب أثرى الثقافة العربيـة، والأفصح ترك الواو؛ لأنها في معنى واحد، قال كعب:

أمـــست ســـعاد بـــأرض لا يبلِّغهـــا إلا العتـــاق النجيبـــات المراســـيل

والمعنى: يبلغها النوق العتاق والنجيبات والمراسيل.

واختصت بالاقتران بإما مكسورة الهمـزة نحـو: قـال تعـالى: (إمـا شـاكراً وإمـا كفـوراً) [الإنسان: ٣] والاقتران بلا للنفي، ولكن العطف يكون فيها للواو ولا ولكن لتأكيد النفي. قال تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجـالكم ولكـن رسـول اللـه) [الأحـزاب: ٤٠] أي: ولكنـه رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، فعطفـت الـواو جملـة عـلى جملـة، فأفـادت لكـن الاستدراك بعد نفي الأبوة عنه لهم. وقيل يضمر العامل بعد لا، وقيل العطف في المفـردات، ولا لتأكيد النفي، وقوله تعالى: (ومـا يـستوي الأعمـى والبـصير* ولا الظلـمات ولا النـور* ولا الظل ولا الحرور) [فاطر: ٢١،٢٠،١٩] تركت لا لقربهما ولالتـصاقهما بـه، وزيـدت فـيما بعـد عنه لتأكيد النفي. و اللـه أعلم، فالأعمى والبـصير لا يحتاجـان تأكيـداً، فهـما مـن الأحيـان، وأكد ما دون ذلك، وقيل هي زائدة لأمن اللبس[١].

واختصت بعطف ما زاد عن العقد مـن أحـد وعـشرين إلى تـسع وتـسعين، وقـد ذكـر السيوطي أنها اختصت بالعطف عـلى النيـف (مـن أحـد إلى ثلاثـة) عـلى ألفـاظ العقـود[٢]، والمشهور أنها في العدد المفرد عند عطفه على ألفاظ العقود.

وذهب بعض العلماء إلى أنها اختصت بالعدد «ثمانية» فتقترن به في الإحصاء

---

(١) ارجع إلى: الكشاف جـ٣/٦٣١، والقرطبي ٢٧٢/١٤، وهمع الهوامع ١٨٨/٣.
(٢) همع الهوامع ١٨٨/٣.

لتكون دليلاً على تمام الثمانية، ويراد بها الواو التي تأتي بعد العدد سبعة، فتكون الثمانية تمامه ولا تتجاوز الثمانية، فعرفت بها، وفي ذلك أربعة شواهد احتج بها أصحاب هذا الرأي(١):

الشاهد الأول: قوله تعالى: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) [التوبة: ١١٢]

الواو في آخر الأسماء (والناهون عن المنكر) واو كمال الثمانية، فقد استوفت العدد بالمعطوف بعدها.

والشاهد الثاني: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكم مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) [التحريم:٥] جاءت الواو بعد الوصف السابع.

والشاهد الثالث: (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) [الكهف: ٢٢].

الشاهد الرابع- قوله تعالى: (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) [الزمر: ٧١] قيل الواو في (وفتحت) واو الثمانية، فأبواب الجنة ثمانية ودليل ذلك أنها حذفت في الحديث عن النار: (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) [الزمر: ٧١].

الشواهد الأربعة أدلة على أن الواو العاطفة في هذه المواضع ملازمة للمعدود الثامن أو العدد الثامن فتصحبه للتنبيه عليه. وهذه الشواهد موضع نظر، ويمكن توجيه الواو فيها على وجوه أخرى غير العدد، وهذه الشواهد لا تكفي لإقامة قاعدة عامة تستوجب إثبات الواو قبل العدد «ثمانية»، فشرط القاعدة التعميم والاطراد.

وهذه الشواهد ليست قطعية فيها، فالواو يؤتى بها للدلالة على التعدد والاختلاف والتضاد في المعاني، وتحذف من الألفاظ المترادفة أو التي تأتي لموصوف واحد في معنى واحد، للدلالة على اتحاد الموصوف والمعنى وللاختصار أيضاً، وتذكر

---

(١) أصحاب هذا الرأي محمد الحريري (٥١٦ هـ) وابن خالويه، قالا: العرب إذا عدوا قالوا: ستة، سبعة، وثمانية إيذاناً بأن السبعة عدد تام وما بعده مستأنف، وساقوا الأدلة التي نعرضها لك. وقد ذكر ذلك السيوطي عنهما ١٩١/٣، ومن أشد مخالفي هذا الرأي السهيلي وابن القيم الذي تأثر بالسهيلي، ونقل عنه آراءه في (كتابه نتائج الفكر في النحو) إلى كتابه (بدائع الفوائد).

في مواضع المخالفة نحو: (وهو الذي أضحك وأبكى* وهو الذي وأمات وأحيا) [النجم: ٤٣، ٤٤] وليس من المستساغ أن نقول: أضحك أبكى أمات أحيا دون الواو، لتقابل المعاني، ومثله: (الأول والآخر والظاهر والباطن) وتذكر في الأسماء المتباينة نحو: جاء زيد وعمرو ومحمود، ولا يجوز حذفها، فيحتمل الكلام بدل الغلط: جاء زيد، عمرو، محمود.

وحسن حذف الواو في: (وهو الغفور الودود* ذو العرش المجيد* فعال لما يريد) [البروج:] واطرد الحذف في أسماء الله الحسنى وصفاته التي في معنى واحد نحو: (الرحمن الرحيم) و(العزيز العليم) و(شديد العقاب ذي الطول) ترك العطف لاجتماع هذه الصفات في ذاته، ويفرق بالواو بين الصفات التي جاءت لمعان خاصة، والتي فيها زيادة في المعنى للتنوع والزيادة، أو للدلالة على المخالفة نحو: (الأول والآخر والظاهر والباطن).

وقد تأول ابن الجوزية الواو في الشاهد الأول: (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) أن الصفات إذا ذكرت في مقام التعداد يجوز حذف الواو منها إن اتحد موصوفها وتلازمت في سياق واحد للإيذان بأنها في تلازمها كالصفة الواحدة، وقد حسن الحذف في (التائبون العابدون السائحون الساجدون)؛ لأنها لموصوف واحد وتلازمت، وهي بمنزلة الصفة الواحدة، ثم اختلفت الصفتان (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) فذكرت الواو للتنوع أو التغاير، فحسن إدخال الواو للتباين في المعنى.

ومثله قوله تعالى: (مسلمات مؤمنات قانتات) الصفات لزوجات اجتمعت فيها صفات متقاربة، فلما تغايرت حسن إدخال حرف العطف في (ثيبات وأبكاراً) التغاير فيها ظاهر فالثيوبة غير البكارة ولا يجتمعان فتعين العطف، لأن المقصود التنويع في الثيبات والأبكار وفي كل منهما صفات ترغِّب الأزواج فيهن، فالثيب فيها العقل والحكمة والتجربة والمودة والبكر فيها المداعبة والصبوة والرعونة التي تحبب الرجل فيها[١].

وزيدت الواو في (وثامنهم كلبهم)؛ لأنه لا يدخل في تعداد أصحاب الكهف، فليس داخلاً في المحكي بالقول، فدلت الواو على عدم دخوله فيهم، وذهب السهيلي أن الواو زيدت قبل الثمانية للنص على العدد سبعة مثل: زيد فقيه ونحوي أيضاً.

(١) بدائع الفوائد جـ١٢٢/٢،١٢٣.

فقولك: ونحوي، تأكيد الأول فزاد عليه ، وذهب السهيلي إلى أن الواو لزمت قبل العدد «ثامن» للدلالة على انقضاء العدد[١].

والواو في الشاهد الرابع في: (وفتحت أبوابها) أي أبواب الجنة مفتوحة استعجالاً لهم، وهذا شأن الكريم لا يغلق باباً بل يخليه مفتوحاً، فجاءوها بعدما فتحت ولم ينتظروا دخولها، وقال في شأن أبواب النار: (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) أي فُتِّحَت في وجوههم، وهذا أبلغ في مفاجأة المكروه، فكبوا فيها فجأة دون إمهال، وليس لهم جواب كالذي قيل لأهل الجنة.

وقولهم إنها واو الثمانية لا وجه له ولا دليل عليه، وهو توجيه بعيد[٢]،وذهب بعض العلماء إلى أن العطف وتركه في هذه الشواهد من عرف العربية في الخطاب، وهذا الرأي مطلق؛ لأن ترك العطف عن أسباب ذكرها العلماء، وقال بعضهم الصفات قبل الواو في هذه الشواهد متعلقة بالعامل المتقدم، وما بعد الواو مقطوع عنه، وقيل الواو للتنبيه على ما يأتي بعدها. والأرجح أن الواو تأتي للمعاني المتباينة وللتنوع والمخالفة، وتسقط في سياق الترادف والاتحاد لموصوف واحد.

الفاء: يستخدم في الجمل حرفاً من حروف المعاني فيدل على معنى في التركيب، وهي في العطف موضوعة للتعقيب، وقد تكون لمعنى التسبب والترتيب، وهما راجعان إلى معنى التعقيب، فالثاني يكون في عقب الأول والسياق اللغوي هو الذي يقضي في دلالتها التي تزيد عن معنى التعقيب، فهو الأصل فيها، ويل الأصل فيها الترتيب، وهما بمعنى واحد، فقولنا: جاء زيد فعمرو، يعني عمرو في عقبه وأنه في المجيء بعده، وهذا غير مستفاد من: جاء زيد وعمرو. فهما متساويان، وإن شئت أطلقت فقدمت وأخرت: جاء عمرو وزيد، والمعنى الواحد، وليس كذلك في الربط بالفاء التي تفيد التشريك في الحدث، ولكن على ترتيب فيه، ومنه قولنا: ليدخل العلماء فالشيوخ، فالشباب، فالصبيان، أي مرتبين، والقاضي في ذلك السياق، فقد تفيد السرعة، أو منها صنائع الأنبياء في التوبة، كقوله تعالى في حق داود عليه السلام: (وظن داود

(١) نتائج الفكر في النحو ص ٢٦٤.
(٢) وذهب السهيلي إلى تقدير محذوف في (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) عطف بالواو على محذوف. نتائج الفكر ص ٢٦٢، وقد استطاع أن يستخلص ابن القيم أفكار السهيلي في هذه الواو وساق الأدلة لها وبرهن على رأيه، فكتابه بدائع الفوائد متمم كتاب السهيلي نتائج الفكر، والقول إنه نقل كثيره عنه دون جهد له فيه ليس بشيء.

أنما فتناه فاستغفر ربَّه وخر راكعاً وأناب* فغفرنا له ذلك...) [ص: ٢٤،٢٥] فظن بمعنى تيقن، فسارع إلى الاستغفار فكان الغفران أسرع إليه. ومنه قول موسى عليه السلام: (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفرلي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) [القصص: ١٦] فالأولى سببية والثانية استجابة تعقيبية سريعة على اعترافه بالذنب، وهذا من واسع رحمته سبحانه الجامع للرحمة العظمى فهو الرحمن الرحيم، و اللـه أعلم.

وقد تأتي لمجرد الترتيب دون السرعة، ومنه قوله تعالى: (أنزل من السماء ماء، فتصبح الأرض مُخْضَّرة) [الحج: ٦٣] قيل: فتصبح ذات نبات، وهذا يستغرق وقتاً، وأرى اجتهاداً أن «مخضرة» أي: ذات لون أخضر، وهذا اللون يأتيها في وقت قصير لا يتجاوز نصف يوم، وهو المستفاد من «تصبح»، وهذا اللون حيوانات دقيقة (طفيليات) بالتربة نشطت بنزول الماء وتزداد نمواً في ضوء ظروفها الخاصة، وقد استطاع العلماء استخلاص وقود منها وهم يتوسعون في زراعة مساحات منها لتكون بديلاً للنفط، و اللـه أعلم، فتصبح على هذا الوجه الحديث لا يعني التحول بل فترة الصباح؛ لأن نمو الطفيليات أسرع في الليل، و اللـه أعلم.

ومن معاني الإبطاء فيها: تزوج فلان فوُلِد له، أي بعد مدة الحمل[1].

وقد أتت الفاء في بعض المواضع فيها اختلاف عما تقدم لمعنى خاص استوجب ذلك، ومنها قوله تعالى: (أهلكنهاها فجاءها بأسنا) [الأعراف: ٤٥] وشدة البأس تسبق الإهلاك فهو النهاية. قالوا المعنى: أردنا إهلاكها، فجاء في الماضي تحقيقاً للإرداة والحدوث، لأنها سبقت زمن الحكي وأرى أن «أهلكناها» صفة للقرية، أي: هذه القرى المهلكة. وهي كثيرة -ابتعت أولياء من دون اللـه- (فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) فوقع العطف على محذوف مقدر وهو المستفاد مما قبلها[2]، و اللـه أعلم. وهذا

(١) وقد عطف مفصل على مجمل في قوله تعالى: (فأولهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) [البقرة: ٣٦] فالإخراج تفصيل، ومثله: (ونادى نوح ربه فقال) [هود: ٤٥].
وقد أتت الفاء بمعنى ثم في قوله تعالى: (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً) [المؤمنون: ١٤]

(٢) قبلها قوله تعالى: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دون أولياء قليلاً ما تذكرون) [الأعراف: ٣] وقد وقع الإخبار بالأهم؛ لأنه القصد في الاعتبار.
وقد ذكر القرطبي اختلاف العلماء فيها جـ١٣٣/٧، والرأي عندي أن العطف واقع على محذوف.

كثير في القرآن الكريم ومنه: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت....) [البقرة: ١٣٣] والمعنى: أم كنتم غائبين أم كنتم شهداء، وهذا دليل على أن الذي يأتيه صلى اللـه عليه وسلم وحي من عند اللـه، فقد أبلغه ما غابوا عنه، والمحذوف معلوم من المذكور فأم أفادت أن الثاني خلاف المتقدم. وقوله تعالى: (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) [النحل: ٩٨] والاستعاذة واجبة قبل الشروع في القراءة.

والإخبار بالماضي يعني في ظاهره الانتهاء، وليس بالمراد في (قرأت) بل المراد الشرو ع فيها، فجاءت في الزمن المنقطع للدلالة على العزم الذي يستوجب التفكير في آياته وتدبرها، والشيطان يحول دون ذلك فاستقو عليه بالله تعالى لتخلص في القراءة.

وجاء في الحديث: «فصلي الصبح حين طلع الفجر»[1]، وطلوع الفجر وقت الابتداء بها، ومثله: «صلى الظهر حين زالت الشمس» أي: ابتدأ الصلاة بعد زوال الشمس عن كبد السماء، فالسياق الحَكَم في المعنى واعتبار حال الفعل وعلاقته بالعالم الخارجي، ولم تأت الفاء لترتيب أو تعقيب في قصيدة كعب، وقد أنكر الفراء الترتيب في الفاء مطلقاً، وقد استدل بقوله تعالى: (أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً) [الأعراف: ٤] وليست بدليل في هذا الموضع، وقد ثبت ما يفيد الترتيب.

والفاء تكون للسببية، ومنه قوله تعالى: (فوكزه موسى فقضى عليه) [القصص: ١٥] و(فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم) [الذاريات: ٢٦،٢٧] أي: ليأت بعجل سمين، ليقدمه إليهم.

ومن ذلك قوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) [المائدة: ٤٠] فالسرقة سبب في قطع اليد، فقطع اليد مترتب على السرقة، فهي سببه، فاقترن القطع بالسرقة، ومن ذلك قول النبي صلى اللـه عليه وسلم «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»[2]. فعلة تمكن من الأرض إحياؤها. ومنه قوله صلى اللـه عليه وسلم «سها رسول اللـه في الصلاة فسجد»[3]، ترتب السجود على السهو. ومنه قوله تعالى: (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) [ص:١٤] أي: فاستوجب كفرهم عقاب اللـه، فالكفر سبب العقاب.

وقد قدم الفقهاء المذكور أولاً في الكفارات بحسب الترتيب دون التسوية، في

(١) ارجع إلى: النسائي، كتاب المواقيت، باب آخر وقت الظهر، رقم ٥٠٢، حديث حسن.
(٢) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي عن سعيد بن زيد رضى اللـه عنه.
(٣) رواه البخاري، وفتح الباري جـ٣/٩٢ وارجع إلى: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٣/٢٥٤،٢٥٥.

قوله تعالى: (... فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به و اللـه بما تعملون خبير* فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.....) [المجادلة: ٤،٣] فالكفارات على الترتيب، فإن عجز عن الأولى فالثانية ثم الثالثة، والتخيير في «أو»، قال تعالى في كفارة اليمين: (... فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيـام....) [المائـدة:٨٩] خيَّر في الكفارات الثلاث، وعقب عند عدمها بالصيام[١].

وللفاء ثلاثة وظائف عند ابن جني:

- أن تكون للعطف والاتباع جميعاً نحو: قام زيد فعمرو، فقيام عمرو عقيـب زيـد بـلا مهلة وهو اتباع.

- أن تكون الفاء بالاتباع (التعقيب) دون العطف، والثاني لا يدخل في إعـراب الأول ولا يشاركه في الموضع وذلك في المواضع التي يكون الأول فيها علة للثاني، والثاني قائم عليه، وهو ما فيه معنى الشرط، فالجواب جزاء الشرط، والجزاء تمام معناه، نحو: إن تعمل صالحاً فـالله مجازيك، الفاء للاتباع مجردة من معنـى العطـف، ومثلـه: إن تقـم فأنـا أقـم معـك، فالفـاء للجزاء عند ابن جني وليست للعطف، والفاء وحدها صاحبة هذا المعنى[٢]، وهذا عنـد ابـن هشام يدخل في السببية، فالجزاء سببه العمـل الـصالح والقيـام سـببه قيـام الأول[٣]. والفـاء حرف ربط في هذا الموضع وهي واجبة في المواضع التي ليس فيهـا جـزم، لاحـتمال اسـتقلال جملة الجزاء في المعنى، والفـاء وحـدها التـي تـربط الخـبر بالمبتـدأ، والأصـل في الخـبر أن لا يعطف على المبتدأ إلا أن يكون المبتدأ اسم موصول أو بمعنى اسم الموصول في جملة بمعنـى الشرط نحو: الذي يأتيني فهو مكرم.

ودخلت الفاء جواب أمَّا لما فيها من معنى الـشرط نحـو: أمـا زيـد فمنطلـق، قيـل أمَّـا بمعنى مهما أي: مهما يكن من أمر فزيد منطلق، فحذف مهما وما بعدها، وتأخرت

---

(١) القرطبي جـ٢٤١/٦.
(٢) سر الصناعة جـ٢٢٥/١.
(٣) شرح قصيدة كعب ص ٥٠.

الفاء إلى منطلق، ويجوز حذفها للضرورة، قال الحارث بن خالد المخزومي[1]:

فأمَّا القتالُ لا قتالَ لديكم ... ولكن سيراً في عرض المواكب

أراد: فلا قتال، فحذف الفاء للضرورة. وجاء معنى الشرط في قوله تعالى: (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) [الجمعة: ٨] وقعت الفاء في معنى جواب الشرط، وقد توسعنا في بسط ذلك في الجملة الشرطية.

والفاء في جملة الجزاء ليست بعطف -عند ابن جني- بل دخلت توصلاً إلى المجازاة بالجملة الاسمية أو الجملة التي يجوز أن يبتدأ بها فوجب ربطها بالشرط بالفاء، لئلا تقطع عنها، فيتصل أول الكلام بآخره، وتركت في الفعل المضارع لعمل أداة الشرط فيه، ولا يجوز قطع المعمول عن العامل، والجزم يستوجب عاملاً، وهو أداة الشرط، ويعقد وقوع الفعل بفعل آخر، وهذا ممتنع في الأسماء فوجبت الفاء الاسمية التي وقعت جزاء، والفاء للسببية وليست للعطف؛ لأنها لا تستوجب حكماً إعرابياً في الاسم بعدها فهي للعلة فقط، ومثلها الفاء التي تدخل على الجملة الإنشائية في جواب الشرط نحو: إن يكذب فاضربه، وإن يصدق فلا تضربه، الفاء للعلة وليست للعطف، وهي واجبة في الجملتين، لأن الأولى أمرية والثانية نهيية، وكل واحدة منهما يجوز أن يبتدأ بها فتقول: اضرب زيداً ولا تضرب زيداً، فجيء بالواو لربطهما بالشرط. وهي عند ابن جني لربط دون العطف، ولا يترتب عليها حكماً في الإعراب، وفاء العطف تستوجب اتباع المعطوف المعطوف عليه في الإعراب، والدليل على أن الفاء في جواب الشرط لربط الثانية بالأولى دون العطف أن إذ وإذا تبدلان منها في الربط فتقع في جملة الجزاء، ومنها قوله تعالى: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) [الأنعام: ٣٦] فإذا في معنى إن، فوقعت جواباً لما فيها من المعنى المطابق، وإذا هنا المفاجأة، فالقنوط منهم سريع. ومثله: خرجت فإذا زيد، فإذا بمعنى المفاجأة. أي: خرجت ففاجأت زيداً أو ففاجأني زيد، فبناء فاعل يكون من اثنين. والفاء في قولنا: حسبته شكرني فأشكره، ليست عاطفة، فالمعنى إن شكرني شكرته، والفاء للسببية، ومثله: دعوتك فلم تجبني؟ على معنى اللوم، فتقول: فقد أجبتك اليوم، والمعنى: ولهذا

(١) المقتضب ٦٩/٢، وسر صناعة الإعراب ٢٣٧/١.

أجبتك اليوم، ولافاء هنا لربط الجملة بما تقدم وليست بعاطفة، فالفاء عقدت ما بعدها بما قبلها، وليست بنسق.

ومثل ذلك ضربته فبكى، وأحسنت إليه فشكر؛ فهي للسببية دون العطف عند ابن جني، وابن جني من أخص معانيها.

- أن تكون زائدة، وهي المواضع التي تستوفي المعنى بحذفها دون خلل به، ومنه قوله تعالى: (وثيابك فطهر) [المدثر: ٤] أي: وثيابك طهر، و(والرجز فاهجر) [المدثر: ٥] أي: الرجز اهجر: (ولربك فاصبر) [المدثر: ٧] أي: لربك اصبر. والفاء في فكبر وفاهجر دخلت على معنى جواب الجزاء مثلما دخلت في (قم فأنذر) فالفاء في جواب الطلب، والفاء عند ابن جني زائدة[١].

والفاء لها ثلاث وظائف نصية، عند ابن هشام:

الأولى- أن تأتي في الكلام لمجرد السببية والربط قال تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) [الكوثر: ١] الفاء سببية فمجيء الجملة الأولى سبب في وجوب حدوث الثانية، فالثانية سبب للأولى، فالصلاة والأضحية يوصلان إلى الكوثر، فإعطاء الكوثر استوجب الصلاة والنحر لله تعالى.

وذهب كثير من العلماء إلى أن الفاء في الآية لمجرد السببية والربط، وليست للعطف في الآية؛ لأنه لا يعطف الإنشاء على الخبر، واستدلوا بقول امرئ القيس[٢] :

وإن شفائي عَبْرَة إن سفحتُهَا   وهل عند رسم دارس من مُعَوَّل(٣)

وهي في رواية ابن جني بالفاء في «فهل»، والمعنى عنده: إن شفائي أن أسفح عبرة، إذا كان الأمر على ما قدمته من أن البكاء شفاء، فهل لي من بكاء أشفي به غليلي، واستحسن العطف على هذا المعنى، فليس المراد الاستفهام نحو قولك: قد أحسنت إليّ فهل أشكرك، أي: فلأشكرنك[٤]. ورأى ابن هشام أن الاستفهام في البيت مراد به الإنكار وليس المراد به طلب الجواب.

وتكون لمعنى السببية نحو: إن جئتني فأنا أكرمك، فالإكرام سببه المجيء إليه، ولو

---

(١) ارجع إلى: سر صناعة الإعراب جـ٢٣٢/١ والقرطبي ٤٨/١٩.
(٢) ديوان امرئ القيس، ص١١١، ط دار الكتب العلمية، وهي بلفظ «وهل».
(٣) سر الصناعة جـ٢٢٨/١.
(٤) ديوان امرئ القيس، ص١١١، والشعر والشعراء جـ١٠٥/١، وروي: فهل عند رسم.

كانت عاطفة كان ما بعدها شرطاً، واحتيج للجواب[1]. وهذا عند ابن جني تعقيب وليس عطفاً، والتعقيب والعطف في نحو: الذي أكرمني فشكرته زيد، الفاء حرف عطف، أو الإكرام عليه لوقوع الشكر، فهي للعطف والسببية، ومثله: الذي ضربته فغضب زيد، الفاء للسببية[2]،وجمعت الفاء السببية بين مضمون بيتين، هما:

لكنها خلَّة قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديل

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تكون في أثوابها الغول

من سجايا هذه المرأة الإفجاع بالمكروه والكذب في الخبر والإخلاف في الوعد، وتبديل خليل بآخر، فلما جبلت على ذلك لا تدون على حال، فتتلون على وجوه كما تتلون الغول، وهي -حسب اعتقاد الجاهليين- إناث الشياطين، وهي أخبث لقدرتها على التلون في كل وقت، ثم أتى بالواو في البيت الذي يلي ذلك:

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما تُمسك الماءَ الغرابيل

ولا تمسك: عطف على «فما تدوم»، وإخلاف العهد جاء دليلاً على عدم ثباتها على حال[3]. فتحققت عن ذلك نتيجة سببية أن لا يوثق بها، فليست أهلاً للثقة:

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأماني والأحلام تضليل

الفاء لمحض السببية، كالواقعة في جواب الشرط، لأن ما قبلها خبر، وما بعدها طلب وعطف أحدها على الآخر، وعطف الطلب على الخبر لا يجوز على الصحيح، والعكس كذلك، كقولك: زيد كاذب فلا تَغترَّ بقوله، لا يجوز العطف بينهما؛ لأن «لا» ناهية، والفعل بعدها في موضع جزم، والنون توكيد، كقوله تعالى: (لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) [إبراهيم: ٤٢] [4]. ووصف الشاعر صفات سعاد فقال: «قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل»، «فما تدوم على حال تكون بها......»

---

(١) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ٥٠.
(٢) شرح صناعة الإعراب جـ٢٢٤/١.
(٣) شرح قصيدة كعب ص ١٤٣،١٤٢.
(٤) شرح قصيدة كعب ص ١٥١،١٥٠، أجاز ابن جني وابن مالك وغيرهما دخول النون على الفعل الذي سبق بلا النافية مثلما لحقت بالمسبوق بلا الناهية، تمسكاً بظاهر قوله تعالى: (ادخلوا مساكنكم لا يحطمنك سليمان وجنوده) [النمل: ١٨]، وقوله: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) [الأنفال: ٤٥]، وقال الشاعر:

تالله لا يحمدن المرء مجتنباً ... فعل الكرام وإن فاق الورى حسبا

هذه الصفات ترتب عليها عدم ثباتها على حال واحدة، فالفاء للسببية، لما جبلت عليه من الفجع والإخلاف والتبديل لا تدوم على حال، و«تدوم» تامة: تامة لا ناقصة، وما نافية، وليست ظرفية، ولهذا دخلت على المضارع [1].

الثانية- أن تأتي لمحض العطف، قال تعالى: (والذي أخرج المرعي فجعله غثاء أحوي) [الأعلى: ٤] ومنه: جاء زيد فعمرو.

والثالثة- أن تأتي للسببية والعطف في الجمل والصفات ومنه قوله تعالى: (فوكزه موسى فقضى عليه) [القصص: ١٥]، وقال تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) [البقرة: ٣٧] وجاءت الفاء في عطف صفة بسبب مما عطفت عليه قال تعالى: (فالزاجرات زجراً*فالتاليات ذكرا) [2] [الصافات: ٣،٢] الفاء للعطف عند القرطبي، وهي للسببية والعطف عند السيوطي، وقيل أفادت الترتيب في الصفات، وهو المشهور فيها نحو: ادخلوا: الأول فالثاني فالثالث، دلت على ترتيب وضعهم والعدد، أو يقع الترتيب على التفاوت نحو: خذ الأفضل فالأكمل، والتالي في الآية اللاحق بما قبله [3]. وقد ترتيب حسب موصوفها نحو: رحم الله المحلقين فالمقصرين [4].

والمشهور أن تأتي للعطف السببي في الجمل، قال كعب[5]:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يغد مكبول

الفاء فيه للسببية والعطف، وذهب إلى هذا ابن هشام، ففداق سعاد سبب في اعتلال القلب.

وعطف الجملة الاسمية على الفعلية جائز نحو: قام زيد وعمراً أكرمته، ورجح الرفع في عمرو؛ لأن تناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من تخالفهما.

قال كعب: «يغدو فيلحم ضرغامين» أي: ليطعم ضرغاميه لحماً، يريد النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله عنهم في الحرب، وقد وظف كعب الفاء في الربط بين الأبيات، فقد قال معقباً على ما قاله أخلاؤه والوشاة:

---

(١) شرح قصيدة كعب ص ١٣٩.
(٢) ارجع إلى: القرطبي جـ٥١/١٥ والصافات قيل الملائكة.
(٣) أخطأ القائل: جاءنا البيان التالي:، والصواب الآتي: جاءنا البيان الآتي، فالتالي الذي سبقه أول فتلاه.
(٤) القرطبي جـ٥٢/١٥ .
(٥) شرح قصيدة كعب ص ٥١.

فقلـــت خلـــوا ســـبيلي لا أبـــالكم   فكـــل مـــا قـــدّر الـــرحمن مفعـــول

الفاء في «فقلت» للتعقيب على قولهم، وهو الأصل فيها، والفاء في «فكل» للربط والسببية.

ثم : حرف عطف، ولفظها للفظ «الثّمّ» وهو زمّ الشيء بعضه إلى بعض، يقال: كنا أهل ثمة ورمَّة، والثمة سد الفرجة، ومعنى العطف قريب من هذا؛ لأنه ضم شيء إلى شيء بينهما مهلة[(١)]. وتعطف ثم بين الألفاظ والجمل وتفيد التشريك في الحكم والترتيب في المعنى على المشهور من الفصيح. وقد لا تعني «ثم» الترتيب، قال تعالى: (فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون) [يونس: ٤٦] ثم لا تقتضي الترتيب في المعنى بل ترتيب الجمل فقط كقولنا: زيد عالم، ثم هو كريم، والمعنى: الله شهيد على محاربة المشركين وتكذيبهم إياك[(٢)]، ثم إلينا مرجعهم، وقيل: الله شهيد على ما يفعلون في الآخرة وهم عجزة نادمون على ما سلف منهم، وثم على هذا المعنى تفيد الترتيب[(٣)]. وقيل «ثم» بمعنى الواو، فلا تقتضي ترتيباً على هذا المعنى.

وقد ذهب قطرب بن المستنير إلى أن ثم قد لا تفيد الترتيب، واستدل بقوله تعالى: (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) [الزمر: ٦] وهذا لا شيء فيه، لأن خلق حواء من آدم جاء بعد خلق آدم، والدليل قوله تعالى (وخلق منها) أي من «آدم»، والمراد بالنفس الأصل الأول أو الذات، (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) [النساء:١] يراد التشريك في الخلق لا الترتيب الذي أشارت إليه الآية الأولى[(٤)]. واستدل كذلك بقوله تعالى: (وبدأ خلق الإنسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين* ثم سواه ونفخ فيه من روحه...) [السجدة: ٩،٨،٧] زعموا أن (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) جاءت بعد (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) تعقيب على خلق الإنسان الأول «آدم» الذي

---

(١) ارجع إلى: بدائع الفوائد جـ٩٥/١ وهمع الهوامع جـ١٩٥/٣
يقال: ثمت البيت: سد فرجته بالثمام، وفيها لهجة أخرى: فم، قلبت الثاء فاء لمجاورة مخرجيهما وللهمس فيهما والرخاوة، ومثلها: جدث، وجدف، وجاء فيها: ثمت (بالتاء الساكنة).
(٢) التبيان ، دار الجيل، بيروت جـ٦٧٥/٢
(٣) ارجع إلى: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي جـ٢٩٦/٨
(٤) ارجع إلى: همع الهوامع جـ١٩٥/٣

خلق من طين، ولكن نسله الذين تعاقبوا من بعده لم يخلقوا من الطين مباشرة مثل أبيهم الأول بل من مني، وقوله (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) متعلق بالطين، فالحديث عن مراحل الطين، ولكن الحديث عن السلالة جاء بعد أن خلق، فثم عطف «جعل» على «بدأ» ولكن «سوّاه» معطوف على خلق. والمعنى: خلق الأول طيناً ثم سواه ثم جعل ذريته من ماء يخرج منه. والفائدة من الإتيان بجعل الذرية من ماء لإظهار المخالفة بين الأول الذي خلق من طين خالص في بدئه وسلالته التي خرجت للحياة بماء منه، هذه المفارقة لتبيين الإعجاز في الخلق فأتي بالمتباينين متجاورين لهذا، والعلة في مجيء النسل قبل نفخ الروح أن بدء الخلق تساوى فيهما، لأن نفخ الروح يأتي بعد تمام الخلق، فأخرها ليخبر بها عن المخلوق من طين مباشر عمن أتي من ماء، فهما في عداد الأموات ثم سوى الطين وسوى الماء أيضاً، ونفخ في الطين بعد أن سواه ونفخ في الماء بعد أن سواه، وتأخير «ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين» يستدعي ذكر تسويته (الماء). وقد يكون المراد (سواه ونفخ فيه من روحه) الماء، وهي على هذا مرتبة ولا شيء فيها[1]. واستدلوا أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى: (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون* ثم آتينا موسى الكتاب) [الأنعام: ١٥٣،١٥٤] قوله (وصاكم به) تعقيب على قوله: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) [الأنعام: ١٥٢] هذا تمام الآية، وقوله: (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) [الأنعام: ١٥٤] هذا لايدخل فيما تقدم فثم جعلت مجيء موسى تمام ما قبله من دعوات الرسل السابقين عليه، فقد جاءت التوراة جامعة ما قبلها ومفصلة ومشرعة، والمعنى: أن موسى علم ما سبقه ثم أنزل الله تعالى التوراة عليه تمام ما علم وتفصيله فضلاً من الله تعالى، ثم نزل القرآن الكريم من بعد التوراة والإنجيل، قال تعالى: (وهذا كتاب مبارك أنزلناه فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) [الأنعام: ١٥٥].

وثم في الآية على هذا التفسير لا تعني أن ما بعدها مرتب على ما قبلها فهي

---

(١) والواو التي تفيد الترتيب نحو: (وأنزل التوراة والإنجيل) [آل عمران:] أي: أنزل التوراة ثم أنزل الإنجيل.

عطف على كلام فهم من لفظها، والمعنى: ثم أنزلنا الكتاب تماماً على الذين أحسنوا يسدد ما أحسنوا فيه ويكمل ما بدأوه[1].

وذكر بعض النحاة في ذلك رواية مختلطة لأبي نواس:

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلك جدُّه

قوله: «ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلك جده»، فهذا لغير الترتيب لأن «بعد ذلك» تعني أن الجد جاء بعد الأب، وهذا مخالف لحال الممدوح الذي ورث الملك عن أبيه، وأبوه عن جده، فقدم المتأخر، وهذا خطأ في الرواية، والصحيح في ديوانه:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه قبله، ثم قبل ذلك جَدُّه

وهذه الرواية لا تخالف الترتيب في ثم، وقد استدل بها بعض اللغويون على أن ثم قد تأتي لغير الترتيب المعنوي[2]. وقد روي البيت محرفاً في بعض كتب النحو، واستدل به أصحاب هذه الرواية على أن ثم قد تفيد الترتيب اللفظي دون المعنوي، وهذا تجريد لدلالة «ثم» على الترتيب، وليس من عرف العربية، فالظاهر الذي أشكل عليهم وتوهموه مذهباً أجازوا به العمل بالشكل دون المعنى، ومن ورائه دلالة عجيبة يستنبطها أولو العلم والفهم، وليس في كتاب الله تعالى شيء من ذلك، فترتيب الألفاظ لمعنى، وما روي عن العرب مخالفاً هذا فيه نظر، فقد يكون محرفاً عن روايته كما مضى في قول أبي نواس، فلا يعقل عنه هذا الاضطراب في الترتيب الزمني، أو أن الشاعر نفسه أخطأ في القول أو أخطأ الشارح وليس هذا بمستبعد عن إنسان اجتهد وحده، دون الجماعة[3].

أو : حرف عطف لأحد شيئين أو لأشياء في العطف، ويكون المعنى لواحد من

---

(١) القرطبي جـ١١٦/٧،١١٧.

(٢) استدل السهيلي بهذه الرواية في حديثه عن الفاء التي تعني الترتيب، وقد تأتي للترتيب اللفظي دون المعنى، وضرب مثلاً بثم، وهي رواية مضطربة، وجاءت هذه الرواية في (نتائج الفكر في النحو للسهيلي) ص٢٥٠، ونسبها المحقق إلى الديوان ص ٤٩٣ وخزانة الأدب ٤١١/٤، وشواهد المغني في ثم ص ١٢٥، والرواية التي اعتمدتها من الديوان (دار الكتب العلمية) تحقيق على فاعور ص ١٨٣.

(٣) روى بيت أبي نواس في مغني اللبيب جـ١٣٦/١، وذكره السيوطي بهذه الرواية في همع الهوامع جـ١٩٥/٣ ورواه السهيلي ص ٢٥٠ في حديثه عن الفاء. وقد ذكرنا الرواية الصحيحة من الديوان ص ١٨٣ (دار الكتب العلمية، بيروت ووافقته طبعة دار العرب ص ١١٧).

شيئين، أو يكون لواحد من أشياء[(١)]، الأول نحو: خذ كتاباً أو قلماً، والثاني نحو: خذ كتاباً أو قلماً أو كراسة، فالمختار منها واحد لا مجموعها، والأصل فيها أنها للتخيير نحو: اقرأ فقهاً أو نحواً، وتزوج هنداً أو زينبَ، وتأتي في موضع التخيير والشك من حيث كان الشك تردداً بين أمرين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر. وقيل أصلها للتساوي بين شيئين فصاعداً في الشك ثم اتسع فيها، فاستعيرت للتساوي في غير شك[(٢)]. وتكون تخييرية، وتسمى بحرف الشك، فعبرت عن العطف بالتساوي في الشك أو في غير الشك، والخبر يقع لأحد الخيارين نحو: زيد أو علي جاء. وزيد أو قيس لص[(٣)].

والمرجح أنها تكون للتخيير ثم دخلت عليها معان مستفادة من سياق الكلام، والشك يأتيها من قبل ما جاورها، قال تعالى: (لبثنا يوماً أو بعض يوم) [الكهف: ١٩] فالشك منهم وليس من أو. فأو أوقعت الاختيار على أحد المتعاطفين، ولو كانوا على يقين مما لبثوه لقالوا: لبثنا يوماً واحداً أو قالوا: لبثنا بعض يوم، ولكنهم شكوا في زمن مكثهم، ويبين هذا قولنا: تزوج هنداً أو زينب. فهذا للاختيار، وهو مستفاد من الفعل، ولكن الآية تصدرت باستفهام، وجوابهم ضعيف، فحملوه أحد اختيارين.

فقد وضعت للدلالة على أحد الشيئين المذكورين معها، ولذلك وقعت في مقام الشك من حيث كان الشك تردداً بين أمرين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، وقد وجه عليها السهيلي قوله تعالى: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات: ١٤٧] أي: إنهم من الكثرة بحيث يقال فيهم: هم مائة ألف أو يزيدون، فأو على بابها دالة على أحد الشيئين، إما مائة ألف بمجردها وإما مائة ألف مع زيادة[(٤)].

---

(١) منها: الشك: قال تعالى: (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) [الكهف: ١٩]، أو الإبهام مثل قوله تعالى: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) [سبأ: ٢٤]، والتخيير، وهي الواقعة بعد الطلب نحو: خذ كتاباً أو مالك. والإباحة وتكون بعد طلب: جالس العلماء أو الباحثين، وتعلم الفقه أو الحديث. كما تأتي أو أيضاً بمعنى الواو لمعنى الجمع نحو: لنفسي تقاها أو فجورها، والمعنى: وفجورها. ارجع إلى مغني اللبيب جـ١/٧٥ وبدائع الفوائد جـ١/١٩٨.

(٢) الكشاف، الزمخشري جـ١/٢١٣ ومغني اللبيب جـ١/٧٤.

(٣) ارجع إلى: مغني اللبيب جـ١/٧٥.

(٤) رأى الزمخشري العطف في قوله تعالى: (أءنا لمبعوثون* أو ءاباؤنا الأولون) [الصافات: ١٦،١٧] ذهب إلى أن أباءنا عطف على الضمير في (مبعوثون) وساغ العطف على الضمير المتصل للفصل بين العاطف والمعطوف عليه بالهمزة، وقد خالفه السيوطي؛ لأن «أم» تعطف المفردات والجمل، وتفيد التسوية والاتصال لطلب التصور، أو تكون للانقطاع لطلب التصديق، ويشتركان في معنى الاستفهام والإضراب. الأشباه والنظائر جـ٤/٧٦.

والمخبر في كل هذا لا يشك[1]. وقد تكون «أو» بعد العدد للإشارة إلى أنهم يزيدون في العدد لكثرة عددهم فهذا العدد يولد له، فعبرت أو عن الزيادة، فلا يراد حصر العدد في زمن محدد بل طول البعثة فيهم، وهم يزيدون، فدلت الجملة على حال هذا العدد وزيادته وهو يدعوهم.

وهي في عمومها تدل على وقوع أحد الوجهين، وذهب بعض المفسرين إلى هذا المعنى في قوله تعالى: (أو كصيب من السماء) [البقرة: ١٩] قيل هما مثلان للمنافقين في حالتين مختلفتين، فهم لا يخلون من إحدى الحالتين، واستبعد ابن الجوزية معنى الإباحة في تفسيرها، وقد سبقه إلى هذا السهيلي، ونقل عنه ابن الجوزية، ومن هذا قول الشاعر[2]:

فقلت لهم شيئان لابد منهما ... صدور رماح أَشرِعَت أو سلاسلُ

أي: الأمر لا يخلو من واحد منهما، ومنه قولنا: النصر أو الشهادة، فمعنى الإباحة مستبعد فيها، وتفهم الإباحة في قولنا: امش أمام النعش أو بعده، فهما جائزان مع ترجيح التأخر، ومثله كفارات الأيمان: (فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة....) [المائدة: ٨٩] الكفارات الثلاث على التخيير أو الإباحة فيها على الاختيار، ثم (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم....) [المائدة: ٨٩] التخيير في الإطعام والكسوة وتحرير رقبة، فإن عجز عنها فله أن يصوم، ولا يصوم إن استطاع واحدة منها، فالفاء للتعقيب[3]. وقد فهم معنى الإباحة أو التخيير من السياق، ووجوب الكفارة من لفظ الجملة «فكفارته إطعام.....»، ونحو ذلك قولك للمكفر: أطعم عشرة مساكين أو اكسهم أو حرر رقبة، فالوجوب من فعل الأمر التخيير من وضع «أو» في الكلام، والتخيير لا يمنع الزيادة فضلاً، ولكن في قولنا: كل سمكاً أو اشرب لبناً، أي: افعل أحد هذين. دون الجمع بينهما، ومثله قولنا للمريض: صم أو كل. دون الجمع

(١) نتائج الفكر في النحو ص ١٥٣.
(٢) مغني اللبيب جـ٧٨/١، وشرح الأشموني ٤٦٤/٢ وهو لجعفر بن عبلة الحارثي، وديوان الحماسة ٢٣/١، وهمع الهوامع جـ٢٠٦/٣، وبدائع الفوائد جـ١٩٨/١. وروي: فقالوا لنا شنتان لابد منهما.
(٣) القرطبي ٢٤١/٦.

بينهما، لأنهما لا يجتمعان، والفرق بين التخيير والإباحة أن للمكلف المخاطب أن يجمع بين الشيئين في الإباحة، وليس له ذلك في التخيير الذي يفعل فيه أحد الشيئين ويترك الآخر، ولا يجوز له تركهما معاً أو الجمع بينهما.

وذهب النحاة إلى أن "أو" قد تفيد الإباحة، وهي من قبل ما جاورها أيضاً مثل معنى الشك، فالإباحة مستفادة من الفعل وحرف العطف الذي يدل على جواز أحد الشيئين، وخيرت بينهما أو تخير بين كثير نحو: اختر هنداً أو زينب أو ليلى، فالمختارة واحدة، والإباحة من الأمرين نحو: اجلس إلى علي أو محمود للتعلم، والإباحة من الفعل وليست من أو، ومنه: جالس الحسنَ أو ابنَ سيرين.

وقد ذهب الزجاج إلى أن «أو» للإباحة في قوله تعالى: (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) [البقرة: ٧٤] والتي في قوله تعالى: (أو كصيب من السماء) [البقرة: ١٩] وأبيح للمخاطبين أن يشبهوا بهذا أو هذا، وقد رأى السهيلي أنها ليست لأحد القولين في قوله تعالى: (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) فليست للتخيير، فالقلوب على وجه من هذين، فهي كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة، فأو للتخيير على أصلها، ورد السهيلي معنى الإباحة في «أو» نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين، رأى أن الإباحة ليست من لفظ «أو» ولا من معناها، بل من معنى الفعل الذي يقع على أحد المفعولين، فالجلوس إلى أحدهما وليس إليهما، فالفعل غير جامع بينهما(١). وقد تقع أو للإباحة فتحمل على معنى الواو، قال كعب: ... لو أنها صدقت موعودها أو لو أن النصح مقبول، قيل أو بمعنى الواو، فليس المراد على هذا المعنى أحد الأمرين بل أن يقعا جميعاً، ومنه قوله تعالى: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات: ١٤٧] أي: ويزيدون(٢)، فهي للجمع المطلق، وهو مذهب الكوفيين والأخفش والجرمي، واحتجوا بقول توبة بن الخمُيَر (٣) :

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وذهب بعض العلماء إلى أن «أو» في قول توبة للإبهام.

---

(١) ارجع إلى: نتائج الفكر في النحو ص ٢٥٤.
(٢) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ١٢٤،١٢٥.
(٣) مغني اللبيب جـ٧٥/١، وتوبة بن الحُمير التميمي صاحب ليلى الأخيلية، الديوان ص٣٧.

وقول جرير[1]:

جــــاء الخلافـــة أو كانـــت لـــه قـــدراً   كــــما أتى ربَّـــه مـــوسى عـــلى قَـــدَر

والأرجح أن «أو» للشك، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى في الآية: إلى مائة ألف بل يزيدون فهي للإضراب، وهي في قول قيس بن الملوح (المجنون)، لاحتمال وجهين، أي: إن كنت متقياً أو إن كنت فاجراً، فعاقبة أحد الأمرين عليَّ.

وبيت جرير روي: جاء الخلافة إذ كانت له قدراً، «فأو» في بعض الروايات «إذ»، وروي: عز الخلافة بل كانت له قدراً، والأرجح «إذ»[2].

والأرجح في بيت كعب أن تكون أو للجمع، فلاشك أنه يرجو وفاءها وقبول نصحه، ويجوز أن تكون للتخيير، فأو محتملة للإبهام، فقد تمنى أن تصدق في وعدها أو أن تقبل نصحه فهما سواء، فقد استحسنهما معاً أو هي مخيرة بين أحدهما.

وقد تفيد أو التفصيل والتنويع نحو: (قالوا ساحر أو مجنون) [الذاريات: ٥٢] قال بعضهم ساحر، وقال بعضهم مجنون، واحتملت أو معنى بل، فقد قالوا ساحر بل مجنون، وهذا مستفاد من قوله تعالى: (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) [الأنبياء: ٥]، وقيل أفادت الإضراب في قوله تعالى: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات: ١٤٧] أي: بل يزيدون. والمرجح أنها في الآية لمعنى الزيادة فهي بمعنى الواو، ودليل ذلك قوله تعالى: (فألهمها فجورها وتقواها) [الشمس: ٨] [3].

وجاء في الحديث: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[4]، وجاء في الأثر: «ما أخطأك سرف أو مخيلة) أو بمعنى الواو، وقد جاء في رواية البخاري عن ابن عباس: «كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سَرَف ومخيلة»، وجاء في الحديث: «كلوا واشربوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى نعمته على

(١) مغني اللبيب جـ٧٥/١، والرواية في الديوان «إذ» في موضع «أو» ديوان جرير ٢٧٥.
(٢) جاء في الديوان إذ ص ٢٧٥ (ط مكتبة الحياة)

نــــال الخلافـــة إذ كانـــت لـــه قـــدراً   كــــما أتى ربـــه مـــوسى عـــلى قـــدر

(٣) مغني اللبيب ٧٥/١.
(٤) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير (ط دار الشعب) ٢٨٣/٥ رواه أبو هريرة، ورواه البخاري من حديث أنس وفيه: اثبت أحد، ٣٦٨٦،٣٦٧٥.

عبده»[1]، وجاء عند ابن ماجة: "البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة"[2].

وذهب بعض المفسرين اللغويين إلى أن أو للتفضيل في قوله تعالى: (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدواً) [البقرة: ١٣٥] أي: قالت اليهود للنصارى كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى لليهود كونوا نصارى تهتدوا. فهي للتفصيل، وحملوا على هذا المعنى «أو» في (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات: ١٣٤] أو عند بعضهم بمعنى «بل» وعند آخرين بمعنى الواو، وذهب المالقي وغيره إلى أنها للإبهام للدلالة على كثرتهم فوق العدد المذكور، وأنكره بعض العلماء، فالإبهام والشك لا يردان عن الله تعالى، والذي أميل إليه: أنها بمعنى بل، أي: بل يزيدون فهي للإضراب، فعددهم يزيد، وهذا المعنى يؤكده الإحصاء، فالمعدود الذي يزيد تفتح له الزيادة عند وقوع الحصر في زمن البعثة والناس يزيدون.

وقد يستفاد منها معنى التقسيم، نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، وهذا مذهب ابن مالك، وأرى أنها بمعنى الواو فالأصل: اسم وفعل وحرف.

وقال الحريري: تعني التقريب في نحو: ما أدري أسلّم أو ودّع، ونحو: أذّن أو أقام. فهي للشك بينهما، ومعنى التقريب الذي ذهب إليه من المعنى المستفاد من المتعاطفين فبينهما قرابة في المعنى.

وقيل: قد تأتي لمعنى الشرط نحو: لأضربنه عاش أو مات، أي: إن عاش بعد الضرب وإن مات منه. ومثلها: لأزورنك أعطيتني أو حرمتني. أي: وإن حرمتني. والمرجح أن «أو» عطفت ما بعدها على ما وقع في جواب القسم المستفاد من الجملة الأولى والمعنى: لأزورنك إن أعطيتني أو لأزورنك إن حرمتني، فقد أفادت أو الجواب بأحدهما[3]. وقال اختلفوا في معنى التسوية فيها، وضعفها آخرون، ورأى ابن هشام أنه من اللحن، والصواب الإتيان بأم، وقضى بعض العلماء بشذوذ قراءة ابن مُحَيصن: (أولم تنذرهم) [البقرة: ٦] والمشهور (أم لم تنذرهم)، ويجوز العطف بها مع همزة الاستفهام نحو: أزيد عندك أو عمرو، وقد أجاز بعض العلماء الإتيان بأو في الاستفهام إذا

---

(١) الحديث مرفوع ذكره ابن كثير في تفسير الآيه ٣١ من سورة الأعراف، وروى عن ابن عباس "كل ماشئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف ومخيلة".

(2) رواه ابن ماجة فى كتاب اللباس رقم ٣٦٠٥

وجاء فى النسائى "من غير إسراف ولا مخيلة" رقم ٢٥٥٩.

(٣) ارجع إلى: همع الهوامع جـ٣/٢٠٦،٢٠٧.

تصدرت الجملة بسواء[١]، أي: يستوي نحو: سواء عليّ أقمت أو جلست. أي: يستوي قيامك وجلوسك. والشك مستفاد من اللفظ والمعنى أو فيما جاوزها نحو: ما أدري أزيد قام أو عمرو؟ والشك من قبل ما تقدمها «ما أدري»، والإبهام كذلك إن أراد المتكلم التعمية نحو: المال كثير أم قليل.

بل : حرف إضراب[٢]، وتسبق بنفي[٣]، وتفيد نقل معنى النفي أو النهي إلى ما بعدها نحو: ما زيدٌ قائماً بل قاعداً. وقال ابن هشام: «والصواب حرف استدراك وإضراب، فإنها بعد النفي والنهي بمنزلة لكن سواء»[٤]. وذهب الزمخشري إلى أنها «للإضراب عن الأول منفياً أو موجباً كقولك: جاءني زيد بل عمرو، وما جاءني بكر بل خالد». وقد ذهب بعض الباحثين في ضوء فهمه لما قاله الزمخشري وما نقله عنه موشلير في حديثه عن معنى الحرف الرابط أن البنية الدلالية لمعنى الحرف لا يسهل ضبطها وتخريجها، وهذا مرجعه إلى أنها تدل على معنى في غيرها ولاتدل على معنى في ذاتها، ومن ثم أُطلق عليها حروف المعاني، لأن معناها يكون في سياقها، فتختلف دلالتها باختلاف السياق[٥]. وإن كانت بعد أمر أو إيجاب نقلت حكم ما قبلها لتاليها المفرد، وصار ما قبلها مسكوتاً عنه لا يحكم له بشيء نحو: اضرب زيداً بل عمراً. وجاء زيد بل عمر. أي: اضرب عمراً، وجاء عمر. وإن جاءت في جملة منفية، فالحكم لتاليها نحو: ما جاء زيد بل عمر. أي جاء عمر، لا تضرب زيداً بل عمراً. أي: لا تضرب عمراً. وقد أجازه المبرد. وقولنا: جاءني زيد بل عمر له معنيان:

(١) ارجع إلى: همع الهوامع جـ٢٠٨/٣.
(٢) بل في صدر الجمل تفيد الابتداء، والابتداء بها له معنيان: أولهما: الإبطال للمعنى الأول إن تلتها جملة نحو: (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق) [المؤمنون: ٧٠] وقوله تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) [الأنبياء:] أي: بل هم عباد.
والثاني- الانتقال من غرض إلى آخر بدون إبطال نحو: (قد أفلح من تزكى* وذكر اسم ربه فصلى* بل تؤثرون الحياة الدنيا) [الأعلى: ١٥، ١٦] و(لدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون* بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال) [المؤمنون: ٦٢،٦٣] وهي في هذا الموضع حرف ابتداء، وليست عاطفة على الصحيح.
(٣) منع الكوفيون أن يعطف بها بعد غير النفي وشبهه فلا يجوز: ضربت زيداً بل علياً. وأجاز بعض العلماء ذلك، وما ورد من غير نفي قليل. مغني اللبيب جـ١٣١/٢..
(٤) مغني اللبيب جـ ١٣١/٢ .
(٥) ارجع إلى: Moeschler & A.ReBoule, Dictionnaire Encyclopediquie de Pragmtique, P.185
ومقاربات نظرية في مظاهر الربط الحجاجي لبنية الاقتضاء الدكتور أحمد كروم، فصول، المجلد ٣٢ يناير، مارس ٢٠٠٤ ص٢٢٩.

الأول- أن المجيء انتفى عن زيد وثبت لعمر، فهو إضراب نفي، والثاني- أن المجيء ثبت لعمر كما ثبت لزيد، فنُفِي الاقتصار على الأول وحده وللإيذان بدخول الثاني فيه ويسمى إضراب الاختصار، وجاء في القرآن الكريم: (أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) [الأنبياء:٥] فالقرآن في قولهم أضغاث أحلام وافتراء وقول شاعر، وليس المعنى الإضراب ببل عن الأول وإضراب الثالث عن الثاني، ومثله قوله تعالى: (بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم منها في شك بل هم منها عمون) [النمل: ٦٦] فهم في اعتقادهم في الآخرة مجموع ما ذكر فيها[١]. ويسمى هذا إضراباً وخروجاً من قصة إلى قصة. وقولنا: ما جاءني زيد بل عمرو، فيه معنيان: الأول- أن المجيء انتفى لزيد وثبت لعمرو، والثاني- أن المجيء انتفى عنهما معاً، ونسب للثاني حكم الأول الذي انتفى عنه المجيء، وهذا مذهب بعض أهل اللغة، والرأي عندي أن قولنا: ما جاءني زيد بل عمرو. أن «بل» أفادت الإضراب عما انتفى عن زيد، فثبت لعمرو، فالنفي وقع لزيد وأضربت عنه بل، فثبت الفعل لعمرو. فبل تضرب عما قبلها، ومن ذلك قوله تعالى: (وتأكلون التراث أكلاً لماً* وتحبون المال حباً جماً* كلا بل لا تكرمون اليتيم) [الفجر:١٩،٢٠،٢١] وكلا للنفي، وجاءت بل وما بعد لتقرير النفي فيها، وقد يتضمن ما جاء بعد بل مفهوماً مخالفاً لما قبلها قال تعالى: (قد أفلح من تزكى* وذكر اسم ربه فصلى* بل تؤثرون الحياة الدنيا) [الأعلى:١٤،١٥،١٦] الجملة بعد بل استئنافية، وقررت معنى جديداً، مخالف لمن عمل للآخرة. وقد تفيد التقرير بعد نفي، قال تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللـه أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) [آل عمران:١٦٩] أي: هم أحياء، فالمراد إقرار حقيقة مخالفة لما قبلها. وقال تعالى: (أغير اللـه تدعون إن كنتم صادقين* بل إياه تدعون) [الأنعام:٤٠،٤١] والمعنى: أنكم تدعون اللـه وحده لا غيره، وقد ذهب ابن الجوزية أنها تقريرية[٢]، وأقول هي تقريرية في ذاتها وإضراب عن المعنى الذي سبقها، قال تعالى: (وقالوا اتخذ اللـه ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) [الأنبياء:٢٦] فالجملة إضراب عما ادعوه أن اللـه تعالى اتخذ ولداً.

---

(١) بدائع الفوائد جـ٢/٥٣٨.
(٢) بدائع الفوائد جـ٢/٥٣٩.

أم : وتفيد التخيير بين اثنين ولها معان سياقية[1]: ويعطف بها بعد الاستفهام للمعادلة بين أمرين متساويين، وتقع بين المفردين والجملتين، ويكون الكلام متعادلاً، والجملة التي بعدها مع ما قبلها في تقدير المفردين والمشهور فيها الهمزة، وقد يكون الاستفهام «بأيهما» في الاثنين و«بأيهم» فيما زاد عن اثنين، والجواب أحد الشيئين أو أحد الأشياء، والأفصح أن يقدم المستفهم عنه من الاسم أو الفعل فيكون بعد همزة الاستفهام نحو: أزيد قام أم عمرو؟ وأقام زيد أم جلس؟ والجواب في الأولى: زيد، أي: زيد قام. لأنه المستفهم عنه. والجواب في الثانية: قام. أي: قام زيد. لأن المستفهم عنه الفعل فيكون الجواب به، وللإيجاب بنعم أو لا، ويجوز أن يقدر الاستفهام، وقد أفادت المعادلة بعد استفهام بالهمزة، قال تعالى: (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون* أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) [الزخرف:٥١،٥٢] أفادت أم المعادلة، وقد رجح فيها السهيلي المعادلة، ورأى آخرون فيها الإضراب، وقد رجح التقرير في قوله تعالى: (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون* أم يقولون شاعر نتربص ريب المنون) [الطور:٢٩،٣٠] وقد قالوا إنه شاعر، فجاء الاستفهام لتبكيتهم. ومنه قوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آيتنا عجبا) [الكهف:٩] والاستفهام للتقرير[2]. وقوله تعالى: (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) [النازعات:٢٧] للتقرير والتبكيت، والجواب يكون بأحد الطرفين في الاستفهام نحو: أزيد عندك أم عمرو؟، فالجواب بواحد منهما، ولا يكون بنعم أو لا، وهذا بخلاف «أو» يتعين الجواب بنعم أو لا، فالمعنى: أعندك أحدهما؟ فيكون الجواب: نعم أو لا[3].

(١) منها: التسوية قال تعالى: (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) [البقرة:] والهمزة في "أأنذرتهم" همزة التسوية. ومثله: يجب أقل الأمرين من كذا أم كذا. و«أو» هنا ضعيفة نحو: سواء عليّ قمت أو قعدت. والأفصح «أم»، وتفيد الاتصال في الكلام المتصل، وتكون منقطعة على أن تكون مسبوقة بالخبر المحض: (تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه) [السجدة : ٢،٣] أو مسبوقة بهمزة لغير الاستفهام (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) [الأعراف: ١٩٥] الهمزة للإنكار. أو مسبوقة بالاستفهام لغير الهمزة نحو: (هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور)[الرعد:١٦].
(٢) نتائج الفكر في النحو ص ٢٦١.
(٣) بدائع الفوائد جـ٢٠٣/١.

وقد تفيد الإضراب إذا مضى الكلام على اليقين وما بعد أم يدركه الشك نحو: إنه لرجل أم شاب. فما بعد أم إضراب عن اليقين وهي أم المنقطعة للإضراب وليست بعاطفة، وقد وقع العطف على المحذوف المعلوم ومنه قوله تعالى: (مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) [النمل:٢٠] والمعنى: أكان من الحاضرين أم كان من الغائبين، أو أحضر أم كان من الغائبين، وقد ضمن الاستفهام في (مالي)[1]. وقوله تعالى: (أم له البنات ولكم البنون) [الطور:٣٩] وقوله تعالى: (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) [الزخرف:١٦] هي للإضراب، والاستفهام مقدر في قوة الكلام، وهو للإنكار، والاستفهام مقدر بالهمزة. وقد اشترط بعض النحاة الاستفهام بالهمزة دون هل أو متى أو كيف في العطف، وقد ثبت خلاف ذلك في الفصيح، فيجوز أن تتقدم «هل» إذا وقع الاستفهام عن كل جملة وإن كان المعنى المعادلة قال علقمة بن عبدة[2]:

هل ما علمت وما استودعتَ مكتومُ　　　أم حَبْلُها إذ نأتك اليوم مَصْرومُ

جاز الاستفهام بهل؛ لأن المعنى: أي هذين، والرابط أم التي أفادت المعادلة.

وقد تفيد أم الانقطاع عما قبلها (الإضراب) فيكون ما بعدها جملة على الابتداء لا التباعية ولا تكون أم معادلة بين الطرفين، فلا تكون عاطفة، ويقع قبلها الاستفهام وغيره، وتأتي بعدها جملة منفصلة، وتفيد الإضراب عن الأولى والرجوع إلى الثانية، ويجوز أن تقدر أم فيها بـ«بل»، ومنه قوله تعالى: (أمَّن خلق السموات والأرض) [النمل:٦٠] في التخيير بين ما يشركون أو من خلق السموات، والجواب: بل من خلق السموات والأرض خير، ويجوز الجواب بنعم أو لا في المنقطعة فنقول: نعم من خلق السموات والأرض خير، والإضراب يكون على معنى اليقين الثابت أو ما تأخر من السؤال، فيكون الجواب باليقين، ويكون منقطعاً عما قبله للابتداء به مثل: إنه

---

(١) وقد وقع الحذف على المحذوف في قوله تعالى: (فلما ذهبوا وأجمعوا أن يجعلوه) [يوسف:١٥] وكقوله: (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) [الزمر:٧٣] ارجع إلى بدائع الفوائد جـ١/٢٠٥،٢٠٦ ونتائج الفكر ص٢٦١. والمنقطعة التي تحتمل الجواب ببل، كما في الآية المتصلة لا تحتمل «بل» بل يكون الجواب بأحد اللفظين نحو: (ءالله خير أم ما يشركون) [النحل:٥٩] الجواب: الله خير. فهي متصلة، وقولنا: الاعتداء على الناس خير أم العدل فيهم، الجواب: بل العدل فيهم، ويجوز الجواب عن المنقطعة بنعم أو لا نحو: أأنت مصدق أم أنت مكذب. الجواب نعم أنا مصدق.

(٢) ديوان علقمة بن عبدة ص ٥٠، وحروف المباني ص ١٠١ وشرح المفصل جـ١٥٣/٨.

لرجل أم شاب. فالثانية يقين، والجواب: بل هو شاب، ومنه قول العرب: «إنها لإبل أم شاء»، والمعنى: بل هي شاء. فـ «أم شاء» إضراب عن الأولى، وأم للانقطاع وليست عاطفة، وما بعدها جملة.

لا : تفيد نفي الحدث أو الإسناد عما بعدها فيما يجوز نفيه عما قبله في الكلام المثبت، فإن كان منفياً فهي للتأكيد، وتعطف الأسماء والجمل فتشرك بين المعطوفين في الإعراب وتخالف بينهما في المعنى، لأنها تخرج ما بعدها من أجل أن يدخل في حكم ما قبلها.

ويشترط في «لا» العاطفة شرطان[١]:

أولهما- أن لا تسبق بنفي نحو: جاء زيد لا عمرو، ذلك لأن النفي يؤكد الأول، فلا يكون فوجب أن يكون الكلام مثبتاً، والنفي يفسد معناها.

والثاني- ألا تعطف ماضياً من الأفعال على ماض لئلا يلتبس الخبر بالطلب، فلا يقال: قام زيد لا قعد، بل يقال: يقوم زيد لا يقعد (وهو رأي المالقي) [٢].

والثالث- أن يتضمن الكلام قبلها بمفهوم ينفي عما بعدها نحو: حاء رجل لا امرأة، ولا يجوز: مررت برجل لا زيد، ولا يجوز: مررت برجل لا عاقل؛ لأن الثاني لا يجوز أن يُنفى عنه حكم الأول لعدم جواز وقوع خلافه له نحو: مررت بجاهل لا عالم، ويصح العطف بلا في الموضع الذي تحل موضعها فيه «غير» نحو: مررت بجاهل غير عالم.

ويجوز مررت بزيد لا عمرو؛ لأن لا بمعنى غير، ويجوز وقوعها موقعها فيقال: مررت بزيد لا عمر، ولم يجز في: مررت برجل لا عاقل، ولم يجز: مررت برجل غير عاقل، فغير صفة رجل، فتغير المعنى فلم يجز العطف بلا [٣].

(١) العطف بلا في المواضع الآتية: - أن تأتي في سياق الأمر نحو: اضرب زيداً لا عمراً. - أن يكون الكلام دعاء نحو: غفر الله لزيد لا لبكر، - أن يكون تخصيصاً نحو: هلا تضرب زيداً أو عمراً. – أن تكون بعد إيجاب لا نفي نحو: جاء زيد لا عمرو. وزيد قائم لا عمرو. وزاد سيبويه النداء نحو: يا ابن أخي لا ابن عمي. وزاد الفراء اسم لعل: لعل زيداً لا عمراً منطلق، وأجازه في اسم إن أيضاً: إن زيداً لاعمراً منطلق، وزاد السهيلي وأبو حيان وابن هشام أن يتضمن الكلام قبلها مفهوماً منفياً عما بعدها نحو: جاءني رجل لا امرأة، وجاءني عالم لا جاهل، وجاءني زيد لا عمر، فالمجيء منسوب للأول منفي عن الثاني، ولا يجوز: جاء رجل لا زيد. لأن رجلاً يدخل فيه زيد، و«لا» بمعنى غير هنا، ولا يعني العطف. نتائج الفكر ص٢٥٨،٢٥٩ وهمع الهوامع ٢١٥/٣.

(٢) قال هذا الشرط المالقي حروف المعاني ص ٢٧٨.

(٣) ارجع إلى: نتائج الفكر في النحو ص ٢٥٨.

وقد جاز العطف بلا بين الاسمين العلمين المعرفين لجمود الاسم العلم بخلاف الأسماء المشتقة وما جرى مجراها. والكلام المنفي لا يعطف عليه بلا، وإن نفيت الجملة وجب دخول الواو على لا نحو: ما قام زيد ولا عمر، ولا قام زيد ولا عمر. ومعنى النفي موجود في «غير»، قال تعالى: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) [الفاتحة:٧] وزيادة الواو دلت على انتفاء عما بعد لا.

فإن تقدم الكلام نفي فهي للتأكيد، ويكون العطف بالحرف الذي اقترنت به، وهي تقترن بالواو في الكلام المنفي لتأكيد المنفي، ومنه قوله تعالى: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) [الفاتحة:٧] لا زائدة لتأكيد النفي المستفاد من «غير» فغير بمنزلة «ما» في قولنا: ما جاء زيد ولا علي، وبمنزلة لا في: لا يتولى الله ضالاً ولا عاصياً. والعطف فيما تقدم بالواو لا بـ«لا». ولا تكون عاطفة إن كانت بمعنى «غير» لاحتمال الوصف بها، نحو: مررت برجل لا جاهل. أي غير جاهل، فجاهل مما لا ينفي عما تقدم «لا» لصحة وصف الرجل به، ولكن قولنا: مررت بزيد لا عمرو، فما بعد لا يوصف به، ولا يجوز أن تقع غير موقعها في الوصف فلا يجوز: مررت برجل غير امرأة، وقد استخدم كعب «لا» لتأكيد النفي دون العطف ومنه قوله:

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كشفٌ عند اللقاء ولا ميل معازيلُ

زيدت لا بعد واو العطف لتأكيد النفي في: «فما زال أنكاس» والفاء للتعقيب.

لكن[1]: تقع بين كلامين متنافيين، وتأتي للاستدراك، ويشترط فيها أن يسبق بنفي أو نهي وألا تقترن بالواو،فلا يعطف بها وتكون حرف ابتداء، وتشترك العاطفة بين الاسمين والفعلين في الإعراب لا المعنى، فهي مثل «لا»، ولكن «لكن» للاستدراك ولا للنفي، وتستوجب النفي قبلها خلافاً «للا» التي تستوجب الإثبات[2]. وهي مشهورة في العطف بين الأسماء نحو: ما جاء زيد بل محمد، ولكن إن لديها جملة فهي

(١) لكن:أصح الأقوال فيها أنها مركبة من «لا» و«إن» والكاف (قيل للتشبيه وقيل للخطاب عند الكوفيين) ويلغى العطف بها، إن سبقت بالواو، لأنه لا يجتمع حرفان من حروف العطف، فالعطف بالواو، فتزاد لكن بعدها لتأكيد النفي مثل لا. نحو: ما قام زيد ولا عمر، ومنه قوله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) [الأحزاب:٤٠] ونحو: ما كنت جالساً ولكن قاعداً.

(٢) اختلف النحاة في العطف بها بين الجمل، فقيل هي عاطفة، وقيل بل هي حرف ابتداء سواء كانت بالواو نحو: (ولكن كانوا هم الظالمين)[الزخرف:٧٦] أو بدونها، كقولنا: نحن لا نخشى عدونا ولكن نخشى الخلاف بيننا.

-عند بعض النحاة- حرف ابتداء سواء كانت بـالواو في قولـه تعـالى: (ولكـن كـانوا هـم الظالمين) [الزخرف:٧٦] أو بدونها قال زهير بن أبي سلمى[١]:

إن ابـــن ورقـــاء لا تخـــشى بـــوادره لكـــن وقائعـــه في الحـــرب تنتظـــر

وذهب بعض النحاة إلى أنها تعطف جملة على جملة ما لم تقترن بالواو، ولم يلها مفرد، وشرط العطف بها أن يتقدمها نهي أو نفي نحو: ما قام زيـد ولكـن عمـرو. ونحـو: لا تعـط زيداً لكن أعط عمراً، وهذا مشهور في خطابنا المعاصر. وبعضهم يقـدر عـاملاً نحـو: مـا قـام زيد لكن عمرو. أي: لكن قام عمرو. ولا تضرب زيداً لكن عمراً. أي:لكن اضرب عمراً.

وأجاز بعض العلماء العطف بها دون نفي أو نهي نحو: قام زيد ولكـن عمـرو، ومنعـه آخرون، لأنه لم يسمع عن العرب، فيتعين فيها أن تكون حـرف ابتـداء بعـد الجملـة فيقـال: لكن عمرو لم يقم[٢].

وإن اقترنت لكن بالواو فهي -على المـشهور- ليـست عاطفـة بـل حـرف ابتـداء بعـده جملة؛ لأن العاطف لا يدخل عليه عطف نحو: ما قام زيد ولكن عمرو. وقيل العطف بالواو دون لكن، ورده آخرون؛ لأن الواو تسبق بنفي أو نهي، وقيل الواو زائدة والعطف بلكن[٣].

وأرى أن العطف بالواو دون لكن، وزيدت لكن لمجيء النفي والنهي في الجملـة، ولهـا نظائر أخرى، فلا تزاد بعد الواو لتأكيد النفي نحو: ما قام زيـد ولا عمـرو، لا لتوكيـد النفـي، ولئلا يتوهم أن الواو جامعة لنفي الحدث عن الاسمين. ولا يعطـف بهـا في كـلام موجـب لا منفي. وتزاد «إما» كذلك، واختلفوا فيها. وأرى أن الواو في العاطفة وزيـدت لكـن اسـتدراكاً على النفـي المتقـدم لنقـضه ليـسوغ العطـف بـالواو، ولكـن تكـون لمعنـى الاسـتدراك دون العطف، وهذا ما أرجحه. ويجوز أن يعطف بها جملة مقدرة على جملة نحو: ما قـام زيـد، لكن عمرو. أي: لكن قام عمرو.

ومنع بعض النحاة أن يدخل حرف عطف على عطف، وشدّد على هذا ابن

(١) ديوان زهير (ط دار القـيم) ص٣٣، ومغنـي اللبيـب ٣٢٢/١ وأوضـح المـسالك ٣٨٥/٣ وشرح الأشـموني ٤٢٧/٢.
(٢) همع الهوامع جـ٢١٧/٣.
(٣) همع الهوامع جـ٢١٦/٣،٢١٧، وبدائع الفوائد جـ١١٩/١،١٢٠.

الجوزية، وأجازه بعض النحاة منهم ابن خروف فقد أجاز أن تدل الواو على لكن في عطف الأسماء، وأجاز المالقي أن يدخل حرف على حرف واستدل بما روي في ذلك، ومنه قول الشاعر (الأعشى) [١]:

وثَمَّتَ لا يجزونني عند ذلكم ولكن ليجزيني الإله فيُعْقَبا

وروي بثمت، وثمت، ودخلت الواو على «لكن».

وقال زهير[٢]:

أراني إذا ما بتُّ على هوى وثمَّ إذا أصبحت أصبحت غاديا

والرواية محرفة عن الرواية، والأصل: وأني إذا، فلا شاهد فيها.

وقال أبو نواس[٣]:

البدر أشبه ما رأيت بها حين استوى وبدا من الحُجُبِ

وبل الرشا لم يخطبها شَبَهاً في الجيد والعينين واللَّببِ

وقول أبي نواس «وبل» في البيت الثاني حرّف عند روايته، والأصل: وابن الرشا (ولد الظبية) والتصحيف في الرواية واضح، فلا شاهد فيه، ولا يحتج بشعره المتقدمون من أهل اللغة[٤].

ويتبين مما مضى أنه اجتماع حرفي عطف ضعيف، فقول زهير محرف عن روايته، وكذلك قول أبي نواس.

وقول الأعشى «ولكن» ليس مما ذكره المالقي، فالواو تدخل على لكن، والعطف بالواو إذا ما اقترنت بحرف آخر،ولكن زيدت للاستدراك على النفي، والمشهور بين الأئمة أن لا تجتمع حرفا عطف، وما اقترن بالواو، فالعطف بها دون الحرف الملصق بها.

إما (مكسورة الهمزة وسمع فيها الفتح والمشهور الكسر): حرف من حروف

---

(١) الديوان ص ٢٣ وروي: هنالك لا تجزونني عند ذاكم، وروي:

بثمت لا تجزونني عند ذاكم لكن سيجزيني الإله فيعقبا

(٢) ديوان زهير ص ١٤٠.
(٣) ديوان أبي نواس ص ٦٦ وفيه: ابن الرشا.
(٤) ارجع إلى رواية البيت في الديوان ص ٦٦ ط (دار الكتب العلمية)، وقد ذكر المالقي أنه ممن لا يحتج بهم، لأنه من المتأخرين وكان مخالطاً الأعاجم، ومثله بشار، وعلل المالقي الاحتجاج به بأنه كان معاصراً الذين تقوم بهم الحجة. ومعني اللبب: الصدر، أو موضع القلادة.

العطف على المشهور بين النحاة خلافاً لبعض النحويين كأبي علي الفارسي ومن تبعه، فإنه يرى أنها ليست بحرف عطف، فحروف العطف تعطف مفرداً على مفرد أو جملة على جملة، وهي تسبق الاسم في قولنا: جاء إما زيد وإما عمرو، وحرف العطف لا يسبق المعطوف عليه، وقد دخلت الواو على إما الثانية، ولا يجوز الجمع بين حرفي عطف، وهذا ما ذهب إليه ابن الجوزية(١)، والمرجح أن العطف من معانيها(٢)، ويراد به الإبهام والتعمية، وإما الأولى التي سبقت المعطوف عليه دخلت لتوذن أن الكلام مبني على ما لأجله جيء بها، ودخلت الواو على إما الثانية لتنبئ بأنها هي الأولى، وليست الواو بحرف عطف هنا، لأنها تفيد التشريك لفظاً ومعنى، والكلام الذي فيه إما على المخالفة من جهة المعنى، وهذا مذهب سيبويه والصَّيمْري وأبي موسى الجزولي والمالقي، وهو المرجح على ما ذهب إليه أبو علي الفارسي وابن الجوزية وغيرهما.

ولها معنيان في الجملة الطلبية:

الأول- التخيير نحو: كل إما سمكاً وإما جبناً، فله أن يختار واحداً، ولا يجوز له الجمع بينهما.

الثاني- الإباحة نحو: قال تعالى: (فإمَّا مناً بعد وإمَّا فداء) [محمد:٤] خذ إما طعاماً وإما جنيهين، ولك في الإباحة أن تجمع بين الشيئين خلافاً للتخيير الذي يستوجب شيئاً واحداً، فالاختيار في شيئين لا يجوز الجمع بينهما نحو قولنا: إما أن تصوم إن استطعت في السفر دون مشقة وإما أن تفطر إن عجزت عن الصيام وهو الأولى، ولا يجمع بين الصوم والإفطار.

ولها معنيان في الجملة الخبرية:

الأول- الشك نحو: انتصر إما زيد وإما علي، وأرى إما علياً وإما زيداً، وذلك في مقام الجهل بالشيء.

---

(١) ذهب ابن الجوزية إلى أن إما ليست من حروف العطف لأربعة أوجه: أنك تقول اضرب إما زيداً وإما عمراً، وقعت إما بين الفعل ومعموله، ونقول جاء إما زيد وإما عمر، وقعت بين الفعل وفاعله، والعاطف لا يدخل بين الفعل وفاعله. وقد دخلت الواو على إما ولا يجمع بين عاطفين، والعطف يكون بين ألفاظ أو جمل، وليس من ذلك ما تقدم. وأرى أن العطف فيما تقدم بالواو وهي بإما للدلالة على وقوع الفعل لأحدهما دون الآخر. بدائع الفوائد جـ٢/٥٣٦. وقد ذهب عبد الله بن على الصَّيْمري إلى أنها حرف عطف، وهو مذهب سيبويه وأبي موسى الجزولي. حروف المعاني ص ١٠٦،١٠٧.

(٢) إما لها معان منها العطف والشرط، قال تعالى: (فإمَّا ترين من البشر أحداً فقولي....) [مريم:٢٦]

والثاني- تمثيل الإبهام للتعمية نحو: أرى إما طائرة وإما طائراً. للتعمية والتضليل، وهذا في المقام الذي يريد فيه المتكلم الاستبهام على السامع.

حتى : حرف موضوع للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها، ولهذا جاز العطف بها، لاختلافها عن إلى التي تدل على الغاية، ولكن إلى ليست غاية لما قبلها، لأن ما قبلها انتهى إلى ما قبل الحرف، فانقطع ما بعدها عما قبلها، فجاز العطف بين الأسماء، ولم يجز دخولها على المضمر المخفوض، والعطف بحتى قليل، وأنكره الكوفيون، وهي للعطف بين الأسماء والجمل نحو: قام الناس حتى قام زيد، وقدم الجيش حتى المؤخرة. ويشترط فيها أن يكون المعطوف من قبيل المعطوف عليه فلا يجوز: قدم الناس حتى السيارات، وهذا جائز في العطف بالواو: قدم الناس والسيارات.

ويشترط أن يخالف المعطوف المعطوف عليه في قوة أو ضعف أو كثرة أو قلة أو صغر أوكبر، والغاية تكون في المعطوف فهو منتهى ما قبله [1]، نحو: أكلت السمكة حتى رأسها (بالنصب) أي: ورأسها، والرأس منتهاها، فهي غايتها، وليست الرأس غاية الأكل بل غاية المعطوف عليه نحو: قدم الجيش حتى كتيبة الخدمات. فهي غاية انتهاء الجيش وليست غاية القدوم، ولا يجوز: أكلت بصلاً حتى ثومًا، فالثوم ليس من البصل ولا تربطه به علاقة تفاوت، ويجوز: دخل الأشراف حتى العامة، فهم دون من قبلهم، والمعطوف اسم ظاهر، وقد يكون المعطوف بعض من جميع نحو: قدم الوفد حتى المساعدون، فهم بعض الوفد أو جزء منه. والعطف بها قد يعني التعظيم نحو: جاء الناس حتى الأمير. والتحقير نحو: حضر العامة حتى الرعاع، وهذه معانٍ سياقية من مجموع الكلام.

وقد تأتي بعد حتى جملة مستأنفة، كقراءة نافع رحمه الله (وزلزلوا حتى يقولُ الرسول) [البقرة: ٢١٤] برفع يقول والتقدير حتى حالتهم حينئذ أن الرسول والذين معه يقولون...، فالرفع على معنى الحكاية [2]. وحتى بمعنى الواو مثل: سرت

---

(١) ارجع إلى: بدائع الفوائد جـ ١/ ١٩٨ ونتائج الفكر ص ١٥٢.

(٢) حتى لها ثلاثة معان: انتهاء الغاية وهو الغالب والتعليل وبمعنى إلا في الاستثناء وهو أقلها، وتعمل في لفظ الجر بمعنى إلى إذا كان معمولها ظاهرًا وحتى بمعنى الواو وهي العاطفة، وحتى الناصبة وينتصب الفعل بعد حتى إذا كان مستقبلاً نحو:(لن نبرح عليه عاكفين حتى يأتينا موسى) [طه:٩١] وتكون بمعنى كي إذا وقعت قبل المضارع: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) [البقرة : ٢١٧]. وقد تعمل على الجر.

أكلت السمكة حتى رأسها: حتى بمعنى إلى فتجر رأس، والنصب على معنى الواو، والرفع على الابتداء، وابتداء بعد جملة أي تستأنف نحو: علي جاء حتى زيد جاء.

مغني اللبيب جـ ١/ ١١٤، ١١٥ واشترط البصريون أن يكون الثاني جزءًا من الأول، فلا يجيزون: حضر الناس حتى الدواب؛ لعدم دخول الثاني في الأول.

القرطبي جـ ٣/ ٣٢.

حتى أدخلها، أي فأدخلها، والمعنى: وزلزلوا حتى الرسول يقول، ونحو: الناس خاملون حتى الثوريون، ونحو: هجرني أهلي حتى أصدقائي هجروني.

ويجوز أن تأتي حتى بمعنى الواو فيجوز العطف بها في الألفاظ والجمل، فيعطف بها بلا شرط نحو: قدم الجيش حتى المؤخرة. أي: والمؤخر.

ويجوز أن تكون بمعنى ثم نحو: قدمت مقدمة الجيش حتى مؤخرته، أي ثم مؤخرته، والأرجح أن تكون بمعنى الواو.

واختلف النحاة في العطف بليس وأي، وهلا، وإلا، وأين، ولولا، ومتى وكيف، فقد أثبت الكوفيون العطف بليس، ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه في الحسن رضي الله عنه: « بأبي شبيه بالنبي ليس بشبيه بعليّ» [1]. أي: لا بشبيه بعلي، وقال نفيل بن حبيب الحميري مرتجزًا[2]:

أين المفر والإله الطالبُ والأشرم المغلُوب ليس الغالبُ

والمعنى: لا الغالب، فقد حملت على معنى لا، وذهب البصريون إلا أن المرفوع بعد ليس اسمها والخبر ضمير متصل محذوفة، أي: ليسه الغالب، وضعفه السيوطي، واحتج بقول الشافعي: في إحدى مسائله: «لأن الطهارة على الظاهر ليس على الأجوف» [3] أي لا على الأجوف، ومذهب أهل الكوفة الراجح؛ لأن «ليس» في كلام الشافعي لا يجوز إضمار اسمها دون تأنيث الفعل، فهي حرف عطف وليست بناسخة.

والعطف بأي ضعيف نحو: رأيت الغضنفر أي الأسد. وضربت بالعضْب أي السيف، فهي حرف تفسير لا عطف، فالذي بعدها مفسر ما قبلها.

والكوفيون يقولون: جاء زيد فهلا عمرو. وضربت زيدًا فهلا عمرو، والراجح أنها ليست بحرف عطف، والتتابع في الإعراب ليس بدليل عليه، فالإعراب على إضمار محذوف دل عليه ما تَقَدم، والمعنى: فهلا جاء عمرو. وفهلا ضربت عمرًا،

(١) رواه البخاري في كتاب الفضائل، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما رقم: ٣٧٥٠، ومغني اللبيب جـ ١/ ٣٢٥ وهمع الهوامع جـ ٣/ ٢١٧، ويأبي لا يراد بها القسم بل المراد: أفديك بأبي، أو أنت عندى بأبى فى الحب والمنزلة.

(2) همع الهوامع ٢١٧/٣.

(٣) ذكره الأزهري ونقله عنه ابن منظور، قال الأزهري: وقول الشافعي حجة؛ لأنه – رضي الله عنه- عربي اللسان فصيح اللهجة. مادة: عول.

واستدل السيوطي بالمخالفة في الإعراب في قولهم: ما مررت برجلٍ، فهلا امـرأة. بـالرفع، أي فهلا امرأة مررت بها، والقياس في العطف أن يعاد ذكر العامل فيقال: فهلا بـامرأة، وهـو الفصيح، ويجوز دون الحرف. والعطف بإلا وأين ولولا وحتى وكيف مـردود ولا حجـة تقـوم له، وما ورد فيها له وجوه أخرى دون العطف [١].

حذف حرف العطف

الأصل ألا يحذف حرف العطف؛ لأنه لمعنى بين الألفـاظ والجمـل، ويتحقـق بـه حكـم إعرابي، والحذف جائز في المواضع التي عرف فيهـا أو للاختـصار أو لإقامـة الـوزن في الـشعر، وقد منع ابن جني والسهيلي وتابعه ابن الجوزية وابن الضائع حذف حروف العطـف؛ لأنهـا دالة على معان في غيرها، وإضمارها لا يفيد معناها، وهـي حـروف تفيـد التـشريك الإعـرابي فهي بمنزلة الحروف التي لها معانٍ في الجملة والحروف العاملة [٢].

وابن جني من الذين منعوا إضمار حرف العطف إلا لضرورة حمل ما جاء من الفـصيح فيه على معانٍ غير العطف، وضعف بعض ما سمع فيه من دون الفـصيح قـال: « واعلـم أن حرف العطف هذا [الواو] قد حذفت في بعض الكلام، إلا أنه من الشاذ الذي لا ينبغي لأحد أن يقيس عليه غيره» [٣]. ونقل عن أبي علي الفارسى أنه حـكى عـن أبي عـثمان عـن أبي زيـد: أكلت لحمًا، سمكًا، تمرًا، يريد: لحمًا وسمكًا وتمرًا، وقال الشاعر[٤]:

مـــالي لا أبـــكي عـــلى عـــلاتي ... صـــبائحي غبـــائقي قَـــيْلاتي

أراد: وغبائقي وقيلاتي، فحذف الواو.

وهذا – عند ابن جني- ضعيف معدوم الاستعمال، ووجْه ضعفه أن حرف العطف فيه ضرب من الاختصار، وذلك أنه قد أقيم مقام العامل، نحو قولك: قام زيدُ

(١) ارجع إلى: همع الهوامع جـ ٣/ ٢١٩ وقد بسط الكلام في هذه الحروف وذكر آراء العلماء.
(٢) همع الهوامع جـ ٣/ ٢٢٦. أجاز بعض العلماء إضمار حرف العطف منهم أبو علي الفارسي ومن تابعه.
(٣) سر الصناعة (طبعة التوفيقية) جـ ٢/ ١٧٩ والخصائص ١/ ١٩١، ٢/ ٢٨٢
العلات: جمع علة، وهو ما يتعلل به، الصبائح والغبائق والقيلات: نوق يجلبهـا صبـاحًا وبعـد المغـرب وفي القائلة. جمع صبوح، وغبوق، وقيلة.
(٤) سر الصناعة ١٨٠/٢ واللسان صبح، غبق، قيل، والخصائص ١-٢٩، ٢٨٠/٢
ارجع إلى: سر الصناعة جـ ٢/ ١٨٠.

وعمرو، أصله: قام زيد وقام عمرو، فحذف قام الثانية، وبقيت كأنها عوض منهـا، فـإذا حـذفت لم يبـق مـا يـدل عـلى الفعـل المحـذوف، وتجـاوزت حـد الاختـصار إلى الانتهـاك والإجحاف، ولو أنك حذفت تجاوزت حد الإجحاف إلى كلفة الإشكال، ونحـو قولـك: ضربـت زيدًا وأبا عمرو، فيه توهم أن زيدًا هو أبو عمرو، فقبح الحذف لذلك.

وبعض العلماء أجازوا إضمار حروف العطف في بعض المواضع التي تـشترك في معمـول واحد، أولها إسناد واحد، أو تتحد في المعنى أو تتقارب في الدلالة أو تشترك في سـياق واحـد، وألا يتحقق عن إضـمارها إبهـام أو لـبس في المعنـى، أو إلغـاء حكـم إعـرابي أو اختلافـه، أو اختلاف في المعنى، وأن يدرك المتلقي الحرف من السياق دون غموض.

والأصل في حروف العطف الإظهـار فهـي حـروف معـانٍ، فوجـب ذكرهـا، فمعناهـا في غيرها فوجب ذكرها، لضعفها وحاجتها إلى غيرها، فلا يجوز إضمارها ولأنها أدلة عـلى معـان في النفس، وأجاز بعض العلـماء حـذفها، وإمـامهم أبـو عـلي الفـارسي، فهـي بمنزلـة حـروف الاستفهام التي يفهم لفظها من سياق الكلام [١]، وهذا ليس بدليل عندي، والدليل على جواز حذفها السياق، وقد ثبت حذفها في الفـصيح، وقـد جـوز حـذفها اتحـاد المعنـى في الألفـاظ المتعاطفة، ولهذا وقع الحذف في الواو في المعاني المتقاربة، ويجب ذكرها في موطن المخالفـة، وقد أطلق العلماء الـذين أجـازوا الحـذف عنـوان « حـذف حـروف العطـف أو إضـمارها»، والحذف في الواو كثير؛ لأنها أكثر استخداماً في الكلام من غيرها؛ لأن الواو تكون بـين الألفـاظ المترادفة أو المتقاربة أو ما كانت في معنى واحد، وتكون في الألفاظ المتباينة والمتخالفة.

وقد تحذف الواو في العطف بين الأسماء لمعمول واحد، جاء في الحديث: «تصدق رجل من ديناره من درهمه من صاع بره، من صاع تمره» [٢]، ويقولـون: أكلـت سـمكًا لحـمًا تمـرًا، ومنه قوله الشاعر[٣]:

كيـف أصـبحت كيـف أمـسيت مـمّا ... يغـرس الـودّ في فـؤاد الكـريم

والأصل: وكيف أمسيت، فحذفت الواو لاتفاق الجملتين في الاستفهام.

(١) ارجع إلى: نتائج الفكر ص ٢٠٨، ٢٠٩ ولم يجز السهيلي وابـن جنـي وابـن الـضائع حـذف الـواو؛ لأن الحروف دالة على معانٍ في نفس المتكلم، وإضمارها لا يفيد معناها، ويقيسون حـرف العطـف عـلى الحروف العاملة التي لاً يجوز حذفها.
(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة. من حديث جرير بن عبد اللـه.
(٣) ذكره السهيلي في نتائج الفكر ص٢٠٨ والسيوطي في همع الهوامع جـ٢٢٧/٣، وصاحبه مجهول.

وأجاز بعض العلماء حذف الفاء ومتبوعها (المعطوف) وحملوا على هذا قوله تعالى: (فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة) [البقرة: ١٨٤] قيل المعنى: فمن كان منكم مريضًا أو على سفر، فأفطر... .

وأنكر هذا التقدير ابن عصفور، وقال: إنما حذف المتبوع فقط (١). ومنه قول الشاعر[٢]:

أأطلال دار بالنِّياع فحمت ... سألت فلما استجمعت ثم صَمّت

أي: سألت فحمّت.

والفاء في جواب الشرط عاطفة فهي رابطة الجواب الذي يجوز استقلاله في المعنى عن جملة الشرط، وقد بينا ذلك في حديثنا عن جملة جواب الشرط.

وذهب ابن الجوزية إلى عدم جواز إضمار حرف العطف، وتتبع بعض المواضع التي استدل بها النحاة في إضمار حرف العطف.

وأرى أن تعميم الحكم بذلك فيه نظر، فالعربية فيها وجوه، والعمل بحكم واحد في القاعدة محال لوجود ما يشذ عنه، ولم تنجو القواعد العامة من هذا الشذوذ، وليست بباطلة، فبعض كلام العرب يفسر في ضوء النادر، وقد فسر ابن الجوزية بعض المواضع التي خلت من العطف على البدل (٣)، وهذا غير مطرد، ودليل ذلك قول كعب في وصف الناقة:

غلباءُ وجناءُ علكومٌ مذكّرة ... في دفها سعة قُدَامُها ميل

هذه صفات في خلق الناقة، وحذف حرف العطف للعلم به وهو الواو للتعدد، والأصل: هي غلباء ووجناء وعلكوم ومذكّرة، وأضمر العطف بين الجملتين: في دفها سعة ، قدامُها ميل.

وقل الحذف في «أو»، ومنه الحديث: «صلى رجل في إزار ورداء، في إزار وقميص، في إزار وقباء»[٤]، أضمرت أو في هذه المواضع، وقد حمل السهيلي هذا على البدل.

---

(١) همع الهوامع ٣/ ٢٢٧.
(2) كثير عزة الديوان صـ ٣٢٣ والنيّاع: اسم مكان.
واللسان: حمم، وتاج العروس: سبح.
(٣) ارجع إلى بدائع الفوائد جـ ١/ ٢٠٨: ٢١٠ وقد تتبع شواهد النحاة.
(4) رواه البخارى، ضعيف الجامع الصغير رقم ٧١٨ عن أبى هريرة، وهو فيه بهذا اللفظ من حيث له بقية.

وهناك مواضع تكتفي بالربط المعنوي دون الربط اللفظي كالبدل والوصف والتأكيد، فلا موضع لحروف العطف، والجملة الوصفية والجملة الحالية التي لا تسبق بواو الحال، فالبدل يقع موقع المبدل منه، والنعت جزء من صاحبه، والتأكيد بتكرار اللفظ أو بلفظ يدل على معنى المؤكد ككل وعين ونفس، وأطلق على ذلك التوابع، والتابع يتبع المتبوع، وحروف العطف لها معانٍ أخرى لا تتحقق بها الفائدة التي تدل عليها الصفة والبدل والتأكيد [(١)].وبعضها يستوجب عدم وجود حرف عاطف فيتصل بما قبله لتعلقه به في الإسناد، والربط يكون بالضمير أو بالإشارة أو باللفظ أو بالمعنى وبعض المواضع تكتفي بالربط السياقي، وقد تناولنا الجمل التي تتعلق بما قبلها، وبيَّنا الرابط فيها، ونذكر المواضع التي تستغنى عن حرف العطف:

مالا يعطف على غيره:

- جملة الخبر؛ لأنها في معنى الخبر، فلا تحتاج عطفًا، نحو: زيد قام أبوه وزيد أبوه كريم، تحذف الواو؛ لأنهما بمنزلة جملة واحدة فقد عقد بالجملة مع المبتدأ جملة واحدة.

وهنالك مواضع دخلت فيها الفاء على الخبر، ولكنها ليست بأصل في الخبر، بل استدعاها وقوع اسم الشرط مبتدأ، وقد تناولنا ذلك في حديثنا عن الخبر الجملة [(٢)]، قال تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله) [النحل: ٥٣] وتأتي في الجمل التي تشبه الشرط نحو: الذي يأتيني فله درهم. وتأتي في خبر جملة لمبتدأ نكرة نحو: رجل صالح عنده غنى فهو سعيد، ونفس تسعى في الخير فلن تخيب، وخبر كل: كل خير لديه فهو ينفقه، وكل نعمة فمن الله، وخبر الجملة إذا كان طلبًا نحو: (هذا فليذقوه) [ص: ٥٧].

ب- الجملة الاستئنافية، لأنها بمنزلة كلام جديد لا يعطف على ما تقدم، قال أبو محمد اليزيدي [(٣)]:

وقال إني في الهوى كاذب   انتقم الله من الكاذب

جملة « انتقم الله من الكاذب» استئنافية، فهي بمنزلة جواب سؤال: فما قولك فيما اتهمك به من أنك كاذب؟ ومنه قول الشاعر [(٤)]:

---

(١) ارجع إلى: مفتاح العلوم، السكاكي ص ١٠٨.
(٢) همع الهوامع جـ ١/ ٤٠٦.
(٣) الأغاني (ط الهيئة) جـ ٢٢/ ١٦٨ ودلائل الإعجاز ص ٢٣٧.
(٤) دلائل الإعجاز ص ٢٣٨.

قــال لي: كيــف أنــت؟ قلــت: عليــل سـهر دائـم وحُـزن طويـل

وما كان مستأنفًا بإنما أو ألا، قال تعالى: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون) [البقرة: ١١، ١٢] ومثله: (... قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء) [البقرة: ١٣]، وقال تعالى: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) [الرعد:٧].

وقد تقطع الجملة عما قبلها في المعنى، فلا توصل بها في اللفظ بالعاطف، كأن يكون للكلام الأول السابق حكم، والثاني ليس في حكمه ولا يشترك فيه فيقطع عنه، قال الشاعر [(١)]:

وتظـن سـلمى أننـي أبغـي بهـا بـدلاً، أراهـا في الـضلال تهـيم

قوله: «أراها في الضلال تهيم » ليس في حكم الأول فقطع عنه، ولم يات بعطف لئلا يتوهم أنه في معنى الأول، فقال «أراها » ولم يقل «تظن» فالرأي له والظن منها ولم يعطف أراها على تظن لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على «أبغي» تعربه منه مع أنه ليس بمراد، ويحتمل الاستئناف.

وقال تعالى: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم) [البقرة: ١٤] قطع (الله يستهزئ بهم) عما قبله فلا يعطف عليه لعدم دخوله فيه؛ لأن استهزاء الله بهم عقاب لاستهزائهم، واستهزاؤهم بغي منهم. والعطف يفيد استهزاء الله بهم باختلائهم بشياطينهم، وليس بالمراد، لأن استهزاء الله بهم في كل أحوالهم دون انقطاع عنهم على كفرهم [(٢)].

وقد يحذف صدر الاستئناف لقرينه تدل عليه، قال تعالى: (يسبح له فيها بالغدو والآصال* رجال) [النور: ٣٦، ٣٧] أي: يسبحه رجال.

جـ- جملة البدل التي تنزل منزلة سابقتها، وتبينها، والبدل لا يعطف على المبدل منه، والجملة الثانية تكون بدل اشتمال، ويجوز أيضًا أن يكون استئنافًا، والأولى البدل وقد يكون الكلام السابق غير واف تمام المراد أو غير واف، فيعيده المتكلم بلفظ آخر

---

(١) مفتاح العلوم ١٠٨ والإيضاح ص ١٤٦.
(٢) مفتاح العلوم ص ١١٠.

أولى منه وأدق تعبيرًا على نية استئناف القصد إلى المراد، كقول القائل: انصرف عني، لا أريد رؤيتك، ومنه قول الشاعر [(١)]:

أقــول لـــه: ارحــلْ، لا تقــيمن عنــدنا   وإلا فكـــن في الـــسر والجهـــر مـــسلما

فقوله «ارحل» بمعنى «لا تقيمن عندنا»، فنزل النهي من الأمر منزلة البدل، فأتى بقوله لا تقيمن عندنا تأكيدًا لمعنى «ارحل»، فأعاد المعنى الذي عده ناقصًا في «ارحـل» صريحـاً في النهي في « لا تقيمن»، ومنه قوله تعالى: (اتبعوا المرسلين* اتبعوا من لا يـسألكم أجـرًا وهـم مهتدون) [يس: ٢٠، ٢١] والثانية بينت الأولى، ومثلها: (أمدكم بما تعلمـون* أمـدكم بـأموال وبنين* وجنـات وعيـون) [الـشعراء: ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤] نزلـت الثانيـة مـن الأولى منزلـة بـدل البعض من متبوعه.

هـ- جملة الجزاء في الشرط إذا كان فعلها مضارع ووقع جوابًا لشرط جازم، فـلا تـدخل الفاء في الجواب اكتفاء بعمل أداة الشرط فيهـا، فـلا تقطـع الثانيـة عـن الأولى فحاجتهـا إلى العامل في الأولى؛ وجواب الشرط متمم لشرطه والأداة تربط بين الشرط وجزائه، قـال تعـالى: (ومن يتق اللـه يجعل له مخرجًا...) [الطلاق:٢].

و- جملـة جـواب الاسـتفهام، قـال تعـالى: (قـال فرعـون ومـا رب العـالمين* قـال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين...) [الـشعراء: ٢٣، ٢٤]، وكـذلك الجملـة التـي يقدر قبلها سؤال قال تعالى: (قال لمن حوله ألا تستمعون* قال ربكـم ورب آبـائكم الأولـين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون* قال رب المـشرق والمغـرب ومـا بيـنهما إن كنـتم تعقلون) [الشعراء: ٢٥، ٢٦، ٢٧] فقول موسى عليه السلام جواب سؤال مقدر.

ز- أن تكون الجملة الثانيـة مؤكـدة لمـضمون الأولى أو بمنزلـة الـصفة لهـا، فـلا يـدخل العاطف عليها، لأن التوكيد متعلق بالمؤكد لذاته، وكـذلك الـصفة متعلقـة بموصـوفها بمقـدر فيها[(٢)]. وجملة التوكيد نحو: (ألم* ذلك الكتاب لا ريب فيه) [البقرة: ١، ٢] «لا ريـب» توكيـد لقوله: «ذلك الكتاب»، وهو بمنزلة: هو ذلك

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي ص ١١٠ والإيضاح ص ١٤٥، وخزانة الأدب ٥/ ٢٠٧، جـ٨/ ٤٦٣ ومغني اللبيـب جـ ٢/ ٤٢٦، وهو منسوب لأعرابي مجهول.
(٢) نهاية الإيجاز الرازي ص ١٩٨.

الكتاب، فأتى «لا ريب» زيادة تثبيتاً له، فأغنت عن تكرار لفظها، وهو مقام مدح ولا يقتضي العطف؛ لأن الثاني في معنى الأولى، وهو تأكيد لفظي، فالمعنى فيهما واحد، ومنه قوله تعالى: (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) [البقرة: ٦] معنى (لا يؤمنون) معنى ما قبله [١].

وتحذف العاطف في الموضع الذي يتصل معناه بما قبله، فيستغنى بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط لربطه، والتأكيد بمنزلة الصفة، لأنه يؤكد معنى جاء فيه، فلا يحتاج اللفظ المؤكد إلى واسطة دون ما جاء له، وهو التأكيد.

والتأكيد لا يفتقر إلى ما يصله بالمؤكد، لأنه بمنزلة تكرار المؤكد مرة ثانية، فليس في حاجة إلى ضام يضمه إليه، أو عاطف يعطف عليه، قال تعالى: (ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم) [يوسف: ٣١] ، ومنه قوله تعالى: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) [يوسف:٥٣] [٢] وهو مؤكد للحكم.

وقد تسبق جملة التوكيد بإن، ومنه قوله تعالى: (ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم) [يوسف: ٣١] فقد نفى عنه أن يكون بشرًا، فاقتضى لفرط جماله أن يكون ملكًا كريمًا، فيحتمل التبين والتأكيد [٣].

ومثله قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: ٣، ٤] فالجملة الثانية إثبات وتأكيد لما نفي في الأولى، فقد نفت الثانية المنفي في الأولى، ومثله قوله تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) [يس: ٦٩] الثانية تأكيد وتثبيت لنفي ما نفي في الأولى.

حـ- أن تقع الألفاظ المذكورة أخباراً لمبتدأ واحد، فيترك العطف فيها قال كعب:

غلباءُ وجناءُ علكومٌ مذكرةٌ   في دَفِّها سعةٌ قُدَّامها ميلُ

ويجوز العطف في الأخبار، فالمعنى يحتمل العطف فالأصل: هي غلباء، وهي وجناء، وهي علكوم، وهي مذكرة، ولكن إسقاط حرف العطف أبلغ، ليكون اللفظ

(١) الإيضاح ص ١٤٤.
(٢) ارجع إلى دلائل الإعجاز ص ٢٢٧.
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، مؤسسة المختار ص ١٤٥.

ملصقًا بما تقدمه، ويسن للمتكلم حذف الحرف بين الجمل في السياق المتصل للعلم بالحرف المحذوف، قال كعب:

حـــرف، أخوهـــا أبوهـــا مـــن مهجنـــة وعمهـــا خالهـــا، قـــوداء شـــمليل

أي: هي حَرف (شديدة)، و«أخوها أبوها» جملة، و«عمها خالها» جملة، وقوداء خبر لمبتدأ محذوف (هي) و«شمليل» كذلك. فحذف العاطف بين «حرف»، و«أخوها أبوها»، وعطف بين «أخوها أبوها» و«عمها خالها»؛ لأن فيهما مختلف، فالعم غير الخال، فاقتضى ذكر حرف التشريك فى مقام المخالفة وأسقط فى مقام الاتحاد فى قوله: حرف ... قوداء شمليل؛ لأنها أخبار فى معنى واحد عن الناقة (المبتدأ).

وقد أسقط العاطف في المعاني المتفرقة: غلباء، وجناء، علكوم، مذكرة، في دفها سعة قدامها ميل، حرف ...قوداء، شمليل.... عيرانة (تشبه العير في قوتها) مرفقها...... مفتول، وهذا جائز في السياق المتصل، اختصاراً، ويجوز للضرورة، كإقامة الوزن.

ط- أن تكون الجملة معمولاً لفعل قبلها ومن ذلك جملة مقول القول فتكون في موضع نصبت مفعول، قال كعب:

وقـــال كـــل خليـــل- كنـــت آملـــه لا ألهينـــــك إني عنـــــك مشـــــغول

جملة: لا ألهينك مقول القول، وجملة «إني عنك مشغول» بدل منها .

والجملة التي تعلق عن العمل بحرف يدخل عليها، فلا يعمل فيها الفعل، ومنها «إنَّ» الناسخة التي وقعت اللام في خبرها قال تعالى: (قالوا نشهد إنك لرسوله و اللـه يعلم إنك لرسوله) [المنافقون: ١].

ى- أن يكرر اللفظ ويتعبه الثاني في المعنى، قد يغني التكرير عن العطف، قال تعالى: (وجاء ربك والملك صفًا صفًا) [الفجر: ٢٢] أي صفًا بعد صف، أو صفًا فصفًا ومثله: (.... دكًا دكًا) أي دكًا بعد دك، أو دكاً فدكاً.

أو يعاد أحد جزءي الإسناد في الجملة الثانية نحو: (اللـه أحد* اللـه الصمد) [الإخلاص: ١، ٢] [١].

---

(١) همع الهوامع م ١/ ١٤٩.

ومنه قول الشاعر[1]:

كيـــف أصـــبحت كيـــف أمـــسيت مـــما يـــــزرع الـــــود في فـــــؤاد الكـــــريم

حذف فيه حرف العطف، والأصل: كيف أصبحت وكيف أمسيت، والحـذف عنـد ابـن جني شاذ.

وذهب ابن هشام إلى أن اللفظ المكرر إذا اتصل به مالم يتصل بالأول، فهو عطف بيان له؛ لما فيه من معنى الفائدة، ومنه رجز عبد اللـه بن رواحة رضي اللـه عنه [2]:

يـــا زيـــدُ زيـــدَ الـــيعملات الـــذُّبل تطـــاول الليـــل عليـــك فـــانزل

وقال جرير[3]:

يـــا تـــيم تـــيمَ عـــدويّ لا أبـــالكمُ لا يلقيـــــنكم في ســـــوأة عُمـــــر

ك- الجملة التفسيرية: وتأتي تفسيراً لما قبلها وشرحاً، فلا تحتاج رابطاً، لاتصال مضمونها بالمفسَّر، فيربطها به رابط معنوي والضمير، ولا يفصلها عن المفسَّر حرف العطف؛ لئلا تحمل معنى آخر غير التفسير فهي بمنزلة الصفة التي تأتي في معنى موصوفها، قال تعالى: (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى) [طه:١٢٠] جملة القول تفسير وتبيين لما قبلها، فالقول تفسير الوسوسة وهي بخفاء القول[4].

ل- الجملة الاعتراضية، لا تعطف على ما جاءت له؛ لأنها زيدت في الكلام لزيادة معنـى فيه أو للتأكيد أو التعليق عليه، فهي متعلقة بما قبلها في المعنـى، فتجـرد مـن العطـف لـئلا تحتمل معنى أساساً في النص فلا تكون زائدة فيه، ومنه قول كعب:

وقـــال كـــل خليـــل- كنـــت آملـــه لا ألهينَّــــك إني عنـــــك مـــــشغول

فقوله: «كنت آمله» اعتراض مخصص لمعنى زائد؛ لإفادة معنى في علاقته بخليله

(١) الخصائص جـ٢٩١/١ وديوان المعاني جـ٢٢٥/٢.
وما أشكل في ذلك قول العرب: راكب الناقة طليحان، قيل المعنـى: راكـب الناقـة والناقـة طليحـان، وقيـل: راكب الناقة أحد طليحين، والطليح: المعيى.
(٢) ديوان ابن رواحة ص ٩٩ ، وشرح المفصل ١٠/٢، والكتاب ٢٠٦/٢ ، والأشباه والنظائر جـ١٠٠/١، ومغني اللبيب ٥٢٨/٢.
(٣) ديوان جرير ص ٢١١، والكتاب ٥٣/١ ، والمقتضب ٢٢٩/٤، ومغني اللبيـب ٥٢٨/٢ ، وارجـع إلى: همـع الهوامع ١٦٣/٣.
(٤) مفتاح العلوم ص ١١٠.

ورجائه فيه. وقوله في البيت التالي موبخاً الوشاة والأخلاء الذين ودعوه لما أحدثه:

فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم   فكل ما قدر الرحمن مفعول

فقوله: لا أبالكم، دعاء عليهم وذم لهم، ولا تحتمل العطف. وقد بسطنا القول فيها في حديثنا عن الجمل التي تتعلق بما قبلها.

م- أن يكون اللفظ أو الجملة صفة، لأن الصفة في معنى موصوفها، فلا تعطف عليه لاتصالها به، ويستوي في ذلك الوصف المفرد والجملة، ويجوز ترك العاطف إن تعددت الصفات في معنى واحد، قال تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) [الحشر:٢٣]، ومنه قول كعب في وصف جسد الناقة:

غلباء وجناء عُلْكُوم مذكَّرة   في دفها سعة قدامها ميل

أضمر العطف بين الصفات، لأنها لموصوف واحد، وهي في معنى واحد، وجملة الصفة نحو قول كعب:

إن الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

وروي: لنور يستضاء به، الصفة بمنزلة التوكيد للموصوف، فهي تدل على وصف فيه فتظهره في اللفظ.

ن- أن تكون الجملتان في معنى واحد، فالثانية تكون بمنزلة الوصف لها ومن ذلك قول كعب في اتساع صدر الناقة: «في دفها سعة قدامها ميل» فاتساع الدف (الجنب) زاد في عرض الصدر وطول العنق، ومنه قول كعب:

ضخم مقلَّدها عبل مقيدها   في خلقها عن بنات الفحل تفصيل

فموضع القلادة ضخم وكذلك موضع القيد، وهما دليلان على قوتها وضخامتها، فإن اختلف المعنى وجب إظهار حرف العطف، قال كعب:

حرف أبوها أخوها من مهجنة   وعمها خالها قوداء شمليل

أظهر الواو في أخوها أبوها... وعمها خالها، لاختلاف النسب من جهة الأب والأم.

س- أن تتحد الجملتان في النوع والإخبار والزمن، والسياق الجامع بينهما،

فالكلام إن اتصل جاز إضمار الحرف، قال الشاعر[1]:

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يثبت الوُدّ في فؤاد الكريم

قدر بعض النحاة فيه حرفاً: وكيف أمست، وذهب السهيلي إلى أن العطف ترك، لأن الثانية في معنى الأولى، وقيل الثانية بدل من الأولى، ونرى أن الحرف مضمر لاتفاق الجملتين في النوع والإخبار والسياق، فسوغ إضمار الحرف للعلم به، ولاتصال السياق.

ف- أن يكون أول الكلام ترجمة عن سائره، فيدل على الاستمرار عليه والمواظبة، كقولنا: قرأت ألفاً، باء، ويكتفي بهما عن سائر ما بعدهما، فهما عنوان ما بعدهما من الحروف، وقولنا: قرأت «ألفاً وباء» يشعر بأن المراد الحرفين فقط لا الحروف كلها، فقد انقضى المقروء بالعطف خلافاً لقولنا: ألفاً، باء، تاء.... ودليل ذلك زيادة الواو للدلالة على نهاية المعدود المتنازع فيه في قوله تعالى: (وثامنهم كلبهم) [الكهف:٢٢] فزيادة الواو قبل العدد الأخير لوضع نهاية العدد[2]، وبعض النحاة أطلق عليها واو الثمانية، وفيها خلاف، وبعض اللغات تترك العطف وتكتفي به قبل المعطوف الأخير، وهذا ليس مطلقاً في العربية بل في المواضع التي فيها اتفاق ومشاركة والمعنى فيها واحد.

وقد حذف حرف العطف في نحو: بوّبت الكتاب باباً باباً. أي: باباً فباباً. وقسمت المال درهماً درهماً، أي: فدرهماً. وقيل ليس فيها إضمار حرف الجر، لأن الإضمار يعني قسمت المال درهمين، وهذا ليس المراد، فالرأي عندي أن المراد في قسمت الكتاب باباً باباً، أي قسمته أبواباً فالأول والثاني دلا على ما بعدهما من الأبواب، وكذلك قسمت المال درهماً درهماً، أي جعلته وحدات من درهم، وهذا مثل: قرأت ألفاً، باء..... يريد كل حروف الهجاء، فالمراد الإشارة بالمذكورين إلى ما بعدهما. وقوله تعالى: (كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً) [الفجر:٢١] أي: دكاً بعد

---

(١) نتائج الفكر ص ٢٦٣، وبدائع الفوائد جـ٢٠٨/١، والأشباه والنظائر جـ١٣٤/٨، وهمع الهوامع جـ٢٢٦/٣، والخصائص جـ٢٩٠/١، وشرح الأشموني جـ٤٣١/٢، وهو غير منسوب، ومنع ابن جني والسهيلي وابن الضائع إضمار حروف العطف.

(٢) ارجع إلى: نتائج الفكر في النحو ص ٢٦٣،٢٦٤.

دك أو مرة بعد مرة، وقدر بعضهم حرف الفاء: دكاً فدكاً، ومثله: (والملك صفاً صفاً) [الفجر:٢٢] أي: مصطفين صفوفاً، صفاً بعد صف، أو مرتبين صفاً فصفاً، نحو: جاء الأول، الثاني، الثالث. أي: فالثاني فالثالث(١).

وقد ذهب السهيلي إلى أن العطف يستبعد في الموضع الذي يرتبط الكلام فيه بما قبله تفسيراً له، ومنه قوله تعالى: (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) [التوبة:٩٢] قيل حذفت الواو، وقيل الجملة جواب إذا، ويجوز فيها حذف الفاء، وقيل الجواب: (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) هي الجواب، والمرجح عندي أن الجواب (قلت...)؛ لأنها ماض جاز فيه ترك الفاء، والقول معقود بمجيئهم إليه صلى الله عليه وسلم ، وقوله (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) إخبار عنهم وثناء، وهو تفسير لحالهم بعد رده صلى الله عليه وسلم لهم، وأرى أن الفاء فاء السببية حذفت؛ لأنها بسبب ما قبلها، أي: قلت لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا....، ورأى السهيلي أن الكلام غير محتاج إلى العطف بالواو، لأنه مرتبط بما قبله كالتفسير له، وهذا الوجه لا أميل إليه لأن (تولوا....) بسبب ما قبلها وليست تفسيراً(٢)، وقد ذهب ابن هشام إلى أن الجواب (قلت)، وتولوا جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فما حالهم إذا ذاك. قيل: تولوا. والأرجح أن تكون سببية وتقدر فيها الفاء(٣).

واختلف النحاة في حديث عمر بن الخطاب ر لحفصة أم المؤمنين رضي الله عنها: « لا يغرنك هذه (يريد عائشة رضي الله عنها) التي أعجبكها حسنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها» أضمر بعض النحاة فيها العطف، والمعنى: حسنها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، واستحسنه بعض الشراح، وأخذوا به في شرح الحديث، وضَعَّف السهيلي هذا المذهب، وذهب إلى أن «الحب» بدل من قوله «هذه»، وهو بدل اشتمال في موضع رفع، والسهيلي لا يجيز إضمار حروف العطف ورد الآراء التي ترك

(١) وقد ذهب السهيلي في قولهم: اضرب عمراً زيداً خالداً، أنه ليس فيه إضمار بل للدلالة على ما بعدهم، نتائج الفكر في النحو ص ٢٦٤، والمرجح تقدير العطف؛ لأنه يحمل على بدل الغلط أي: اضرب زيداً ثم عدل عنه إلى عمرو، ثم عدل عن عمرو إلى خالد.
(٢) نتائج الفكر في النحو ص ٢٦٤، وأمالي السهيلي، ١٠١،١٠٢،١٠٣.
(٣) مغني اللبيب، ابن هشام ص ٧٠٦.

فيها العطف، وقد صدر قوله «لا يجوز إضمار حروف العطف» في هذه المسألة[1]، والصواب جواز الإضمار، والوجه الذي ذهب إليه السهيلي (البدل) ضعيف، ويؤكد ما ذهبتُ إليه أن الحديث مروي بإثبات الواو في رواية أخرى للبخاري[2]، وهذه الرواية شرحت المراد بالسابقة، وهو من حديث طويل: قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : «..... لو رأيتني ودخلت علي حفصة فقلت لها لا يغرنَّك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم (يريد عائشة)، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ....». فقوله: «أوضأ منك وأحب إلى النبي....» في موضع. «أعجبها حسنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها»[3] فإسقاط حرف العطف في الرواية ثابت، والتقدير: وحب، وقد دل على هذا هذا الرواية الأولى، وحمله على البدل بعيد، وقد جائني رواية مسلم من طريق سليمان بن بلال: «أعجبها حسنها وحب رسول الله» وهذه الرواية تؤكد حذف الواو في الرواية التي انتفت منها[4].

وأسقطت الواو في المواضع التي أغنى عنه الضمير فيها نحو: ترمي الغيوب....، يمشي القراد عليها....، تمر مثل عسيب النحل، تخذي على يسرات، والأصل أن يستخدم الواو بين المعاني المتصلة ومواضع التشريك، ولكنه اكتفى بالضمير في الجمل الفعلية، واكتفى بحذف المبتدأ رابطاً في الجمل الاسمية، مثل: غلباء وجناء علكوم مذكَّرة، وقد حذف الواو فيها لتضمن الوصف الضميرَ، فقد وقع خبراً والخبر المشتق يتضمن ضميراً أي: غلباء هي وجناء هي علكوم هي، مذكرة هي، وأبنية الصفات للمؤنث: غلباء وزن فعلاء، ومذكرها أغلب، (أي: غليظة الرقبة) ووجناء (عظيمة الوجنتين) ومذكرها أوجن. وقنواء وزن فعلاء (في أنفها احديداب)، علكوم (شديدة) وزن فعلول، ويستوي فيه المذكر والمؤنث: جمل علكوم، وناقة علكوم ومذكرة (كالذكر) للمؤنث، فالتاء للتأنيث ومثلها وصف المرأة التي فقدت وحيدها (الثكلى): نواحة، رخوة، أي: نواحة وهي رخوة[5]. هذه أبنية مخصوصة بمؤنث، والرابط فيها

(١) ارجع إلى: نتائج الفكر في النحو ص ٢٦٣.
(٢) كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، رقم ٥١٩١، وفتح الباري ٢١٢/٩،٢١٣.
(٣) كتاب النكاح رقم ٥٢١٨ والفتح ٢٥٩/٩.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، بيان أن تخيير المرأة لا يكون طلاقاً إلا بالنية، وشرح النووي (الأميرية) ٨٧/١٠.
(٥) هنالك أبنية صفات يستوي فيها المذكر والمؤنث، منها الوصف بالمصدر فهو عام في العدد والنوع: رجل عدل وامرأة عدل، ورجال عدل ونساء عدل،وصيغة فعيل بمعنى مفعول نحو: امرأة قتيل وجريح (في الوصف دون العدد).

المعنى (المخصوص بمؤنث)، وتقدير الضمير في الخبرالمشتق، فالخبر المفرد يقدر فيه الضمير الذي يربطه بالمبتدأ والخبر الجملة كذلك فيه ضمير ظاهر أو مقدر.

والربط المعنوي يكون في اتصال المعنى وتسلسل الأفكار، فتسلم الأولى مقادها للثانية والثانية إلى الثالثة حتى تستوفي الفكرة حقها من المعنى، فتتحقق بنية متماسكة على المستوى المعنوي، ويقويها الترابط اللفظي المتمثل في العلاقات النحوية.

وهذا الكلام أغنى السياق فيه عن الروابط اللفظية التي يتغير المعنى في هذا السياق بذكرها، ولا يعد الكلام مفككاً لخلوه من الرابط اللفظي، فالسياق اللغوي وشيجة داخلية تمنع التوقف على معنى مستفاد من الجملة الأولى دون وصلها بالتي تليها، لفساد المعنى دونها، فالمعنى في الجملة لا يقطع عن سياق مجموع الجمل، فهي جزء من سياقها العام.

لقد تناولت الروابط اللفظية في العربية الفصحى، ولم ألتفت إلى الأساليب الدخيلة من اللغات الأخرى، وبعض أساليب الخطاب اليومي التي اعتمدها بعض الكُتَّاب الضعاف في كتابتهم، وتوهمها ضعاف الباحثين تجديداً، وتأولوها، وبحثوا لها عن تخريج في القواعد، وأطلقوا عليها شططاً خروجاً على المألوف وانزياحاً، وليست إلا خروجاً على القواعد والأساليب البلاغية المعتمدة في العربية، وهذه المصطلحات طرح بعض الباحثين المحدثين عن كتب مترجمة، وهم لا يدركون نظام العربية في الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالة، والعربية بها عناصر ربطية غنية بالدلالة، بعضها حرفي، وبعضها اسمي وبعضها فعلي، ولها ما يميزها في وسائل الربط عن اللغات الأخرى[1].

وبعض الصفات بها تاء ويستوي فيها المذكر والمؤنث مثل فعلة: ربعة، جعدة، وفُعْلة وفُعَلة: هُمْزة ولُمزة وهُمَزَة ولُمَزَة. وفعّالة: علاّمة. والتاء ليست للتأنيث بل للمدح او الذم والمبالغة.

(١) ظهر في الخطاب المعاصر بعض التراكيب الدخيلة من اللغات الأخرى عن طريق الترجمة الضعيفة التي تأثرت بالخطاب اليومي وأسلوب المحادثة في اللغة المترجم عنها، وبعض هذه التراكيب توهماً لضعف المترجم في العربية، وكذلك الترجمات الحرفية لبعض التراكيب والأساليب، وهذه آفة المترجم الذي يعجز عن التفريق بين اللغات وما يميز اللغة المترجم إليها عن اللغات المترجم منها، وقد أخذ بعض الباحثين هذه الترجمات على هناتها وعملوا بما فيها، فوقع الخلط بين أدوات العطف في العربية (الواو، ثم، بل، الفاء، لا، أو) وبعض التراكيب المركبة التي تفيد الوصل بين الجمل نحو: «بيد أن» و«حيثما» و«إلا أن» وغيرها وبعض الألفاظ التي تعبر عن الربط مثل «ونتيجة لذلك»، وقد ظهرت في العربية المنطوقة روابط حرفية تأثراً باللغات الأوربية مثل «بما أن» وهي لمعنى الشرط. و«بالتالي» للسببية، والاستثناء نحو: «إلا أن»، «من جهة أخرى»، «مع ذلك». وروابط زمنية مثل: بعد ذلك، وأخيراً، «في آخر المطاف» وبعض الباحثين يعتمدون هذه الروابط في تحليل الخطاب اليومي، وبعض الأعمال الأدبية التي تحاكي الخطاب اليومي، وهذه الظواهر التركيبية من تأثير اللغات الأجنبية، ولا تصلح في تحليل نص عربي تراثي لمخالفتها عرف العربية.

في ضوء عرف العربية الفصيحة، فبعض أساليب الخطاب اليومي دخلت إلى النص المكتوب على ما بها من هنات وأساليب دخيلة، وساعد في انتشارها في الكتابة الترجمة الحرفية التي نقلت بعض أساليب اللغات الأجنبية إلى العربية، وبعض الأعمال الأدبية الأجنبية حاكت لغة الخطاب اليومي، وبعض الدراسات العربية تعالج الخطاب المنطوق، وتوسعت فيها، وترجمت هذه الأعمال إلى العربية ترجمة حرفية دون تعريب في ضوء عرف العربية في التعبير، واحتذى بعض العرب حذوهم في الدراسة والتحليل[(١)]. وبعض الترجمات قام بها من لا ترتضى عربيته، وبعضهم ترجم ترجمة حرفية[(٢)]، وهؤلاء لا يدركون الفروق بين العربية واللغة التي يترجمون عنها، والترجمة الدقيقة التي تستوعب معنى النص وتترجمه إلى ما يقابله أو يقاربه، وليس من ذلك الترجمة الحرفية وروابط الخطاب اليومي التي تخرج عن عرف العربية.

وبعض الباحثين يطلقون على العطف «الوصل التشريكي» ومن أدواته «الواو» و«أو» وأداة التعليل «لأن»، وكذلك من «من أجل أن» ووظيفتها تكوين جملة مركبة من جمل بسيطة، ومن أدوات الربط بين الجمل «مع أن» و«بالرغم من أن» و«نتيجة لذلك»، وهي عندهم من أدوات الربط الإجرائي، ومنها كذلك: بموجب كذا، وبالرغم من أن، وكنتيجة لذلك، وإذن للدلالة على النتيجة، ومثلها: وترتب عليه، ويمكن أن نستنتج من ذلك أن.... وغيرها، وهي روابط تتعلق باللغة الإنجليزية

وارجع لمعرفة المزيد عنها إلى تحليل الخطاب لبروان ويول، والنص والسياق لفان دايك، وبعض الكتب التي ترجمها بعض المغاربة، وتأثروا فيها بلغة الخطاب اليومي على ضعفها في بلادهم، وكتاب تحليل الخطاب الروائي لسعيد يقطين، يعد تطبيقاً لمناهج التحليل الغربية، وليس فيه من العربية إلا القليل، وقد قلده بعض الباحثين في منهجه التحليلي دون وعي.

(١) ارجع إلى: الشفاهية الكتابية، والترج. أونج، ترجمة الدكتور حسن البنا، عالم المعرفة، ص ٨٩ وما بعدها.

وبعض الباحثين حمل بعض المصطلحات على معاني بعض المصطلحات العربية مثل الوصل (Conjunction) سماه عطف التشريك ومن أدواته الواو التي تفيد التشريك والجمع في العربية. ارجع إلى النص والسياق، فان دايك ص ٩٢،٩٣،٩٤.

(٢) لقد تأثر بعض الباحثين العرب باللغات الأوربية وبعض الروابط التي ترجمت خطأ إلى العربية، فتوهمها الباحث المبتدئ روابط أصيلة في العربية، وليست إلا ترجمة حرفية لمترجم غير متمكن من عربيته التي يترجم إليها، وأعني بقولي الترجمات التي صدرت عن بعض مترجمي المغرب العربي، ونصها العربي ضعيف ويحمل هنات الخطاب اليومي، وقد انتشرت هذه الترجمات بين الباحثين وأخذوا ما فيها على غثها وسمينها، وتمثلوا ما قرأوا في معالجة النص العربي وتحليله فظهرت وجوه من التحليل وأدوات ليست من العربية في شيء، وهم بحاجة إلى مراجعة قواعد العربية، فالأفكار والمناهج الغربية أفادتنا في بحثنا بيد أن العمل بأنظمة اللغات الأوربية وتأثيرها في الخطاب اليومي أفسدا علينا عربيتنا.

والفرنسية[1] (ولهما أثر كبير في اللهجات العربية المعاصرة)، ولكن الباحثين العرب بحثوا عما يشبهها في العربية والتراكيب الدخيلة فجعلوها من جملة الراوبط، والروابط في العربية تختلف عن ذلك، فليس من العربية قولهم «بالرغم من» والوصل التشريكي يطلق على الواو وحدها دون حروف العطف الأخرى لإفادتها المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه، والعربية تختلف عن اللغات الأوربية، والروابط فيها ليست بحاجة إلى مزيد من التراكيب الدخيلة التي تخالف قواعد العربية وأساليب التعبير فيها[2]، وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن هذه الأساليب الرديئة في كتابات بعض المعاصرين تدل على التجديد والثورة، وكساها ثوباً من الرمزية، وأراها ضعفاً لغوياً تفشى في أعمال الكُتَّاب الذين لا يعدو علمهم بعربيتهم لغة الخطاب اليومي ، فهي أكثر أثراً فيهم من قراءتهم المحدودة التي لا تتجاوز الصحف والفضائيات.

وتناولنا الربط في العربية في ضوء قواعدها، وقد تبين لنا أن العربية غنية بوسائل ربط متعددة تمثل جزءاً من نظامها اللغوي الشكلي ودلالتها، والخروج على نظامها لا يعد تجديداً بل خرقاً يفقد النص جماله اللغوي، ويفسد معناه، فقواعد العربية تشارك لفظها الدلالة، فترتيب الألفاظ في الجمل لمعنى، ومكان اللفظ في الجملة يكون لمعنى، ونوع المشتق ونوع الفعل ونوع الجملة لمعنى، والحروف التي تأتي في الجمل (حروف المعاني) تأتي لمعنى في التركيب الذي وضعت فيه، فليس لها معنى في ذاتها بل معناها في الجملة التي وظّفت فيها، ولغة الخطاب اليومي فيها خروق وهنات أفسدت العربية الفصحى، ولا تعد لغة أدبية، لأنها ضعيفة ولأنها تموت بموت متكلميها، وهي محددة بمحيطها فليست لغة اتصال، وقد اندثرت الآداب الشفاهية، لارتباطها بلغة الخطاب اليومي ولعدم انتشارها، ولأنها تفقد قيمتها إن خرجت عن محيطها الضيق ولارتباطها الشديد ببيئتها فليست أدباً عاماً يعبر عن كل أصحاب اللغة الأم، فقد

---

(١) ارجع إلى النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك ترجمة عبد القادر قيس، أفريقيا الشرق، المغرب، ص ٨٣،٨٢، ويطلقون اسم الروابط الظرفية على «بالرغم من أن»، و«لكن» و«مع ذلك».

(٢) بعض الدراسات التحليلية استخدمت التراكيب الغربية الشفاهية مثل: بالرغم من كذا، وعلى الرغم، وبما أن، وعلى ما تقدم في البدء أقول كذا.... وغيرها من التراكيب الضعيفة التي وردت في بعض ترجمات المترجمين الضعفاء في العربية، وترجمتهم حرفية لا تتجاوز معاني المعجم، والنص العربي ضعيف يحاكي لغة الخطاب اليومي، ولم يحسنوا ترجمة المفاهيم الاصطلاحية والسياقية إلى ما يقابلها أو يقاربها في العربية.

بقيت فينا الآداب الراقية التي قيلت بلسان اللغة الأم المشتركة.

التكرار وأثره في الربط

التكرار[1]: دلالة اللفظ على المعنى مردداً لتأكيده والتنبيه عليه وجذب انتباه المتلقي إليه، والتأثير فيه وإقناعه، وقد جعلناه في الربط الدلالي – وهو واقع في اللفظ- لأنه يكون لمعنى، ويعد التكرار من أشهر أساليب تأكيد المعنى في العربية، وذلك لسهولة العمل به وأثره في النفس، ويعد من الروابط اللفظية لتكرار لفظه، وتكرار اللفظ من عناصر الربط فالضمير ينوب عن اللفظ، فيغني عن تكراره والإشارة تحيل إليه في اللفظ أو تحيل إلى عينه في العالم الخارجي. والتكرار على أنواع، منها: تكرار لفظي، وهو قسمان:

- تكرار بنية اللفظ هي هي، ومنها قوله تعالى: (والسابقون السابقون) [الواقعة:١٠]، ومثل قول كعب: "قيله القيل".

- تكرار جذر اللفظ دون البنية مثل: (الرحمن الرحيم) قيل الرحمن خاص برب العزة لا يشركه فيه مخلوق، والثاني شركة بينهما، وقيل: الرحمن في أمر الدنيا والرحيم في أمر الآخرة، والرحمن للمبالغة والرحيم وصف ثابت مثل: طويل وقصير، وللعلماء تفسيرات كلها يحتملها اللفظان[2]، وهما مختلفان في البناء شريكان في الجذر والدلالة، فالثاني مؤكد للأول.

وتكرار معنوي: أن يأتي في عقب اللفظ لفظ آخر في معناه يؤكده، ويسمى بتكرار الترادف، ومنه قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [آل عمران:١٠٤] فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة إلى الخير وقوله تعالى: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [يوسف:٨٦]

لقد درس البلاغيون التكرار في اللفظ والمعنى دون الحركات في الكلمة، والإعراب، وهي من العناصر المؤثرة في الخطاب المنطوق، والنص الشعري في الأصل

(١) المثل السائر، ابن الأثير، المكتبة العصرية، جـ٣/٣.
(٢) نفسه، جـ٢٥/٣،٢٦.

منطوق، وقد أغفل بعض الباحثين المحدثين أثر تماثل الحركات في الألفاظ واتفاق حركات الإعراب في الإيقاع الصوتي وتيسير النطق، وأثر الإعراب في فواصل الكلم في الجمل والمعنى المترتب عليه، وما يحدثه من تقسم وتنغيم وفواصل في الكلام، وسوف نبين أثر ذلك، ونقدمه على الأبنية والجمل، لأنه في المستوى الصوتي وقصيدة كعب نص منطوق، وظف فيه الشاعر عناصر صوتية للتأثير والإقناع، وهذا الجانب لم يحظ بدراسة وافية في عموم القصيدة العربية، ولعلنا نستنهض هممهم بقولنا هذا، وبما قلناه فيه ليقوموا له ويتوسعوا فيه.

والخطاب الإقناعي العربي تكراري، فالتكرار عنصر قوي في الإقناع سواء أكان بنائياً أو معنوياً. ولاشك أن التكرار يسترجع الذاكرة فيه إعادة ذكر ما غفل عنه فيعلمه السامع ويؤكد ما سبق العلم به، وهو أقوى من التوكيد المعنوي.

والتكرار قد يكون تجاورياً أو متصلاً مثل: (السابقون السابقون)، وهو المشهور في التأكيد والتذكير، فيغني عن عبارة تنبيه للمتلقي، وقد يكون تباعدياً أو منفصلاً، فلا يتصل اللفظان في الكلام، وهو للتأكيد والتنبيه والكثير منه للتذكير، فالمتكلم يذكر الشيء ثانية إذا طال العهد به في الكلام فيسترجعه في اللفظ. وقد يكون التكرار للتلذاذ في مقام العشق، وقد يكون للتعظيم في مقام المدح، وقد يكون للائتناس والتلهي والهزر.

وللتكرار اللفظي أثر في السمع، فهو جزء من إيقاع الخطاب المنطوق، والشعر العربي القديم منطوق، ومن ثم وظف عناصر الأداء للتأثير في المتلقي، وللتكرار اللفظي والمعنوي أثرهما في الدلالة، فتكرار المعنى تأكيد له وتكرار اللفظ والمعنى أقوى أثراً من تكرار المعنى فقط، وقد أكد كعب معانيه باللفظ، وهو أقوى من المعنوي المؤكد بلفظ مخالف (نفس، عين، كل، جميع).

وهذا التكرار يؤدي إلى جوار السبك تجسيد المعنى، فالتكرار اللفظي يتأثر بالمعنى والغرض من الخطاب والموقف الاتصالي، فالمتكلم يوظف العناصر اللغوية المؤثرة في مواقف اتصاله تستدعي تجنيد كل المؤثرات خلافاً لمواطن أخرى يخرج الكلام فيها عفواً دون صنعة يستوجبها الموقف، ومثال ذلك حديث القائد مع جنوده: الجهاد الجهاد،

الانتقام الانتقام، يغري جنوده بعدوهم، ويستنفرهم للحرب في موقف حميت فيه الحرب. ويعبر عن ذلك الإخباري (المذيع) قائلاً: طلب القائد من جنوده أن يجاهدوا وينتقموا من عدوهم، ولا يوظف الإخباري عناصر لغوية للإثارة إلا أن يكون معنياً باستنهاض الشعب للحرب، وهذا تقصير منه، بيد أن قراء القرآن الكريم المجيدين يحسنون الأداء بما يوافق المعنى فيمثلون المعاني والسياقات، ويرقبون حال المتلقين في التلقي ويكررون المواضع التي يتفاعل معها المتلقون، فيقرأ وجوههم وردود أفعالهم واستحسانهم المعاني واستجابتهم.

ويعد التكرار اللفظي أقوى في الربط من الضمير والإشارة، فالتكرار ذكر عين اللفظ أو مادته أو بنيته فلا يقع لغيره، وهذا غير قائم في الضمير والإشارة فقد يلتبس المحال إليه على المتلقي فيوقعهما لغير المحال إليه الذي يريده المتكلم، والظاهر أن التكرار من عناصر التأثير والإقناع، وأُغفِل في الربط، وقد استدركت ذلك، وسوف نبين قيمته في الربط.

- تكرار الحركات الإعرابية وتوازيها:

كثير من الباحثين يهملون أثر حركات الإعراب في الخطاب المنطوق وأثرها في المتلقي، وهي فواصل الكلمات في الجمل ودليل وظائفها ومعانيها، ولها إيقاعها في تقسيم الكلام وتوازي الإيقاع، ولك أن تتبين أثر ذلك في قول امرئ القيس[1]:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً ... كجلمودِ صخرٍ حطّه السيلُ من علِ

فالتوازي في التنوين والحركات الداخلية أحدث إيقاعاً متناغماً عبّر عن الحركة السريعة، ودل على تنوعها، وهو بمنزلة الفاصلة في مواضع أضمر فيها العطف لاشتراكها في موصوف واحد فجاز الاستغناء عن العطف ليكون اللفظ متصلاً دون فاصل طويل (الواو)، وهذا الإيقاع المتناغم يطرب النفس ويؤثر فيها، ويوافق التذوق العربي الموسيقي الذي يبادر إلى حفظ الإيقاع ويستوعبه ويتفاعل معه، ومن ثم نظموا قواعد العلوم ليسهل حفظها، فهي أمة كانت تجيد السماع وتتفاعل معه، فاستجابت

(١) الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١١٨ واستوجب بعض النحاة العطف في المواضع المتخالفة وأجازوه في المترادف، وهذا يخالف ما جاء في الشعر الفصيح، ومنه هذا البيت وبيت كعب:

هيفاءٌ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً ... لا يشتكي قصر منها ولا طول

سريعاً للقرآن الكريم.

والتماثل في الحركات داخل الكلمة لتسهيل النطق والمجانسة وللتطريب والإيقاع، والتماثل في حركات الإعراب مرتبط بالجمل، فيحدث مماثلة بينها في النطق، فيعلم المتلقي أنها متفقة في الحكم الإعرابي، ومنه قول كعب:

لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل

فالواو اقتضت المشاركة في الإسناد فعامل المرفوع الأول عامل المرفوع الثاني، فالثالث فالرابع، وقد أكدت حركات الإعراب الظاهرة ذلك، ومثله قوله:

غلباءُ وجناءُ علكومٌ مُذَكَّرةٌ ... في دَفها سَعَةٌ قُدَّامَها مِيلُ

غلباء ووجناء وصف مؤنث (فعلاء) لا يُنَوَّن، وعلكوم ومذكرة نونتا، والمسند إليه فيها واحد. وقوله: «إرقالٌ وتبغيلُ» والقافية ضم طويل، وهو بمنزلة التنوين، وهذا التوازي في حركات الإعراب يحدث إيقاعاً شبيه بإيقاع السجع، وهذا الإيقاع مقيد بالوظيفة النحوية للكلمات في الجملة، وهذا في الصفات، والعطف، والبدل.

وقد قوى من ظهور علامات الإعراب الاستغناء عن العطف بالربط السياقي المتصل في الإسناد، وقد وظف الشاعر حركات الإعراب كفواصل بين الكلمات رغبة في تمكين وصول اللفظ إلى سمع المتلقي دون الاختلاط بغيره، ومكنته من الوزن، فالفواصل تساعد في تحديد نهايات الألفاظ والجمل، فيعرف بها المعنى.

- تكرار الأبنية

التكرار في الأبنية يكون في أبنية متماثلة فيوافق اللفظ ما تقدمه أو يكون تكراراً غير تام فيكرر اللفظ بزيادة أو بنقص ويكرر غالباً بزيادة، وهذان يتصلان في اللفظ أو يفترقان افتراقاً متقارباً أو متباعداً.

التكرار التام، نحو: «قيله القيل» تكرر اللفظ عينه، وقد فصَله الضمير المتصل، وهو للتأكيد، والترابط هنا على مستوى اللفظ والمعنى، والتأكيد بالثاني أقوى؛ لأنه التعريف فيه للعهد مثل: (المصباح في زجاجة) [النور:٣٥]، ومثله:

إذ يساور قرناً لا يحل له ... أن يترك القرن إلا وهو مفلول

فالقرن الثاني معهود، وهو مفعول مثل الأول. وقال: «غيل دونه غيل» تكرار

غير متلاصق للفصل بينهما بالظرف، وكرر اللفظ دون تعريف، ويتماثلا في الرفع دون التنوين لوقوع الثاني في الروّي المشبع (غيلو). والعربية تستغني عن تكرار الأسماء بالضمير الذي يحيل إلى متقدم في اللفظ، فإن أعيد ذكر الاسم، فلغرض من المعنى استدعى ذكره منه المديح والتودد إليه والتلذذ بذكره، وقد يكون لخلاف ذلك كالتهكم والسخرية والاستخفاف به، وقد يكون للتأكيد عليه وإقراره، وقد يكون لمجيء اعتراض بينه وبين الكلام السابق، فيعاد ذكر الاسم تنويهاً عليه؛ لئلا يحتمل تعلق الضمير بالاعتراض، وقد ذكر كعب سعاد في البيت الأول والثاني ثم أضمر، ثم أعاد ذكرها عندما أراد أن يخرج من المقدمة، واختلف العلماء في سبب إعادة ذكرها بعد أن أضمر، فقيل للتأكيد عليها وليذكّر المتلقي بها، وهنالك توجيه آخر على المستوى المعنوي أن الشاعر ذكر اسم المحبوب ثانية ليتلذذ به بإعادته وتيمناً بلقائه ثانية، وتكرار اسم المحبوبة كثير في الشعر العربي، قال عنترة[(١)]:

يا عبلُ قد دنت المنيةُ فاندبي ... إن كان جفنُك بالدموع يجودُ

يا عبلُ إن تبكي عليّ فقد بكى ... صرف الزمان عليَّ وهو حسود

يا عبلُ إن سفكوا دمي ففعائلي ... في كل يومٍ ذكرهن جديد

وهذا جائز في الكلام غير المتصل في اللفظ، وقد عاب العلماء تكرار اللفظ في قول متصل نحو قول الحطيئة[(٢)]:

ألا حبذا هند وأرضُ بها هند ... وهند أتى من دونها النأى والبعد

كرر اسم هند في كلام متصل وإنابة الضمير فيه أولى، ولكنه كرر الاسم تلذذاً به، وقد عيب قول القائل:

ليت الغراب غداة ينعب دائباً ... كان الغراب مقطّع الأوداج

أظهر الاسم والأولى إضماره[(٣)]. وهذا تكرار متباعد والأبلغ منه المتلاصق لما فيه من التأكيد والإيقاع. وقد كرر الشاعر ذكر الرسول ورسول الله تعظيماً له واعترافاً بنبوته ورسالته:

---

(١) ديوان عنترة ص ٩٣.
(٢) ارجع إلى شرح قصيدة كعب ص ٦٠.
(٣) نفسه ص ٦١ والقائل مجهول.

أنبئــــت أن رســـول اللــــه أوعـــدني والعفـــو عنـــد رســـول اللــــه مـــأمول

أعاد ذكر رسول اللـه لإظهار التضخيم والتعظيم، والأصل أن يـأتي بالـضمير، لكنـه كـرر تركيب «رسول اللـه» تأكيداً لنبوته، فإن غـير المـسلمين يجردونـه مـن لقـب النبـوة اكتفـاء باسمه صلى اللـه عليه وسلم ، وقد أعاد ذكر الرسول تلـذذاً بـه وتـوقيراً، وفيـه دلالـة عـلى التعظيم ولهذا أتى بعند ولم يأت بمن: والعفو عند رسول اللــه مـأمول، والثـاني: العفـو مـن رسول اللـه، استخدم عند؛ لأنها أدل على التضخيم ولتقوية الرجاء، وقد أكد له أخـوه بجـير بن أبي سلمى رضي اللـه عنه أنه صلى اللـه عليه وسلم سيقبل اعتذاره، وقد تواترت إليـه الأخبار بذلك، وتكرار الاعتراف له بالنبوة يقتضي العفو والرضى، وهـذا أبلـغ في الاسـتعطاف، وقد كرر لفظ الرسول بعد ذلك بعد أن خاطبه بقوله: مهـلاً هـداك..... ولا تأخـذني......، ثـم أعاد ذكر «الرسـول» دون الـضمير تـذكيراً للمتلقـي بعـد أن خاطبـه «أنـت» ثـم التفـت إلى الغائب، فذكر «رسول اللـه» للتعظيم والتأكيد عليه صلى اللـه عليـه وسـلم ، وثـم أضـمر لفظ «الرسول» استغناء بالضمير في الأبيات التي أعقبت ذكره، وهذا هـو القيـاس أن يـضمر الظاهر في كلام متصل به اختصاراً؛ ولئلا يظن بالثاني الانقطاع أو الابتداء، وهو متـصل بـه في المعنى، وللمتكلم أن يظهر الاسم ثانية إن طال العهد به أو لغرض بلاغي كالتعظيم مثـل مـا ذكرنا لك أو للتودد. وقد فعل ذلك في مقدمة القصيدة، فقد ذكر سعاد في البيـت الأول، ثـم أحال إليها بضمير المفردة المؤنثة الغائبة، ثم أناب الظاهر عن المضمر في البيت الثاني، لأنهما في جملتين مستقلتين، وأنهما في بيتـين، وأن بيـنهما جملـة فاصـلة، وأن اسـم المحبـوب يلتـذُّ بإعادته[1]. وقد أجاز ابن رشيق للشاعر أن يكرر الاسم على جهـة التـشويق والاسـتعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب، وتكرار للممدوح تنويه به وإشـادة بـذكره وتفخـيماً لـه في القلـوب والأسماع[2]، وتكرار الاسم يفيد الاستمرار واتصال الكلام به.

وقد عمد كعب إلى تأكيد المعنى بالتكرار، فقال في سياق حديثه عن بيعته النبي

(١) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ٦٠.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وأدبه، ابن رشيق للقيرواني، تحقيق محمد محيـي الـدين عبـد الحميـد، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٢م جـ٧٣/٢، وقـد ذكـر ابـن رشـيق أمثلـة ذلـك، وذكـر أيـضاً أنـه يكـرر الوعيـد وللتهديد والتوجع والرثاء والازدراء والتهكم.

صلى الـلـه عليه وسلم وعهد الأمان:

حتـــى وضـــعت يمينـــي لا أنازعـــه   في كـــف ذي نقـــمات قيلـــه القيـــلُ

أكد المعنى بجملة اسمية الخبر فيها لفظه لفظ المبتدأ: قيله القيـل، وهـي صـفة لـذي نقمات، أراد أن يستوثق لعهده بوصف قوله صلى الـلـه عليه وسلم بأن قوله القول المعتد به بكونه نافذاً ماضياً فلا يغدر، والقيل والقال بمعنى القول، ومنه[1]:

إن الرســـول لـــسيف يستـــضاء بـــه   مهنـــد مـــن ســـيوف الـلـــه مـــسلول

كرر السيف في الشطر الثاني، وأكده في المعنـى «مهنـد»، وجـاء في روايـة: «إن الرسـول لنور يستضاء به»، وهو توكيد في المعنى فقوله «يستضاء به» مضمن في النور.

- تكرار الجذر:

ويقع هذا التكرار في الألفاظ التي صيغت من جذر واحد اشتقت منـه فهـو أصـل لهـا ومرجع، ويكون بزيادة أو بنقص والأكـثر منـه بالزيـادة، يتـصل في اللفـظ وينفـصل والأكـثر المتصل، ويقع كثيراً في الأفعال ومصادرها والمفرد والجمع، نحو: يمشون مشي الجـمال الزُّهـر. جمع بين الفعل ومصدره، والمصدر على الأرجح أصل المشتقات. وقد يكون التكرار بالمـشتق، وهو قليل في قصيدة كعب، ومنه قوله:

لقـــد أقـــوم مَقَامـــاً لـــو يقـــوم بـــه   أرى وأســـمع مـــا لـــو يـــسمع الفيـــل

فمقام في موضع قيام، وأراد اسم المكان أو الموقف بين يديه صلى الـلـه عليـه وسـلم ، وهو يماثل المصدر الميمي (مقام وزن مفعل، من الثلاثي قام) وكرر الفعل أقوم.

ومن تكرار المفرد في لفظ الجمع نحو: سيف..... من سيوف الـلـه مـسلول، وقـد يكـرر الجمع بما هو أكثر منه نحو:

لا تأخـــذني بـــأقوال الوشـــاة ولم   أذنـــب ولـــو كـــثرت عنـــي الأقاويـــل

أقوال جمع تكسير وزن أفعال، وهو من أوزان القلة ثـم اسـتوعبه في منتهـى الجمـوع أقاويل وزن أفاعيل، فنفى عن نفـسه القليـل والكثـير. والجمـع يـستوعب المفـرد، ومنتهـى الجموع يستوعب المفرد فما فوقه. ولاشك أن جذر المشتقات أو الألفاظ رابط بيـنهما، فهـي تشترك فيه، والأقوى منه التماثل التام بين اللفظين.

تكرار البناء الصرفي دون اللفظ:

---

(١) رواية شرح ديوان كعب ص ٢٣.

وهو من الروابط اللفظية؛ لأن الأبنية تتفق في الـوزن ولا يـشترط الارتبـاط في المعنـى، فتتماسك لفظياً، والأقوى أن تتماثل الألفاظ المكررة في الأبنية وأن تتفـق في المعنـى، ولتكـرار الأبنية أثر في الإيقاع والتقسيم ويقوي الارتباط الصوتي بينها.

وقد كرر الشاعر أبنية الصفات لتأكيد الوصف والمجانسة بين اللفظين في البناء ولحرصه على الإيقاع الداخلي، فبحر البسيط من البحور الهادئة لاختلاف التفعيلتين مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، وهو يشبه الطويل في الطول، فكرر الشاعر الأبنية وافتعل تقسيماً داخليـاً ليفعل الإيقاع وينميه، ليكون من العناصر الصوتية المؤثرة، وقد استخدم بحر البـسيط؛ لأنـه يتسع للوصف والحكي والعرض وإقامة الحجة وإثبات الدليل والتمثيل، واعتمد على التكـرار الداخلي والتقسيم؛ لئلا يفتر المتلقي من طول البيـت والقـصيدة، وطـول الـسرد، وقـد دعـاه لهذا استرساله في السرد وتوسـعه في الوصـف، فوظـف الإيقـاع الـصوتي في الألفـاظ ليـذهب السأم والملل، ونوّع في الإيقاع وجدد فيه دون خروج على الـوزن، ويعـد تكـرار البنـاء رابطـاً لفظياً.

ووقع تكرار البنية متصلاً ومنفصلاً نحو: بناء مفعول: «منسوب ومـسئول»، وفي روايـة: «مسبور ومسئول»، وبناء فَعْل نحو: فجـع ولـع، وقـد اتـصل اللفظـان في الكـلام، والتكـرار المنفصل نحو: متبول.... مكبول، وموعود... مقبول. ووقـع مفعـول في القافيـة نحـو: مفلـول، مسلول، مسئول، محمـول، مقتـول، مـأمول. وتفعيـل: وقـد تكـرر في القافيـة نحـو: تبـديل، تضليل، تنويل، تبغيل، تفضيل، تسهيل، تحليل، تنغيل، تفصيل، تنويـل، تهليـل، بنـاء فعاليـل وهو في القافية نحو: زهاليل، يعاليل، رعابيل، خراذيل، سرابيل، تنابيل. بناء: فعليل: شـمليل، برطيل. بناء مفاعيـل: مراسـيل، مثاكيـل، معازيـل، بنـاء: أفاعيـل: أقاويـل، أباطيـل، أحاليـل، أراجيل.

وقد يكون التكرار في صيغة الفعل نحو: مسَّك وأمسك وهـما لازمـان قـال: ومـا تَمَـسَّك بالوصل..... إلا كما تُمسِك الماءَ الغرابيلُ.

- تكرار شكل الجملة(١):

يتكرر شكل الجمل في الشعر والنثر معاً، ويرجع ذلك إلى التأكيد بإعادة شكل

---

(١) قد يكون تكرار الجمل سجعاً وذلك في المواضع التي تشترك في نهايتهـا في اللفـظ، والـسجع في الجمـل التي تتماثل في النهايات تماثلاً تاماً، فهو بمنزلة الفواصـل، وتكـرار شـكل الجملـة دون لفظهـا لا يعـد سجعاً.

اللفظ وتقويته بما يوافقه فيغني ذلك عن الرابط الحرفي والاسمي أو عن أحدهما، فإعادة شكل اللفظ يجعله تبعاً لما قبله، والتكرار الشكلي فيه وقع موسيقي لما فيه من إيقاع متسق ومتناغم وحسن تقسيم، وهذا التماثل في الأبنية يربط بينها شكلاً، وقد نجح الشاعر في اختيار جمل مشتركة في الشكل والدلالة، ونجح أيضاً في توحيد بعض الجمل في الترتيب والربط، وقد تيسر له ذلك في جمل متصلة في الإسناد في مقام الوصف، وهذا التماثل الشكلي والاشتراك الدلالي ساهما في تماسك بنية النص الكلية، وهما من وسائل الإقناع التي وظفها في التأثير في المتلقي لاستقطابه وإقناعه.

وقد جمع الشاعر إلى جوار تكرار الأبنية والجذر تكرار تكرار شكل الجملة، فكرر شكل الجملة محتفظاً بقالب الأبنية، وهو مجال أوسع من تكرار الألفاظ، وهذا دليل على تمكن الشاعر من ناصية اللغة والقدرة على توظيفها في تراكيب تدعم معانيه، وتكرار الجملة يدخل في الربط اللفظي.

وقد استطاع كعب أن يجمع بين الربط بالتكرار والربط بالضمير أو إسناد المكرر إلى مسند واحد، الأول منه ظاهر والثاني مضمر، أو يسند المكررين إلى مضمر عائد على متقدم، ومن ذلك قوله في وصف سعاد(١):

هيفـــاءُ مقبلـــةً عجـــزاءُ مـــدبرةً   لا يُـــشتكي قـــصرٌ منهـــا ولا طـــولُ

وهيفاء وعجزاء خبران لمبتدأ محذوف تقديره هي، ويجوز أن يكونا خبرين لسعاد المتقدم ذكرها.

ويسمى هذا التكرار المتماثل توازياً، والتوازي تساوي الكلمتين في عدد الحروف وفي نوع الحرف الأخير، وسماه الرماني: «السجع المتوازي» كقوله تعالى: (فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة) [الغاشية:١٣،١٤] (٢) التوازي بين مرفوعة وموضوعة، فإن اختلفا في عدد الحروف واتفقا في الحرف الأخير، سمي السجع المطرَّف كقوله تعالى: (مالكم لا ترجون لله وقاراً* وقد خلقكم أطواراً) [نوح:١٣،١٤] وقد يتفقا في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الأخير، فيسمى «السجع المتوازن» كقوله تعالى: (ونمارق مصفوفة* وزرابي مبثوثة)

---

(١) لم يرد هذا البيت في شرح قصيدة كعب، لابن هشام، ورواه صاحب كتاب السيرة النبوية ابن هشام جـ١٦/٤، وشرح الديوان ص ٧،٦.

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، دار صادر ص ٦٩، والنكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، الرماني ص ٩٧.

[الغاشية:١٥،١٦] وأحسنها التساوي في قوله تعالى: (وآتيناهما الكتاب المستبين* وهديناهما الصرط المستقيم) [الصافات:١١٧،١١٨] [1]، والأبلغ في التوازي التساوي التام في البناء والشكل ونوع الحرف الأخير. وقول كعب: «هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة» فيه توازٍ تام، وقد أصابه دون عنت. ومنه قوله: «ضَخْمٌ مُقلَّدُها فعمٌ مَقيَّدُها» فيه توازٍ تام فقد ماثل بين ضخم وفعم، ومقلد ومقيد، واتفقا في حرفين (الدال والهاء) في مقلدها ومقيدها، وهذا أبلغ في الربط، فاستغنى عن الربط بين الجملتين بالربط المتوازي فأضمر العطف، سوغ له هذا إحالة الضمير فيها إلى محال إليه واحد (الناقة)، وهما متصلتان في اللفظ والمعنى. ومثله: «.... أخوها أبوها.... وعمها خالها...»، وهما لنقاء النوع وصفاء العرق، وهما في الشكل سواء. وتكرار التوازي من وسائل الإقناع اللفظي، وهو من ملامح الصنعة في الخطاب العربي؛ لأنه موازنة بين بنائين أو تركيبين وتجانسهما في معظم الأصوات أو المشاكلة في البناء فقط دون الأصوات. وهو من الناحية اللفظية يروع السمع، ويمثل اتصالاً لفظياً، وهو من ناحية المعنى قد يكون مؤكداً لمعنى لفظ قبله أو مؤكد للفظه فقط بمشاكلته له من حيث وجه الشبه اللفظي، ومن ثم أطلق عليه تكرار التوازي Paratactic Repetition، ويقع في المباني والمعاني أو بين واحد منها، والجامع بينهما التشابه في اللفظ والمعنى، والتوازي في الأبنية في تكرارها وترتيبها على لفظها دون تغير، وهذا التوازي أشبه بالعروض غير أن الأخير مقيد بعدد التفاعيل، ولهذا التكرار وظيفة دلالية بيناها في سياقها، ويدخل في الربط اللفظي،وسوف نناول التكرار المعنوي في موضعه من الربط المعنوي .

***

(١) نهاية الإيجاز ص ٦٩.

الفصل الخامس

الربط المعنوي

أطلق البلاغيون قديماً على الترابط المعنوي المتمثل في التئام المعنى واتـصاله، والتحامـه واتساقه وائتلافه واقترانه وارتباطه «الحبكَ» coherence، ويـراد بـه تماسـك المعنـى وائتلافـه، فالكلام الجيد ما انتظم معناه وائتلف وتلاءمت أجزاؤه، والترابط المعجمي lexical cohesion: الوحـدات المعجميـة التـي تنـشأ بينهـا علاقـات ترابطيـة سـواء أكانـت علاقـات توافقيـة أو تخالفيـة، ومـن ذلـك: التكـرار Reiteration، والتـوازي Parallelism والمـصاحبة collocation. وتكرار اللفظ رابط لفظي وتكرار المعنى رابط معنوي، ولقد استخدم الشاعر ألفاظًا متداولة في التواصل، فهي لغة مشتركة، فلا تمثل بداوة متوحشة مثل لغة طرفة بن العبد وعروة بـين الورد، بل استخدم معجماً مشتركاً فالنص موجه إلى مجتمع حضري فيه أخـلاط وفيـه صـفوة العرب وخيارهم، فقد وعى كعب رضي الـلـه عنه هذا التنوع، فلم يستخدم لغة غريبـة، ولم يعقد في التراكيب ولم يشكلها، فالمقـام لا يتـسع للإلغـاز والتبـدِّي، فقـد كثـف كعـب لفظـه وجعله مباشراً، واستخدم جملاً قصيرة موجزة اللفظ غزيرة الدلالة نحو: «كل ما قـدر الـلــه مفعول»، «رسول الـلـه أوعدني»، «لم أذنب»، «قيلـه القيـل»، «مـا لهـم عـن حيـاض المـوت تهليل....» وهذه الجمل أمـسكت بغيرهـا في الـسياق أو وصـلها بـالحرف الـرابط والأداة، أو الضمير، وقد بينا ذلك.

<u>الحبك والدلالة</u>: لغة كعب جسدت المنهج الذي وضـعه أبـوه زهـير في سـبك القـصيدة وحبكها، فاللغة لا تحتاج معجماً، وهي على شهرتها وظفـت توظيفـاً حـسناً موحيـاً فالفعـل «بان» له دلالته الخاصة، فهو مستخدم في حديث الأحبة، والفعل «هاجر» من عموم الكلام، ومثله «فارق»، وقوله «متبول» من التبل، وهو السقم أو الالتهاب المفني، ومتـيم أبلـغ مـن معلق ومحب فالمتيم المستعبد الذليل، ودليله: «لم يفد مكبول»، فهو أسيرها الـذي لا يفـك، ومتيم ومتبول ومكبول تدخل في حقل واحد.

واستهل كعب قصيدته بفعل ماض لازم منقطـع حدثـه للدلالـة عـلى التحقـق «بانـت سعاد»، وهذا لتأكيد ما أصابه ولتأكيد انقطاع الوصل، وبان أدل على هذا

المعنى من هاجرت أو سافرت أو مشت، فالبين فيه معنى الفراق فالبين الانقطاع وكذلك البينونة التي تعني وضوح المفارقة، والبين في الشعر مشهور في انقطاع الوصل والفرقة، وبان في الأصل من «بين»، ومنها الظرف الذي يعني الفرق قال تعالى: (فحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل) [سبأ: ٥٤]، وقال الشاعر[١]:

لقد فرق الواشون بيني وبينها فقرت بذاك الوصل عيني وعينها

البين الانفصال، فبان كل واحد عن الآخر، وبانت المرأة عن الرجل انفصلت عنه، فلم يملك الرجل استرجاعها[٢]. واستخدم الشاعر الفعل «زعم» في موضع الادِّعاء، فزعم بمعنى تكلَّف، وما يدعيه المتكلم من كلام لا يحتمل الحق والباطل، وغلب استعماله في الباطل. ومنه قوله تعالى: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) [التغابن:٧]، و(فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) [الأنعام:١٣٦] [٣]، والأباطيل جميعاً للمبالغة في الخداع وأرجو للدلالة على رغبته في وصلها، وكرر مراده في آمل، فهو تكرار معنوي. وتضليل مصدر للدلالة على العموم في العدد والنوع، وأخبر بها عن الأحلام والأماني:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيلُ

والفعل أمسى يناظر بان الذي ابتدأ به القصيدة فهما ثلاثيان في زمن الماضي ومسندان إلى مسند واحد (سعاد) استوجب تأنيث الفعل معه. وهذا البيت بمنزلة الواصلة بين موضوعين، فهو مفتاح لحديث طويل عن رحلة في بيداء شديدة الحرارة نهاراً والإظلام ليلاً، وقد ربط بين سعاد والناقة، بعلاقة التضاد، فسعاد وهي «رمز الحياة»: مضللة ومخلفة الوعد، والناقة التي رمز بها إلى الصمود والتحدي: صامدة، قوية، نشيطة. وأمسى أفاد الانقطاع، و«أرض» نكرة تدلان على المجهول، وتفيد البعد، والخلة والخليل تدل على الاصطفاء والقرب، والجموع: العتاق النجيبات المراسيل صفات النوق، وهي للتعدد، والجمع فيها يدل على أن هذه الرحلة تحتاج

---

(١) لسان العرب، بين م٥٧٢/١ والبين من الأضداد، فيعني الفرقة والوصل، قال قيس بن ذريح:

لعمرك لولا البين لا يقطع الهوى ولولا الهوى ما حنَّ للبين آلف

(٢) لسان العرب: بين ٥٧٢/١،٥٧٣.
(٣) شرح قصيدة كعب ص ١٤٧.

جماعة لا فرد، وقوله الإرقال والتبغيل للدلالة على التنوع في السير والمهارة وشدة العدو، وعدد صفاتها التي تدل على القوة والشدة. ووصف جلد الحرباء الذي أثرت فيه الشمس مملول والمل: التراب المحترق، ومملول للمبالغة في التشبيه: «كأن ضاحيه بالنار مملول»، ووصف النسوة الثكلى بأنهن نُكْد مثاكيل، وجمع التكسير للمبالغة، واستخدم «نوّاحة» للمبالغة في النواح. و«يسعى الوشاة جنابيها»، ويروى «حواليها»، والظرف جناب ، وجمعه أجنبة مثل: (طعام وأطعمة) وساروا جنابيها، أي ناحيتيها أي أحاطوا بها والوشاة جمع تكسير للتكثير، مفرده واش مثل قاض، والسالم منه واشون، فعدل إلى التكسير للمبالغة في العدد، فالجمع السالم من جموع القلة، ووشاة مثل: رُماة وغُزاة وقُضاة، وقد دل هذا العدد على عدم التكافؤ في الصراع وقد أحاطوا بناقته. والسعي به دليل الشر، فالواشي يزين الحديث المفترى لمن وشى به إليه، ويغريه به، وهذه الجملة تدل على قسوة ما يلاقيه وشدة محنته.

ويؤكدون القول: «إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول» قول مؤكد بإن واللام، وهو خبر لقولهم، وجاز حذف الرابط؛ لأن الخبر في معنى المبتدأ، فجملة الخبر هي القول فلا تحتاج رابطاً مثل: سلامي السلام عليكم، والشهادة لا إله إلا الله. ويجوز فيها أن تكون معمول المصدر قول الذي يعمل عمل الفعل وجملة إنك لمقتول، في موضع نصب ودليل هذا الوجه كسر همزة إن فالأصل: قالوا إنك... مقتول. ومقتول اسم مفعول يرفع نائب فاعل مقدر، وهو الرابط بين الخبر والمبتدأ (الكاف).

وحسن موضع النداء معترضاً بين المبتدأ المؤكد والخبر الذي دخلت عليه اللام لتأكيد اتصاله بالمبتدأ الذي تصدر بإن، والمشهور في الجملة الاعتراضية أن تقع بين المبتدأ أو الخبر لمعنى زائد يطلبه التأكيد، وحسن أيضاً اختيار المنادى (ابن أبي سلمى)، والمراد كعباً، لكنه اختار نسبه إلى أبيه لمنزلة أبيه في العرب، فقد أرادوا الاستهزاء به في مقام ضَيْق، وهذا البيت يعبر عن مرارة المعاناة، فقد تكالب عليه الواشون بعد أن هموا به، وقد قطع سفراً طويلاً ليحظى بمراده الذي طلبه طول الرحلة (الوصول إلى سعاد) وهَمٌّ في السير، وقد توقع المتلقي له الوصول في سلام؛ لأنه أصاب قِبلته واجتاز

صعاب السفر، وأوشك أن يصل إلى سعاد، وهذا ما توقعناه، ففاجأنا بمكان آخر حل به، ولم يخطئه ولم يذكر أنه أخطأ مقصده؛ فهذه رحلة معدة سلفاً واجتازها بمهارة، وقد استطاع أن يعمي على المتلقي مقصده من السفر طول الرحلة، وهذا شأن العرب، إذا جدوا في طلب شيء عزيز عليهم أو قصدوا أمراً خطيراً، وهذا شأنهم في الغارة أو الغزو فيضللون العيون خشية الطلب أو تنبيه المطلوب، وقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة حيث سلك طريقاً غير معهود فتوهمت قريش أنه يريد الطائف فإذا هُم مقصده صلى الله عليه وسلم .

وكعب أخفى مقصده وأوهم المتلقي أنه هاجر لامرأة يحبها، وقد شاركه المتلقي وصدق خطته، وقد عَمَّى الحقيقة التي استبانت في قوله «يسعى الوشاة جنابيها...»، ولم يذكر أنه أخطأ الهدف وأنه وقع في شرك أعداه ، فهذه قِبلته التي أسرع إليها، فبادروا إليه قبل أن يصل إلى قصده، وقد اقترب منهخ، وهذا يؤكد رمزية سعاد وأنها ليست حقيقية، وأنها لم تك قصده على الإطلاق، والمقصود ما يذكره لاحقاً. والوشاة رمز المعاناة عند الشعراء، فهم مصدر الألم والفتنة والوقيعة، لأنهم يفسدون المودة، ويفرقون بين الأحبة، وليست المحنة معهم وحدهم، فهنالك محنة أخرى تعرض لها بعد جهد وطول سفر ليلقى الأحبة، فالمحنة مع أقرب الناس، فقد أصيب في أخلائه، والخليل له دلالة خاصة في العلاقات بين البشر، فالمرء يلتجئ إلى المقربين في المحنة، فقال: «كل خليل» خليل نكرة للشمول وقبلها كل التي لا تستثني أحداً، لإفادة العموم والشمول أيضاً.

والخلة تعني الصداقة الخاصة التي تدل على الاصطفاء وشدة القرب، والخليل لا يمتنع عن صاحبه، وقد سبقه والده زهير فقال [1] :

وإن أتاه خليل يوم مسألة ... يقول لا غائب مالي ولا حُرم

فالخليل أعلى منازل الصداقة.

وقوله «كنت آمله» يريد أنه كان فرطه عند الحاجة وأنه ادخره لمحنة يعينه عليها، ولكن الأخلاء جميعهم خذلوه وتشاغلوا عنه، وتبرأوا منه صُراحاً. فلم ييأس ولم يصده

(١) ديوان زهير ص ١١٥ (ط دار الكتب العلمية)، وهو من قصيدة يمدح فيها هَرِم بن سنان المري.

ذلك عن قصده الذي بذل له كل شيء، وإن تطلب ذلك حياته فلن يتراجع عنه، وقد تأكد ذلك من قوله ثائراً على الوشاة والأخلاء:

فقلـــت خلـــوا ســـبيلي لا أبـــالكم فكـــل مـــا قـــدر الـــرحمن مفعـــول

وقد ناسب الشاعر بين الألفاظ وسياق المعنى، ومنه قوله: «وقال كل خليل كنت آمله» استخدم الشاعر لفظ خليل وهو ألصق بصاحبه من الصديق، فالخليل أكثر ملازمة لخليله وأكثر اختلاء به ويسر إليه ما يخفيه عن النفس، وقد ذكره الشاعر في موضع حديثه عن موقف أصحابه منه عندما نسب إليه ذنب تبرأ منهم، والغاية من ذلك التحسر، فهم أقرب الناس إليه وأولى بمناصرته.

وقوله «كل ابن أنثى» ابن أنثى كل حي فيه روح، ويراد به الإنسان، ونسب إلى أمه، لأنها أصل له ونسبه إليها لا ينكر، وقد يُنْكَر إلى الرجل.

وقوله «كل ما قدر الرحمن مفعول» دليل على صدق إيمانه بالقدر، وقوله «رسول الله» اعتراف بالنبوة، وقد كررها في بيت واحد، لتأكيد إيمانه، وهو من الألفاظ الإسلامية إلى حوار القدر، الرحمن، الهدى، نافلة، القرآن، الموعظة، إذن الله، الذنب، سيف الله، وهي في حقل واحد جامع لها.

ومهلاً اسم فعل بمعنى تمهل، وهو للتوسل، وهداك للدعاء، والنافلة للفضل العظيم، ومواعيظ جمعاً للدلالة على غزارة الحكمة. والأقاويل والأقوال للكثرة والأولى منتهى الجموع قال:

لا تأخـــــذني بـــــأقوال الوشـــــاة ولم أذنـــب ولـــو كـــثرت عنـــي الأقاويـــل

يريد بمنتهى الجموع استبعاد ما قيل عنه، وأن القول كثُر فيه، وهو للدلالة على المزايدة في القول. وتنويل مصدر للدلالة على الأمان والعفو. وخراذيل وأراجيل للدلالة على الكثرة، والأراجيل بديل للرجَّالة والرَّجْل، وفيه أراجل وهي للكثرة، وجموع التكسير ظاهرة في القصيدة وصيغ منتهى الجموع نحو: أراجيل، الأقاويل، الأحاليل، سرابيل، زهاليل، وعساقيل، ورعابيل، وخراذيل، ومعاذيل، وهي للكثرة والمبالغة. واليمين للعهد والقوة، وسوابغ للدلالة على أنها دروع فضفاضة. والتهليل للدلالة على الجبن الشديد، والاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها ويدل على ثبوت المعنى غير المشعر بتجدد الزمن، والفعل له دلالة على الحدث وزمانه، ويتجدد في

المضارع، وهو منقض في الماضي.

أثر الأبنية في المعنى: المبني له علاقة بالمعنى والاختلاف فيه يدل على اختلاف المعنى وزيادته تدل على زيادة في المعنى، وللأبنية وظائف في الجمل وضعت لها، وترتبط بترتيبها فيها، فالواضع يضعها بسبب من المعنى.

وتشارك أشكال الأبنية في تماسك النص وتساهم في دلالته فهي أوعية المعاني، والمبني له أثر في المعنى بزيادة أن بنقص أو بتغيير (بالقلب أو النقل)، وقد استخدم كعب كثيراً من المصادر للدلالة على الحدث، والدلالة العامة، وأكثرها مصادر الرباعي المزيد والخماسي، وقد استخدم الأبنية المزيدة لزيادة في المعنى، والمصدر الثلاثي قليل نحو: قول، كذب، أمل، نصح، ضرب، فَجْع، ولع، واستخدم المزيد: إعطاء، إرقال. واستخدم تفعيل في القوافي لوقوعه على الروي نحو: تفضيل، تنويل، تنعيل، تهليل، تفصيل، تضليل، وهو من فعَّل الدال على القوة والحركة والإرادة، وهذا يواقع أحداث النص.

واستخدم فعل بمعنى مفعول نحو: نسج داود (ما نسجه، أو المنسوج) والعيش (المعيشة) والقوت (ما يتقوت به)، وَلْع.

واستخدم من المشتقات اسم الفاعل نحو: الناعي (الناعون)، غارز، الواشي، ضامرة، سابغ (كاسٍ). وجاء منه الوصف: خادر، طامس (بمعنى مطموس)، باطل، الراجل (الماشي)، النافلة (ما يتنفل به فضلاً).

اسم المفعول نحو: مكبول، معلول، مقبول، مكحول، مشمول، مقتول، مسئول، وهو كثير لوقوعه على الروي، مُتَيَّم، مذكَّرة، مُهَجَّنة، مشقق، مُهَنَّد، مُطَرَّح.

اسما المكان والزمان نحو: محنية، مَذْبح (موضع الذبح)، مقيَّد، مقلَّد، مُنْهَل (من أنهل) وهي أسماء أماكن، ولم يستخدم بناء اسم الزمان.

وجاء على الآلة: مِرْفَق، مِدْرع (ما تتدرع به المرأة من الثوب وهو اسم ثوب).

اسم التفضيل ومؤنثه: أهيب، أشم (شُمّ)، وأزهر (زُهْر)، أميل (مِيل).

واستخدم المؤنث في الوصف نحو: قنواء (مذكرها أقنى)، وهيفاء (أهيف)، وعجزاء (أعجز)، بيداء (صحراء)، قوداء، ولم يستخدم المذكر، لأن الموصوف بها

مؤنث. وجمعه فعلاوات:هيفاوات، عجزاوات، وجمع التكسير فُعْل، وقد استخدمه في: سُمْر، زُهْر.

واستخدم وزن فَعِيل في الوصف نحو: غضيض، عتيق، نجيب.فَعْل نحو: ضَخْم، فَعْم، عَبْل، حَرْف، رخوة (مؤنثة؛ لأنه وصف مؤنث فتزاد فيه هاء التأنيث).

وفَعِل مثل: لَهِق، شَغِف، وَلِع، نَقِم، نَكِد، خَلِق. وفِعْل: نِكس (ضعيف)، مِثْل (نظير)، قِرْن، دِرْس، ويكسر على فِعلان مثل: صِنْو: صِنْوان. قِنو: قنوان.

أفعل: أغن، أبيض (وجمعه بيض)، أسود (سُود)، أكشف (لا تِرْس معه، وجمعه: كُشُف)، أنكد (وجاء: نُكْد جمع نكداء).

والمبالغة: مِرسال وجمعها مراسيل للدلالة على الخِفة والسرعة، ومجازيع (مفرده مجزاع: كثير الجزع)، ومفعال من أبنية اسم الآلة أيضاً، وهي للمبالغة، ونحو: نوّاحة، والرحمن.

واستخدم الأسماء أكثر من الأفعال لدلالتها على الثوابت والأوصاف، وقد استخدم الثلاثي كثيراً، وهو الأكثر استخداماً في عموم اللغة لقصره ولسهولته في الأداء ولتنوع دلالته، ولدورانه في المعاني، وقد استخدم كعب الثلاثي من الأسماء نحو: قلب، إثر، بين، راح، خلة، أرض، طعن، سيف، نحر، الموت، أسد، ليث.

واستخدم الرباعي المزيد من الثلاثي من الأسماء، واستخدم الخماسي المزيد من الثلاثي ومن الرباعي، وأبنية الخماسي -وهي مزيدة- كثيرة في النص مثل: برطيل، شمليل، ويعد السداسي أكثرها استخداماً نحو: معازيل، التنابيل، رعابيل، سرابيل، خراذيل، الغرابيل، أراجيل، أحاليل، وهي جموع تكسير. للمبالغة والتكثير، وهي أبنية متداولة ومشهورة.

ويعد الرباعي المجرد مشتقاته من الأبنية المميزة لبناء النص للدلالة على الحركة نحو: غربل ومنه غرابيل وشملل ومنه شماليل، وزهلل ومنه زهاليل وبرطل ومنه برطيل، ورعبل ومنه رعابيل، وخرذل وخراذيل، وسربل وسرابيل، وتنبل وتنابيل، فقد استخدم الجمع فعاليل، وأصله من الرباعي فعلل، وهو من منتهى الجموع والرباعي المجرد ومشتقاته تدل على كثرة الحركة، وهي مشهورة فيه نحو: دحرج، زلزل، قهقر، غربل، خرذل (مزق). وما دل منه على المعاني فيه حركة نحو: وسوس.

وتعد صيغ منتهى الجموع ظاهرة في النص، واستخدم منها ما انتهى بمقطع طويل ومن ثم وظفها في القوافي نحو: مفاعيل، أفاعيل، فعاليل، وهي تدل على الكثرة، والمبالغة، قال كعب: ولا تمشي بواديه الأراجيل، ومفردها راجل[1]. (ماشٍ)، وجمعه: راجلون في العاقلين وأراجل وأراجيل ورُجَّل ورُجْل وأرجال جمع اسم جمع راجل مثل: صَحْب جمع صاحب، وقوله أراجيل أفصح فجمع التكسير أغنى في الدلالة، فهو من جموع الكثرة ومنتهى الجموع مبالغة في الكثرة، وأراجيل أقوى من أراجل، فالمد في الثانية أمكن في السمع ومبالغة في التكثير، والإشباع يكون للتكثير والمبالغة، وهو هنا للتكثير مثل رأيت كثيرين بمد الياء (ياء الإعراب) للدلالة على التكسير والمبالغة، وأقامت الوزن أيضاً فهي في موضعها. ومثله: أقاويل، وقد استخدمه للدلالة على المزايدة في أقوال، وهذا توظيف جيد قال:

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت عني الأقاويل

التكرار بالزيادة في أقوال وأقاويل، ليس معيباً فالثاني ليس مساوياً للأول في الدلالة بل استوعبه وزاد عليه. ومثله بناء مفاعيل نحو: مثاكيل، مجازيع.

وبناء فعاليل نحو: رعابيل، خراذيل، غرابيل، زهاليل، عساقيل (عَسْقَل: السراب)، رعابيل، يعاليل (قيل لا مفرد لها مثل: أبابيل وقيل مفردها يَعْلول: وهي سحب بيض). وبناء أفاعيل نحو: أباطيل، أحاليل، أقاويل، وهي للكثرة والمبالغة.

واستخدم الشاعر أفعالاً أقل من عدد الأسماء، وذلك لأنه الخبر قد استغرقه في الماضي، والأسماء تدل على المعاني الثابتة والحقائق والمتكلم يوظفها في الإقناع والإخبار عن الثوابت والقص في زمن منقطع لتمام الحدث فيه خلافاً لمن يستشرف المستقبل ويبدي توقعاته ومن يؤمّل ويسوف، وهذا شأن الخطاب السياسي العربي الذي يجعل التسويف والوعد والأماني والحلم العربي بديلاً للإنجاز، وقد قال كعب: «إن الأماني والأحلام تضليل» ممن عهد منه الإخلاف والخداع والمراوغة، فسعاد رمز النفوس الضعيفة التي تحتال لعجزها عن العمل.

وقد بلغ عدد كلمات النص نحو ثلاث مائة وخمس وثلاثين كلمة، منها ثمانية

---

(١) أراجيل مثل: أناعيم جمع أنعام، جمع أرجال، وزن أفعال وأرجال فيها وجهان في المفرد: رَجْل مثل أفراخ فرخ أو رجل اسم جمع ومفرده راجل مثل صَحْب: صاحب.

وتسعون فعلاً، وهي أقل من كلمات النص، ويرجع هذا إلى موضوع النص واستغراق الشاعر في الوصف.

وهذه الأفعال منها ثمانية وثلاثون في الماضي وستة وأربعون في المضارع، والماضي للدلالة عن الحدث المنقطع، وبعض المضارع جاء في استحضار حدث ماض، وجاء بعضها طلبياً لبعض المعاني منها:

- الضيق والضجر نحو: خلوا سبيلي، زولوا...... .

- التوسل: واسم الفعل مهلاً، والدعاء في الماضي: هداك...، والنهي: لا تأخذنّي.

- النصح والإرشاد: ومنه النهي: «لا يغرنك ما منت وما وعدت....»، والأمر نحو: قيلوا

- التعظيم نحو: أكرم بها خلة.....، وأفعل للتعجب ، وهو في صيغة الأمر.

وجاء بعضها مبنياً للمجهول لمعنى منها قوله: كَثُرت الأقاويل، بناه للمجهول للجهل بالفاعل، وهذا من أدلة النفي، فالقائل مجهول. ومنه: قيل إنك منسوب ومسئول، بناه للمجهول لصرف قرار قتله عن حقيقته فجعله غير مؤكد. ومنه: «أنبئت أن رسول الله أوعدني....»؛ ليجعل هذا الخبر ظناً لا يقيناً فيتحمل المراجعة. وقوله: «سيف يستضاء به» مسند لضمير سيف، وبعضهم أسنده لضمير الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا مستبعد لمجيء الوصف يستضاء ومهند، وهما للسيف.

واستخدم الشاعر الفعل للتأريخ الزمني فقوله: بانت سعاد.....، وأمست سعاد للدلالة على حدث ماض منقطع «الهجر».

واستخدم المضارع في وصف حال الرحلة، وهو زمن الحدث المنقطع فهو في مقام الحكي عما سلف، فاستحضر الرحلة في الحكي، فوصف حال الرياح، وهي تنقي ماء السيل «تجلوا الرياح القذى عنه»، ووصف طبع سعاد بأنها: «فما تدوم على حال تكون بها.... وما تمسك بالوصل....»، ومادام للدلالة على الديمومة والنفي عن المضارع لنفي الحدث. ووصف تلهف الناقة على الرغبة في الوصل بالبعير المفرد اللهف إلى قطيعه «ترمي الغيوب»، وقال في سرعتها «تمر مثل عسيب النخل....» وتخذي على يسرات، .... تنفي يداها الحصى.......

واستخدم المضارع للدلالة على قيام الحدث واستمراره، ومنه عدم انقطاع الأمل:

«أرجو وآمل أن تدنو مودتها.....»، ومثله:

مازلـــت أقتطـــع البيـــداء مـــدّرعاً　　جُـنْح الظـلام وثـوب الليـل مَـسْدُول

مازال للاستمرار، وأقتطع في زمن المضارع للمعاناة والمثابرة عليها وعدم اليأس.

وقوله في النبي صلى اللـه عليه وسلم «يستضاء به» أي يهتدي به الآن وغداً ويتجدد في الزمان.

ويحدد السياق قدر الزمن، ومنه قول كعب[1]:

يومـــاً تظـــل حِـــدابُ الأرض يرفعهـــا　　مـــن اللـــوا مـــع تخلـــيط وتزييـــل

مثل يوم سفره في شدة حره بيوم يتوهم الناظر الغليط من الأرض واللامع يعلو ويهبط لشدة حره، وشبه في رواية أخرى بالحرباء الذي احترق جنبه من الشمس، وهذا مقيد بيـوم صائف في الصحراء.

واستخدم المضارع للدلالة على الوصف الملازم للطبع نحو: «فما تدوم على حـال تكـون بها....»، ومثله: «وما تمسَّك بالوصل....»، وأصله: تتمسك فحذف التاء الثانية -على الأرجـح- تخفيفاً وضعف العين للدلالة على المحذوف وللمبالغة، ومثله: تلوَّن.... الغولُ، أي: تتلوَّن.

واستوجب التوكيد المضارع في «فلا يغرنك ما منت وما وعدت....»؛ لأن التوكيد بـالنون يكون لما يستقبل.

دلالة التعديـد: أن يعـدد المـتكلم عـدداً مـن الألفـاظ في سـياق واحـد، فيجمـع بينهـا بالعطف، وقد يزاوج بينها في لفظين، وقد يجانس بينها، وهي من ناحيـة المعنـى قـد تكـون مترادفة أو متضادة أو متباينة، والغاية من ذلك تحسين المعنى أو المبالغة والتكثير. وقد أكثر كعب منه مستجيباً لمشاعره وما تفـيض مـن معـان، فأرسـل الألفـاظ تأكيـداً لمعنـاه، فأتـت ألفاظه غزيرة المعنى، والجامع بينها العطف أو السياق أو وحدة المعنى، فالوصل في المعنـى المتصل. قال كعب في وصف النوق: العتاق النجيبـات المراسـيل، والعتـاق وزن فِعـال جمـع عتيق ككريم وكرام واتفقا وزناً ومعنى، وهو الخلو من العيوب. ومراسيل جمع مرسال مثـل مطعان ومجزاع، ومفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث.

---

(1) هذا البيت لم يروا فى معظم المصادر، ولم يروه ابن هشام النحوى وابن هشام صاحب السيرة، ولم يأت فى الديوان أوفى شرحه.

والنجيبات جمع نجيبة، وهي الكريمة، ويجوز وصف اسم الجنس «الإبل» الذي لا واحد له من لفظه بجمع الإناث.

ومثله تشبيه صوت سعاد بصوت ظبي «أغن غضيض الطرف مكحول». ومؤنث أغن غناء، وأقيم الوصف مقام الاسم أي: ظبي أغن والغُنَّة صوت الظبي عندما يئنّ. وغضيض أصله للمفعول فجاء على فعيل لمقامه مقام الوصف، ومكحول وزن مفعول، ويقدر ضمير في الصفة يعود على المحذوف «ظبي». ومثله قوله في الدروع: «بيض سوابغ» جمع أبيض وسابغ، وفاعل لغير العاقل جمعه: فواعل، مثل قائم قوائم. وجانب جوانب.

وقد تعددت الصفات للكثرة والتنوع في قوله في وصف الناقة: غلباء وجناء علكوم مذكرة أي: غليظة الرقبة عظيمة الوجنتين شديدة خلقها عظيم كالذكر. ووزن فعلاء وصف المؤنث، والمذكر وزن أفعل، وعلكوم وزن فعلول مثل علجوم وتختص بالإبل، ويستوي فيه المذكر والمؤنث.

ويجوز أن تعرب هذه الكلمات أخباراً لمبتدأ محذوف تقديره هي غلباء وجناء علكوم مذكرة، ويضمر الضمير في هذه المشتقات.

والصفة تشارك الموصوف الإعراب والتعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والعدد، وهذا يقوي اتصالها به، وهذه الصفات تتصل بموصوفها مباشرة دون حرف يوصلها به، لأنها في معنى الموصوف بيد أن العطف بالحرف لا يشترط فيه أن يكون المعطوف في معنى المعطوف عليه، وانتفاء حرف العطف بين الصفات يجوز وقوعها أخباراً، وهذا ممتنع في عطف النسق، لأن الخبر لا يفصل عن المبتدأ بحروف العطف.

الاستبدال[(١)] **وأثره في المعنى**: أن يستبدل لفظ بلفظ ينوب عنه في اللفظ والمعنى، ويقع في الأسماء والأفعال والتراكيب، ويدل على غزارة اللفظ ويغني عن تكرار معنى بلفظه، ويغني عن الإشارة إليه أو تكراره، ومن ذلك قول كعب: هداك الذي أعطاك نافلة القرآن، استبدل لفظ الجلالة باسم الموصول الذي وصله وهو فاعل، وقال:

(١) يقع الاستبدال في الأسماء والأفعال والتراكيب والجمل، والمعاني المجازية.

أُنبئـــت أن رســـول اللـــه أوعـــدني والعفـــو عنـــد رســـول اللـــه مـــأمول

وقوله «إن الرسول لنور يستضاء بـه» قولـه «الرسـول» أنـاب منـاب «محمـد بـن عبـد اللـه» صلى اللـه عليه وسلم وهـو اسـمه الـذي عرفـه بـه العـرب، ولكنـه عـدل عنـه إلى الرسول اعترافاً بنبوته وإيماناً بما جاء به، وتسليماً بسلطانه، وقد كان المشركون ينكرون ذلـك. وقد يكون المقام مقام استهزاء مثل قول كعب لأخيه بجير في الشعر الذي أرسله إليه قبل أن يسلم[1]:

شربـــت مـــع المـــأمون كأســـاً رويَّـــة فأنهلـــك المـــأمون منهـــا وعلّكـــا

كانت قريش تسمي النبي صلى اللـه عليه وسلم «المأمون» «والأمين»، مدحاً لأمانته، ولكن كعباً يستهزئ بأخيه، لأنه تبعه، وترك المشركون هذه التـسمية بعـد أن دعـاهم النبـي صلى اللـه عليه وسلم إلى الإسلام حسداً مـن عنـد أنفـسهم، واسـتبدلوه بمجنـون، وكـذاب، وشاعر، وساحر ، وصابئ، ومفتر.

وروى: «سقاك بها المأمون»، وجاءت رواية على الأصـل: «سـقيت بكـأس عنـد محمـد» فكعب لم يسلم بعد، وكان في صفوف المشركين.

وقد ينيب المتكلم الصفة عن الموصوف كقول كعب:

ومـــا ســـعاد غـــداة البـــين إذ رحلـــوا إلا أغـــن غـــضيض الطـــرف مكحـــول

أغن وصف وقع موقع الموصوف «ظبي»، والأصل: ظبـي أغـن (في صـوته غنـة). ومنـه قوله: شجت بذي شبم من ماء محنية والأصل: بماء ذي شبم (ذي برد)، ودليل ذلك (من ماء محنية)، فالخمر قد خلطت بماء بارد. ولم يذكر الشاعر اسم الناقة مكتفيـاً بوصـفها، عُـذافرة (شديدة غليظة): ولن يبلغها إلا عُذافرة... [البيت:١٥] ثم أحل إليها بالضمير أو ينيـب عنهـا الصفة.

وقد ينوب المفرد عن المثنى في موضع يعلم فيه ذلك، كالموضع الذي يستوجب شـيئين، فيكتفي المتكلم بواحد عنهما،ومنه قول كعب في الناقة: «في دفها سـعة» يريـد جنبهـا، ولهـا جنبان، واستبدل الاثنين بواحد لغنائه عنهما. ومثلها قوله فيهـا أيـضاً: «وجنـاء» أي عظيمـة الوجنتين (طرفي الوجه) فذكر واحدة. [البيت:١٩] ومثلها قوله فيها أيضاً: «نـضاخة الـذِّفرى» والذفرى: نقرة خلف الأذن تعرق، ولها ذفريان، لا

(١) شرح الديوان ص ٣ والنهل أول الشرب، والعلل: الشرب بعد الشرب حتى الامتلاء.

ذفرى واحدة. والعرب تحمل الواحد على معنى المثنى والجمع وتحمل المثنى على معنى الواحد والجمع وتحمل الجمع على معنى الواحد والمثنى، فيقع اللفظ موقع ما حمل على معناه، وقد تناولت ذلك في كتابي «الحمل على اللفظ والمعنى»[(١)]، وقد وقع الاستبدال في الأبنية، ومنها قوله: عرضتها طامس الأعلام، أي: همتها طريقاً طامس الأعلام، وطامس فاعل بمعنى مفعول، مثل: ماء دافق، وسر كاتم وعيشة راضية[(٢)]، وسابغ: مسبوغ، ومثله النافلة وهي العطية، والأصل المنفولة المتطوع بها. ومشغول بمعنى مُنْشغل. فاستدل باسم المفعول للدلالة على أن شاغله خارجي، ومشغول يناسب الروي. ومثله: مسبول ومسدول: ساتر، ومجزوع: جازع. وقد يأتي المصدر بمعنى فاعل نحو: فجع أي: فاجع، وقد يأتي بمعنى مفعول نحو: نَسْج أي منسوج. وعيش: معيش. والتنويل: المنال (الأمان والعفو). وقد تأتي الصفة فَعْل بمعنى فاعل نحو: ضَخْم، فَعْم. ومثلها المبالغة: الرحمن: الراحم. والقرآن المقروء.

وقد استبدل الشاعر الاسم بضمير ينيب عنه على أن يحيل الضمير إلى متقدم، فقد ذكر الشاعر سعاد في صدر البيت الأول، ثم أحال إليها بالضمير، ولكنه ذكرها في صدر البيت الثاني ثم أحال إليها بالضمير، وأناب عنها الضمير حتى البيت الرابع عشر؛ فذكر «العلم» تذكيراً به وتأكيداً عليه وتودداً، والأصل أن ينيب الضمير عن الاسم الظاهر المتقدم، وحذف الناقة وناب عنها الضمير[(٣)]:

ضَخْمٌ مقلدُها فَعْمٌ مقيَّدُها ... في خلقها عن بنات الفحلِ تفصيلُ

وقد ضعف الأصمعي هذا الوصف، فضخامة الرقبة تخالف النوق السريعة التي دق مذبحها، ومثله فعم مقيدها: فضخامة الرسغ تضعف السرعة، ولكن الشاعر أراد بهذا الوصف التأكيد على قوتها وأنها ليست بضعيفة.

وقد حذف الشاعر الضمير للعلم به في قوله: «حَرْف» أي: هي حرف

---

(١) الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم في ضوء المشهور والنادر، طبعة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي .

(٢) خالف ابن هشام هذ المعنى، لأن فاعل لا يأتي بمعنى مفعول، وتأوله البصريون بمعنى المصدرالدفق والكتم والرضى، كما أن اللابن والتامر والدارع نسبة إلى اللبن والتمر والدرع، وتأوله البلاغيون على الإسناد المجازي وحقيقة المجاز: دافق صاحبه، وكاتم صاحبه وراض صاحبه، وقال ابن هشام إن طمس يتعدى ولا يتعدى نحو: طمس الطريق، وطمست الريح الطريق، وهذا عندي ليس بدليل قاطع والتيسير أن يكون فاعل بمعنى مفعول، لصحة ذلك في بعض الجمل مثل: امرأة عاقر، وليس ذلك منها بل على وجه الوصف، فنسب إليها ظاهراً وهو ابتلاء، مثل مات فلان، وليس بفاعل. وفي هذا توسعة على المتكلم.

(٣) شرح الديوان ص ١١.

(شديدة)، وقوله: قوداء شمليل، أي: هي قوداء، وهي شمليل، عدد الخبر لمبتدأ محذوف: هي طويلة العنق، وسريعة. ومثله قوله: غلباء وجناء علكوم مذكرة. أخبار لمبتدأ محذوف تقديره: هي غليظة وعظيمة الوجنتين وشديدة، وهي كالذكر في عظم خلقها، ومثله: «قنواء»: هي قنواء (أنفها محدَّب).

وقد تحدث إلى ضمير الغائب «هو» تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم ثم التفت عن الغائب إلى المخاطب قال:

أُنبئت أن رسول الله أوعدني والعَفْو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيلُ

لقد التفت من الحديث عن الغائب المفرد إلى خطاب مباشر، فاستخدم مصدراً أنيب عن فعله «مهلاً» بمعنى تمهل، وأصله: إمهالاً من أمهل إمهالاً قال تعالى: (فمهل الكافرين أمهلهم رويداً) [الطارق:١٧] فحذفت الهمزة والألف تخفيفاً، وقد وقع اسم الفعل موقع الفعل. ووظف الدعاء «هداك الذي أعطاك نافلة القرآن» وأتى الدعاء في الماضي طلباً للتحقيق، ووقوع الدعاء في المستقبل، ولكنه ساقه في الماضي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان على هدى من ربه قبل البعثة، وقد أعده لذلك، أو أنه دعا بالماضي تحقيقاً فحمل الماضي على المستقبل فأنيب عنه لمعنى بلاغي.

وقد ينوب المفعول عن الفعل لمعنى، منه: التهويل والتخويف، وقد بنى الشاعر الفعل للمجهول، للتهويل في قوله: قد سيط دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل، أسند الفعل للمفعول، فجعل الحدث له، ليجعل هذه الصفات صفات ملازمة لها فدمها مخلوط بالإفجاع والمكروه، والكذب في الحديث، والإخلاف في الوعد وتبديل خليل بآخر، فصار ذلك سجية لها، ولا سبيل إلى زواله عنها، ولهذا جعل «من» في موضع «في» في قوله قد سيط من دمها، والأصل أن يخلط الدم بغيره. والدم يستدعي معاني تخيف ومشاهد غير مستحبة، وقد يستدعي ثأراً أو خرافة في الوعي الجاهلي.

والفعل له دلالة على الزمن، وكل ما كان زمانياً فهو متغير مشعر بالتجدد، فما كان للتجدد وضع له الفعل[1]، والأفعال تدل على أحداثها، والأسماء تدل على ذوات

(١)نهاية الإيجاز، الرازي ص ٨٠.

الأزمان نحو: أمس، والبارحة، والآن، وغداً. وأزمنة الأفعال ثلاثة على المشهور في اللغات (ماض، مضارع، مستقبل)، وهي عند أهل العربية ماض، ومضارع، والمضارع في العربية قسمان حال، واستقبال، فقولنا محمد يأكل يدل على الحال الآن وما يستقبل من الزمن حتى الانتهاء من الطعام، وبعض الحروف تخلص زمن المضارع للماضي أو للمستقبل فقط نحو: لم يأكل محمد (في الماضي)، ولن يأكل محمد (في المستقبل)، والسين مع الفعل تجعله للمستقبل نحو: سيأكل محمد، وهذا المعنى موجود في سوف، مختص بالاستقبال؛ لأنها تدل على أن ما بعدها ليس بحاضر، وقيل إن السين وسو اختصاران لها. وقد تفيد تقريب زمن الماضي من المضارع فيشاكله، وهي مع الماضي تفيد التأكيد والتحقيق، ومع المضارع تفيد الشك نحو: قد يأتي محمد.

والمضارع يدل على الحال أو الزمن القائم المتصل بالحدث الآن وفعل الحال يكون للمضارع ليدل على حال صاحبه القائم، فلا يكون مستقبلاً ولا ماضياً، وما جاء ماضياً أو مستقبلاً فهو للحكاية، قال تعالى: (ولو ترى إذا وقفوا) [الأنعام:٢٧،٣٠] والوقوف مستقبل ليوم القيامة، وقال تعالى: (قال الذين حق عليهم القول) [القصص:٦٣] هذا للحكاية وسيق في الماضي للحكاية وقوعه مستقبلاً، ولكنه لا يدل على الحال القائم الآن، وقد يأتي وصف الماضي مضارعاً للدلالة على ما كان عليه فيحاكيه في زمنه قال تعالى: (فوجد فيها رجلين يقتتلان) [القصص:١٥] جملة «يقتتلان» صفة في زمن المضارع لحكاية الحال. المضارع يوحي بالتجدد والحركة والتفاعل مع الحدث مباشرة.

واستخدم المضارع الذي يدل على الخطاب المباشر الذي يتفاعل مع الأحداث، وتَمَسَّك (والأصل: تتمسك فحذفت التاء للتخفيف)، ومثله: تُمْسِك من أمسك، ويغرّ للدلالة على الخداع. وأرجو وآمل وإخال: أفعال تدل على الأمل واحتساب النجاح. وعبر عن معاناته المعاصرة وحرصه على الاستمرار بقوله:

مازلت أقتطع البيداء مُدّرعاً   جُنْحَ الظلام وثوبُ الليل مَسْدُولُ

فقوله «أقتطع» يدل على القوة والعزم، وقوله «مازال» يدل على الاستمرار غير المنقطع، فما تفيد نفي الزاول، فالتركيب يعني البقاء، وجاء في الماضي لتحقيق وقوعه، ومثله «فما تدوم على حال تكون بها»، وهي آكد في الاستمرار، فالتقلب خلة فيها,

ومثله: «ولا يزال بواديه أخو ثقة».واستخدم كعب الظروف الدالة على الزمن قال كعب:

بانــت ســعاد فقلبــي اليــوم متبــولُ متــيم إثرهــا لم يفــد مكبــولُ

الظرف «اليوم» دل على استمرار المعاناة، «فقلبي اليوم متبول» جملة اسمية، وقد بعث فيها الظرف الحركة، فلا تدل على سكون نفسه بيد أنها دلت على ثبوت المعاناة واستمرارها، فاليوم زمن مباشر، والتعريف فيه حدد الزمن «اليوم» القائم. وهو زمن إلقاء النص على الجمهور، وهذا الظرف يتوهم فيه قارئ النص المعاصر أن الشاعر معه ويخوض معاناته، فاليوم متجدد مع كل زمن يلقى فيه النص، والإضافة تحدده نحو: (ويوم حنين) و«يوم العيد». و(آتوا حقه يوم حصاده) [الأنعام:١٤١] واليوم المطلق للزمان، مثل: سأموت يوماً، ومنه قول كعب: «يوماً يظل به الحرباء مصطخداً»، «اليوم»، و«كل ابن أنثى...... يوماً محمول». فيوم نكرة مطلق. وقوله: «غداة البين» ظرف مضاف، فصار في قيد زمن الهجر، وغداة مطلقة تقابل العشي، وهي وقت الصبح الذي يسرع الخلق فيه إلى الرزق، فهمت إلى السفر في وقت المنشط صباحاً، وكأنها همت لطلب خير، وهي تسرع في هجره، أراد: في هذا الوقت أي: غداة هذا البين.

وقوله: «إذ رحلوا» ظرف له إضافة فهي بدل من غداة أو ظرف ثان، وهو مقيد بزمن الرحيل، والإضافة قيدها الزمني، فهي متعلقة بالمضاف، و«إذا ابتسمت» مثل إذ، ولكنها ترتبط بالشرط، خلاف «إذ» التي تربط بالجملة المضافة، والجملة الشرطية أكبر، فهما طرفان مترابطان، وإذا الرابط بينهما، ومنها «إذا عرقت»، و«إذا توقدت الحُزَّاز».

لقد تفاعلت الظروف مع الأزمنة: اليوم، غداً، أمس، والتنوع الزمني يوحي بالحركة وتعدد مستوياتها. وتفاعلت مع الأماكن التي تعلقت بها الأحداث، وهي كثير، وتدل على اتساع المساحة المكانية، وهذا يناسب الطبيعة الرحبة التي وَسِعت خيال الشاعر الذي سبح في رحابها الممتد خلافاً للشاعر المعاصر حبيس الأبنية الضخمة، فلا يرى ما بعدها، ولكن الشاعر القديم تواصل مع العالم الخارجي، واستطاع أن يجتاز الحدود والحواجز والأبنية.

دلالة الصورة والتشبيه:

الصورة والتشبيه من الأدوات التي يجسد بها المتكلم المعنى، فيقربه إلى الذهن، ويستحضره من مكانه وزمانه إليه في صورة مجسدة أو شبيه به، ويعد التصوير والتشبيه من الاستبدال فقد يستبدل المتكلم المعنى الحقيقي بآخر أبلغ منه وأدل عليه، وقد تكون الصورة أدل على المعنى من اللفظ فتكون أعمق تأثيراً منه، وذلك إذا استطاع المتكلم تجسيد المشهد على حقيقته، فالصورة المماثلة أبلغ من اللفظ، والمتكلم يصور صوره لغة للسامع، فلم تتح له وسائل التصوير الحديثة التي تنقل الحدث حياً فلا يحتاج تعليقاً فيتفاعل المشاهد معه ويتأثر به، وابتكر المصور وسائل للتأثير، ووظف عناصر الاتصال المسموع والمرئي، وابتكر العرب المعنى التخييلي لتقريب المعنى إلى الذهن، وللمبالغة في والتأثير والإقناع، فجعله بديلاً للغة الخطاب المألوف الذي يخبر إخباراً مباشراً عن قصده، وقد بحث العلماء الاستبدال في المعاني الحقيقية، وأغفل بعضهم عدول المتكلم عن التعبير الصريح إلى التعبير المجازي، فاستدركت ذلك.

والشاعر العربي ماهر في وصف الحدث تفصيلاً، لقدرته على الإلمام بالعناصر المؤثرة وتوظيفها، وقدرته على تتبع معالم الحدث ودقائقه، فالنحت والرسم مفقودان بيد أنه كان يملك ناصية اللغة فيوجهها إلى الجهة التي يدرك قيمتها، ويعد تصوير الحدث وتمثيله من فيتبين الصور المتكاملة في النص، التي تشابك فيها الأحداث وتصعد فيها الحركة فيتبين بها المعنى ويقترب إلى الأفهام، والصورة أبلغ وأوقع في النفس وأسرع إلى الفهم وأبلغ في التأثير، وأرسخ في الذاكرة والوعي الإنساني، والتواصل اللغوي مفقود بين الإنسان والحيوان ولكنه قائم في الصورة فالحيوان يستوعب ما يراه، ولكنه وإن استطاع فهم رمز الصوت يعجز عن فهم المعنى، والطفل يستوعب الصورة والتمثيل ولا يستوعب معاني الألفاظ، ذلك أنها تقرب البعيد وتشرح الغامض دون تعليق، ولأن الأشياء مطبوعة في الذهن وتستدعي أفكاراً تتعلق بها، والذاكرة تلتفت إليها إذا أثارها مثير في العالم الخارجي، ولاشك أن الصور أكثر تماسكاً ودلالة من اللغة التي تعجز عن تبيين القصد أو يعجز المتلقي عن فهمها، والباحثون يتجاهلون وظيفة الصورة في تماسك اللغة، وهي الأقوى لاتصال المعني وترابط الأحداث.

ومثّل الشاعر معانيه بأمثلة وضحتها وأجلت غموضها وقَوَّتها في ذهن المتلقي،

ولاشك أن تصوير المعاني أبلغ من الإتيان بها على حقيقتها[1]، ولاشك أن توظيف الصورة والمثل لهما أثرهما في التوضيح والفهم والتأثير، فالصورة تقطع الالتباس والغموض، وتوظيفها في توضيح المعان أبلغ من أن تجري المعاني على الظاهر دون أن ينتبه المتلقي إلى المعنى البعيد أو ينصرف عن التلقي[2]. وتوظيف العناصر البلاغية في الكلام له أثره في جذب الانتباه والإصغاء إلى المتكلم، فهي تؤدي إلى وضوح المعنى وسرعة التأثير، فتتحقق الاستجابة، والمرسل يوظف طرقاً مخصوصة على وجوه تظهر بها الفائدة، فالبلاغة في الكلام كالتوشية في النسيج تزيده جمالاً وحلية وتغري الناظر به[3]. ومنه قول كعب في وصف الظبي: [ظبي] أغن غضيض الطرف مكحول. وقد حذف كاف التشبيه فجوز وقوع المشبه به خبر سعاد، فالأصل: سعاد كظبي أغن غضيض الطرف مكحول، وهذا تشبيه مقلوب، والأصل: وما كسعاد في هذا الوقت الذي رحلوا فيه إلا كظبي أغن وهذا أبلغ، وأصل التشبيه أن تشبه سعاد بالظبي الأغن[4]. وأغن صفة الظبي وليست لسعاد لوجوب المطابقة: (الغناء)، والمطابقة تقرب وجوه الشبه بين الصفة والموصوف فتكون الصفة ألصق بموصوفها، على ما بها من زيادة في المعنى، ومما يؤكد أن أغن للظبي أن الغنة مما توصف به الظباء، فتعين الوصف للظبي بالبناء وبالمعنى. وغضيض بناء فعيل، وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ لأنه بمعنى مفعول مثل قتيل وجريح وكحيل. ومنه قوله في ملاسة جسد الناقة وقوته:

يمشي القراد عليها ثم يزلقه ... منها لبان وأقراب زهاليل

وقال في سرعتها وخفتها:

تمر منها عسيب النخل ذا خُصَلٍ ... في غارزٍ لم تخوّنه الأحاليل

فهي في اجتيازها الأرض مثل: عسيب النخل في غارز. (ضرع ممتلئ)، وهذا يمكن خصل النخل من المرور سريعاً، وبعضهم فسره أنه لا لبن فيه، وأن عسيب النخل يمر

(١) ارجع إلى دلائل الإعجاز ص ٧٠.
(٢) نفسه ص ٧٣،٧٢.
(٣) ارجع إلى: دلائل الإعجاز ص ٣٧،٣٦.
(٤) ارجع إلى: شرح قصيدة كعب ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

عليه كالذنب، أو أنها لم تنتج فتحلب وهـذا يـضعفها[1]، وهـذه مـذاهب بعيـدة، ومـا يفهم من الواقع وألفاظ النص أنـه يريـد تـشبيه سرعتهـا بمـرور عـسيب في غـارز ممتلـئ لم تنتقصه الأحاليل (الثقوب). وحرف الجر «في» لمعنى الدخول في الأحاليل التي تشبه الأصابع وهي ممتلئة، ولا يراد الضرع بل ما يتصل بـه. وشـبه حركـة ذراعيهـا بحركـة ذراعـي امـرأة ثكلى، وقد تكشف عضداها وتـشقق مـدرعها عـن تراقيهـا لـشدة حركـة ذراعيهـا. ووصـف شجاعة الرسول صلى اللـه عليه وسلم في أصحابه بأسد في أودية، وقد سكن غيلاً من دونه غيل، ولا تمشي بواديه المشاة خشية منه. ووصف صفحة وجهه بالسيف المضيء ويريد البهاء والوضـاءة. ووصـف دروع أصـحابه بـدروع داود، وهـو أشـهر مـن مهرفيهـا، يريـد القـوة والتماسك، ووصـف في قـوتهم ومـشيتهم بـالجمال الزهـر (البـيض)، فهـم ظـاهرون أقويـاء. ووصفهم في اعتدالهم وقوة شخـصيتهم بـأنهم لا يفرحـون بنـصر ولا يجزعـون مـن مـصيبة لثباتهم في السراء والضراء، وأجمل هذا المعنى في بيته الأخير:

لا يقـــع الطعـــن إلا في نحـــورهم مـا إن لهـم عـن حيـاض المـوت تهليـل

والنحـور كنايـة عـن المواجهـة وعـدم الفـرار، فهـم لـيسوا بفـرار مـن المـوت، والمهلـل المستغيث، فنفي التهليل عنهم، وهذا المعاني الكنائية أبلغ من المعنى الصريح.

<u>الدلالـة الزمنيـة وأثرهـا في الـربط:</u> الـزمن يـؤرخ الأحـداث ويفعّلهـا ويحـدد حـدوثها وانقطاعها[2]، والنص اللغوي له زمن في داخله وزمن خارجه تفاعـل معـه، فـالزمن الـداخلي أزمنة الأفعال والأزمنة التي تدل عليها الأسماء والظروف.

أولاً- زمن الفعل: استخدم الشاعر زمن الماضي للدلالة على الحدث المنقضي نحو: بانت سعاد، رحلوا، وأمست (دخلت في وقت المساء)، وتـدل عـلى التحـسر والـضياع، وأنهـا سراب خدع به، ومنّت، ووعدت، يدلان على عدم الصدق، فليس

---

(١) ارجع إلى شرح الديوان ص ١٣ وشرح قصيدة كعب ص

(٢) والاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها وله دلالة على الثبوت، والإخبار بـه يقتـضي الإثبـات المطلـق غير المشعر بزمان. نهاية الإيجاز ص ٨٠.

فيهما إيجاز، وهو ما صرّح به كعب، فهي مضللة، وهذا شأن الخطاب العربي المعاصر الذي يزخر بالأماني والوعود والتسويف، ولا يعبر عن حدث منجز، فإن كان في زمن الماضي لم يدل على الإنجاز بل يدل على الأماني والوعود قال: «إن الأماني والأحلام تضليل» ومازالت الشعوب تعيش «الحلم العربي» فهم أشبه بكعب، والحكومات أشبه بسعاد بيد أن كعب أفاق من حلمه، والعرب تغط فيه، والدلالة الزمنية عنصر من عناصر الإقناع، فالمتكلم يربط الحدث بزمنه[١]، ليكون دليلاً على صدقه، وقد ابتدأ الشاعر قصيدته بالحديث عن زمان ماض: بانت سعاد، إذ رحلوا، أمست سعاد، وزمن الماضي للحكي عن أحداث سعاد سابقة على زمن القيل أو زمن الحكي. ووظف الشاعر زمن الماضي في الاستهلال الذي صدر به قصيدته، ليكون وسيلته في الاستعطاف. وقد وظف الشاعر المضارع في الحكي عن زمان الماضي فساقه في المضارع، وهو زمن الماضي؛ يستحضره للمتلقي، قال:

وقال للقوم حاديهم- وقد جعلت وُرْق الجنادب يركضن الحصى- قيلوا

الجملة الاعتراضية: «قد جعلت ورق الجنادب يركض الحصى» في زمن الماضي، والجملة ا لحالية: «يركض الحصى» في المضارع، لأنها حال الجراد في فترة القيلولة.

- الدلالة المكانية وأثرها في الربط

استخدم الشاعر بعض الأسماء التي تدل على الأماكن التي تعلق بها الحدث اللغوي، والنص له علاقة مباشرة بالعالم الخارجي الذي تفاعل معه، والمكان جزء منه، فاللغة تدل عليه وتقتبس منه صورها وتفسر دلالتها في ضوئه، فلا يجتزأ النص عن مكانه، فقد أثر فيه مثلما أثر المكان في تنشئة الإنسان، وقصيدة كعب تفسر في ضوء بيئتها لا عصرنا، والمفسر الواعي يقف على أسرار علاقة النص بعالمه، ويعاشه، وهذا يتطلب علماً بظروف إنتاج النص.

والمكان في القصيدة المواضع الجغرافية والحدود والمنازل التي درات في فلكها، وقد استطاع كعب تحديد معالم الأرض التي دارت فيها الأحداث، فسعاد أمست بأرض بعيدة لا يصل إليها إلا النوق العتاق النجيبات المراسيل (الخفاف)، فالأرض بعيدة

---

(١) الفعل له دلالة على الحقيقة وزمانها، وكل ما كان زمانياً فهو متغير مشعربالتجدد.نهاية الإيجاز ص ٨٠.

وماء المحنية (المنخفض) صاف، وقد أمدته بالماء سحب بيض مطردة طوال، وماء المحنية والعيون والأودية والدارات والنقرة في الأرض الصلبة والمنخفضات بين الجبال مشارب سكان البوادي، وذكرت في الشعر القديم. وقد سجل كعب أثر الرياح في تنحية القذى عن الماء، وهذا يعني أن مساحة الماء متسعة فتتمكن الرياح من تصفيته فيتحول القذى إلى جوانبه، وقد أشار إلى أن مصدره سحب كثير ملأت الأبطح، فتحول الماء إلى سيل جرف كل شيء ثم نقته الرياح، والماء متعلق بالسحب والأرض، ولمياه الأودية قيمة في حياة البدو فلا حياة دونها، وهنالك علاقة بين ماء الوادي والناقة، فالرحلة تتطلب ناقة شديدة نجيبة خفيفة فهي «من كل نضاخة الذِّفرى» فالنضاخة مبالغة في النضخ وهو انفجار الماء من ينبوعه، والذِّفرى موضع يخرج منه العرق خلف الأذن، وقيل الذِّفرى رائحة العرق، كناية عن كثرته، وهذا يتطلب شرباً ليكون عوضاً عما نزح، ووصف الناقة بأنها ترمي الغيوب، وهذا يصف اتساع المكان دون أشجار كثيفة تمنع الرؤية، وليس في المكان إلا الحزّان (ما غلظ من الأرض)، والميل: مد النظر، وقد أسند الفعل توقد إلى الحزان للدلالة على شدة الحرارة، وهذه الأرض بها رمال خالطها الحصى، وليس فيها من الأحياء إلا الحرباء والجراد، فهي موات، والأرض لاتساعها خُيّل إليه السراب في شدة الحر فتتوهمه ماء، والسراب متعلق بالحر والجفاف والأرض المستوية. وقد استطاعت الناقة أن تجتاز هذا المكان الصعب الغليظ، والمتوقع أن يصل إلى سعاد التي طلبها في أول النص، لكنه تحول إلى موضوع آخر «يسعى الوشاة جنابيها»، وروى حواليها وللناقة جنبان، وهذا شأن ماله طول وما كان مثلثاً فله ثلاثة وما كان مربعاً له أربعة، ومن ثم قال جنابيها. والجنب الجهة، وهو هنا يعني الإحاطة. وقوله: خلوا طريقي الطريق الأرض الممتدة الممهدة للسير، والاعتراض القطع، يريد ألا ينحرف عنه، فالطريق الهدف والغاية التي طلبها، وهم يصدونه عنها، وقد نجح كفار مكة في صرف الأعشى عن التوجه إلى المدينة ليسلم، فعزم أن يعود بعد عام، فمات في مرجعه إلى بلده، لكن كعباً تمسك بالمضي، وأشار كعب أنه وقف موقفاً يعجز الفيل عن تحمله بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كناية عن شدة الموقف، ولم يأت اسم «المدينة أو يثرب» في النص، وقد روى بيت في بعض الرويات يتعلق بالصحراء بعد أن لقى النبي صلى الله عليه وسلم :

مازلـــت أقتطـــع البيـــداء مـــدّرعاً جُـنْح الظـلام وثـوب الليـل مَـسْدُول

وهذا لا يعني الخلل في الترتيب بل ذكره للدلالة على الحيرة والقلق قبل أن يصفح عنه النبي صلى اللـه عليه وسلم ، فالشاعر مازال يخوض التجربة ويعيش المحنة، والبيداء أرض مهلكة، واسمها دليل عليها،والخروج منها مفازة، فأطلقوا الضد عليها تيمناً «مفـازة»، وجـنح الظلام المجهول، والثوب المسبول ساتر ما بعده، وانفرج ذلك بقوله: «حتى وضعت يمينـي لا أنازعه» واليمين موضع العهد والأمن ورمز السلام، والمكان في النص يدل عـلى ارتبـاط الـنص اللغوي بالعالم الخارجي الذي شـارك في مـيلاده وتمامـه، فجـسد عالمـه وتفاعـل معـه ورسـم معالمه رسماً دقيقاً، ووضـع الـشاعر لمحيطـه معـالم جغرافيـة، فالمكـان البيـداء ولهـا دلالات عديدة، فاسمها مأخوذ عما تحدثه بقاطعيهـا، وآثـر كعـب اسـتخدام البيـداء ولهـذا رمـز في نفسه له علاقة بمحنتـه، فقـد تـرك المفـازة والفلـوة (وجمعهـا فلـوات) والـصحراء، بيـد أنـه استخدم البيداء فهي قبر ساكنيها ونهاية مجتازيها، واستخدم الفعل الناسـخ مازلـت للدلالـة على الاستمرار، وشاركه الفعل المضارع «أقتطع» للدلالة على الحال والاسـتقبال، فهـو مـازال يبحث، وقوله «مُدِّرعاً» أي متسربلاً، فهو متلبس بالظلام فلا يعلـم وجهتـه، وتـرك النهـار إلى الليل، فالرحلـة في الليـل وهـذا شـاق، والبيـت يرمـز إلى معاناتـه النفـسية في البحـث عـن الحقيقة، فهو في بيداءٍ ظلامها دامس، ولا يرى ما وراء رحلته فهو في ظلمة وما بعدها ثـوب مسدول منع عنه الحقيقة، ويكد في كشفها والتعرف عليها، وقد سبقته أبيـات تحـدث فيهـا عن خوفه من العقاب، وأنه وقف مقاماً صعباً يعجـز الفيـل -وهـو أقـوى الحيوانـات- عـن تحمله، ثم ذكر بيته «مازلت....»، وقال بعده:

حتـــى وضـــعت يمينـــي لا أنازعـــه في كـــف ذي نقـــماتٍ قيلـــه قيـــل

حتى وما بعدها غاية ما قبلها خلافاً إلى التي تنتهي عند لفظهـا «إلى أن وضـعت» بيـد أن حتى جعلت وضع يمينه في كف النبي صلى اللـــه عليـه وسـلم غايتـه ومنتهـى خوفـه، واليمن عند العرب موضـع القـوة وشرط العهـد، واليمـين جهـة الخـير - وهـي مـن التـيمن والتفاؤل والاستئناس، فالشاعر عندما وضـع يمينـه في يمـين النبـي صـلى اللــه عليـه وسـلم سدت عنه ذرائع الخوف والقلق، فصاحب العهد «قيله قيل»، والقيل والقال والقول بمعنـى واحد بيد أن القيل أقوى في القول.

وتناول كعب مكانة النبي صلى اللـه عليه وسلم فصوره بين أصحابه رضي اللـه عنهم بأسد تخافه الحيوانات ولا تمشي بواديه الأراجيل، وكلمة الوادي ترمز إلى الحمى الذي كان يقتطعه السادة لأنفسهم فلا ينزله الناس إلا بإذنه، وقد نهى الإسلام عن ذلك، وهو في هذا الوادي قوي متمكن من أمره، وذكر بطن مكة قبل الهجرة، والبطن الموضع المتمكن من الوسط، فهم كانوا أعزة في قومهم، فأزالوهم عن بيوتهم بعد إسلامهم، وليسوا بجبناء فقد ثبتوا في الحروب فقد قتل من قتل منهم، وهو مقبل على العدو، ولم يفروا من الموت، وقد أحسن كعب في قوله:

لا يقع الطعن إلا في نحورهم ما إن لهم عن حياض الموت تهليل

واختار النحر؛ لأنه موضع الطعن في الإبل، فهي تنحر، فهم يقتلون من القُبُل لا من الدُبُر فليسوا بفرار. والحوض موضع اجتماع الماء، وجعله للموت للتكثير والمبالغة. وهذا من تأثير البيئة في النص، وهذا رابط خارجي فبنية النص تأثرت بمحيط واحد وعايشت بيئة واحدة.

واستخدم الشاعر بعض الظروف المكانية مثل: «الإثر» مسافة تفيد القرب (قيد ريح) وهو للدلالة على العقب، وطوله متران، قال الإثر بمعنى «بعد» أي: اعتل بعد هجرها مباشرة. وعند مثل: «والعفو عند رسول اللـه»، وعند للتمكن مثل: (فلما رآه مستقراً عنده) [النمل:٤٠] أي في سلطانه. و«عند» في البيت «عند رسول اللـه» بمعنى «من»، فوقعت موقعها للدلالة على التمكن والسعة. ودون تكون بحسب السياق، فقول كعب «غيل دونه غيل» بمعنى مسكن داخل مسكن، فهي بمعنى بعد، للدلالة على التحصن والامتناع. وحول للدلالة على الإحاطة، ومنه قول كعب: «يسعى الوشاة حواليها»، أي: أحاطوا بها، وروي «جنابيها»، وهو مثنى في معنى الإحاطة، فالناقة لها جانبان، ولها «قدام» أي مقدمة، والظروف المكانية تربط النص بالعالم الخارجي، وتنوعها يوحي بالتنقل والاختلاف والحركة.

التكرار المعنوي: وهو رابط معنوي بين الألفاظ والجمل، وهو تكرار مضمون لما تقدم بلفظ آخر مؤكد له في المعنى ومرتبط به في الدلالة، قال كعب: فلا يغرنك ما منت وما وعدت، بمعنى واحد، وقال: أرجو وآمل، والرجاء والأمل مترادفان. ومثل: منَّت ووعدت

«سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل» والفجع والولع بمعنى واحد، والإخلاف والتبديل بمعنى واحد. ومثل الإرقال والتبغيل نوعان من السير، وهما للتنوع فالإرقال سير الإبل (الخبب) والتبغيل يشبه مشي البغال لشدته، فجمعت بين مشي الإبل والجمال لشدتها، ومثل: «العتاق النجيبات المراسيل» بمعنى واحد فترك العطف لاتحاد المعنى، والعتاق: القوية والنجيبات: النشيطة، والمراسيل: السريعة الخفيفة. وطامس الأعلام مجهول، وهما بمعنى واحد، ومثل: ضخم وعبل في:

«ضخم مقلدها عبل مقيدها»، فالعبل الممتلئ، والمقلد موضع القلادة من العنق، والمقيد موضع القيد من القدم، كناية عن الضخامة. ومثل: نُكْد مثاكيل (مفردها نكداء ومثكال)، ومفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث في معنى يشتركان فيه مثل: مهزار ومضحاك.

ونحو: «إن الرسول لسيف..... مهند»، مهند صفة للسيف وزن مُفَعَّل، مشتق من الهند، وهو من أجود السيوف، ويسمى الهندي أيضاً ، ويراد بمهند النسب مثل هندى، ومثل: «شم العرانين أبطال»، شموخ الأنف دليل العزة، وهي صفة البطل المنتصر في الحرب ومثل: «وضعت يميني..... في كف»، واليمين أيضاً كف، ولكنه ذكر اليمين لأخذ العهد.

وقد يكون الترادف بين مضموني قولين قال:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيل

فعرقوب مضرب المثل في الإخلاف، وهي تماثله بإخلافها. وقد يكون الرابط مجيء الخبر في معنى المبتدأ، وقد تقدم ذلك في حديثنا عن الرابط، ومنه:

يسعى الوشاة جنابيها وقولهم ... إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

فجملة مقول القول في معنى المصدر: «قول» الذي وقع مبتدأ، وهي خبرة، والرابط مجيء الخبر في معنى المبتدأ.

ومثله التشبيه:

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلون في أثوابها الغول

فهي في عدم ثباتها تشبه الغول التي تغيِّر شكلها، وهذا أقذع في الوصف، فالغول مستبشع في مخيِّلة العرب، ومثله الجملة المؤكدة لمضمون ما قبلها والمفسرة لها:

فــلا يغرنــك مــا منــت ومــا وعــدت   إن الأمــــاني والأحــــلام تــــضليل

فالثاني في معنى الأول ومفسر له.

المصاحبات اللفظية[1] collocation: التراكيب المتلازمة التي تدل على معنـى خـاص ولا تدل عليه في وضعها دون مصاحبة على هـذا الـنمط أو منفـرده، وهـو تـرابط بـين الألفـاظ للدلالة على معانٍ مخصوصة، ويسمى بـالمعنى التـواردي، وتـسمى في اللفـظ التـضام، لأنهـا اجتماع لفظ بلفظ أو أكثر للدلالة على معنى من تضامها، وقـد جعلناهـا في الـربط الـدلالي؛ لأنها تدل بتلازمها على معنى بخصوص هذا التلازم.

وهذه المصاحبات قد يجمعها معنى دون عطـف أو تـشترك في إسـناد واحـد، فيربطهـا السياق دون الحرف لوحدة المعنى، وقد يربط بين بعـض هـذه الألفـاظ العطـف، وهـي في المعنـى مترادفـة أو متـضادة، (وتـسمى علاقـة المقابلـة)، أو متباينـة، والمتبـاين والمتـضاد يستوجب الرابط (حرف العطف).

والمصاحبات بعضها صفات أو أسماء وبعضها تراكيب إضافية وبعـضها تراكيـب اسـمية أو فعلية، والمـصاحبات المترادفـة دون عطـف نحـو: منهـل معلـول، بـيض يعاليـل، غـضيض مكحول، بيض سوابغ، طرف مكحول، مرفق مفتـول، ميـل معازيـل، وهـي تراكيـب وصـفية، والمتعاطفة مثل: إخلاف وتبديل، والأماني والأحلام، إرقال وتبغيل، وأرجو وآمل.

والمصاحبات المتباينة – وهي كثيرة- نحو: مرفق مفتول، سيف مهند، سيف مسلول.

والمتضادة، ولا تكون دون فاصل فلا تتبـع في الوصـف نحـو: مقبلـة ومـدبرة. والإقبـال والتدبير، الفرح والجزع.

ومن التراكيب الإضافية المـشهورة: حيـاض المـوت، حَلَـق القفعـاء، أقـوال الوشـاة، شـم العرانين، نسج داود، ابـن الأنثـى (مـا فيـه روح وميـت)، والتراكيـب الوصـفية نحـو: الـسود التنابيل، الجمال الزُّهر، البيض السوابغ.

(١) ارجع إلى: الأصول، تمام حسن ٣٨٥، والكلمة، دراسة لغويـة معجميـة، حلمـي خليـل ص ١٥٧، واللغـة فندريس، تعريب الدواخلي والقصاص ص ٢٣١، وعلم الدلالة، مختار ص ٦٨.

والتراكيب الفعلية: وضعت يميني (العهد)، أقوم مقاماً، كثر الأقاويل، خلّو سبيلي، يسعى الوشاة.

والتراكيب الاسمية نحو: النصح مقبول، قيله القيل، القفعاء مجدول، الأحلام تضليل، «كل ما قدر الرحمن مفعول» «كل ابن أنثى على آلة محمول».

العبارات الكنائية

بعض العبارات السيَّارة تدل على معنى مجازي خاص، ولا يراد بها ظاهر معناها، وتتميز هذه التعبيرات بقصر العبارة واتساع المعنى وبلاغته، فهو أبلغ من حقيقتها، فبلغت من الشهرة في الخطاب ما قصر عنه الكلام على حقيقته، ومن ذلك: لا تُمسك الماء الغرابيل كناية عن الخداع والسراب، أماني النساء وأحلامهن تضليل.

وبعض العبارات في القصيدة أريد بها المعنى البعيد لا القريب نحو: خلُّوا سبيلي، معناها القريب: أطلقوا سراحي، وقد قالها كعب في مقام غضبه وضيقه من الوشاة، وقد أحاطوا به، فأراد أن يبتعدوا عنه، فزجرهم بها.

وقوله: «لا ألهينك»، عبارة رددها العرب للتعبير عن انشغالهم بأمر آخر جد، وعدم اكتراثهم بما هو معروض عليهم، وقوله: «لا أبالكم» معناه المجازي الدعاء عليهم، ولا يراد به حقيقة معنى اللفظ، بل معناه البعيد.

«تجلوا عوارض ذي ظَلْم» كناية عن البياض. «قلبي متبول» كناية عن الألم. «غضيض الطرف» حيي، ولهذه العبارات الكنائية حضور في خطابنا المعاصر بلفظ آخر.

* * *

ترابط الشكل والمضمون

الشعر العربي القديم يعد أعلى نماذج الشعر العربي لفظاً ودلالة وبلاغة، وقد عرف بين المحدثين بالشعر الكلاسيكي أو الشعر التراثي أو القصيدة القديمة أو الشعر التقليدي، وأطلقوا على الشعراء الذين تمثلوا الشكل الشعري الأول وحافظوا على تقاليد هذا الفن الشعراء المحافظين أو الكلاسيكيين أو التقليديين، وهي تسميات فيها غض منهم واستخفاف بقيمة عملهم، فهم جزء من التراث القديم المحفوظ بعد أن فارق الحياة، ودليل ذلك أنهم يسمون المحافظين الذين يعتدون بالقصيدة العربية مدرسةَ البعث أو الإحياء (الكلاسيكية) وبعضهم يسميها مدرسة المحافظين، وهذه تسمية تغض من قيمة الاتجاهات الأخرى غير المحافظة، وأشهر رجالاتها البارودي وحافظ وشوقي، وانقطعت الأخبار عمن تولى بعث الشعر القديم، وأسألهم عن أصحاب الاتجاهات المحدثة: أليسوا امتداد تاريخ الشعر العربي في عصرنا، وهل انقطعوا عمن سبقهم، وهل أتاهم الشعر دون أن يتشربوا تجارب أسلافهم، وهل الشعر الحديث ثورة على القديم ونقض له، وهل ما يسمى بقصيدة النثر شعراً وليس فيها من شعر العرب إلا الاسم، وهي إلى النثر أقرب؟!

إن كثيراً من الآراء النقدية المعاصرة تستقي مشاربها من المذاهب الغربية، فحديثهم النقدي يماثل حديث الغربيين في أدبهم المعاصر أو يرددون قولاً يعبر عن رؤية صاحبه صواباً أو خطأً، والشعر العربي ليس فيه كلاسيكي ومعاصر وحر، فالشعر العربي أشبه بألفاظ العربية منها التراثي ومنها ما استحدثت دلالتها (المولدة) ومنها الدخيل المعرّب، وكله في النهاية عربي.

والشعر الإسلامي استجد معاني جديدة وصوراً تمثل حياة الحضر، وتأثر بالمذاهب الفكرية والحياة السياسية، وتخلص من بعض تقاليد الشعر الجاهلي، وثار بعض الشعراء على الوقوف على آثار الديار والبكاء عليها، واستبدلوها بمقدمات خمرية وغزلية ومنهم أبو نواس ومعاصره بشار برد، وهؤلاء الذين سخروا من مقدمات القدماء ثاروا على المضمون فقط، فقد ضمنوا مقدماتهم مضامين أخرى، وفاتهم أن يسقطوا المقدمة التي سخروا منها؛ لأنهم اعتقدوا أنها عنصر من عناصر القصيدة وإزالته تقويض لعملهم، فالمقدمة بمنزلة العروض والقافية، وبعضهم تفاعل مع ثقافة عصره، ومنهم أبو

تمام الذي جسد شعره أفكار عصره، كما تبنى مناهج البلاغيين حتى اتهم بالإسراف فيها، وبعضهم حمل لواء الحكمة وقوة الكلمة وعمق التجربة الإنسانية، ومنهم شاعر العربية المتنبي الذي بلغ العالمية بشعره. واستلهمت مدرسة الإحياء تراث العرب الشعري، فقد نجح البارودي في بناء نص شعري يماثل القصائد الطوال للجاهليين والإسلاميين، ولا نجد اختلافاً كثيراً بين شعره وشعر القدماء، فالرجل عايش القدماء في بواديهم وخيامهم وإقامتهم وترحالهم، واستعار ألفاظهم وصورهم وتشبيهاتهم وزاد عليها بعض ما تفاعل به من حاضره، وسلك شوقي درب البارودي في الجمع بين شاعرية القدماء والمعاصرين، فعارض بعض أشعار القدماء في مراحل مختلفة، ولم يخلع ربقة القصيدة العربية من عنقه، وشاركه حافظ إبراهيم مذهبه، فبعثت القصيدة العربية من جديد في شعر مدرسة المحافظين، وظهر جيل آخر حديث تأثر بمعطيات الأدب الغربي في مضمون القصيدة، ولكنهم حافظوا على البناء العام (الوزن والقافية)، بيد أنهم جددوا اللغة وتخلصوا من صور القدماء فاستبدلوها بصور معاصرة، وضمنوا القصيدة فكرة عامة تجمع بينها، فأمسك بمبتدأ القصيدة حتى آخرها، وبعضهم قسم القصيدة إلى وحدات موضوعية تتناول كل وحدة موضوعاً، أو يربطها موضوع واحد، وقد تختلف في حرف الروي عما بعدها ولكنها تتفق جميعها في الوزن، وهذا لا يعد خرقاً للقصيدة العربية فلكل وحدة قافية والوزن واحد، ولكن ترك الوزن ووحدة الروي أو القافية فيما يعرف بقصيدة النثر (الشعر الحر) لا يعد تجديداً بل تهديداً لشكل القصيدة وما يميزها عن النثر، وقد اختلفوا في تعريف الشعر، ولكنهم اتفقوا بأنه كلام موزون مقفي، وبعض أدعياء الشعر سموا عجزهم عن ضبط الوزن وإقامة الروي تجديداً، فقد أرسلوا الكلام وقطعوا أوصال النص فاضطربت الفكرة وأُفتقد المضمون، وماثل قولهم قول الكهان في التعمية والبلبلة، فليس بشعر ولا بنثر بل هزو الأخطل، فهو لفظ مفتقد إلى الضبط والربط والمضمون أو السبك والحبك.

وقد اتهم بعض المعاصرين القصيدة العربية بالتفكك والاضطراب، وزعموا أن التقديم والتأخير لا يضر بالقصيدة؛ لأن الأبيات ذوات دلالة مستقلة، ولقد فهم هؤلاء من آراء بعض القدماء أنهم دعوا إلى وحدة البيت واستقلاله عما يجاوره، وأنهم عابوا

من وصل بين بيتين في المعنى، وهذا متوهم من المواضع التي دعا فيها القدماء إلى ضرورة استقلال البيت بالمعنى، وأن لا يحتاج لغيره لتمام معناه، وهذا لا يعني عدم ارتباطه به بل المراد أن تتم الفائدة في البيت لمجيء القافية في آخره فتفصله عما قبله وعما بعده، فهو بمنزلة الجملة التي تعبر عن معنى تام في نص؛ لأن البحث عن الإفادة أو الخبر في البيت الذي يتلوه معيب بعد فاصلة الروي أوالقافية، فقد وقف المتكلم عليها وسوف يستأنف الكلام في إفادة أخرى، وهي مرتبطة بما قبلها وبما يتلوها في الدلالة النصية التي ترتبط بموضوع واحد، والكلام عن وحدة البيت يراد به سبك الألفاظ وحبك المعاني، فيناسب بين الألفاظ غير المتنافرة ويجانس بينها، ويختار المعاني التي بسبب من بعضها، فيتصل البيت في اللفظ والمعنى، فالمراد المؤخاة بين المعاني في البيت لتكون جزء من المضمون العام في النص[(١)].

وقد أكد علماء العربية على ضرورة ارتباط البيت بما يجاوره، وهو ما دعا إليه إمام النقاد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، فقد استحسن اتصال المعاني في الأبيات وتماسكها، واستقبح المعاني الغريبة عن سياق النص والدخيلة عليه وعدها حشواً معيباً[(٢)]، وعالج التجانس على مستوى أصوات الكلمة وتركيب الجملة والالتحام بين الألفاظ واتصال المعاني في السياق الواحد. وقد رأى ابن قتيبة (ت ٢٦٧هـ) أن البيت الذي يشذ عن النص العام تكلفاً؛ لأنه ليس مقروناً بغير جاره، بل مضموماً إلى غير لفقه[(٣)]، فالأبيات التي لا مناسبة بينها معيبة.

وقال طباطبا: «وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فصلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه....»[(٤)]،

---

(١) ارجع إلى النص والخطاب والاتصال، الدكتور محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط٢٠٠٥/١ ص ١٠٢ وما بعدها.
(٢) ارجع إلى: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ط١٤٠٥/٥هـ ١٩٨٥م جـ٢٠٦/١.
(٣) الشعر والشعراء، بيروت ١٩٩٤م جـ٢٥/١،٢٦.
(٤) عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن طباطبا، تحقيق الدكتور عبد العزيز ناصر، مكتبة الخانجي القاهرة ص ٢٠٩ وتوفي ابن طبابا ٣٢٢هـ وقد ذهب إلى هذا أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): "ينبغي أن تجعل كلامك مشتبهاً أوله بآخره، ومطابقاً هاديه لعجزه". كتاب الصناعتين، تحقيق البجاوي وأبو الفضل، دار إحياء الكتب ط١٩٧١/١هـ ١٩٥٢ ص ١٤١، وقد حقق القول في ذلك أستاذي وصديقي الحبيب الدكتور محمد العبد في كتابه «النص والخطاب والاتصال» ص١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

وهذا ذم للتفكك وعدم الترابط ودليل على عدم صحة قول من زعم أنهم جعلوا البيت وحدة بناء القصيدة دون ارتباط بالنص العام.

ولقد تماسكت أبيات القصيدة (بانت سعاد) في وحدات معنوية متصلة، فقد ربط الشاعر بين البيت الأول والثاني بالواو، وكرر ذكر «سعاد» تأكيداً عليها وتنبيهاً عليها بعد جمل أعقبت الجملة الأولى التي ذكرت فيها، فأعاد ذكرها تلذذاً وتنبيهاً عليها، وأحال إليها بالضمير بالبيت الثالث: تجلوا عوارض... إذا ابتسمت، ثم جعل لعابها كماء صاف بمحنية أزالت عنه الرياح القذى.

وانتقل من ذلك إلى الحديث عن طبيعة العلاقة بينهما، فوصفها بالاضطراب والإخلاف وعدم قبول النصح، فأعقبه ذلك ألماً وحسرة، ثم أحال إلى سعاد بالضمير: فما تدوم.... تكون بها.... ولا تمسك بالعهد.... فلا يغرنك..... أن تدنو مودتها، ثم أعاد ذكر سعاد في البيت الرابع عشر تلذذاً بذكرها ثم انتقل إلى الحديث عن الناقة، وربط بينها وبين سعاد في اللفظ والمعنى قال كعب:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل

هذا البيت قفل المقدمة ومفتاح لموضوع آخر فهو وصلة بين موضوع المقدمة وموضوع الرحلة إلى الأرض التي نزلتها سعاد، فتخلص من حديث سابق وتناول وصف الناقة، وأحداث الرحلة، ولفظ "الأرض" محور الارتكاز الذى وقف عليه، ليدخل موضوع آخر وأناب عنه الضمير فى لا يبلغها وأسند الفعل إلى العتاق (النوق)، فنجح فى الربط بين وحدات القصيدة، وتعد الناقة عندي البديل لسعاد، فهي أنثى (لذكره الضرع)، ولكنها أحسنت صحبته، وشفيت نفسه، وقد أبدى إعجابه بها، فوصف جسدها وحركتها، وحظيت برضاه، وهو ما لم تحظ به سعاد. ثم تخلص من الناقة وأحداث الرحلة وانتقل إلى الموضوع الرئيس، وقد أحسن التخلص بقوله:

يسعى الوشاة جنابيها وقولهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

لقد ذكر بدء الرحلة أنه يريد الأرض التي نزلتها سعاد، وهذه الرحلة تتطلب ناقة جلدة، وقد انتهى إلى الوشاة والأخلاء وترك الحديث عن سعاد، وهذا يرجح أنها رمز، وقد رأى ابن هشام أنها قد تكون امرأة يهواها حقيقة أو ادّعاءً[1]. وقد مهد

(١) شرح قصيدة كعب ص ٤٩.

للدخول في الاعتذار بالحديث عن القضاء والقدر ثم تحدث عن ذنبه الذي اتهم فيه، واستعطف النبي صلى الله عليه وسلم ، ومدحه ومدح المهاجرين، وقد بسطنا القول في هذا وبينا عناصر الربط على مستوى الألفاظ والمعاني.

إنني أرى أن القصيدة العربية التي زعم بعض المحدثين أنها مفككة ليست كذلك، وحجتهم أنها تفتقد إلى الوحدة الموضوعية وأن البيت نهاية المعنى وأن تقديم بعض الأبيات أو تأخيرها لا يضر في بنائها وأن الموضوعات مفككة، وأن البيت وحدة بناء القصيدة بمعنى (مستقل عما جاوره) ، وخُدع به من أتى بعدهم، ويدفعه ما حققناه في قصيدة كعب: أن الوزن يعد رابطاً شكلياً التزمه الشاعر حتى نهاية القصيدة، وهذا ما لا يقدر عليه بعض المتأخرين من أدعياء الشعر، فقد صاحب المتلقي إيقاع واحد، لم يضر باختياره الألفاظ الدالة على المعاني ولم يخرج عن عرف اللغة، ولم يتكلف لفظاً ولا معنى.

وأن القافية بمنزلة نهاية الجملة أو الفاصلة بين المعاني التامة، وقد وظفها الشاعر في دفع رتابة حديثه الطويل، كما جعلها فواصل معانيه، ووظفها في الإيقاع الصوتي إلى جوار الوزن، وليست غلقاً للمعاني ولا قطعاً لها عما تلاها، والبيت عندها ليس وحدة مستقلة؛ لأن المعاني امتدت بامتداد الموضوع واتصلت بالموضوع الذي أعقبه، فجاء التالي بسبب الأول، فأمسك كل موضوع بما تقدمه، فليست القافية بمانعاً في اتصال المعاني التي عبر بها الشاعر عن موضوعاته، وليست نهاية الإيقاع؛ لأنها موحدة على طول القصيدة فصاحبت الوزن حتى النهاية، والأبيات التي اختلف ترتيبها تناولت أفكاراً لا يضر تقديمها أو تأخيرها، ولكن المضمون العام استوجب ترتيب الأحداث وتطورها وليس في النص ما يخل بالترتيب العام والتسلسل المنطقي، والرواية التى فيها تقديم وتأخير، ضبطتها روايات أخرى محققة، أقول للثائرين على القصيدة العربية انتهوا خيراً لكم، وأقول إن ما يكتبونه ويسمونه شعراً ويفتقد الشعور والصدق والإيقاع قد لا يدرك مستوى نص أدبي نثري، وبه هنات لغوية تخرجه من عربيته.

والأولى بهؤلاء أن يبحثوا عن مكان لما يكتبونه في النثر إن كان يرقي إلى مستوى النثر الأدبي، فليس له من الشعر إلا ادعاء التسمية، فهو في نسبه من الشعر بمنزلة الدعي لغير أبيه، فللشعر أصول يقوم عليها، وليس من العقل والعلم أن يدعي المرء

شيئاً وليس فيه مما يدعيه، وقد أطلقوا عليه الشعر الحر، ومتى كان الشعر مقيداً، فالحر يعني الطليق الذي لا ينتسب إلى أسس فن الشعر فكيف يكون منه؟! وأرى أنه يبحث في إطار النثر إن كان يرقى إلى مستوى الأدب.

والطريف أن قصيدة كعب في مضمونها تحمل قصة مكتملة البناء؛ لأنها عبرت عن تجربة إنسانية وهي البحث عن الإيمان، فقد عاش الشاعر مرحلة التسليم بالموروث ثم الشك فيه، ورمز لذلك بقوله «بانت سعاد» يعني بها القطيعة والفراق الأبدي فلا أمل في العودة، والصفات التي وصفت بها سعاد تؤكد أنها لم تك أهلاً لهذا الحب الوامق الذي عاش الشاعر مرارته؛ لأنه خدع في امرأة كذوب خداعة لم يحظ منها بشيء وأضاعت كل شيء، ودليل ذلك أن الموطن الذي نزلته غير سهل ويسكنه وشاة، والذين اتخذهم أخلاء لم ينفعوه في محنته وتخلوا عنه، وقد نجح الشاعر في التخلص منها وممن أحاطوا بناقيته التى أوفت له، وهى ترمز إلى نفسه التى لم تستسلم ولم تضعف، وانطلق يبحث عن موطن آخر وحب آخر وحقيقة أخرى مثل حقيقة الموت، فالشاعر يشعر بوحدة قاتلة ويعاني شكاً فيما كان يعتقده ولم يجده شيئاً، إنه يبحث عن الإيمان، وصدق في بحثه عنه ولا يخشى عاقبة البحث عنه، وقد عبر عن محنته وشكه في ظلمات الجاهلية بقوله:

مازلت أقتطع البيداء مُدَّرعاً جُنْح الظلام وثوب الليل مسدول

إنني أدعو إلى معالجة جديدة للقصيدة العربية تتخطى الوقوف عند الشكل والاتجاهات النقدية الدخيلة التي تصلح للآداب التي نشأت في ظلها فقط، فالمعالجة التي أدعو إليها تبعث من داخل النص وتقاليد بنائه وقصده في زمن إنتاجه، فمن التعسف أن نطرح عليه مستجدات إنتاجنا الحضاري وتأثرنا بغيرنا، فالنص لا يحتمل الفرضيات الدخيلة وما وصلت إليه معارفنا الحديثة، لقد أنتج النص في بيئة بدوية صحراوية عاش فيها مجتمع قبلي معارفه يسيرة وحظه من الحضارة المادية قليل، وهذا لا يقلل من قيمة العمل الأدبي، لأنه وليد تجربة صادقة وتعبير عن محيط شارك في إنتاجه، والشاعر القديم كان أوفر حظاً من الشاعر المعاصر، فقد استطاع أن يتأمل ويفسح لخياله في ميدان رحب وعايش الطبيعة معايشة صادقة دون شاغل يلهيه عن التأمل أو يغلق عليه شعوره، والمعاصرون يختلعون أنفسهم جبراً من محيطهم ليعبروا عن شيء يعاظلهم

ويقاومهم بيد أن الشاعر العربي انطلق في ساحة رحبة بعد أن زاحمته مشاعر قوية، فغرف من نهر جار، فتواردت الأفكار وسالت المعاني واستجابت الألفاظ، وأنى للمعاصرين، وقد انشغلوا بطلب الطعام وقتلهم الزحام وفقدوا فيه، وسقطوا ضحايا الصراع والإحباط السياسى!

ولقد أثارت مقدمة كعب جدلاً بين الدراسين، وبعض المحافظين استبعدوا قيلها في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أنه انتزع المقدمة واستهل بما بعدها، وهذا لا دليل عليه، والثابت أن هذه مقدمة تعارف عليها شعراء الجاهلية يستهلون بها أشعارهم في المحافل، وهذا دأب العرب يجعلون لكلامهم استهلالاً يمهدون به موضوع الحديث؛ لأن انتباه المتلقي يأتي متأخراً عن الافتتاح، فجعلوه مفتاحاً لمغاليق الفهم.

والنساء المذكورات في مقدمات القصائد لا يردن بالحديث على الحقيقة فبعضهن من خيال الشعراء، ومن ثم تعددت أسماؤهن في شعر شاعر واحد، وبعضهن كن صواحب له، ومثال ذلك صواحب امرئ القيس: أم الحويرث، وفاطمة ابنة عمه، وأم أوفى، وقد قلد الشعراء امرأ القيس في استهلاله النسائي، وقد قلده الأعشى فذكر سعاد وزينب وتيًّا (اسم امرأة) ونُعْم وليلى وميثاء وميّ، وسعدى، وقد صار هذا تقليداً في مقدمات القصائد.

وسعاد أشهر أعلام النساء ذكراً ثم ليلى، قال الأعشى ميمون بن قيس [(١)]:

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا ... واحتلت الغمر فالجدَّين فالفرعَا

وقال[(٢)]:

بانت سعاد وأمسى حَبْلُها رابا ... وأحدث النأى في شوقاً وأوصابا
وأجمعت صُرمنا سُعْدى وهجرتنا ... لما رأت أن رأسي اليوم قد شابا
أيام تجلو لنا عن بارد رتلٍ ... تخال نكهتها بالليل سُيَّابا

(١) الديوان ص ١٠٤، والأعشى: ميمون بن قيس بن جندل... بن قيس بن ثعلبة، ولد باليمامة، ومات سنة صلح الحديبية بعد منصرفه من مكة، وقد عزم أن يسلم في العام القابل فمات.
(٢) الديوان ص ١٣.

وجيـــد مغزلـــة تقـــرو نواجـــذها مـن يـانع الـورد مـا احلـو لي ومـا طابـا

هِرْكولـة مثـل دِعْـص الرَّمـل أسـفلها مكـسوة مـن جـمال الحـسن جلبابـا

ومقدمة كعب تشبه مقدمـة الأعـشى، والتنـاص بيـنهما واضـح، ولاشـك أن كعبـاً بلغـه مقدمة الأعشى فشعر الأعشى ملأ الأسماع، فمثله لا يجهل.

وقال ربيعة بن مقروم[١]:

بانـت سـعاد فأمـسى القلـب معمـوداً وأخلفتـــك ابنـــة الحـــرِّ المواعيـــدا

وهو المعنى الذي تمثله كعب، فيما أصاب قَلْبـه بعـد هجرهـا، وإخـلاف الوعـد صـفة رئيسية في سعاد كعب، وسعاد عند ابن مقروم فيها شك، لأنه ذكر زينب في استهلال آخر[٢]:

تـــذكرت والـــذكرى تهيجـــك زينبـــاً وأصـــبح بـــاقي وصـــلها قـــد تقـــضبا

وحَـــلّ بفلـــجٍ فالأبـــاتر أهلنـــا وشـــطت فحلـــت غمـــرةً فمثقبـــا

وزينب علم امرأة منادى وتحول من المخاطـب إلى الغائـب وقـد اشـتكى ربيعـة هجـر زينب[٣] أيضاً و«شطت فحلت غمرة فمثقبا» فقـد نـزل أهلـه بفلـج الأبـاتر، وبعـده زينـب فنزلت غمرة ثم مثقباً، ولا نعلم أيهما أسبق في القول وأيهما تعقب معنـى الآخـر، والمـرجح أن كليهما احتذى قول الأعشى أو من سـبقهما مـن الـشعراء. وتـردد اسـم سـعاد في الإسـلام والشعر الحديث، وصار اسم سعاد رمزاً للحبيبة ومثله ليلى.

ونرى أن المقدمة البكائية على سعاد كانت حيلة من الـشاعر لاسـتعطاف النبـي صـلى الـلـه عليه وسلم فلم يحمد فيها شـيئاً ولم يلـق جـزاء حبـه ووفائـه غـير الـصدود والغـدر، فسعاد التي أوهمنا بالبحث عنها وعمي بها عن قصده الحقيقي ليست إلا رمزاً للدنيا التـي تعلق بها وحلم وتمنى، فكان جزاؤه العقوق، وقد نجح في إقناع المتلقي بأنه يقـصدها وأعـد الرحلة لها.

---

(١) ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي، شاعر مخضرم توفي بعد ١٦هـ وهو من شعراء الحماسة، وفد عـلى كسرى في الجاهلية وشهد القادسية وبعض الفتوح في الإسلام. الأعلام، الزركلي ١٧/٣. معمود: حزين، وابنة الحر: سعاد، والأصل أن يحل المضمر فأحل موضعه الظاهر «ابنة الحر»، وقوله: «وأخلفتك ابنة الحر» التفات يريد وأخلفتني، فتحول من المـتكلم إلى المخاطـب. والبيـت رواه صـاحب المفتـاح ص ١٠٦. والإيضاح ص ٧٩.

(٢) المفضليات ص ٣٧٥، والمفتاح ص ١٠٧، والإيضاح ص ٧٩ والمثقب وغمرة وفلج والأباتر مواضع، وتنوين زينب للضرورة.

(٣) هجر الحبيب ونزوله أرضاً بعيدة مضمون تكرر في مقدمات بعض القصائد، وقد نـصب زينـب وهـي ممنوعة من الصرف ضرورة «تهيجك زينباً» والأصل في المنادى النصب فالمعنى أنادي زينب، واضطره الوزن لإشباع الفتحة.

واستحضر الرحلة ومشاقها للمتلقي، وشاركه وجدانياً، وكان يتوقع النهاية التقليدية أن يصل إلى موطنها، فيكون خاتمة البحث عنها، بيد أن الشاعر نزل بالمتلقي منزلاً آخر، فسعاد التي استهل بها القصيدة لم تكن إلا رمزاً لما يعانيه من وحدة وفراغ روحي، ورحلة الناقة ليست إلا رمزاً للمعاناة التي يعانيها، والناقة نفسها أحسبها تجسيداً لإرادة الشاعر، فهذه رموز توارى خلفها الشاعر، وموقف الناس والأخلاء تعبير عن الوحدة والعزلة التي عاشها الشاعر قبل أن يسلم، وانتهى به ذلك إلى الإيمان بالقدر، فاستسلم له غير مكترث بالتخويف.

وهذا مدخله إلى الموضوع الرئيس (الاعتذار) فاستهله بقوله: «أنبئت أن رسول الله أوعدني» صرف الفعل للمفعول طمعاً في العفو، وهذا عرف في اعتذار العرب.

ويعد السرد في النص من عناصر الربط، وهو ظاهرة فيه، والسرد يستوجب موضوعاً واحداً ممتداً يستهوي المتكلم، ويستغرقه ويشغله عما سواه، فيبحر فيه.

ولقد استغرق الشاعر في السرد في الماضي والحاضر، فقد ابتدأ بحكي أحداث مضت على متلقين ومن بينهم متلق رئيس قصده الشاعر، وخاطبه وحده، فهو إمامهم، ومن عرف العرب في الخطاب أن يوجهوا الخطاب إلى رأس الناس، فالمجتمع العربي قبلي وتعد الرئاسة السلطة العليا، فالسيد هو القبيلة، ويوازيه في العصور السابقة: الملك الدولة، ولا صوت للجماهير ولا حضور بيد أن كعباً يخالف هذا المذهب السياسي، فقد مدح أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لحضورهم الاجتماعي وحضورهم السياسي ولدورهم في انتشار الإسلام، وقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح ملوك الغساسنة وحدهم، ولكنه في المدائح النبوية يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم أصحابه رضي الله عنهم، وهذا تحول جديد في الشعر أحدثه الإسلام فالممدوح قديماً الملك وسيد القبيلة والممدوح في الإسلام النبي صلى الله عليه وسلم في صحبة أصحابه ولا يتجاهلهم في قصائده ولا يتجاهل دورهم في الصراع بين الإيمان والكفر، والكفار أنفسهم أدركوا دور المهاجرين والأنصار في غلبة الإسلام، وهذا تحول جديد في الحياة السياسية، وقد أدركه كعب ووعاه في أولى قصائده في الإسلام، وهذا يرد قول الدكتور طه حسين فى مدائح حسان النبوية، فقد رأى أنها تقليدية تشبه مدائح الجاهليين، وهذا رأى فيه إسراف، فالشعراء الذين دخلوا فى الإسلام وأشهرهم حسان وشاعرنا كعب أضافوا إلى معانيهم دلالات تجاوزت الحس إلى الشعور، وتضمنت مبادئ عظيمة، والشعراء الإسلاميون أكثر تأثراً بالإسلام من المخضرمين، وكان كعب فى مبتدأ إسلامه.

وقد استهل كعب بسرد أحداث ماضية، واتخذها مدخلاً إلى موضوعه الرئيسي (الاعتذار) والقصد منها توطئة النفوس، وإزالة الحواجز التي قامت بينه وبين المتلقين، ليخاطب مشاعرهم، وكعب بن زهير راوٍ عن نفسه وعن غيره، وقد استهل بحديث عن سعاد، فسرد حبه لها وتمنعها ومعاناته وهجرها وبسط خلالها، ولم ينسب حديثاً لها فهو الحاكي عنها ولا حكي لها، والقول يتضمن رأيه فيها فاتهمها بالتمنع والغدر وإخلاف الوعد والقسوة. ولا نعرف شيئاً عن رأيها فيه؛ لأنه لم يرو عنها شيئاً، وليس لدينا شيء يفيد أنها أحبته غير ما ذكر كعب أنها ليست على وجه واحد بل متقلبة، وأنها لا تفي بوعد، وأن مصدقها الآمل فيها مخدوع، وأنها تتخلى عمن يتعلق بها وتهجره، وهذا الحديث عنها يفسر على وجهين: أولهما- أنها لو كانت (سعاد) حقيقة لما كانت تبادله حباً، شأنها في ذلك شأن انصراف المرأة عمن لا تحبه فلا تجيبه لشيء، ثم تنقلب إليه، فسعاد (الرمز) لم تطعه أبداً. والثاني- أن سعاد ليست امرأة حقيقية بل رمزاً، وهذا ما أميل إليه؛ لأنه لا يمكن أن نستبدل سعاد بامرأة أخرى لا تبادل حبيبها حباً، لأنها غير شغوفة به، ودليل هذا أنه وصفها بما وصف به من تقدمة في المعنى، وأنه انصرف عنها إلى قصده، وأن الناقة شغلته عنها، فوصفها وصفاً دقيقاً مفصلاً واستطرد في الحديث عنها، وهو ما لم تحظ به سعاد، وحديثه عنها ليس بحديث محب رأى من حبيبته أفضل ما فيها وعمى عما رآه الناس من عيوبها، فقد ذمها ولم ير فيها خيراً، وهذا لم نعهده من محب يغفر ويلتمس الأعذار ويحسن الظن. وقد حظيت الناقة بنصيب كبير من النص، فهي المحبوب الحقيقي، ومن ثم استغرقت سرد الشاعر وسيطرت عليه.

ولقد اكتملت في القصيدة عناصر الاتصال الفعال، فقد أقام الشاعر حواراً نصياً تفاعل فيه طرفا الاتصال، والحوار يمثل طرفي الحديث (قلت، قالوا)، وراوي الحوار الشاعر ومن ثم شغل المساحة الكبرى منه وأجاد في التعبير عن نفسه، وحضور الطرف الثاني ضئيلاً ومتواضعاً أمام حضوره الطاغي، ويرجع هذا إلى قصد الشاعر، فالقصد الدفاع وليس السرد عن الآخرين، وهو طرف في الحوار، فوظفه للدفاع عن نفسه وساق دوافعه دون الآخرين، وهذا يماثل الخطاب السلطي الحاضر دائماً في الكلام دون المعارضة المغيبة والمتهمة والظنينة، بيد أن كعباً متهماً وليس بسلطان، وهو فرد وهم جماعة فانتصر لنفسه المستضعفة، والحوار يفعل النص، ويبعث فيه الحركة لما فيه من تفاعل بين طرفين، يجعل الاتصال مباشراً وفعَّالاً، فالمشاركة جعلت منه نصاً حياً، فقد استطاع كعب أن يستدعي أصوات الآخرين، فشاركوا في القول قليلاً، وقد

استوعب قولهم وعبر عنه ونقله عنهم في صيغة الخطاب المباشر، فقد استحضر صوت الوشاة والأخلاء، قال:

يـــسعى الوشـــاة جنابيهـــا وقـــولهم إنـــك يـــا ابـــن أبي ســـلمى لمقتـــول

وقـــال كـــل خليـــل كنـــت آملـــه لا ألهينـــك إني عنـــك مـــشغول

فقلـــت خلـــوا ســـبيلي لا أبـــالكم فكـــل مـــا قـــدر الـــرحمن مفعـــول

وهذا يشهد بالتعددية الصوتية في النص اللغوي، فقد اكتملت فيه عناصر الحوار الدرامي. والمكان ليس المذكور في أول النص «أمست سعاد بأرض....»، بل منزل النبي صلى الله عليه وسلم بين الأنصار، فقد عمّى الشاعر قصده عندما شرع في الهجرة، وهذا شأن المطلوبين.

وقد أعرب الشاعر عن أمله في أصدقائه فكان جوابهم قاسياً، وزاد الأزمة تعقيداً أن أول من استقبله الوشاة الذي سعوا به، وأخبروه بأنه سيقتل، وهذا لم يصده بل زاده عزماً، وقد أضفى هذا الحدث الحواري سمة الدرامية على النص الشعري، فقد تلاحقت الأحداث في السرد عن سعاد والناقة ولم نجد صوتاً لسعاد غير ما أخبرنا به الشاعر عنها، ثم تحول عن السرد إلى الحوار المباشر، يجسد أزمة الشاعر وقلقه(١) وشخصية الراوي (الشاعر) ظاهرة في النص، واستوعبت الأصوات الأخرى.

وعرض الشاعر حواراً آخر مختلفاً عما سبق بينه هو والنبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم خطاباً مباشراً بل جعل الخطاب للغائب تأدباً وتعظيماً، قال:

أُنبئـــت أن رســـولَ اللـــه أوعـــدني والعفـــوُ عنـــد رســـول اللـــه مـــأمولُ

مهـــلاً هـــداكَ الـــذي أعطـــاك نافلـــة القـــرآن فيهـــا مـــواعيظٌ وتفـــصيلُ

لا تأخـــذنِّي بـــأقوال الوُشَـــاة ولم أذنـــبْ وإن كَـــثُرت فيّ الأقاويـــلُ

لقد جعل الفعل مسنداً إلى مفعوله ليصرف الخبر عن حقيقته ويجعله محتملاً، وهذا عرف في الاعتذار يقولون: أخبرت، وسمعت، وقيل، وجاءني، وأتاني، وروي، وحُكي، وقالوا، وحدثوني، فالمعتذر يسند الفعل لغيره مدعياً عدم تحققه منه، وأنه مستخبر وليس بماثل للعقاب، لعله يجد فرجة أو مخرجاً، فيسوّف ويلتفت في الحوار لإبطاء الحكم، لعل الحاكم يعدل عن حكمه، وهذه التحولات موصولة ومتشابكة ويمسك بعضها برقاب بعض.

---

(١) تناولت الدكتورة منى سعيد عناصر الحوار الروائي في دراستها «ثلاثية غرناطة، دراسة في التشكيل السردي» وهي دراسة في مصاف الدراسات السردية الجيدة.

لقد تناولنا الربط في اللفظ والمعنى، وتبين لنا أن للعربية أدواتها اللفظيـة في الـربط، لا تصل إليها لغة في هـذه الخاصـة التـي تميزهـا عـن غيرهـا، وتناولنـا الـربط الـدلالي في إطار الموضوع العام وعلاقة النص بعالمه الخارجي وارتباطه به، وتفسيره في ضوء ظروف إنتاجه.

وقد اتخذت قصيدة كعب «بانت سعاد» نموذجاً، ولا يعـرف لهـا اسـم سـوى «هـذه الجملة» من أول بيت فيها، وبعضهم يـسميها قـصيدة كعـب في مـدح سـيدنا رسـول اللــه صلى اللـه عليه وسلم والتسمية بالجملة الأولى أو بأشهر بيت فيها أو عبـارة أو مـا عرفـت به عرف متبع في تسمية المتأخرين القـصائد، وشـعراء الجاهليـة لم يـضعوا اسـماً، وهـو مـن وضع المتأخرين في عصرنا الذين يضعون اسماً أو عنواناً لقصائدهم.

وقصيدة كعب تعـد نموذجـاً للقـصيدة العربيـة فقـد اكتملـت فيهـا عنـاصر القـصيدة وتحقق فيها البناء العام المتكامل، وهي مثال جيد لنموذج القصيدة العربية، ويمكن التعرف على ملامح الشعر العربي الأصيل من خلالها، فهي من ناحية اللغة تمثل نموذجـاً لغويـاً قويـاً وشكلاً بنائياً متماسكاً خلافاً لما ذهب إليه بعض المحدثين الذين ادعوا أن القـصيدة العربيـة مفككة وتفتقد إلى الوحدة الموضوعية والصورة العامة الحية المتكاملة وأنهـا تجـسد تجربـة الشاعر وحده ولا تمثل تجربة إنسانية.

وهـذا العمـل نموذجاً تطبيقيـاً تلمـست فيـه جهـود مـن سـبقني واجتهـدت فيـه مـا استطعت، وأحسبني قد استوفيت الفكرة وأصبت بعض جوانب التحليل والتطبيق، وأعتـذر عما فاتني وما قصرت فيه وما جانبت فيه الصواب، وحسبي أنني بذلت جهـدي واجتهـدت رأيي، وأسأل اللـه العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

انتهى بحمد اللـه وتوفيقه كتاب الربط فى اللفظ والمعنى[1].

* * *

(١) انتهيت منه بحمد اللـه تعالى وتوفيقه (بمقامي في القاهرة) في ليلة الجمعة ٢٥ ربيع آخر ١٤٢٨هـ ١ مايو ٢٠٠٨م، وقد بدأت فيه عام ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م (بمقامي بلاظوغلي)، وطال العمل فيـه لكـثرة مـا به من موضوعات استوقفتني وتطلبت تمحيصاً وبحثاً واطلاعاً، وقد اعترضتني أعباء اسـتوقفتني عـن العمل فيه، بيد أني كنت أعود إليه متلهفاً، فأبدأ القراءة من جديد، وقد كبدني ذلك جهداً كبيراً، وقد أعانني اللـه تعالى عليـه، والفـضل لله تعـالى، ولا يفـوتني أن أذكـر المـساهمات التـي تطوعـت بهـا الدكتورة منى سعيد والآراء الثاقبة التي أفادتني والعبء الكبير الذي تحملتـه والمـشاركة الفعالـة في إنجازه، فجزاها اللـه تعالى خيراً، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

- إحياء النحو، الدكتور إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٣٧م.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- الأصمعيات، تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ط١.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوس، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م.
- أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب، ونظريات البحث اللغوي، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي النحوي، نشر مطابع النصر الحديثة، الرياض، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٩٣م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: صلاح الدين محمود السعيد، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد بدوي حامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- البناء الصرفى فى الخطاب المعاصر، الدكتور محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، ط٢٠٠٨/١.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٥/ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- تأويل مشكل القرآن؛ ابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- التبيان في إعراب القرآن؛ أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: على محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- تحليل الخطاب؛ ج. ب. بروان، ج. يول، ترجمة وتعليق: د/ محمد لطفي الزليطني، ود/ منير التريكي، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)؛ أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تقديم:

هاني الحاج، خرج أحاديثه: عماد زكي البارودي، وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

- حاشية الصبان، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٢، ١٩٧٧م، وط مكتبة الصفا.

- الحمل على اللفظ والمعنى؛ د/ محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط١/ ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

- الخصائص،أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- دلائل الإعجاز؛ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، الهيئة العامة المصرية للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- الدلالة اللفظية، د/محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو، ط١/ ٢٠٠٢م.

- ديوان كعب بن زهير؛ حققه وشرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- سر صناعة الإعراب؛ أبو الفتح عثمان ابن جني، قدم له: د/ فتحي عبد الرحمن حجازي، دققه وعلق عليه؛ أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث (د.ت).

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- شرح ديوان كعب بن زهير، رواية الحسن بن الحسين بن عبد الله، الدار القومية للطباعة، مصر، ط١٣٦٩/١هـ - ١٩٥٠م.

- شرح الخطيب التبريزى على بانت سعاد، تحقيق د. عبد الرحيم يوسف الجمل، مكتبة الآداب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

- شرح قصيدة كعب بن زهير؛ جمال الدين محمد بن هشام، ضبط وتحقيق: محمود حسن أبو ناجي، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- شرح كافية ابن الحاجب؛ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

- شرح المفصل، ابن يعيش النحوي، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، وإسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

- شرح ملحة الإعراب، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري، تحقيق وتعليق:

بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت، ط٣/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٤م.
- الصاحبي، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).
- طبقات فحول الشعراء، أبو عبيد القاسم محمد بن سلام، تحقيق الشيخ شاكردار المدنى بجدة.
- علم الدلالة، إطار جديد، بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).
- علم الدلالة، دراسة في المعنى والمنهج، د/ محمود جاد الرب، دار عامر للطباعة والنشر، المنصورة، ط١/ ١٩٩١م.
- علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، برند شبلنر، ترجمة: د/ محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر، الأردن، ط١، ١٩٨٧م.
- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د/ سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الدكتور إبراهيم الفقي، دار قباء القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق: د/ سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.
- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا، تحقيق: عبد العزيز ناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة (د.ت).
- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، علق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م.
- كتاب الصناعتين، أبو الهلال العسكري، تحقيق: محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٤٧١، ١٩٥٢.
- الكشاف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ازمخشري الخوارزمي، شرحه وضبطه وراجعه: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت).
- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، عده للطبع: د/ عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات. القاهرة، ط١/ ٢٠٠٥م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة

العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، د/ محمود نحلة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من، ودينز فيهفيجر، ترجمة: د/ فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- المذكر والمؤنث، الدكتور محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، ط١/ ٢٠٠٨م.

- مغني اللبيب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

- مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- مقالات في الأسلوبية، منذر عياش، منشورات اتحاد الكتاب العربي، ١٩٩٠م.

- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.

- نتائج الفكر، أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: د/ محمد إبراهيم، دار الرياض للنشر والتوزيع، السعودية، ط٢، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

- نسيج النص، بحث ما يكون به النص الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١.

- النص والخطاب والاتصال. د/ محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

- النص والخطاب والإجراء. دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

- النص والسياق، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت والمغرب، ٢٠٠٠م.

- نهاية الإيجاز، فخر الدين الرازي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

* * *

الفهرس


مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com